



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر2 – بوزريعة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قســـم التـــــاريخ

الجنوب الشرقي الجزائري خلال العهد الاستعماري ورقلة أنموذجا 1844ـ 1962م

ملخص أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر

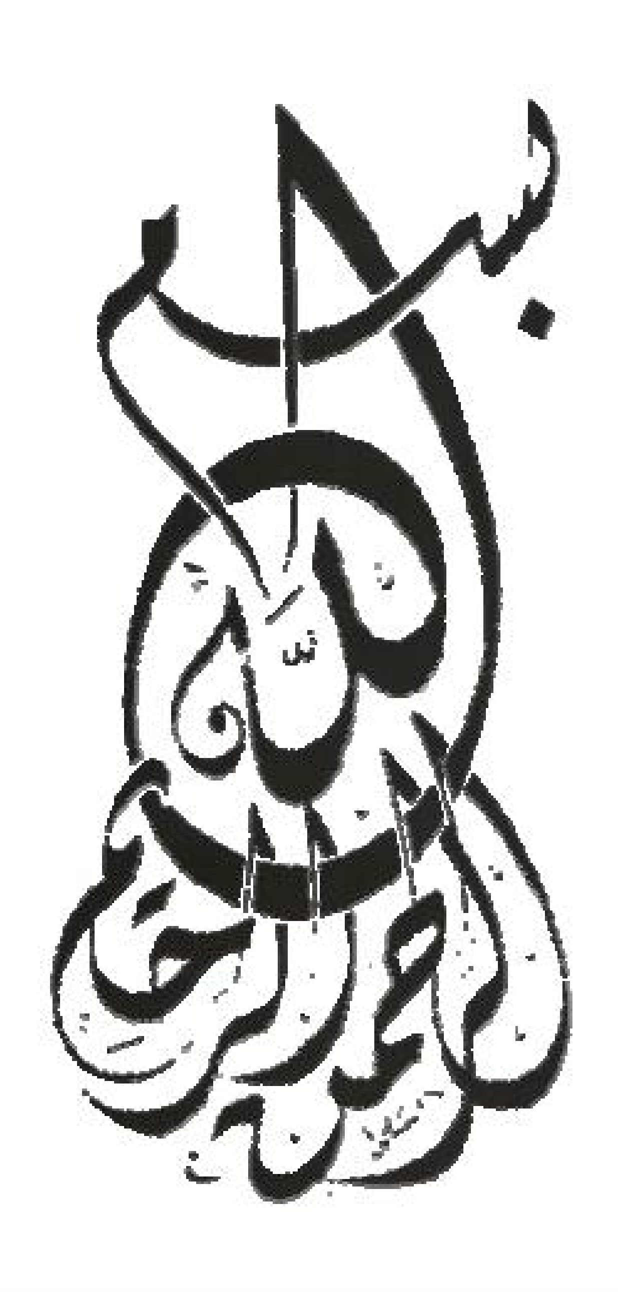
إعداد الطالب: رضوان شافو

إشراف الأستاذ الدكتور: تلمساني بن يوسف

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقـــب	الدرجة العـلمية	الصـــفة	الجامعة الأصلية
أ.د / محمد القورصو	أستاذ التعليم العــالي	رئيســا	جامعة الجزائر 2
أ. د / تلمساني بن يوسف	أستاذ التعليم العــالي	مشرفا ومقررا	جامعة الجزائر 2
د / عبد النــور خيثر	أستاذ محــاضر	عضوا مناقشا	جــامعة البـويرة
د / لـزهــر بـديدة	أستاذ محــاضر	عضوا مناقشا	جامعة الجزائر 2
د / الحاج موسى بن عمر	أستاذ محــاضر	عضوا مناقشا	المدرسة العليا للأساتذة

السنّة الجامعية: 1432– 1433هـــ / 2011 – 2012 م


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــــــداء

إلى الذين اصطفاهم الله بحمل اللواء وشرف الأمة

إلى الوالدين الكريمين أطال الله في عمرها

إلى زوجتي الغالية حفظها الله

إلى روح الفقيد الأستاذ الدكتور ابراهيم مياسي

رحمة الله عليه

أهدي هذا العمل المتواضع

شكر وعرفان

أولاً الشكر لله تعالى على فضله ومنه وإحسانه، لما أجزله لنا من توفيق وإعانة لانجاز هذا العمل العلمي المتواضع .

وثانياً إذا كان لابد من الاعتراف بذوي الفضل بفضلهم فإنني أعرب عن شكري وامتناني لأستاذي الفاضل الدكتور بن يوسف تلمساني أطال الله في عمره ، الذي تابع خطوات هذا العمل وأمدني بتوجيهاته ونصائحه العلمية السديدة التي كانت لي نورا على الطريق في إنجاز هذا العمل العلمي .

ومن باب أن من لم يشكر الناس لم يشكر الله، فإنّه لا يسعني إلاّ أن أتوجه بأسمى آيات الشكر والعرفان إلى كل من تفضل بتقديم النصح والإرشاد وأمدني بالوثائق والمراجع ، وأخص بالذكر كل من السادة الأساتذة والدكاترة الإجلاء : الدكتور علي غنابزية، جمال الدين ميعادي(مدير متحف المجاهد بتقرت) ، دومي محمد (رئيس مصلحة الأرشيف لولاية ورقلة) ،عواريب لخضر ، حسن معمري،حكوم سليمان، بومعقل سليمان، هوراي مختار ، تيتة ليلى ، والسيّد فليكس *filix* (مسؤول مكتبة الآباء البيض بورقلة) .

والشكر موصول للسادة الأساتذة والدكاترة الأجلاء أعضاء اللجنة العلمية وأعضاء لجنة المناقشة، الذين سيأخذون من وقتهم لقراءة هذا العمل وإفادته من خبرتهم بالتصويب والتعديل ، فلهم خالص الشكر وأرفع آيات التقدير والتوقير والاحترام .

قائمة المختصرات الواردة في البحث

أولا/ باللغة العربية:

تح	تحقيق
تر	ترجمة
تع	تعليق
تعر	تعريب
ج	جزء
د.ت	دون تاريخ
د.م.ج	ديوان المطبوعات الجامعية
س	سنة
ش.و.ن.ت	الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
ص	صفحة
ط	طبعة
ع	عدد
مج	مجلد
مخ	مخطوط
م.و.د.ب.ح.و.ث.ا.ن	المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954
م.و.ك	المؤسسة الوطنية للكتاب

ثانيا/ باللغة الفرنسية:

A.M.G	Archives du Ministère de Guerre (Château de Vincennes)
A.N.A	Archives Nationales Algérienne
A.N.T	Archives Nationales de Tunisie
A.O.M	Archives d'Outre Mer (Aix-En Provence)
A.G	Annales de Géographie
B	Boit
B.C.S	Bulletin de la communication du Sahariennes
B.S.G.A	Bulletin de la Société de Géographie d'Alger
C.A.P.E.R	Caisse d'Accession à la Propriété et à l'Exploitation Rurale
C.D.A.W.O	Centre de Documentation et d'Archives de la Wilaya de Ouargla
CSS	Caisse Saharienne de Solidarité

DOP	Département de les Opérations et de prévention
E.B.S.G	Extrait du Bulletin de la Société de Géographie
G.P.R.A	Gouvernement Provisoire de la République Algérienne
Impr	Imprimerie
J.O.A	Journal Officiel de l'Algérie
J.O.R.F	Journal Officiel de la République Française
L.M.C	la Ligue Maritime et Coloniale
N°	Nombre
N.J.O.C.R.S	Nouvelles Journal de l'Organisation de Coopération dans des Régions Sahariennes
N.S	Nouvelles du Sahara
OCRS	Organisation Commune des Régions Sahariennes
O.P.U	Office des Publications Universitaire
P	Page
PROHUZA	Centre d'études et d'informations des Problèmes Humains dans les Zones Arides
R.A	Revue Africaine
S.A.R	Secteur d'Amélioration Rurale
S.D	Sans date
S.E.L.I.S	Société d'Equipement pour l'Infrastructure Saharienne
S.N.Repal	Société National de Recherche et d'Exploitation des Pétroles en Algérie


المقـــدمــة

تقديم الموضوع:

منذ البدايات الأولى للاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م،عملت السلطة الاستعمارية على وضع إستراتيجية للتغلغل في عمق الأراضي الجزائرية،بهدف بسط النفوذ واستكمال مشروع التوسع نحو المناطق الصحراء الجزائرية وقد اعتقد الفرنسيون بعد سقوط مدينة الجزائر أنهم سوف يسيطرون على بقية المناطق الأخرى خلال أيام معدودات،إلا أن السلطة الاستعمارية تفاجئت بوجود مقاومة عنيفة وشرسة من طرف الشعب الجزائري في مختلف مناطق الوطن،مما أخر عملية توسعها وفرض سيطرتها إلى غاية 1916م، حيث ثم إخضاع كل الأراضي الجزائرية بعد القضاء على آخر مقاومة شعبية في منطقة الهقار بقيادة الشيخ آمود،وفي ذات السياق نجد من ضمن المناطق الصحراوية التي تركت بصماتها النضالية ضد التوسع الاستعماري في الصحراء الجزائرية منطقة ورقلة التي أبدت مقاومة شعبية منذ احتلالها سنة 1854م إلى غاية أواخر القرن التاسع عشر الميلادي(19م) بقيادة كلا من الشريف محمد بن عبد الله،والشريف بشوشة،وناصر بن شهرة،وأولاد سيدي الشيخ،لكن السلطة الاستعمارية استطاعت أن تقضي على هذه المقاومات بفضل تعدادها العسكري من جهة،وبفضل جواسيسها وعملائها المنتشرين في المنطقة من جهة أخرى،هذا ناهيك عن سياستها القمعية المفروضة على الأهالي،والتي نتج عنها تدهور في الحياة الاجتماعية والاقتصادية،حيث انشر الفقر،وضربت المجاعة أطنابها في مختلف القبائل البدوية،وسُلبت الأراضي من أهلها بسبب تراكم الديون...وغيرها من النتائج السلبية.

وفي العقد الثاني من القرن العشرين(20م) لاح فجر جديد في المجتمع الورقلي نتيجة التطورات السياسية التي حدثت بالشمال الجزائري،حيث انتشر الوعي السياسي بفضل بعض التجار الذين كانوا يعملون في المدن الشمالية،وتبلور الفكر الإصلاحي بفضل الطلبة الذين درسوا في جامع الزيتونة،وبفضل جرائد وصحف جمعية العلماء المسلمين التي نوّرت وأنارت الطريق لشباب ورقلة لمحاربة السياسة التنصيرية في المنطقة،وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية برزت خلية حركة انتصار الحريات الديمقراطية التي مهّدت وهيئت الأجواء للعمل العسكري بالمنطقة،فلمّا اندلعت ثورة أول نوفمبر 1954م حتى أقبل سكان ورقلة مثلهم مثل بقية سكان الصحراء ينخرطون أفواجا في صفوف المنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني،وعمل المسؤولون في المنطقة على تشكيل خلايا ثورية شعبية هدفها جمع الاشتراكات والسلاح والتموين،والقيام بعمليات فدائية إن سنحت الفرصة،وما بين 1956 و1958م شهدت المنطقة تطورا

عسكريا كبيرا نتيجة للتقسيم الجديد الذي خرج به مؤتمر الصومام في 20 أوت 1956م، وإضافة الولاية التاريخية السادسة،حيث كانت هذه الفترة أكثر شراسة وبطولة من خلال بعض الاشتباكات والعمليات الفدائية التي خاضوها ضد المنشاءات العسكرية والاقتصادية للعدو،وخاصة بعد الاكتشافات النفطية والغازية بالصحراء الجزائرية سنة 1956م،لكون أن هذا الاكتشافات فتحت آفاقا جديدة للإدارة الاستعمارية،بهدف استغلال هذه الثروات فيما يخدم الاقتصاد الفرنسي،لذلك أسرعت السلطة الاستعمارية إلى خلق مشاريع إدارية واقتصادية واجتماعية من اجل الحفاظ على أن تبقى الصحراء فرنسية،كمشروع فصل الصحراء عن الجزائر،ومشروع الجمهورية الصحراوية المستقلة،ومشروع المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية،لكن سكان ورقلة لم تغريهم هذه المشاريع،بل أنهم أكدوا رفضهم التام لهذه المشاريع في 27 فيفري 1962م،حيث هز أهالي ورقلة كيان العدو الفرنسي، وكسر أغلال الهيمنة الاستعمارية الفرنسية، ففي مثل هذا اليوم حدث انفجار شعبي هز صمت معظم قرى ورقلة (الرويسات، بني ثور، سعيد عتبة، المخادمة،عين البيضا، لعجاجة، القصر العتيق،انقوسة، سيدي خويلد...)،إذ خرجت فيه شرائح المجتمع الورقلي ضاربة أوامر السلطة الفرنسية عرض الحائط،غير آبهة للترسانة الجهنمية الفرنسية،رافضين لمؤامرة الفصل،وتشاء الأقدار أن تتبخر أحلام الجنرال دي غول في هذا اليوم الذي ما فتئ يضيّق الخناق على الثورة التحريرية،ليتأكد ديغول فيما بعد إن إرادة الشعوب أقوى وأكبر من إرادة القهر والاضطهاد.

أسباب اختيار الموضوع:

في بادئ الأمر كان عنوان الدراسة :"عمالة الواحات(الجنوب الشرقي الجزائري) دراسة سيمونوغرافية"،بداءً من المساحة الجغرافية التي تشمل منطقة الاغواط شمالا إلى تمنراست جنوبا،ومن اليزي شرقا إلى عين صالح غربا،واختيار هذا العنوان كان لسبب واحد وهو أن حجم منطقة عمالة الواحات في المقاومة الشعبية والسياسية لا يتناسب مع حجم البحوث التاريخية المخصصة لها،لكون أن اغلب الدراسات التاريخية حول تاريخ الصحراء الجزائرية نجده قد كتب بأقلام استعمارية،وكل ما كتب بأقلام وطنية فهو قليل جدا مقارنة ما كتب عن تاريخ المقاومة الوطنية في مناطق الشمال،غير أنني وفي إطار تجميع المادة التاريخية وقفت على الزخم الكبير من الأحداث التاريخية في منطقة عمالة الواحات،وكل منطقة فيها تحتاج إلى دراسة علمية مستقلة،وعليه بعد مشاورات مع الأستاذ المشرف استقرا رائينا على اختيار عنوان

"الجنوب الشرقي الجزائري خلال العهد الاستعماري. ورقلة أنموذجا 1844-1962م" كموضوع للدراسة والبحث،واختيارنا لهذه المنطقة تحكمت فيه عدة عوامل ذاتية وموضوعية.

فمن العوامل الذاتية: رغبتي الشخصية الملحة لدراسة التاريخ المحلي الذي كان لي فيه تجربة أولية في دراستي لما بعد التدرج،ولهذا كان لي طموح كبير لمواصلة البحث في هذا المجال من جهة،وبحكم انتمائي الجغرافي لهذه المنطقة،هذا بالإضافة إلى محاولتي لتوثيق بعض الشهادات الشخصية لمن صنعوا مجد هذه الأمة،وشاركوا في استرجاع السيادة الوطنية،لكون أن هذه الشهادات تعتبر مادة أولية ودسمة يجب الاستثمار فيها والتسويق لبطولاتها،وحتى لا تدفن الحقائق التاريخية مع أصحابها إن وافتهم المنية لا قدر الله.

ومن العوامل الموضوعية:كون منطقة ورقلة تعتبر العاصمة الإقليمية للجنوب الشرقي من جهة،وكونها كانت المقر العام لعمالة الواحات،زيادة على ذلك انعدام الدراسات التي تناولت مثل هذا الموضوع،مما ترك فرصة للبعض من غير الاختصاص الخوض بارتجالية في وصف أحداث تاريخية وسياسية تفتقر إلى القواعد المنهجية للبحث التاريخي،مما نتج عنها تزييف وتأويل للحقائق التاريخية،هذا بالإضافة إلى محاولة سد الثغرات التاريخية التي لم يتطرق إليها الباحثون المتخصصون في الشأن الصحراوي،كما أن اغلب الدراسات التي تناولت الاستعمار الفرنسي في الصحراء ركزت على أساليب المقاومة وأهملت جوانب من الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمجتمع الصحراوي.

ويجدر بنا التوضيح هنا إلى أن حديثنا عن منطقة ورقلة خلال الفترة الاستعمارية في هذه الدراسة يخص مدينة ورقلة وقراها المجاورة ما بين 1844 و1962م،وليس الحديث عن ورقلة كولاية حالية استحدثت خلال التقسيم الإداري لسنة 1984م،والتي تضم حوالي واحد وعشرين بلدية، وستة دوائر.

أهمية الدراسة وأهدافها:

إن تتبع مسار مقاومة سكان ورقلة ضد الاستعمار الفرنسي من الاحتلال ولغاية استرجاع السيادة الوطنية،واستعراض أهم مظاهر السياسة الفرنسية وآثارها على سكان، وموقف سكان ورقلة من المشاريع الاستعمارية له أهمية كبرى في الدراسات التاريخية المعاصرة،لان مثل هذه الدراسات تقدم لنا المادة الأولية التي يمكن أن نستخلص منها الخطوط العريضة للتطور التاريخي للبلاد، ما تكتسي هذه الدراسة أهمية من حيث سد الفراغ في جوانب عديدة من الأحداث

التاريخية التي وقعت في الصحراء الجزائرية، كالنشاط السياسي والعسكري خصوصا في الجنوب الجزائري.

وتهدف هذه الدراسة إلى:

- إثراء المكتبة الجزائرية بكتابات متخصصة حول تاريخ الصحراء الجزائرية.
- المحافظة على الميراث التاريخي لمنطقة ورقلة خلال الفترة الاستعمارية.
- التعرف على النشاطات الاقتصادية والاجتماعية التي كان يمارسها سكان ورقلة.
- المساهمة في كتابة تاريخ الثورة الجزائرية بنظرة وطنية من خلال تدوين وتوثيق الشهادات الحية لبعض المجاهدين الذين لازالوا على قيد الحياة.

حدود الدراسة:

اختيارنا لحدود هذه الدراسة بين (1844- 1962م) فهو خيار له ما يبرره، وذلك أن سنة 1844م تعتبر البداية الفعلية للتوسع الفرنسي نحو عمق الصحراء الجزائرية،حيث أصدر البرلمان الفرنسي قرارا يقضي بتقدم قواته نحو الجنوب،و إنشـــاء مراكز عسكرية خاصة في المناطق الإستراتيجية الرئيسة،زيادة على ذلك أن اعتمادنا على هذه السنة كبداية للدراسة من شأنه أن يعطينا تصورا للأوضاع العامة في منطقة ورقلة طيلة عقد من الزمن قبل احتلالها من طرف الفرنسيين سنة 1854م،أما فيما يخص سنة 1962م،فكما هو معروف هي سنة استرجاع السيادة الوطنية وتحقيق الاستقلال بعد نضال طويل من المقاومة والكفاح العسكري دام 132 سنة من الاستعمار،وفي تقديري أن فترة الدراسة المحددة شهدت الكثير من المقاومات الشعبية،وبعض التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي استحدثتها الإدارة الاستعمارية،خصوصا قرار تقسيم أراضي الجنوب إلى أربعة أقاليم سنة1902م،وإنشاء وزارة خاصة بالصحراء، وتقسيمها إلى عمالتين سنة 1957م.

إشكالية الدراسة:

إن دراسة منطقة ورقلة على امتداد فترة الاحتلال الفرنسي يعد على جانب كبير من الأهمية وهو يطرح الإشكالية الجوهرية التالية:ما هي الدوافع الأساسية للاحتلال الفرنسي لمنطقة ورقلة؟ وكيف قاوم سكان ورقلة قوات الاحتلال؟وما هي السياسة التي اتبعتها الإدارة الاستعمارية في المنطقة؟والى أي مدى ساهم سكان ورقلة في المقاومة السياسية والثورة التحريرية؟ وكيف كان موقفهم من المشاريع الفرنسية في الصحراء؟

ولتوضيح هذه الإشكالية أكثر يمكننا طرح التساؤلات الآتية،والتي سأحاول من خلال هذا الجهد المتواضع أن أصل لبعض الإجابات، محاولة منا بلوغ نوع من المعرفة لما كانت عليه منطقة ورقلة خلال الحقبة الاستعمارية:

- هل يمكن اعتبار تنوع الخصائص الجغرافية والبشرية بورقلة كانت وراء الاهتمام الفرنسي بالمنطقة؟
- كيف كانت الأوضاع العامة قبيل الاحتلال الفرنسي للمنطقة؟ وهل كان لها دور في تسهيل عملية الاحتلال؟
- ما هي مجريات عملية الاحتلال الفرنسي؟ وهل كانت ردود الفعل عند السكان بالقابلية للاستعمار أو بالتصدي والمقاومة؟
- ما مدى انعكاسات السياسة الاستعمارية على المنطقة وسكانها؟
- كيف كان موقف الطرق الصوفية من التواجد الفرنسي بالمنطقة؟
- ما هي أهم الإرهاصات السياسية والعسكرية بالمنطقة قبل اندلاع الثورة التحريرية؟ وكيف كان موقف سكان ورقلة من الثورة التحريرية؟
- ما هي ردود الفعل السلطة الاستعمارية تجاه المعتقلين من الخلايا الثورية التي كانت تنشط بالمنطقة؟
- ما هي أهم المشاريع الاستعمارية في الصحراء الجزائرية؟ وكيف واجه سكان ورقلة هذه المشاريع؟ وما هي الأساليب التي اتبعتها الإدارة الاستعمارية في ورقلة لتحقيق مشاريعها الاقتصادية والسياسية؟

المناهج المعتمدة: بالنظر لطبيعة الموضوع فقد اعتمدنا على ثلاثة مناهج حسب ما تتطلبه طبيعة كل مبحث من المباحث، وهي كالآتي:

- المنهج الوصفي:اعتمدناه في استعراض ووصف الوقائع التاريخية،لكون أن الدراسة احتوت على جملة من الأحدث خلال المقاومة الشعبية والثورة التحريرية.

- المنهج التاريخي التحليلي: استخدمناه في عرض وتحليل اهتمامات السلطة الاستعمارية بمنطقة ورقلة وأهدافها وخلفياتها،واستنباط النتائج المترتبة عن السياسة الاستعمارية من اجل الوصول إلى أهدافها الحقيقية وخفاياها الباطنية.

- المنهج المقارن: اعتمدناه هو الآخر في عدة جوانب من الدراسة خاصة فيما تعلق بتداخل الوقائع التاريخية كالمعارك، والمسميات،واختلاف الأرقام،والروايات الشفوية.

صعوبات البحث:

إن انجاز هذا العمل المتواضع ما كان ليتم من دون أن تعترضه صعوبات كان لها أثرها البين على المحتوى،من جملة ذلك محدودية المادة العلمية في المصادر المعتمدة المركزة على منطقة ورقلة تحديدا،إن لم اقل انعدامها حول بعض المسائل في البحث،خاصة ما تعلق بفترة المقاومة السياسية والثورة التحريرية،يضاف لذلك الصعوبات المرتبطة بالالتزامات المهنية والعائلية،وما صاحبه من متاعب التنقل بين مختلف مراكز الأرشيف بحثا عن المعلومة ومصادرها وما قد يقدم إفادة للموضوع.

بالإضافة إلى صعوبة الوصول لبعض المجاهدين الذين كان لهم دور في صنع الأحداث التاريخية،لاستجوابهم والاستفادة من شهادتهم،غير أننا لم نتمكن من ذلك ،سوى الاستفادة مما تم تسجيله من شهادات شخصية مصورة في متحف المجاهد بتقرت في إطار تجميع وتوثيق الذاكرة الشعبية الجزائرية،كما أن هذه الشهادات لم تجب على كل أسئلتنا التي كنا نبحث عنها لتوظيفها في البحث،ولعل مرد ذلك إلى نقص الخبرة بالنسبة للمحاور الذي كان يسجل الشهادة من جهة،أو لتهرب المجاهدين من الإجابة على كل التساؤلات خوفا من كشف بعض الحقائق التاريخية التي من شانها قد تحدث فتنة في الوسط المحلي.

وعلى الرغم من هذه الصعوبات إلا أن ذلك لم يقلل من عزيمتنا في البحث،- فبعون الله وتوفيقه- اجتزناها بصبر جميل وبذلنا مجهودات من اجل جمع المادة العلمية سواء كانت كتب أو وثائق أرشيفية،فقمنا برحلات إلى دور الأرشيف الموجودة خارج الوطن كفرنسا وتونس، هذا ناهيك عن البحث في مركز الأرشيف الوطني ومركز الوثائق والمحفوظات لولاية ورقلة.

المصادر والمراجع المعتمدة في البحث:

لقد اعتمدنا في انجاز هذا البحث على كمٍّ متنوع من المصادر والمراجع،كانت أبرزها الوثائق الأرشيفية التي استقيناها من عدة مراكز أرشيفية،وكتب للرحالة الفرنسيين،وبعض التقارير للحكام العامين بالجزائر،وبعض الدوريات،والشهادات الشخصية ،ويمكننا تقسم هذه المادة العلمية إلى لعناصر الآتية:

أولا/الوثائق الأرشيفية:

- مركز الوثائق والمحفوظات لولاية ورقلة (C.D.A.W.O):هذا الأرشيف يتضمن على أرصدة هامة تعود إلى ما قبل الاستقلال،ويحتوي على أكثر من1735علبة، منها علبتين خاصة بالقرن التاسع عشر(19م)،أما البقية فمعظمها متعلق بمراسلات وتقارير عمالة

الواحات،وصعوبة الاطلاع على هذا الأرشيف تكمن في أنها غير مصنفة ومرتبة،بحيث يعجز أي باحث على الاستفادة منها،ولحد كتابة هذه الأسطر فقد تم تعين شخص مؤخرا متخصص في الأرشفة يعمل حاليا على جردها وتصفيفها وترتيبها وفقا للقواعد العلمية التي تصون وتحفظ الأرشيف،غير أنه يمكننا القول إننا استفدنا استفادة كبيرة خدمت البحث في مختلف جوانبه خاصة بعض الوثائق المحفوظة في العلب التالية :574،410،298،134،22،65.

– الأرشيف الوطني التونسي(A.N.T): يحتوي على أرصدة هامة،وزعت على مجموعة من السلاسل الأرشيفية،واستفادتنا من هذه الأرصدة كانت من السلسلة التاريخية التي تتضمن المراسلات الإدارية والدفاتر الجبائية قبل الحماية الفرنسية على تونس،حيث تمكنا من الاطلاع على الوثائق المحفوظة في العلب التالية:51،88،212،219،278،هذا بالإضافة إلى السلسلة (E)، التي تضم وثائق حول نشاط المؤسسات والهياكل الإدارية والوزارات التي عملت خلال عهد الحماية الفرنسية على تونس،واستفادتنا منها كانت من خلال الاطلاع على مجموعة من الوثائق المتعلقة بالطلبة الجزائريين الزيتونيين الصحراويين، أهمها علب رقم:35،63،80.

– أرشيف ما وراء البحار بآكس أون بروفانس (A.O.M):هذا المركز يحتوي على أرصدة هامة تتعلق بتاريخ الصحراء الجزائرية،سواء كانت مراسلات بين الحكام أو تقارير شهرية عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية بالمناطق الصحراوية، وقد قمنا بالاطلاع على عدة علب خاصة التي خدمت موضوعنا إلى حد بعيد أهمها:

10H17,11H37,8H6,8H24,F80-501, F80-903,OA4,OA19

أما أرشيف الوزارة الحربية(A.M.G) بقصر فانسان بباريس فلم يسعفنا الحظ لبلوغ المرام نتيجة لظروف قاهرة أبعدتنا عن مجال البحث العلمي تقريبا لمدة سنة كاملة، باستثناء بعض الوثائق التي أفادنا بها بعض الزملاء الذين كانت لهم فرصة التنقل وزيارة هذا الأرشيف.

– الأرشيف الوطني الجزائري(A.N.A): لم نستفد منه كثيرا سوى في الفصل الأخير من الدراسة بحكم أن المركز يحتوي على رصيد وحيد يتعلق بأقاليم الجنوب،ومعظم التقارير الموجودة فيه كنا قد وجدناها منشورة في تقارير الحكام العامون خلال النصف الأول من القرن العشرين(20م)،مع العلم أننا اطلعنا على رصيد الحكومة المؤقتة الجزائرية،ألا انه لم يخدم موضوعنا بالشكل الذي كنا نتمناه.

ثانيا/الكتابات المحلية:ليس هناك كتابات محلية في مستوى تطلعاتنا لنستفيد منها ونفيد، بل يمكن القول تكاد تكون منعدمة،فكل ما كتب عن ورقلة حاليا مجرد اجتهادات،حيث غلبت عليها الذاتية وافتقدت للموضوعية وغابت عنها المنهجية العلمية، ولذلك لم نعتمد عليها في بحثنا هذا باستثناء مخطوط "غصن البان في تاريخ وراجلان" لصاحبه الشيخ أعزام الحاج إبراهيم بن صالح،والذي استفدنا منه كثيرا خاصة فيما تعلق بالأوضاع العامة لمنطقة ورقلة عشية الاحتلال،بالإضافة إلى مقاومة الشريف محمد بن عبد الله والشريف بشوشة،زيادة على المخطوط كانت محاولة من طرف احد المهمتين بتاريخ ورقلة في تأليف كتاب حول تاريخ ورقلة، جاء بعنوان: " منطقة ورقلة وتقرت من مقاومة الاحتلال إلى الاستقلال" لصاحبه عبد الحميد نجاح – رحمه الله – غير أن الكتاب افتقد إلى المنهجية العلمية، وغلبت عليه الارتجالية في نقل المعلومات والروايات الشفوية دون التمحيص فيها،إلا أننا نثمنه على أساس أنه سهل لنا الطريق للتحقق من عدة أحداث تاريخية.

ثالثا/ الأطروحات الجامعية: قمنا بمسح معرفي حول ما قدم من أطروحات أكاديمية في الجامعات الجزائرية في هذا الشأن،فبعد التقصي والتحري وجدنا رسالتين لنيل شهادة الماجستير الأولى للباحث عمار غرايسة بعنوان: "المدينة والدولة (ورجلان أنموذجا)"، وهي رسالة في التاريخ الوسيط،نوقشت بالجامعة الإسلامية الأمير عبد القادر بقسنطينة 2007،والثانية للباحث احمد دكار بعنوان:"حاضرة وارجلان وعلاقتها التجارية بالسودان الغربي1000-1301هـ/1591- 1883م"،وهي رسالة في التاريخ الإفريقي الحديث والمعاصر نوقشت بالجامعة الإفريقية بأدرار سنة 2010م،وكلاهما خدم الفصل الأول والثاني من هذه الدراسة،ولكن الاستفادة كانت محدودة جدا، أما ما جاء في بقية بعض الرسائل الجامعية التي تناولت تاريخ الصحراء عموما، فقد استفدت منها فيما يخدم هذا البحث.

رابعا/الكتابات الفرنسية: من المراجع الفرنسية التي اعتمدنا عليها نجد الدراسة التي أنجزتها مادلين روفيلواز بريقول M.R.Brigol بعنوان:Le Pays de Ouargla (بلاد ورقلة) وهي دراسة علمية قيمة وموثقة،من منشورات قسم الجغرافيا بجامعة السربون،حيث قدمت الباحثة من خلالها دراسة اجتماعية واقتصادية حول منطقة ورقلة مند ما قبل التاريخ إلى ما بعد الاستقلال،وهي دراسة جديرة بالاهتمام والترجمة،كما نجد دراسة أخرى غنية بالمادة التاريخية أنجزها جون ليتيلو Jean lethielliux بعنوان: Ouargla Cité Saharienne (ورقلة حاضرة صحراوية) وهي أيضا دارسة قيمة وموثقة علميا،حيث تناول

الكاتب من خلالها مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والسياسية لمنطقة ورقلة من العصور القديمة والى غاية الاحتلال الفرنسي.زيادة على كتاب: Ouargla ;Sahara Constantinois (ورقلة،الصحراء القسنطينية) لمؤلفه بساجي P.Passager، وهو عبارة عن دراسة تاريخية وجغرافية واجتماعية وطبية حول مدينة ورقلة خلال الفترة الممتدة ما بين 1952 و1956م، حيث استفدنا منه في مختلف فصول الدراسة،هذا بالإضافة إلى كتاب آخر للأب دوني بيلي Denys Pillet بعنوان: Repères pour l'histoire de Ouargla 1872-1992،(معالم لتاريخ ورقلة)،وهو عبارة عن كرنولوجيا لأحداث عسكرية وسياسية واقتصادية واجتماعية وقعت بورقلة منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر(19م) إلى أواخر القرن العشرين(20م)،حيث استقاها الكاتب من خلال معايشته لبعض الأحداث حينما كان يشرف على الكنيسة بورقلة،وللإشارة فإن هذا الكتاب قد تمت قام ترجمته إلى العربية من طرف السيد علي ايدير.

وفيما يخص التقارير الفرنسية التي اعتمدنا عليها كثيرا خاصة ما تعلق بالمقاومة الشعبية في ورقلة،والسياسة الاستعمارية وآثارها على السكان، نجد تقرير الولاية العامة الفرنسية بالجزائر حول احتلال ورقلة،تم إعداده من طرف مصلحة الشؤون العربية سنة 1885م، وقد تضمن هذا التقرير جملة من الأحداث شملت جوانب عديدة حول الجنوب بصفة العامة ومنطقة ورقلة بصفة خاصة،وقد تم نشره بالمجلة الإفريقية في عددها 64، الصادرة سنة 1923م،هذا بالإضافة إلى تقارير الحاكم العام بالجزائر شارل ليتوLutaud Charles حول الأوضاع العامة بأقاليم الجنوب مابين 1914-1915م،وهي عبارة عن بحوث دورية وتقارير سنوية.

أما فيما يتعلق بكتب الرحالة الفرنسيين فهي كثيرة جدا،ويتعذر علينا ذكرها باستثناء الأهم منها وعلى الخصوص رحلة الجنـــرال دوماس Daumas بعنوان:" Le Sahara Algérien "،وقد زار المنطقة سنة 1842م،حيث قدم لنا وصف جغرافيا وعمرانيا لورقلة، مع الإشارة إلى بعض المظاهر الاقتصادية، بالإضافة إلى رحلة تروميلي Trumelet بعنوان:" Les Français dans le Désert"،حيث زار ورقلة سنة 1853م، ومن خلال زيارته سرد مجموعة من الأحداث تتعلق بالصراعات التي كانت قائمة بين سلطنة ورقلة ومشيخة انقوسة،وكيف احتل الفرنسيون منطقة ورقلة مع الإشارة إلى مقاومة الشريف محمد بن عبد الله.كما اعتمدنا أيضا على رحلة شارل فيـــرو Ch.Féraud منة خلال كتابه "Notes Historiques sur La Province de Constantine" كان قد زار

ورقلة سنة 1871م، حيث قام بدراسة طبيعية وانتربولوجية وإحصائية لمنطقة ورقلة،زيادة على ذلك نجد رحلة فكتور لارجو V.Largeau بعنوان " Le Sahara Algérien, les déserts de lèrg "وتعتبر من أهم الدراسات التي كشفت لنا التعامل الذي كان قائما بين القياد مع بعض المستكشفين الفرنسيين.

وللعلم فإن تعاملنا مع هذه الكتابات كان بحذر شديد على أساس أنها كتبت بأقلام استعمارية،وبالتالي قد لا تكون بعيدة عن التشويه والتحريف،ورغم ذلك فقد خدمت الموضوع في أكثر من جانب.

خامسا/الشهادات الشخصية: فقد اعتمدنا بدرجة كبيرة على مجموعة من الشهادات الحية لبعض مجاهدي ولاية ورقلة،والذين يملكون عضوية الاعتماد من طرف وزارة المجاهدين، وتجدر الإشارة إلى أننا حرصنا كل الحرص على انتقاء هذه الشهادات التي تملك عضوية الاعتماد حتى لا نقع في صراعات مع بعض الأشخاص الذي عاصروا الثورة التحريرية، وحتى نعطي مصداقية اكبر لبحثنا، زيادة على ذلك أن هذه الشهادات كنا قد أخذناها من متحف المجاهد بتقرت الذي قام بتسجيلها صورة وصوتا في إطار جمع وتوثيق الذاكرة الشعبية،حوالي أكثر من مائتين شهادة (200) اطلعنا عليها،الأمر الذي وفر لنا وقتا إضافيا وجهدا فكريا للاهتمام بجوانب أخرى من البحث.

تقسيمات الدراسة:

انطلاقا من المادة العلمية التي تم تجميعها،والتساؤلات التي تم طرحها،قسمنا بحثنا إلى مقدمة ومدخل وستة فصول وخاتمة.

فالمدخل تناولنا فيه التوسع الفرنسي في الجنوب الشرقي الجزائري قبل احتلال ورقلة (1844- 1854م)، مركزين فيه على مجريات عمليات الاحتلال الفرنسي لمنطقة الزيبان سنة 1844م، ومنطقة الاغواط سنة 1852م،مع الحديث عن اتفاق الحماية الذي عقد بين الفرنسيين وبني ميزاب سنة 1853م.

وتطرقنا في الفصل الأول إلى التعريف بمنطقة ورقلة وما جاورها من قرى من حيث الخصائص الجغرافية والخصائص البشرية،مع الإشارة إلى الإطار التاريخي للمنطقة قبل الاحتلال الفرنسي.

وفي الفصل الثاني تناولنا الاحتلال الفرنسي لمنطقة ورقلة،من خلال مبحثين،فالأول تناولنا فيه الأوضاع العامة للمنطقة خلال النصف الثاني من القرن التاسع(19م)، والثاني تناولنا فيه دوافع ومراحل الاحتلال الفرنسي لمنطقة ورقلة.

أما الفصل الثالث فخصصناه لمظاهر المقاومة الشعبية ضد التوسع الاستعماري 1850-1875م،من خلال أربعة مباحث وهي على التوالي:مساهمة سكان ورقلة وضواحيها في مقاومة الشريف محمد بن عبد الله (1854- 1868م)،ومساهمة سكان ورقلة وضواحيها في مقاومة الشريف بشوشة (1870-1875م)،وأسرة أولاد سيدي الشيخ بورقلة بين العمالة والمقاومة، والطرق الصوفية بورقة وموقفها من الاستعمار الفرنسي خلال القرن 19م.

وفي الفصل الرابع عالجنا فيه السياسة الاستعمارية بورقلة وآثارها على السكان 1854-1954م،من خلال أربعة مباحث وهي:السياسة الإدارية والعسكرية،والسياسة الاقتصادية والاجتماعية،والسياسة التنصيرية (التبشيرية)، والسياسة التعليمية والقضائية.

وفي الفصل الخامس تحدثنا عن مساهمة سكان ورقلة في الثورة التحريرية من خلال ثلاثة مباحث،بداءً بالإرهاصات السياسية والعسكرية بورقلة قبل الثورة التحريرية،ثم اندلا ع الثورة التحريرية وموقف سكان ورقلة منها،وأخيرا مخابر التعذيب والاستنطاق الاستعمارية بورقلة.

أما الفصل السادس والأخير تناولنا فيه موقف سكان ورقلة من المشاريع الاستعمارية بالصحراء الجزائرية (1957- 1962م)،وقسمته إلى مبحثين وهما:اهتمامات فرنسا بالصحراء الجزائرية بعد الحرب العالمية الثانية،وموقف سكان ورقلة من سياسة فصل الصحراء عن الجزائر.

وأخيرا الخاتمة التي كانت عبارة عن جملة من النتائج توصلت إليها من خلال هذا العمل المتواضع،كما ألحقت الدراسة بمجموعة من الملاحق جاءت لتوضح وتفسر بعض القضايا التي تناولتها في مضمون البحث.

ولا ادعي بأن هذا الدراسة قد استوفيت حقها من البحث والتنقيب والتحليل، وحسبي أن ما قمنا به سوى جهد متواضع لعل وعسى يكون بمثابة خطوة علمية نحو الاهتمام بتاريخ الجنوب خلال الفترة الاستعمارية، وفاتحة ميمونة وبداية طيبة لأعمال أخرى أكثر دراسة وبحثا،ونتمنى أننا وفقنا إلى حد ما من خلال هذه الدراسة إلى نفض الغبار عن تاريخ منطقة ورقلة وإسهاماتها النضالية ضد الاستعمار الفرنسي، راجينا من المولى تبارك وتعالى أن يلقى هذا العمل القبول والسداد والتوفيق، والله من وراء القصد.

المدخل :

التوسع الفرنسي في الجنوب الشرقي الجزائري

قبل احتلال ورقلة (1844-1854م)

إن الحديث عن جوهر الموضوع المعروض للدراسة، يتطلب من دون شك التطـــرق إلى التواجد الاستعماري بالجنوب الشرقي الجزائري قبل احتلال ورقلة ، لكـــون هـــذه الأخيرة تم احتلالها والسيطرة عليها بعد احتواء كل الانتفاضات التي انـــدلعت في هـــذه المناطق.

لقد عرفت الجزائر منذ سنة 1830م أبشع استعمار أوروبي عرفـــه التـــاريخ حيـــث تعرضت لاحتلال عسكري من طرف القوات الفرنسية بعد أن اختلقت الذرائع، وقدمت تبريرات واهية لعملية الاحتلال، حتى تضفي الشرعية على استعمارها للجزائر، وعقـــب سقوط مدينة الجزائر وإمضاء معاهدة الاستسلام، عملت على التوسع والتغلغـــل نحـــو المناطق الداخلية، وصولاً إلى عمق الصحراء الجزائرية، وقد اعتقدت السلطة الاستعمارية أنها ستحقق أهداف مشروعها التوسعي في ظرف أيـــام قلائـــل ،غـــير أن المـــشروع الاستعماري تأخر إلى بداية العقد الأول من القرن العشرين حتى استطاع بسط نفـــوذه وسيطرته على كافة المناطق الجزائرية في كل اتجاهاتها.

وللإشارة فإن التوسع الفرنسي نحو الجنوب كان لتحقيق عدة أهداف استعمارية، يأتي في مقدمتها ربط المستعمرات الفرنسية في إفريقيا ببعضها البعض، وتسهيل عملية تنقـــل الجيش الفرنسي، والسيطرة على الطرق التجارية الصحراوية،ولتحقيق هـــذه الأهـــداف استخدمت السلطة الاستعمارية عدة وسائل اســـتخبارتية، أهمهـــا البعثـــات العلميـــة الاستكشافية والتي زادت من الاهتمام الفرنسي بالجنوب الجزائري، وعجّلت من عملية الغزو العسكري للجنوب الجزائري، خاصة بعد استفادتها من التقـــارير الاســـتخبارتية الجغرافية والحضارية للصحراء الجزائرية.

وإذا خصصنا الحديث عن الاحتلال الفرنسي العسكري للجنوب الشرقي الجزائـــري، فلا شك أن هناك أسباب جعلته يحضى بأولوية الاحتلال قبل التوسع نحو الجنوب الغربي الجزائري واحتلاله، وهي كالآتي:

- انسحاب معظم المقاومين الجزائريين من الشمال باتجاه الجنوب على أمل تجديـــد المقاومة ضد العدو، وهذا مثلما حدث مع الحاج احمد باي عندما سقطت مدينة قسنطينة انسحب إلى منطقة الزيبان ثم وادي سوف، وأيضا مثلما حـــدث مـــع المقرانيين عندما فشلت مقاومة المقراني والحـــداد ســـنة 1871م، انـــسحبوا إلى الجنوب الشرقي ثم التجؤا إلى تونس.
- أن منطقة الجنوب الغربي الجزائري كانت لتزال في إطار عمليـــة الاستكـــشاف العلمي الاستخباراتي من طرف المغامرين الفرنسيين، لـــذا تم تأجيـــل احتلالهـــا عسكريا إلى غاية الربع الأخير من القرن التاسع عشر.
- محاولة حصار تونس عسكريا واقتصاديا من ناحية الجنوب الـــشرقي الجزائـــري بحكم التبادلات التجارية والعلاقات الاجتماعية بين منطقتي الجريـــد التونـــسي ووادي سوف تمهيدا لفرض الحماية عليها.
- أن منطقة الجنوب الغربي الجزائري كانت محل أطماع المغرب الأقصى، ولـــذلك أبرمت السلطة الفرنسية معه معاهدة لآلا مغنية في 23 أوت 1945م، لتخطـــيط الحدود، والتزام الحياد، وكان الهدف الحقيقي من وراء هذه المعاهـــدة كـــسب الوقت، و تجنب الصراع الذي اجل إلى 30 مارس 1912م ، وهو تاريخ فـــرض الحماية الفرنسية على المغرب الأقصى.

أولاً / احتلال منطقة الزيبان 1844م :

ترجع البدايات الأولى لاحتلال منطقة الزيبان منذ سقوط مدينة قسنطينة سنة 1837م، وانسحاب الحاج احمد باي[1] نحو الجنوب (صحراء قسنطينة)، وعليه فإن هذا الانسحاب

[1] هو الحاج احمد بن محمد الشريف بن الباي احمد القلعي، من مواليد 1786م،ينتمي لأسرة كرغولية من أب تركي، وأم جزائرية هي رقية ابنة الحاج ابن قانة ،تقلد عدة وظائف سياسية ،حيث عين نائبا لباي قسنطينة سنة=

لفت أنظار السلطة الاستعمارية للتوجه نحو الجنوب الشرقي الجزائري واحتلاله عسكريا، فكانت البداية مع اقرب منطقة التجأ إليها الحاج احمد باي وهي منطقة الزيبان، ثم وادي سوف إلى غاية الحدود التونسية، حيث اخذ يعمل في هذه المناطق على إيقـاظ شـعور القبائل الصحراوية وتعبئتها جهاديا ضد الفرنسيين.[1]

وقد عمدت فرنسا في احتلال هذه المنطقة إلى استقطاب أسرة الشيخ بوعزيز بن قانة والتي ساعدتها على بسط نفوذها وسيطرتها ،وخاضت معارك واشتباكات بالنيابة عنها في المنطقة، وعلى اثر ولاء وإخلاص هذه الأسرة ، ونزولا عند رغبة الكثير من الضباط الفرنسيين ،من بينهم النقيب دنوفو *de Neveu* الذي طالب السلطة الفرنسية بمكافأة بن قانة على حماسه ووفائه للقضية الفرنسية[2]،حيث عينته فرنسا شيخا للعرب كخليفة على صحراء قسنطينة، خلفا لفرحات بن سعيد بموجب قرار مؤرخ في 30 ديسمبر 1838م يقضي بتنظيم شؤون الحكم في مقاطعة قسنطينة.[3]

غير أن بعض القبائل التي كانت موالية للشيخ بوعزيز بن قانة تخلت عنه وحاربت إلى جانب قوات الأمير عبد القادر[4] مند سنة 1842م، ودخل معهم في معارك شديدة

1818م، ثم أصبح سنة 1826م باياً لإقليم قسنطينة ، قاد مقاومة شعبية ضد التوسع الفرنسي في الشرق الجزائري سنة 1837م، حيث فشلت مقاومته، وانسحب نحو الجنوب إلى غاية استسلامه سنة 1848م،توفي سنة 1850م، للمزيد ينظر : أبو القاسم سعد الله ، **الحركة الوطنية الجزائرية 1830– 1900م**،بيروت، دار الغرب الإسلامي،ط1،ج1، 1992،ص139.

[1] Historique des Tribus du Cercle de Constantine 1854 , A.O.M .8H3.

[2] Notices sur Batna, par le Capitaine de Neveu,17/12/1847 .A.O.M .10H17

[3] إبراهيم مياسي، **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837– 1934م** ،الجزائر، دار هومة،2005، ص 35

[4] هو عبد القادر بن الحاج محي الدين بن مصطفى من مواليد 1807م بقرية القيطنة في منطقة غريس غرب مدينة معسكر، استطاع الأمير عبد القادر اكتساب المعارف وحفظ القران في ظرف وجيز، تزوج وعمره 15 سنة من ابنة عمته لآلا خيرة ن بويع أميرا لقيادة المقاومة ضد التوسع الاستعماري في الغرب الجزائري سنة 1832م، وعمره 24سنة، واستمرت مقاومته حوالي 17 سنة إلى غاية استسلامه سنة 1847م. للمزيد ينظر:أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص ص:161-181.

القتال كبّدت حليف فرنسا خسائر كبيرة في الأرواح، وفتحت المجال من جديد لأنصار الأمير عبد القادر لاسترجاع بسكرة من الشيخ بوعزيز بن قانة،وهذا الانهزام كان كافيا لتحرك القوات الفرنسية بقيادة الدوق دومال *Duc D'aumale* من قسنطينة يوم 8 فيفري 1844م باتجاه بسكرة، حيث وصلت إلى باتنة وتمركزت فيها في انتظار تجمع كل الإمدادات العسكرية من المناطق المجاورة، وفي 25 فيفري 1844م انطلقت القوات الفرنسية حيث وصلت إلى بلدة القنطرة يوم 29 فيفري 1844م واحتلتها، لتصل إلى بسكرة يوم 4 مارس 1844م،وتم احتلالها دون صعوبة تذكر نظرا لانسحاب أنصار الأمير عبد القادر حينما علموا بقدوم القوات الفرنسية،وهناك نصبت القوات الفرنسية حامية عسكرية، ثم لاحقت أنصار الأمير عبد القادر الذين انسحبوا إلى الجبال، ومعاقبة كل القبائل التي تحالفت مع الأمير عبد القادر.[1]

وتجدر الإشارة إلى أن خليفة الأمير عبد القادر بمنطقة الزيبان محمد الصغير بن احمد بلحاج استرجع بسكرة من الفرنسيين لمدة ستة أيام مستغلا غياب القوات الفرنسية عن بسكرة حينما التجأت إلى منطقة الأوراس للقضاء على أنصار الحاج احمد باي،إلا أن الفرنسيين استرجعوا بسكرة يوم 18 ماي 1844م، وفي 23 ماي 1844م اتخذت إجراءات تنظيمية عينت بموجبها الرائد توماس *Taumas* قائدا أعلى لدائرة بسكرة ونواحيها.[2]

بعدما تم احتلال بسكرة بصفة نهائية اعتقد الفرنسيون أن المنطقة هدأت من هجومات المقاومين الجزائريين، وسكنت لهم من كيد أنصار الأمير عبد القادر، ويجب التفرغ لاستكمال عملية التوسع نحو بقية مناطق الجنوب الأخرى،غير أن الإرادة الإلهية أرادت

---

[1]Le Commandant Seroka ,« **le Sud Constantinois de 1830- 1855** », R.A , n° 56, 1912, p 428.

[2] إبراهيم مياسي ،المرجع السابق ، ص 54.

غير ذلك حين جدد أنصار الأمير عبد القادر المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي سنة 1849م، أي بعد مرور خمس سنوات على احتلال بسكرة، حيث استغل الشيخ بوزيان بن إسماعيل[1] الظروف السياسية التي حصلت بفرنسا، والظروف الداخلية التي حدثت بالبلاد لإشعال فتيل المقاومة،وكان من أقوى أسباب هذه المقاومة هو تشتت الجيش الفرنسي في إخماد الانتفاضات الشعبية التي حدثت في بعض مناطق مقاطعة قسنطينة، ورحيل عدة كتائب من الجيش الفرنسي إلى فرنسا قصد استتباب الأمن بسبب الثورة الفرنسية التي أطاحت بنظام الملك لويس فليب، وقيام الجمهورية الفرنسية الثانية.

وترجع انطلاقة هذه المقاومة حين تحركت القوات الفرنسية بقيادة قائد المكتب العربي ببسكرة النقيب سيروكا ***Seroka*** باتجاه واحة الزعاطشة للقبض على الثائرين والرافضين للتواجد الفرنسي بالمنطقة، فاشتبكت القوات الفرنسية بمحيط الواحة مع الشيخ بوزيان، هذا الأخير الذي كبد الفرنسيين خسارة انسحب على إثرها سيروكا ***Seroka*** وتراجع إلى بسكرة[2]، وبعد هذا الاشتباك حاولت السلطة الاستعمارية إتباع أسلوب المراوغة الحوارية بقيادة " دي بوسكيه ***Dubosquet***"، فاتجه إلى واحة الزعاطشة وحاور أهلها على تسليم الشيخ بوزيان إلى السلطة الفرنسية، إلا أن أسلوب المراوغة الحوارية لم يؤتي بنتيجة ايجابية تخدم الفرنسيين،سوى التأكد من إصرار سكان واحة الزعاطشة على الجهاد والمقاومة.[3]

وعليه قررت السلطة الاستعمارية الاستعداد لاحتلال واحة الزعاطشة،حيث تحركت القوات الفرنسية بقيادة العقيد كاربيسيا ***Karbuccia*** يوم 16 جويلية 1849م نحو

---

[1] هو الشيخ بوزيان بن إسماعيل (أو بن إبراهيم)،من مواليد منطقة لشانة ببسكرة،ومن عائلة الأشراف،تلقى تعليمه الأول بزاوية الشيخ سعادة الرحماني،عمل سقاي بالجزائر العاصمة،إلى أن عينه الأمير عبد القادر خليفة له في الزاب الظهراوي.

[2] Le commandant Seroka ,Op.Cit, p 50

[3] محمد العربي الزبيري، **مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي**، الجزائر،ش.و.ن.ت، 1972، ص53

الواحة، وفرضت حصار اقتصاديا،غير أن هذا الحصار قوبل بصلابة المقاومين، مما دفـــع بالقوات الفرنسية إلى التراجع نحو بسكرة وإعادة النظر في اقتحام واحـــة الزعاطـــشة، ووضع خطة عسكرية جديدة تتماشى مع طبيعة المنطقة، وتحركت القوات الفرنسية من جديد بتعداد قدره 4493 جندي تحت قيادة الجنرال هيربيون ***Herbillon***،حيث تجمعت في 7 أكتوبر 1849م " بكدية المايدة " المطلة على الواحة، وفرضوا حصارا على الواحة من كل النواحي، وبدا الاقتحام العسكري انطلاقا من السيطرة على ملتقى الطرق الرابط بين الزعاطشة وطولقة، ثم بدا القصف من أعلى "كدية المايدة " على أسوار الواحة، وتم اختراقها بسبب القصف المدفعي، وتسلل الجيش الفرنسي إلى الداخل عن طريق الثغرات التي أحدثها في الأسوار، واشتبك مع المقاومين المتحصنين في الداخل الذين أبدو صـــلابة وشراسة في التصدي والمقاومة كبدت الفرنسيين خسائر كبيرة في الأرواح.[1]

أمام هذه الخسارة اضطرت بالقوات الفرنسية إلى طلب المزيد من الإمدادات العسكرية من بسكرة، حيث وصلت هذه الإمدادات يوم 28 نوفمبر 1849م من باتنة وقسنطينة وبوسعادة وسكيكدة وعنابة والتي وصل عددها إلى حوالي 8000 جندي[2] ،وتغلغلـــت إلى داخل واحة الزعاطشة، فأبادت سكانها ،وقطعت نخيلها ،وخرّبت منازلها، وقتلـــت قائدها الشيخ بوزيان الذي استشهد في منزله رفقة ابنه والحاج موسى الدرقاوي، بعدما تم زرع بيته بالألغام ثم تفجيره، ولم تكتفي السلطة الاستعمارية بهذه الجرائم، بل ونكلـــت بضحايا الواحة، ولاحقت عائلات المقاومين الفارة من البطش والتعـــذيب إلى خـــارج الواحة، لتنتهي ملحمة بطولية سجلها سكان الزيبان في سجل المقاومة الـــشعبية ضـــد الاستعمار الفرنسي.[3]

[1] إبراهيم مياسي، المرجع السابق ، ص67.

[2] Paul Azan , **Conquête et pacification de l’Algérie** , paris, libre de France , s.d, p 408

[3] Ibid,p 408.

ثانياً / احتلال الاغواط 1852م :

بعد إخضاع منطقة الزيبان سارعت السلطة الاستعمارية لاستكمال مشروعها التوسعي باتجاه بقية مناطق الجنوب الشرقي الجزائري قبل ظهور أية مقاومات شعبية أخرى تهدد وجودها وتعرقل عملية توسعها، ولعل ظهور الشريف محمد بن عبد الله سلطان ورقلة وناصر بن شهرة زعيم قبائل الأرباع كانا وراء تعجيل عملية احتلال الاغواط.

وتجدر الإشارة في هذا الصدد انه مثلما استخدمت فرنسا أسرة كبيرة وعريقة في احتلال منطقة الزيبان، فإنها أيضا استخدمت " احمد بن سالم"وسي الشريف بلحرش" آغا أولاد نايل في احتلال الاغواط ، واستخدام سياسة التفرقة، حيث قام الجنرال ماري مونج *Marey-monge* بدور كبير في تطبيق هذه السياسة، حينما أوقع خلافا بين الشيخ احمد بن سالم وصهره بن ناصر بن شهرة، الأمر الذي سهل من عملية احتلال الاغواط.[1]

غيران الأوضاع العسكرية في الواحات الصحراوية لم تكن تسير لصالح الفرنسيين وذلك بسبب نشاط القبائل الصحراوية التي كانت تتمتع بحرية تامة تجعلهم دائما على استعداد لتحضير أنفسهم لمواجهة القوات الفرنسية، زيادة على ذلك أن القبائل الجنوبية التابعة لمقاطعة وهران كانت هي الأخرى على استعداد لصد الهجومات الفرنسية، بالإضافة إلى تزايد شعبية الشريف محمد بن عبدالله سلطان ورقلة عند القبائل الصحراوية ،وتحالفه مع سي النعيمي ولد بوبكر آغا أولاد سيدي الشيخ الشراقة، وأيضا تحالفه مع آغا الاغواط يحي بن معمر بن سالم ، وذلك بهدف إعادة المحاولة للسيطرة على مدينة الاغواط من جديد.[2]

---

[1] ابراهيم مياسي، المرجع السابق ، ص105.

[2] E.Mangin , « **Notes sur L´histoire de Laghouat** », R.A, N° 39 , 1895,pp8-9.

إذن كل هذه التطورات دفعت بالوالي العام بالجزائر "رانـــدون *Randon*[1] " في 17 فيفري 1852م إلى القيام بتحركات عسكرية تمثلت في تكوين فرق عسكرية قادمة من الجلفة وبوسعادة ووهران ومعسكر وسعيدة بقيادة كلا من الجنـــرال يوسف[2] ،والجنرال بيليسيه *Bellissier* [3]، والرائد بان، وماكماهون *Mc Mahon*، والجنـــرال لادمـــيرول *Ladmirault* [4]،حيث وصلت أسوار الاغـــواط في 4 ديـــسمبر 1852م لاحتلالهـــا، وفرضت حصارا على المدينة إلى أن تم فتح ثغرة في أسوارها المحصنة بـــسبب القـــصف المدفعي المكثف، فدخلت القوات الفرنسية بأمر من الجنرال بيليسيه*Bellissier* واشتبك المقاومون مع الأعداء في معركة حامية الوطيس دفاعا عن المدينة وأهلـــها، واســـتطاع الفرنسيون احتلال القصبة واضطر المقاومون إلى التراجع إلى القواعد الخلفية للمدينـــة، ثم انسحبوا إلى الخارج،حيث لاحقتهم القوات الفرنسية، وعلى اثر هذا الانتصار الفرنـــسي أعلنت السيطرة النهائية على الاغواط وتم تعيين العقيد كلار" *Cler*" قائدا مؤقتا علـــى الاغواط.[5]

---

[1] هو الحاكم العام للجزائر بين سنتي(1851- 1858) ، واسمه الكامل هو الكونت جون لويس سيزار ألكسندر راندون *Jean Louis César Alexander Randon .Comte*،أنظر: عمار بوحوش ، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962** ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ،ط1 ،1997،ص 574

[2] اسمه الكامل يوسف جوزيف فنتيني ، من مواليد 1809 بجزيرة (ألب) بتوسكانا، ويقال عنه انه ولد غير شرعي (أي لقيط)، انظم إلى الجيش الفرنسي سنة 1830م، وشارك في الحملة الفرنسية على الجزائر بصفته مترجم، تقلد عدة رتب عسكرية بسب إخلاصه العسكري لفرنسا، كان آخرها رتبة جنرال تقلدها سنة 1851م، وقد توفي بكان في 16 مارس 1866م. ينظر:

Narcisse Faucon, **Le livre d'or de l'Algérie**, paris , 1989,pp 649-654

[3] بيليسييه دي رينو: ضابط عسكري شارك في عدة حملات عسكرية في الصحراء الجزائرية، بالإضافة إلى عضويته في لجنة الاكتشاف العلمي بالجزائر، باعتباره متخصص التاريخ الحديث والنظم والعادات. واستطاع أن يترجم تاريخ القيرواني عن المغرب الإسلامي من القديم إلى عهد الموحدين، وكتب مذكرات تاريخية عن الحملات الأوروبية ضد سواحل شمال إفريقيا، وغيرها من الأعمال العلمية ينظر:

Narcisse Faucon,Op.Cit.p 486

[4]Colonne expéditionnaire du Sud, Registre journal des Opérations, commence le 17 février 1852, Le Général de Brigarde Ladmirault, A.M.G, H214.

[5] E .Mangin , Op.Cit ,pp 316-318.

وتجدر الإشارة هنا أن الفرنسيون استباحوا المدينة لجنودهم لثلاثة أيام بعد أن توقفت المقاومة، ولمدة ثمانية أيام وهم يقتلون الناس دون رحمة، ومارس الجنود النهب والسلب ، واغتصبوا النساء،وارتكبوا مجازر رهيبة وشنيعة في حق الأهالي، حيث وصل عدد القتلى إلى حوالي 2000 قتيل من بينهم بعض الفرنسيين[1]، وبعد التأكد التـــام مـــن احـــتلال الاغواط اصدر الوالي العام بالجزائر "راندون*Randon* " في 22 جويلية 1853م قـــرار ينص على تأسيس دائرة الاغواط بصفة دائمة، وتعين الرائد " دوبـــاري *Du Barail* " قائداً أعلى لدائرة الاغواط حسب القرار المؤرخ في 27 أكتوبر 1853م.[2]

ثالثاً /اتفاق الحماية بين الفرنسيين ووادي ميزاب 1853م:

يعتبر هذا الاتفاق الأول من نوعه في الجزائر خلال فترة المقاومة الشعبية، ولعـــل مـــن أقوى الأسباب التي كانت وراء هذا الاتفاق هو خوف أهالي وادي ميزاب مـــن انتقـــام الفرنسيين من بعض العائلات التي شاركت في المقاومة بالشمال ،وســـاندت حركـــة الشريف محمد بن عبد الله خاصة شعانبة متليلي، إذ يقول الشيخ حمو عيسى النوري: " لما احتلت القوات الفرنسية مدينة الاغواط شعر الميزابيون بقلق شديد وتوقعوا سورة الانتقام من فرنسا ، وقد كانوا يقاومونها في الشمال أينما حلت.."[3]،وهي ذات الإشـــارة عنـــد اوقيـــستان برنـــار *Augustin Bernard* و لاكـــــــــــــــــــــــــــروا *N.Lacroix* حسب ما صرح به المارشال راندون*Randon* :" بعد أيام مـــن احـــتلال النهائي للاغواط، سكان ميزاب وخوفا من انتقامنا بسبب استضافتهم لـــسلطان ورقلـــة محمد بن عبد الله، قرروا الدخول في مفاوضات معنا"[4]، ولذلك استبقوا الأمور وراسلوا السلطات الاستعمارية بالاغواط طالبين الآمان ، وهذا حسب الرسالة الموجهة من أهـــل بريان إلى الجنرال بيلسييه *Bellissier* المؤرخة في 12 ديسمبر 1852م، وقـــد وافقـــت

---

[1] Henri Garrot, **Histoire Général de l'Algérie** , Alger , 1910,p192

[2] E .Mangin,« **Notes sur l'histoire de Laghouat** »,R.A,n°37,Op.Cit. p17

[3] حمو عيسى النوري ، **دور الميزابيين في تاريخ الجزائر** ، ج1 ، باريس ، 1984 ، ص 272.

[4] Augustin Bernard et N.Lacroix , **La Pénétration saharienne (1830-1906)**,Impr.Algérien,1906,p18

السلطة الاستعمارية على إعطائهم الآمان ،وعقدت اتفاق حماية معهم بشروط، أهمهـــا : أن يطردوا من صفوفهم كل أعداء فرنسا، وان يرسلوا قادة جماعتهم إلى سي حمزة ولـــد بوبكر لتقدم له خضوعهم وولاءهم باعتباره وكيل السلطة الفرنسية عند بني ميزاب.[1]

وقد أكد الوالي العام في رسالته المؤرخة يوم 24 جانفي1853م اســتعداده لتــأمين الميزابيين المسافرين عبر أرجاء المناطق المحتلة وتأمين تجارتهم فيها مقابل خضوعهم لفرنسا ، وقد ختم رسالته بتهديد شديد اللهجة.وعليه عقدت اتفاقية الحماية مع سكان وادي ميزاب سنة 1853م قصد التزام الحياد ، وقد جاء في خطاب المارشال راندون ***Randon*** إلى سكان ميزاب ((...لن يكون هناك سوء تفاهم بيننا وبينكم، لكن فقــط نطلــب منكم امتثالكم لفرنسا ، وفي هذه الفترة لا نريد أي إزعاج ، حمايتنا تغطــيكم في كــل مكان ، في سفركم عبر كل النواحي ...)) وبموجب هذه الاتفاقية أصــبح الميزابيــون يدفعون ضريبة سنوية للفرنسيين قدرها 45 ألف فرنك والاعتراف بحماية فرنسا لهم.[2]

إذن هكذا كان الجنوب الشرقي الجزائري قبل احــتلال ورقلــة، وهكــذا خطــط الفرنسيون للتوسع في الواحات الصحراوية، فبعد احتلال الزيبان والاغواط وعقد الحماية مع الميزابيين لم يبق في ساحة المقاومة إلا الشريف محمد بن عبد الله سلطان ورقلة ، حيث اتخذ هذه الأخيرة مركزا لشن هجماته على الفرنسيين ، وعليه ســنحاول في الفــصول القادمة معرفة أهم الخطط العسكرية التي استخدمتها السلطة الاستعمارية للقضاء علــى ثورة الشريف محمد بن عبد الله واحتلال ورقلة، ومن ثم استكمال مشروع التوسع نحــو إخضاع منطقتي وادي ريغ ووادي سوف بذات الجهة سنة 1854م.

---

[1] إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 125

[2] حمو عيسى النوري، المرجع السابق، ص 272. وينظر أيضا: يوسف بن بكير الحاج السعيد ، **تاريخ بني ميزاب (دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية)**، غرداية ، المطبعة العربية، 1992 ، ص ص: 98- 99.

الفصل الأول
التعريف بمنطقة ورقلة

المبحث الأول: الخصـــائص الجغرافية
المبحث الثاني : الخصـــائص البشرية
المبحث الثالث: الإطار التاريخي للمنطقة قبل الاحتلال الفرنسي

المبحث الأول:الخصائص الجغرافية:

إن الحديث عن الإطار الجغرافي والبشري والتاريخي لمنطقة ورقلة سيدفعنا إلى معرفة أصل ومفهوم التسمية.

أولا : التسمية :

لقد اختلف الرحالة والجغرافيون إسلاميون أو غربيون كانوا ،والمهتمين بتاريخ منطقة ورقلة في كتاباتهم حول أصل ومفهوم التسمية، وقد جاء ذكرها بأسماء مختلفة : كورجلان ، وورقلان، وورکلان، وورکلا، وورکلي،وورکلة،وورقلة.

فحسب أقوال بعض المؤرخين المسلمين نجد البكري يذكرها " وارجلان"[1]، والإدريسي " وارقلان"[2] في حين يسميها ابن سعيد المغربي "واركلان"[3]، ونفس الاسم نجده عند ابن حوقل "واركلان"[4]،كما يذكرها ياقوت الحموي في معجمه "ورجلان"[5]، أما المؤرخون الإباضيون كالدرجيني[6] والشماخي[7] والوسياني[8] يضيفون لها ألفا بعد الواو فتصبح "وارجلان"، أما ابن خلدون فيعرضها بأكثر من تسمية،معتمدا حرف الكاف بديلا عن الجيم، إذ أوردها في مواضع مختلفة باسم "واركلا[9]، وواركلى[1]، وواركلان[2] "،

---

[1] أبو عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري،**المسالك و الممالك**،تح: جمال طلبه،لبنان، دار الكتب العلمية،ط1، 2003، ص ص:260،371.

[2] أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الشريف الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، تح :ربينا تشي و آخرون،مصر ،مكتبة الثقافة الدينية ،مج1،1994،ص222.

[3] ابن سعيد المغربي أبو الحسن علي بن موسى ،**كتاب الجغرافيا**، تح :إسماعيل العربي،الجزائر، د.م.ج،ط2، 1982.ص126.

[4] أبو القاسم بن حوقل النصيبي،**صورة الأرض**، لبنان،مكتبة دار الحياة، 1992، ص86

[5] ياقوت الحموي،**معجم البلدان**،تح:فريد عبد العزيز الجندي،لبنان،دار الكتب العلمية،ج5،ط1، 1990،ص427.

[6] أبو العباس أحمد الدرجيني،**طبقات مشائخ المغرب**، تح :إبراهيم طلاي،الجزائر، مطبعة البعث(قسنطينة)، (د،ط)، 1985، ص125

[7] أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي، **كتاب السير**، تح: أحمد بن سعود ، عمان ،وزارة التراث القومي والثقافة،ج2، ط2، 1992، ص46.

[8] أبو الربيع الوسياني، **سير مشائخ المغرب**، تح :إسماعيل العربي، الجزائر،د.م.ج، مج3، (د،ط)، 1984.ص537

[9] ا بن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، لبنان، دار الكتب العلمية،ج1 ،ط1،(د،ت)، ص57.

" ، بينما العوامر كان قريبا من تسميتها الحالية باختلاف بسيط، فذكرها باسم "هرقلة، ،واركلى ،وورقلة"[3]،وذكرها الزركشي [4] ،وحسن الوزان بالكاف المعرقة "وركلة"[5]، مستهلا بذلك بداية ظهور الاسم الحالي للمنطقة " ورقلة "،وهي التسمية التي اعتمدتها في هذا العمل العلمي المتواضع.

أما الكتاب والرحالة الغربيون،وبعض الضباط العسكريين مثل : لارجو[6]*Largeau*، دوماس[7] *Daumas* ، تورميلي[8]*Trumelet* ، ليتيليو *Lethielliux*[9] ، دوني بيلي *Denys Pillet*[10] ، دوفرييي*Duveyrier* ،بول سولايي *P.Soleillet*[11] ، ومادلين روفيلواز بريقول [12]*M.R.Brigol* وغيرهم، قد ذكروها باسم "ورقلة *Ouargla*"، وينفرد

---

[1] ابن خلدون ،المصدر السابق، ج6، ص117

[2] المصدر نفسه، ج6، ص ص:62،120.

[3] إبراهيم محمد الساسي العوامر، **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف** ، تع: الجيلالي بن ابراهيم العوامر، الجزائر،منشورات ثالة ،2007، ص35.

[4]محمد بن إبراهيم اللؤلؤي الزركشي، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية** ،تح: الحسين اليعقوبي،تونس، المكتبة العتيقة ،ص 232.

[5] الحسن بن محمد الوزان الفاسي، **وصف إفريقيا**، تر: محمد حجي ومحمد الاخضر، بيروت ،دار الغرب الإسلامي ،ط2، 1983، ص136.

[6]V.Largeau ,**le Sahara Algérienne, les déserts de lèrg**,2ém édition,paris,1881, p156.Voir aussi :
V.Largeau, **Le Pays de Rirha, Ouargla, Voyage à Rhadamès**, Hachette,paris,1879.p1.

[7] E.Daumas , Le **Sahara Algérien**, paris, 1845.p4.

[8] C.Trumelet , **Les Français dans le Désert** , Daizieme Edition , Paris , 1885.p8.

[9] Jean lethielliux , **Ouargla Cité Saharienne**, libraire orientaliste, Paul Geuthner ,Paris,1983.p1.

[10] دوني بيلي،**معالم لتاريخ ورقلة 1872– 1992**، تر: علي ايدر،ط2، 1995،ص1.

[11] Paul Solelliet , **Voyage de Paul Soleillet d'Alger à l'Oasis d'in-salah**, Alger,1875,p12.

[12] M.R.Brigol ,**Le Pays de Ouargla**, Publication du Département Géographie de l'Université de Paris-Sorbonne, Paris,1975,p1.

لارجو *Largeau* بنسبته اسم المدينة ونشأتها الأولى لامرأة اسمها " ورقلة " سكنت المكان الذي أقيمت عليه مدينة ورقلة بإقامتها كوخا وغرسها حوله نخيلا[1].

يبدوا من خلال هذه التسميات انه رغم تباينها إلا أنها تكاد في عمومها متقاربة وفي منطقة جغرافية واحدة، وان كان لهاته التباينات البسيطة من تفسير ،نجد مرده إلى الاختلافات في نطق الحروف،والى التقادم التاريخي المرافق لذلك وما يصاحبه من تحويرات في اللفظ ،مع تواتر الزمن واختلاف الألسن.

أما فيما يخص روايات المجتمع المحلي فقد كان التباين هو الآخر سيد الموقف، من ذلك نجد الرواية الأولى تقول إن التسمية أصلها "وارجلان" وهي مركبة من جزأين: الجزء الأول" وار" وهو لفظ بربري يعني حسب رأيهم الأسد، أما الجزء الثاني" جلان " وتعني بالعربية هرب أو ذهب وبالتالي فالكلمة تعني الأسد الذي هرب واختفى" على أساس أن أسدا كان يعيش في المنطقة ثم هرب بقدوم السكان الأوائل لورقلة.[2]

أما الرواية الثانية تذكر انه جاء في القواميس العربية ان لفظ " قلة" يعني النخلة الباسقة، وقد اشتهرت هذه المنطقة بكثرة نخيلها ورقلاتها.

وجاء في الرواية الثالثة وحسب ما أكده ليتيليو *lethielliux* في كتابه "ورقلة حاضرة صحراوية"، وبعد مقارنة التسمية بين مختلف اللهجات المحلية الشاوية والتارقية، والقبائلية والشلحية، فوجد أن أصل اللفظ" وارإيكلان"، وهذا اللفظ ينقسم بدوره إلى

---

[1] V .Largeau ,**le Sahara Algérienne**,**les déserts de lèrg**,Op.Cit, p156.

[2] حسب الباحث الأستاذ احمد دكار أن الرواية الأسطورية المتواترة عند أهل ورقلة تقول : إن أسدا كان جاثما أمام المورد المائي الوحيد بالحاضرة ورقلة، وكلما اقترب منه الناس للسقي إلا والتهم احدهم، فاتفق الجميع على محاربته ، وفعلا تمكنوا من القضاء عليه، ومنذ ذلك الحين أصبحت المدينة محررة من خطر الأسد، فقالو باللغة الامازيغية " الوير انجلاء" ، وبتقادم الزمن تحول الاسم إلى وارجلان. ينظر في الهامش : احمد دكار، **حاضرة وارجلان وعلاقتها التجارية بالسودان الغربي1000- 1301هـــ/1591- 1883م** ، مذكرة ماجستير في التاريخ الإفريقي الحديث والمعاصر، الجامعة الإفريقية العقيد احمد دراية بأدرار.(مخ)، 2010/2009، ص8.

قسمين: الأول "وار" ويعني الأبناء، والثاني " إيكلان" وهو جمع مفرده آكلي، ويعني الأسود أو الأسمر أو الزنجي، وبالتالي فاللفظ واريكلان يعني الأبناء السود أو السمر، كما استدل على صحة روايته بمقدم جماعة من الزنجباريين على رأسهم الشيخ حادور وبنائهم المدينة، ويحدد ذلك بأنه كان عام 726م، ولما كان هؤلاء ذووا بشرة سمراء فقد نسبت إليهم.[1]

بعد عرض هذه الروايات يبدوا لنا أنها تتجاذب بين الأسطورة الخيالية والحقيقة، فالرواية الأولى، قد يكون اللفظ متقاربا مع ما ذكره المؤرخون والجغرافيون، لكن يبقى الإشكال في تفسير الكلمة التي يبدوا أنها بعيدة عن الحقيقة، لكون أن الدراسات التاريخية التي خصت الأقاليم الصحراوية لم تشر إلى وجود حيوانات مفترسة مثل الأسد في الصحراء الشرقية المنخفضة.

أما الروية الثانية فقد تكون مقبولة لكون المنطقة اشتهرت ببساتين النخيل، وهذا ما ذكره جورج غيرستير *Georg Gurester* قائلا: " أن نشأة ورقلة تدل على قصر وبساتين واسعة"[2]، وهو ما أكده حسن الوزان في قوله: " وحولها نخل كثير ويوجد في ضواحيها عدة قصور وعدد لا يحصى من القرى".[3]

وفيما يخص الرواية الثالثة فان ليتيليو *lethielliux* حاول تفكيك " واريكلان" وإسقاطها على معاني ذات صلة بتعابير بربرية مرتبطة باللهجات المحلية القديمة التي حاول من خلالها الوصول إلى استنتاج، أن التسمية تعني الأبناء السود أو الأبناء السمر، أضف إلى ذلك ما نؤكده هو غلبة البشرة السوداء أو السمراء على سكان البلاد والتي يمكن أن تأخذ هاته الهيئة بحكم تأثير الظروف الطبيعية بعيدا عن الارتباطات الإفريقية ،وعلى الرغم

---

[1] Jean lethielliux, Op.Cit,p11.

[2] جورج غير ستر، **الصحراء الكبرى**، تر: خيري حماد،لبنان، منشورات المكتب التجاري، ط1، 1961، ص 198.

[3] الوزان ، المصدر السابق ، ص 136.

من أهمية هذه الرواية ومدى قربها إلى الواقع إلا أن صاحبها لم يفدنا بمصدرها ولا حتى بالشواهد التي من شأنها أن تساعدنا في القبول بها ، كما نلاحظ أن التسمية في هذه الرواية تتقاطع في الحروف مع ما ذكره ابن خلدون حين سماها بـــ "وركلان"، ويبدوا لنا أن تسمية ابن خلدون هي الأقرب إلى الصواب لكونها مشتقة من اسم" وركلا" وهو اسم لقبيلة من بطون زناتة البربرية[1]،بل ما يؤكد الطرح الخلدوني أن قبائل زناتة هم أول من استوطن هذه المنطقة وهم من أسسوا مدينة ورقلة.

ثانياً:الموقع والحدود :

تقع منطقة ورقلة ضمن نطاق الصحراء الكبرى الممتدة من الأطلس الصحراوي جنوبا وأطراف الهضاب العليا، وحسب الجغرافيين فورقلة تقع في قلب الصحراء المنخفضة المعروفة بمياهها الجوفية الارتوازية القريبة من السطح،وبالتحديد في الحوض الشرقي الكبير الرابط بين الحدود التونسية والجزائرية، والذي يمتد على طول 800.000 كلم2 ويقدر مخزونه 1.800، 000 مليون م3 ، وينخفض سطحه إلى 35م عند شط ملغيغ الواقع بين مدينة بسكرة ومدينة الوادى بالجزائر و شط الجريد بتونس بالقرب من مدينة قفصة ،ويبلغ ارتفاعه من 12 – 15 م عن سطح البحر، وهي المنطقة التي أرادت فرنسا ربطها بالبحر الأبيض المتوسط وإدخال مياه البحر إلى الحدود الجزائرية عبر منخفضات تونس.[2]

وحوض ورقلة يبلغ طوله 30 كلم ،و عرضه يتراوح بين 12 و 18 كلم. وارتفاعه بين 103 و 150 م فوق مستوى سطح البحر، يمتد بين هضبتين، الأولى تحّده من الغرب، ارتفاعها 230م، والثانية من الشرق بارتفاع يناهز 160م.كما تؤكد الدراسات الجيولوجية أن الحمادات والعروق وبعض الرمال تغلب على سطحها.[3]

---

[1] ا بن خلدون،المصدر السابق، ج1، ص61.

[2] بوشامة ليديا ، **وحدة جغرافية الجزائر والمغرب العربي** ، مطبوعة لمجموعة المحاضرات الواردة في مقرر مقياس جغرافية الجزائر والمغرب العربي ،ص 103.

[3] Edmond Sergent, **le Peuplement Humain du Sahara** ,Institut Pasteur d'Alger, Alger,T31 ,1953, p23.

وبالنسبة للموقع الفلكي فلم تتفق الدراسات التاريخية على تحديد واحد، فنجد ابن سعيد المغربي قد حدده بين " الطول عشرون درجة ونصف، والعرض أربع وعشرون درجة ونصف وعشر دقائق"[1]،ومنها ما حدده دوماس *Daumas* "بين خط عرض 31° شمالا وخط طول 0.25° شرقا "[2]، ويحددها بساجي ***Passager*** ما بين خطي عرض 28° و32° شمالا، وخطي طول 4° و8° شرقا[3]، بينما يذكر ناصر الدين سعيدوني أن :" ورقلة تقع في أقصى جنوب المنخفض الكبير بين خط عرض 32 درجة".[4]

أما من ناحية الحدود الإدارية ؛ فورقلة كمدينة حاليا، تبعد عن الجزائر العاصمة بـــ 800 كلم^2 ، ويحدها من الشرق الحدود التونسية، ومن الجنوب الغربي ايليـــزي وتمنراست، ومن الشمال الشرقي وادي ريغ وبسكرة ووالوادي، ومن الشمال الغربي غرداية والجلفة والمنيعة ، وهي تتربع على مساحة تقدر بـــ 163233 كلم^2.

ثالثا: التضاريس :

الناظر إلى جغرافية بلاد المغرب العربي سيجد دون شك أن القسم الأكبـــر منها صحراء بهضابها ومرتفعاتها ومنخفضاتها، وهو ذات الإطار الذي تنحصر ضمنه ورقلة، وهو ما يؤكده المؤرخون، إذ نجد ياقوت الحموي في معجمه يذكر أن ورقلة " ضاربة في البر".[5]أضف إلى ذلك أن التكوين الجيولوجي للمنطقة يعود إلى الزمن الأركي الذي سبق

---

[1] ابن سعيد،المصدر السابق، ص126

[2] Daumas, Op.Cit, pp72-73

[3]P.Passager, **Ouargla (Sahara Constantinois)**,Institut pasteur d'Algérie,1957, p107.

[4] ناصر الدين سعيدوني ، « ورقلة ومنطقتها في العهد العثماني»، **مجلة الأصالة**، الجزائر، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، ع 41، 1977، ص 72.

[5] ياقوت الحموي، المصدر السابق ،ج5، ص 427.

الحياة الحيوانية عندما كانت القارات ملتحمة، وفي ظل التغيرات الجيولوجية التي حدث في الزمن الثاني إلى الزمن الرابع تكونت معظم تضاريس المنطقة.[1]

1- الخصائص المناخية : الغالب على الحالة المناخية السائدة في كل منطقة هو ارتباطها بالبنية التضاريسية من حيث الارتفاع والانخفاض وطبقة السطح ذاته من حيث نوع التربة التي تشكل غطاءه، وعليه فان الميزة الأساسية لمناخ ورقلة هو الطابع الصحراوي الجاف والقاصي جدا، شديد الحرارة صيفا، وشديد البرودة شتاءا بالرغم من العلو النسبي للمنطقة، وهو حار طول أيام السنة حيث يصل المتوسط الحراري السنوي في فصل الصيف داخل السكنات الصحراوية القديمة،خاصة في شهر جويلية إلى ما بين 22,5° إلى 34,1°[2]، لتصل في بعض الحالات إلى 50°، كما أن هذه القساوة لا تترجم فقد بالحرارة المرتفعة في الصيف أو نقص التساقطات، ولكن بأهمية التبخرات خصوصا الناتجة عن جفاف الهواء، مما أدى في كثير من الأحيان إلى موت عدد كبير من المواشي، ونقص في الآبار، وارتفاع فاحش في أسعار الحبوب والجدول التالي يبن ذلك :

الجدول رقم (1):كشف لنسب الجفاف يشمل الفترة ما بين1930– 1939[3]

السنوات	نسبة الجفاف	ملاحظات
1930	50	موت المواشي من أغنام وماعز وابل
1931	50	موت المواشي من أغنام وماعز وابل
1938-1939	60	رغم انه تم تسجيل كمية معتبرة من الأمطار

[1] احمد دكار ، المرجع السابق ، ص 11

[2] P.Passager , Op.Cit. p 109

[3] دوني بيلي، المرجع السابق ، ص ص: 57،63.

الجدول رقم (2): كشف لدرجات الحرارة يشمل فترة ما بين 1949– 1961[1]

	ماي	جوان	جويلية	أوت	سيبتمبر
الحدود القصوى	45,9	49,0	49,1	48,8	46,1
معدلها	34,3	40,0	42,6	41,8	36,2
الحدود الدنيا	09,4	14,5	17,8	19,6	15,0
معدلها	18,7	23,7	26,0	25,3	20,1

بينما يصل المتوسط البرودة في فصل الشتاء، خاصة في شهر جانفي الى 11°[2]،وعند اشتداد البرودة خاصة ليلا تنخفض إلى ما دون الصفر.

2– الأمطـــــــار : المتأمل في الخارطة الجغرافية للجزائر، فإنه يلاحظ أن ورقلة ابعد ما تكون عن المسطحات المائية، بل هي على خلاف ذلك وسط مزيد من الامتدادات الصحراوية ،وهذا يضعنا أمام حقيقة واحدة وهي أن ورقلة كانت منطقة جافة؟،لكن ما جاء في كتب الرحالة والجغرافيين يؤكد على أن المنطقة كانت مطيـــرة في الأزمنة السابقة[3]،لكن الأمر هنا ليس واضحا أي الأزمنة المقصودة، لكن الإحصائيات التي دونها الرحالة الذي زاو منطقة ورقلة ،وتقارير الأرصاد الجوية سنوات الحقبة الاستعمارية حول مستوى التساقط ومعدل الأمطار، يؤكد ثبوتية التساقط بغزارة رغم وجود بعض حالات الجفاف، لكن هذه التساقطات غير منتظمة ومتقطعة ، وسقوطها غالبا ما ينحصر بين شهري فيفري وأكتوبر،ولقد حققت سنة 1957م رقما قياسيا في تساقط الأمطار، إذ وصلت إلى 105.7ملم ، ومنها 57031 ملم سقطت في يوم واحد ،والجدولين التاليين يبنان ذلك :

---

[1] Rapport mensuel , Températures , C.D.A.W.O, Boit 410.

[2] M.R.Brigol , Op.Cit. p 109

[3] V.Largeau**, Le sahara…**,Op.Cit, p142.

الجدول رقم (3):المعدلات الشهرية لتساقط الأمطار في فترة ما بين 1902– 1919[1]

الأشهر	جانفي	مارس	ماي	جويلية	سبتمبر	أكتوبر	ديسمبر
النسبة (ملم)	13	07	01	00	04	12	7

الجدول رقم (4): المعدلات السنوية لتساقط الأمطار في فترة ما بين 1902– 1962[2]

السنوات	1902	1919	1928	1939	1945	1957	1962
المعدل	66	67	61,8	20,7	41,8	105,7	124,5

3– الـــــــريــــــاح: بحكم طبيعة المناخ الصحراوي، وندرة الغطاء النباتي لمنطقة ورقلة فغالبا ما تشهد هذه المنطقة عواصف رملية موسمية بين شهري مارس وافريل تبلغ سرعتها 20 كلم/سا[3]، وهي متوسطة الحارة إذا جاءت من الناحية الشمالية الشرقية، وحارة إذا جاءت من الناحية الجنوبية ، وتعرف محليا برياح الشهيلي (القبلي)، وغالبا ما تتسبب هذه الرياح في خسائر فادحة تصيب المحاصيل الزراعية والمواشي، وتبدأ الأجواء في التحسن من شهر سبتمبر عندما يتغير اتجاه الرياح الآتية من خليج قابس لتصبح شمالية شرقية والمعروفة محليا (برياح البحري)، لكونها تكون محملة بالرطوبة فتعمل على تلطيف المناخ ولاسيما ليلا.، وللإشارة فإن سكان المنطقة يرحبون كثيرا بهذه الرياح فهي تساعد على تلقيح أشجار نخيلهم، كما يرحبون بالحرارة أثناء النهار لكونها عاملا أساسيا في نضج ثمارها،هذا بالإضافة إلى أنواع أخرى من الرياح منها الظهراوي والغربي، وتعتبر هذه الرياح الأعنف من ناحية الهيجان وإثارة الزوابع.

---

[1] دوني بيلي، المرجع السابق ،ص48.

[2] المرجع نفسه، ص ص: 48-107

[3] M.R.Brigol , Op.Cit. p 111

الجدول رقم (5): معدل سرعة الرياح بورقلة بين سنتي 1941-1942م[1]

السنة والأشهر	جانفي	مارس	أفريل	جويلية	أوت	سبتمبر	ديسمبر
1941	1.3	2.0	2.4	2.4	1.6	1.7	2.3
1942	2.3	1.4	2.9	2.1	1.9	2.2	1.6

4 - الغطاء النباتي: لا يختلف الغطاء النباتي في ورقلة عن بقية المناطق الصحراوية الأخرى، فالغالب على السطح من تشكيلات نباتية نجد النخيل، وبعض النباتات الشوكية،والأشجارالمقاومة للجفاف كنبات الصبَار،والحلفاء،الأثل،الرتم،الرمث،الضمران، العلندة، البلبال، السويدة ،العقة.[2]وأشجار الطرفة والزيتة،وقد تنعدم الحياة النباتية نهائيا كما هو الحال في المناطق الصخرية أو الحصوية (الرق)،وعلى العموم يتوقف ظهور النبات في الإقليم الصحراوي على سقوط المطر السيلي النادر ولا تنمو الأشجار إلا في الواحات حيث يقترب الماء الباطني من السطح.

5- الشبكة المائية : إن الموقع الجغرافي لورقلة والوضع الطبوغرافي جعلاها تتميز عن بقية الأقاليم الصحراوية الأخرى، وذلك بسبب كثرة مواردها المائية ، المتمثلة في أوديتها الجوفية والسطحية على الرغم من مناخها الصحراوي الجاف وقلة تساقط الأمطار، وللعلم فإن هذه الشبكة المائية لعبت دورا كبيرا في ازدهار وتطور ورقلة لكون أن الحياة الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية أصبحت مرهونة بمدى انخفاض منسوب المياه، وبمدى قدرة الأهالي على استغلال الثروة المائية.[3]

---

[1] Bulletin mensuel du sahara1941-1942 , C.D.A.W.O,Boit 21

[2] احمد دكار ، المرجع السابق، ص ص14-15

[3] Etud Géologique et Hydrologique sur la Région Comprise entre Touggourt et Ouargla 1898,A.O.M ,10H28.

ولقد دلت دراسة أجريت حديثا، والتي قدمت تفسيرا جيولوجيا للبحيـــرات الجوفية من ناحية التشكل والتكون، بما فيها أودية ورقلة إذ أنها تتكون بفعل طبقة رملية رخوة، ومن سلسلة من الأحجار الرملية ذات المسام، وكل هذه المناطق مخلفات تركتها الجداول والأنهار، وفي العصر الجيري المبكر...تغطت هذه الطبقات بطبقة من الثرى الكلسي والصلصال، خلفها البحر قبل انحساره.[1] وما من ريبٍ فإن مثل هذا الطرح يعد ذا أهمية بالغة في معرفة تكوّن الحياة الجوفية ،وخاصة إذا ما أدركنا حقيقة تلك التحولات التاريخية، وما ارتبط بها من تحولات طبيعية، قد يضاف له رأيا يفيد بأن الحياة الجوفية، ما هي إلا نتاج تسرب مياه الأمطار الموسمية بعد جريانها عبر عدد من الأودية الجنوبية، ثم تجمعها تحت سطح التربة لتتفجّر في شكل مياه جارية من العيون والآبار الارتوازية في الواحات الشمالية .[2]واهم الموارد الجوفية نجد :

- **واد ايغرغار** : الذي ينحدر من كتلة الهقار ويصب في العرق الشرقي الكبير ،يبلغ طوله 1000 كلم يجري في خط مستقيم إلى أن يغوص في شطوط قرب بسكرة وهو شديد الانحدار لأن مستوى منابعه يرتفع إلى 2000 مترا ،بينما يقع الشط الذي يغوص فيه تحت مستوى سطح البحر ، وقد حدد ابن خلدون منبعه إلى الجوار من نهر ملوية بالمغرب الأقصى ليتجه نحو القبلة باتجاه الشرق (الجنوب الشرقي)، ويصفه بأنه كبير ينتهي في مصبّه عند موضع وارجلان[3]. وذكره صاحب غصن البان من انه ينبع" من جبال أدلي ببلاد التوارك وينتهي بورجلان"[4]، ثم يجتازها نحو الشمال بحسب ما توضحه الخريطة الجغرافية للصحراء الكبرى، حيث نستطيع اقتفاء أثره متجها من القبلة (الجنوب) نحو الشمال.

---

[1] غيرستير، المرجع السابق ، ص114.

[2] زغلول عبد الحميد، **تاريخ المغرب العربي**،مصر، دار المعارف، ج 4، ص 61.

[3] ا بن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص ص: 78،120

[4] أعزام الحاج إبراهيم بن صالح ، **غصن البان في تاريخ وارجلان**، مخطوط، د.ت ، ص13.

- **وادي ميّة(وادي 100)** : سمي بهذا الاسم لكثرة الروافد والفروع الرافدة للوادي والتي تصل إلى مائة ، ينبع من نواحي عين صالح بهضبة تادميت، وينتهي في سبخة سفيون (20 كلم شمال ورقلة)، أين يلتقي وادي النسا ووادي زلفانة ووادي ميزاب، وهو يحتوي على مساحة عرضية تصل الى 30 كلم[1]، ويمتد على مساحة طولية بمسافة 700 كلم[2]، كما وصفه ابن خلدون قائلا:"...و ينبع مع النهر من فوهته نهر كبير ينحدر ذاهبا إلى بوده ثم بعدها إلى تمطيت ويسمى لهذا العهد كـــير، عليه قصورها ثم يمر إلى أن يصب في القفار ويروغ في قفارها ..."[3]، وذكره احمد توفيق المدني انه :«يسير مختفيا تحت الرمال إلى أن ينبع بواسطة بئر فوارة قوية»[4]

أما الأودية السطحية فتتمثل فيما يلي:

- **وادي نـــسا:** ينتهي عند احد حواضر ورقلة في جهة الشمال إلى الغرب.إذ يأتي من الغرب ويصب في سبخة سفيون، ويعتبـــر من الأودية النشطة بالمنطقة، حيث تصل مياهه إلى أطراف ورقلة في كثير من الأحيان مرتين في السنة في شهري فيفري ونوفمبر.[5]

- **وادي مـــيزاب** : هو شبكة لأودية عديدة، والتي لا يتجاوز عمقها مائة متر، تتجه كلها من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي، لتنتهي عند بحيرة تكتنفها الرمال شمال غرب مدينة ورقلة.

فيما تجدر الإشارة إلى أن معظم هذه الأودية استغلها أهالي ورقلة أحسن استغلال ،وذلك حسب تقرير فرنسي الذي أكد أن هذه الأودية لعبت دورا كبيرا في الازدهار الفلاحي ، بفضل المعدات الهيدروليكية القوية والموزعة بشكل جيد من جهة، وبفضل

---

[1] M.R.Brigol , Op.Cit. p 113

[2] J. lethielliux, op.cit.p 70

[3] ابن خلدون ،المصدر السابق، ج6، ص62، 120.

[4] أحمد توفيق المدني، **كتاب الجزائر**، القاهرة، دار المعارف، ط2، 1962، ص 227.

[5] احمد دكار ، المرجع السابق، ص 15

استخدام المياه الارتوازية ،وفيضانات وادي ميزاب التي كانت تصل حتى إلى سبخة سفيان من جهة ثانية.[1]

هذا بالإضافة إلى استخدام مياه الأودية في نظامي الري والسقي ، وذلك بتفجير مجموعة من العيون على حواف هذه الأودية، بعد القيام بعملية الحفر لعدة أمتار حتى الوصول إلى الطبقات الصخرية، إذ يقول بن خلدون: « أن البئــر تحفر عميقة المهوى وتطوى جوانبها إلى أن يوصل بالحفر إلى حجارة صلدة فتحتّ بالمعاول والفؤوس إلى أن يرقّ جرمها، ثم تصعد الفعلة ويقذفون عليها زبرة من الحديد، تكسر طبقها عن الماء، فينبعث صاعدا فيعم البئــر على وجه الأرض واديا، ويزعمون أن الماء ربما أعجل بسرعته عن كل شيء. وهذه الظاهرة الغريبة موجودة في قصور توات وتيكوارين و واركلا و ريغ»[2]، وهو ما يؤكده العياشي في قوله :" ومن غرائب هذه البلدة استخراج عيون الماء الغزيرة بحفر الآبار، فيحفرون بئــرا نحو من خمسين قامة، ثم يصلون إلى حجر مصفح على وجه الأرض، فينقرونه، فإذا نقبوه فاض منه الماء فيضانا قويا، ويطلع كذلك بسرعة إلى فم البئــر ويصير عينا.."[3]، ولقد بلغت هذه العيون حوالي ألف وواحد وخمسون عينا جارية[4]،ونجد نفس القول عند مادلين روفيلواز بريقولM.R.Brigol[5] من تلك العيون ما كان ببعض قرى ورقلة، ولعلها هي الأهم، كعين الحواس بناحية نقوسة ،وعين القبايل ناحية يفرن، وعين الصفا التي تسمى واد الصفا في ناحية سدرا ته[6]، وهي العين التي خلصت دراسة سابقة أجريت حولها أكدت على اعتبارها بئــر تفجر ماؤها فجأة في الصحراء، مولدا نهرا ينساب باتجاه الشمال.[7]

---

[1] Renseignements sur Ouargla 1865, A.O.M 10H86.

[2] ا بن خلدون ،المصدر السابق، ج 7، ص 69.

[3] أبو سليم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي ، **ماء الموائد**، فاس ،المطبعة الحجرية ، ج1 ، 1898، ص 45

[4] أعزام ، المصدر السابق ،ص35

[5] M.R. Brigol,Op.Cit, p 15.

[6] دوني بيلي، المرجع السابق، ص 25.

[7] غيرستر،المرجع السابق، ص 147.

وكثــرة هذه العيون خلقت نظاما ضبطيا في كيفية استغلالها لسقي البساتين، وذلك بتوزيع الماء حسب الساعات والأيام، زيادة على ذلك أوجدت ما يسمى "برجال الغطاسة"، والمعروفة محليا باسم" ادوغيين"، مهمتهم صيانة وتنظيف وتحديث هذه العيون مقابل أجرة يتقاضها الغطاس رغم مشقة وخطورة العملية، وهذا ما شار إليه العياشي قائلا: "فإن لم يتدارك الحافر بالجدف أغرقه الماء، ومتى احتاجت العيون إلى الكنس حصلت لمتعاطي كنسها مشقة كثيرة وربما تركوها بلا كنس للمشقة فتندثر.."[1]، وهو ما أكده أيضا ويسجيبر *weisêrber* : " كانت لنا الفرصة لمشاهدة هذه العملية التي تتطلب إمكانيات خاصة، كما أنها تتطلب الدخول إلى غاية 35 مترا تحت الماء والبقاء فيه مدة زمنية معينة حيث يستخرج كل عامل أربعة أو خمسة مرات يوميا قفة من الرمل، ويدفعون للعامل 25 ستنيما "[2] ،وحسب إحصائيات الباحثة مادلين روفيلواز بريقول *M.R.Brigol* ، فقد وصل عدد الغطاسين المحترفين سنة1877م إلى 21 غطاس، وبسب مشقة هذا العمل فقد تقلص عددهم سنة 1955م إلى 10 غطاسين.[3]

ومع وفرة المخزون، ازداد الاهتمام بالنشاط الزراعي والقيام بالإعداد له من حيث شقّ التـــرع والسّواقي لتصل العيون بالبساتين، ولما كان الماء على درجة من الأهمية والحساسية، فقد اتفق على ضوابط كانت محل التزام جماعي لتنظيم عملية استغلال الماء بما يحقّق مصالح مختلف المجموعات البشرية المرتبطة بهاته العين أو تلك،وغالب ما كان معتمدا في هذا هو قسمة الماء بالنوّب من الأيام و الليالي والساعات[4]، وأيضا بتداول النّوب.[5]

المبحث الثاني : الخصائص البشرية

أولا : أصول السكان :

---

[1] العياشي المصدر السابق، ص

[2] H.weisêrber, **Rapport sur Faite Anthrpologique**.**Observés pendant la Mission**.p 441.

[3] M.R.Brigol , Op.Cit. p 145.

[4] أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر الفرسطائي ،**القسمة وأصول الأرضين** ، تح : محمد صالح ناصر، بكير بـــن محمد الشيخ بلحاج، عمان،مكتبة الضاري، ط1، 1992.، ص 91.

[5] عبد العزيز بن إبراهيم الثميني ، **التكميل لبعض ما أخل به كتاب النيل**، نشر: محمـــد بـــن صـــالح الثمـــيني، تونس،مطبعة العرب، (د،ط)، 1944.، ص 17.

من المتعارف عليه تاريخيا أن الصحراء استوطنها الإنسان منذ الزمن الجيولوجي الأخيـــر قبل تشكل البحر الأحمر وجبل طارق ، حيث اخذ الإنسان حينذاك يتحرك بكل سهولة بين إفريقيا وآسيا وأروبا ، وهذا بدافع الهروب من المناخ البارد المنشر في المناطق الأوربية [1]، وقد أكدت بعض المصادر التاريخية أن واحة ورقلة من أقدم الواحات الصحراوية التي استقر بها الإنسان، وان سكانها الأصليون اثيوبيون أو قرمنتيون *Gramantes* حيث عمروها وسكنوها.[2]

في حين تكاد تجمع معظم المصادر الإسلامية أن السكان الأصليين لمنطقة ورقلة هم بربر، لكونهم ينتمون لإحدى القبائل البربرية الزناتية وهم بنو وركلا، إذ يقول ابن خلدون : " بنو وركلا هؤلاء أحد بطون زناتة كما تقدم من ولد فرني بن جانا.."[3]،ويتعرض صاحب نزهة المشتاق لأصل البربر أنهم يعودون إلى "جانا" وهو أبو زناتة المغرب "، كما يذكر أن جانا انتهوا إلى أقصى المغرب فتفرقت هناك ونزلت معهم قبائل البربر بما فيهم بنو ورقلان.."[4].

ثانيا : التركيبة الاجتماعية :

1- البـــــربـــــــر: يعتبر العنصر البربري احد أهم عناصر تشكيلة المجتمع الورقلي ، وهذا ما أكدته المصادر التاريخية ، إذ يذكر البلاذري أن البربر" أتو إلى المغرب فتناسلوا به"[5]، وهو الأمر الذي أكده الإدريسي رحيل: " البربر إلى المغرب حتى انتهوا إلى أقصى المغرب فتفرقت هناك.. فعمروا تلك البلاد"[6]، وهي ذات الإشارة التي أوردها صاحب الاستبصار الذي أشار إلى أن البربر قد " مشى أكثـــرهم نحو المغرب..وتفرقت البربر في

---

[1] محمد الطاهر العدواني ،**الجزائر منذ نشأة الحضارة**، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب،1984،ص ص:17-18

[2] Gouvernement Général de L'Agérie , « **Notes pour Servir a l'Historique d'Ouargla 1885** » , R.A, n° 64,1923,pp 381-445.

[3] ا بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص ص:107،106.

[4] الإدريسي، المصدر السابق.،ج1، ص 117.

[5] البلاذري ، **البلدان فتوحها وأحكامها**، تح :سهيل زكار، لبنان،دار الفكر ،ط1، 1992،ص 262.

[6] الإدريسي ، المصدر السابق،ج1، ص 222.

بلاد المغرب حتى وصلوا أقصى بلاد المغرب.."[1]، ومما أشار إليه ابن خلدون أن: " البربر قبائل كثيـــرة و شعوب جمة، وهي هوارة وزناته وضريسة ومغيلة وزيحوحة ونفزة وكتامة ولواته وغماره ومصمودة وصدينة ويزدران ودنجين وصنهاجة ومحكسة وواركلان وغيرهم ".[2]

ويذكر الإدريسي: " من قبائل البربر زناته وضر يسه ومغيلة ومقدر وبنو عبد ربه وورفجوم ونفزه ونفزاوة ومطماطة ولمطه وصنهاجة وهوارة وكتامة ولواته ومزاته وصدراته.. وبنو وارقلان وبنو يسدران ".[3]

أما عن ارتباط البربر بالمنطقة فالروايات تشير إلى أن وجود البربر في منطقة ورجلان(ورقلة)، يرجع إلى الغزو الروماني والحروب الدينية التي جرت في بلاد البربر[4]، وهو ما يؤكده صاحب غصن البان: " كانت وارجلان قديما عامرة بالبرابرة "[5]،ويذهب أيضا الاغواطي للتأكيد على ذلك في قوله: " ولغة السكان فيها هي البربرية "[6]،كما ارتبطت تسمية هذا البلد بمن خطّه على ما يبدو، وهم بنو واركلان" إحدى بطون زناته "[7]. وقد سكن عموم بني زناتة مابين تاهرت إلى فاس، وهم الرحالة، وأكثرهم فرسان يركبون الخيل، ولهم عادية لا تؤمن.[8]

---

[1] مؤلف مجهول،**كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار**، تح: سعد زغلول، المغرب الأقصى،دار النشر المغربية، (د،ط)، 1952.، ص155.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 109.

[3] الإدريسي،المصدر السابق،ج1، ص 222

[4] مزهودي مسعود،**الإباضية في المغرب الأوسط** ،الجزائر،جمعية التراث(غرداية) ،1996،ص 30.

[5] أعزام: المصدر السابق،ص25.

[6] أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، بيروت،دار الغرب الإسلامي،ج2،ط3، 2005، ص256.

[7]ا بن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 61.

[8] ابن عبد الحليم ، **كتاب الأنساب**، تح : محمد يعلي، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، ص 51.

إذا كانت هذه المصادرالتاريخية قد أكدت أن أصول سكان ورقلة بربر، فهذا يجعلنا نتساءل عن أسباب استقرار البربر بهذه المنطقة، في ذلك يقول مزهودي : " إن وجود البربر في منطقة ورجلان (ورقلة) يرجع إلى الغزو الروماني والحروب الدينية التي جرت في بلاد البربر"[1]، وهذا القول يؤكد أن العنصر البربري كان الغالب على بقية العناصر الأخرى المشكلة لتركيبة المجتمع الورقلي، ومما يدل على هذه الغالبية هو كثـــرة القبائل البربرية المشكلة للنسيج الاجتماعي والمتمثلة في : قبيلة تناوت ، بني يكشن، زواغة، بني ورتجين، بني ياجرين، بنو زغلين، بني مسافر، بني تسكنيت ، بني غسيرت...، إن جل هذه القبائل السالفة الذكر قد لا تكون أصيلة بورقلة، لكن المؤكد انه كان لها حضورها الاجتماعي من خلال استقرارها وإسهاماتها في بلورة النسيج الاجتماعي لورقلة،كما وأن هاته القبائل، ومن خلال هذا المنظور، قد لا تكون هي ذاتها التي ستظل منفردة بالتركيبة الاجتماعية، لما يتوقع حدوثه من تحولات اجتماعية من شأنها إعادة صياغة الواقع الاجتماعي.[2]

2– العرب : مثلما كان للبربر نصيب من النسيج الاجتماعي الورقلي، فإنّه كان لبعض القبائل العربية حضورها الذي أكدته بحد السيف أمام الزناتيين، وكان من أوفر هذه القبائل نصيبا " قبائل المعقل"، الذين أقاموا وجودهم " في القفار، وتفردوا في البيداء فنمو نموا لا كفاء له، وملكوا قصور الصحراء التي اختطها زناتة بالقفر مثل...وركلان "[3]، . وبحسب الميلي، فإن المعقل قد اندمجوا مع غيـــر نسبهم من أشجع وفزارة وبني سليم، ومن بني هلال أحياء مع المعقل أيضا من مسلم وسعيد والعمور وكرفه والمهاية وحصين[4]، وهو ما أكده وجود عدد من القبائل الهلالية بالمنطقة، حيث كانت قبيلة رياح

---

[1] مزهودي ، المرجع السابق ،ص 30

[2] عمار غرايسة، **المدينة والدولة (ورجلان أنموذجا)**، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط(مخطوط)، جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة ، 2007، ص34

[3] ابن خلون ،المصدر السابق، ج 6، ص 69.

[4] مبارك بن محمد الميلي ،**تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، الجزائر،ش.و.ن.ت، 1976.ص 565.

دائبة الحركة والتنقل من الجريد إلى ورقلة[1]، كما أن استقرار الذواودة كان واضح المعالم في مجالات الزاب وريغ و واركلي وما وراءها من القفار[2]، هذا بالإضافة إلى أن العرب اندمجوا مع سكان ورقلة، وهذا ما ذكره بوعصبانة في قوله: " أن فئة العرب نجدها اندمجت وسط سكان وارجلان... وهؤلاء هم بنوا معقل "[3]، وهو ما قد يتوافق مع بعض الآراء التي أشارت لما ذكره ابن الصغير من أن تيهرت كان يسكنها العديد من العرب.[4]

3- اليهود: يعتبر العنصر اليهودي جزءا من النسيج الاجتماعي لورقلة، على الرغم من عدم وجود مصادر كافية تخبرنا بهم اجتماعيا من حيث زمن وصولهم، وأعدادهم، وسلوكياتهم الاجتماعية، إلا أنها تركز على ربط وجودهم في عموم بلاد المغرب كمهاجرين مند العهد الروماني، حيث برزوا مع ما قاموا به من أنشطة اقتصادية[5]، وما يؤكد أن اليهود كانوا طرفا في الواقع الاجتماعي الاجتماعي، إذ ذكر الوسياني: " في سؤال لأهل وارجلان (ورقلة)عن مسألة يهودي اشترى جنانا في وادي أجلو.. فقال لهم يونس بن الشيخ المعز بن حبيب الهوا ري: خذوا عنه الشفعة، شفعة الإسلام، فسألوا أبا محمد عن ذلك فقال: ذروا الناس يعيشون في بلدكم "[6]، وذكر ايضا صاحب غصن البان : " أن اليهود ظلوا قاطنين بوارجلان وديارهم قديما في السوق العمومي.. و لم ينجلوا عنه إلا بعد استيلاء دولة الأشراف أولاد علاهم سنة 1040هـــ/، فطردوهم منه ، و لم تبقى لهم بقية في البلاد..".[7]

---

[1] مصطفى أبو ضيف أحمد عمر،**القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين**، الجزائر،د.م.ج، 1982، ص 212.

[2] المرجع نفسه، ص 213.

[3] عمر سليمان بوعصبانة ، **معالم الحضارة الإسلامية بوارجلان**، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط(مخطوط)، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ،1992.، ص 29.

[4] ابن الصغير المالكي ،**تاريخ ابن الصغير**، لبنان،دار الغرب الإسلامي، (د،ط)،1987، ص 13.

[5] محمود إسماعيل عبد الرازق ، **الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**، المغرب الأقصى ،دار الثقافة، ط2، 1985، ص 286.

[6] الوسياني، المصدر السابق ، ص 369.

[7] أعزام، المصدر السابق، ص 83.

لكن في عهد الاستعمار الفرنسي لمدينة ورقلة عاد اليهود مع المعمرين الفرنسيين تحت غطاء ممارسة أنشطة اقتصادية، وفي ذلك يذكر صاحب غصن البان : " ولما استولت الدولة الفرنسية واستتب الأمن، صاروا يأتون للاستنفاع والتجارة والصياغة، يمكثون في البلاد الشهرين والثلاثة، وفي هاته الأعوام الأخيـــرة امتلكوا فيه واشتروا أملاكا كثيرة نخيلا وديارا.."[1]، كما نجد دوماس *Daumas* في كتابه " الصحراء الجزائرية " يؤكد انه في سنة 1951م كانت الصياغة في ورقلة يحترفها اليهود المسافرون الذين يقطنون في ورقلة بضعة أشهر ، ويفرون منها في فصل الحمى (الصيف)، وقد كانوا يملكون ثلاث ورشات لحرفة النحاس وثلاث ورشات لصناعة الصياغة.[2]ولقد وصل عددهم سنة 1959م حوالي 100 فرد مشكلين سبعة أو ثمانية عائلات[3]، أضف إلى ذلك ذكر في بعض المصادر التاريخية : " أنّه بين السنة 1000 ونهاية القرون الوسطى، فان الجالية اليهودية في ورقلة قد تكون إحدى الجوالي الـــ13 أو الـــ16 ذات هيكلة الموجودة في وسط المغرب، ومن الملاحظ أن الكرائيين، هذه الطائفة اليهودية التي كانت ترفض سنة الحاخامين، والتي تظهر أنها توارت وسط المغرب مع القرن 15م، لم يكونوا يوجدون إلا في روابط القوافل في نواحي ورقلة وتقرت".[4]

4- الزنوج :إلى جانب البربر والعرب واليهود، كان لبعض السود الأفارقة (الزنوج) حضورهم الذي أكدوه عن طريق الحركة التجارية بين ورقلة وبلاد السودان، وان كانت الوثائق لا تقدم ما يوفي بالإحاطة بهم اجتماعيا، إلا أن المتوفر لدينا من مصادر يركز ربط تواجدهم بنشاط الحركة التجارية بين بلاد المغرب وبلاد السودان، من خلال ما تم استقدامه مع القوافل التجارية من عبيد، الذين أصبحوا يشكلون جزءا غير منفصل من الكيان الاجتماعي لورقلة، وفي ذلك يذكر ابن سعيد المغربي أن ورجلان (ورقلة) : "

[1] المصدر نفسه ، ص ص: 83-84.

[2] Daumas , Op.Cit , p 85

[3] دوني بيلي ، المرجع السابق ،ص 93.

[4] دوني بيلي ، المرجع السابق ،ص 80

كانت بلاد نخل وعبيد، ومنها تدخل العبيد إلى المغرب الأوسط وافريقية.."[1]، وتعتبـــر السودان أهم مصدر لتجارة الرقيق وأهم فئات رقيق السودان هم التّكرور السنغاليون، والصوننكي الغانيون ،والصونغاي من جوا، والصاو من الكانم[2]،ومن حيث عدد هؤلاء الزنوج لم يتم الإشارة إليهم في الوثائق المتوفرة لدينا ،باستثناء ما ذكره دوني بيلي *Denys Pillet* انه في سنة 1877م تشكلت 1250 عائلة ملقبة بالزنوج الصحراويين.[3]

وما هو ملفت للانتباه أن الورقليين لم يتعاملوا مع العبيد على أنهم خدم أو سلعة تباع وتشترى، بل بدلو من الجانب الإنساني محاولة دمج هذه الفئة بصورة شبه كلية في المجتمع الورقلي، وذلك من خلال الحرص على تلقينهم أسس الإسلام والارتقاء بمستوى سلوكهم ليكونوا جزءا غير منفصل عن النسق الاجتماعي القائم. إذ يقول ليتيليو *Lethelleux* : " أن العبيد المستقدمين من السودان يبقوا عدة أشهر في ورقلة لكي يستعيدوا نشاطهم ولياقتهم البدنية.. كما أنهم يتعلمون الإسلام الذي يصبح ديانتهم ".[4]

ثالثا/القبائل الأساسية للمجتمع الورقلي :

لقد ارتبط وجود القبائل العربية بمنطقة ورقلة بتواجد عدد من القبائل الهلالية بالمنطقة، حيث كانت قبائل رياح دائبة الحركة والتنقل من الجريد إلى ورقلة "[5]، زيادة على استقرار هذه القبائل، فقد استطاعت أن تندمج في الوسط البشري وتحدث تواصل اجتماعي مع سكان ورقلة، إضافة إلى قبائل المعقل السالفة الذكر ، فقد استقرت قبائل عربية أخرى على مراحل وخلقت نسيجا اجتماعيا جديدا ،مثل : الشعانبة الذين استقروا

---

[1] ابن سعيد، المصدر السابق، ص126

[2] موريس لومبارد ، **الإسلام في مجده الأول**، تح: إسماعيل العربي، الجزائر،م.و.ك، ط1، 1975، ص 299.

[3] دوني بيلي ، المرجع السابق ،ص 16.

[4] J. Lethelleux, Op.Cit, p 161.

[5] مصطفى أبو ضيف أحمد عمر، المرجع السابق، ص 212.

بالمنطقة خلال القرن 16م، والمخادمة الذين جاؤوا إلى المنطقة مند القرن 12م[1]، وسعيد عتبة الذي توطنوا في انقوسة خلال القرن 13م، بالإضافة إلى توافد قبائل أخرى واستقرارها بالمنطقة خلال القرون اللاحقة[2]، والجدول التالي يبن أعراش هذه القبائل مع عدد سكانها وهذا حسب تقرير وصف ليتيلو *lethielliux* (إحصائيات 1948م) .

جدول رقم (6) : القبائل الأساسية وفروعها بورقلة(1880-1948م)[3]

القبيلة	الاعراش	عدد السكان
سعيد عتبة	العمرات	1365
	أولاد اطا	
	مرزاق	
	أولاد فدول	
	الخرافة	2240
	فطناسة	
	أولاد زنينة	
	أولاد زيد	
	أولاد سعيد	385
الشعانبة بوسعيد	أولاد بن قاسم	2750
	اولاد ابراهيم	
	أولاد بن اسماعيل	945
الشعانبة القبالة	الدوي	/
	أولاد علي بن عبد الله	2900
	أولاد فرج	
	أولاد نصير	
	أولاد زيد	

[1]PROHUZA, **Les Mekhadma** :(Etude sur l'évolution d'un groupe humain dans le Sahara Moderne).ouvrage publié sous les auspices de l'OCRS,paris,1960,p 13.

[2] انظر الملحق رقم 24: (واحة ورقلة وقراها سنة 1880م)

[3]J.lethielliux, Op.Cit.p 242

المخادمة	أولاد تمان	3240
	بني حسن	
	أولاد خميس	
	الفوارس	
	أولاد نصير	865
	أولاد احمد	795
بني تور	أولاد عرينة وبني مرزوق	2825
	جنادة وأولاد جانا	
	الرويسات	
	أولاد ساسي	

جدول رقم (7) : إحصائيات عدد أفراد قبائل ورقلة سنة 1949م[1]

القبيلة	عدد الأفراد	ملاحظات
الشعانبة	7043	في الفترة ما بين 1885-1945 تضاعفوا ثلاث مرات
المخادمة	4286	في الفترة ما بين 1885-1945 تضاعفوا ثلاث مرات
بني ثور	3581	في الفترة ما بين 1885-1945 تضاعفوا أربعة مرات
سعيد عتبة	3848	في الفترة ما بين 1885-1945 تضاعفوا مرتين ونصف

رابعا / تطور النمو السكاني :

تتمثل أهم المصادر التي تشير إلى تطور النمو السكاني بورقلة ،وإلى حركية تطورها طوال الفتـــرة الاستعمارية في التقارير الرسمية للحالة المدنية بورقلة ، وفي بعض الأبحاث والدراسات القليلة التي تركها كتاب ورحالة فرنسيون كانوا قد زارو المنطقة، أو استوطنوا بها مثل فكتور لارجو *V . Largaux* ، ليتيليو*lethielliux* ، دوماس.*Daumas* بريقول *M.R.Brigol*،وغيرهم. وطبعا هؤلاء الرحالة كانوا عبارة عن جواسيس للإدارة الاستعمارية ، وذلك بهدف تقديم تقارير حول الإمكانيات البشرية، وطبيعة السكان

---

[1] دوني بيلي ، المرجع السابق ،ص 67.

ونمط معيشتهم، حتى تسهل السيطرة عليهم والتحكم في تحركات التي يقوم بها السكان في هذه المنطقة من الصحراء، والأرقام التي تقدمها هذه المصادر قد نجدها متفاوتة بين الارتفاع والانخفاض، وطبعا هذا يرجع إلى التفاوت بين نسبة المواليد ونسبة الوفيات ، والهجرة إلى خارج ورقلة من جهة ،والى مستوى الحالة الاقتصادية والاجتماعية التي كان يعيشها المجتمع الورقلي، ومدى تطور الخدمات الصحية من جهة أخرى.

فحسب تقرير فرنسي فقد وصل عدد سكان الجنوب الشرقي سنة 1839م إلى 259490 نسمة، وفيما يخص ورقلة فقد احتوت على سبعة قرى وثلاثة أعراش ،وبلغ عدد سكانها 26200 نسمة، مقسمين إلى 14200 من السكان المستقرين،و12000 من السكان الرحل[1]، بينما تذكر مادلين روفيلواز بريقول*M.R.Brigo* ان عدد السكان سنة 1872 وصل إلى 14000نسمة، و55 % منهم رحل[2]،واعتقد أن سبب تناقص عدد السكان في السبعينات من القرن التاسع عشر يعود إلى تزايد عدد المهاجرين الورقليين باتجاه مناطق الشمال وخارج الوطن.

جدول رقم (8): عدد السكان بين الورقليين والأوروبيين في فترة ما بين 1842-1959م[3]

السنوات	الورقليين	الأوروبيين	ملاحظات
1842	9600	/	3200 رجل قاردر على حمل السلاح
1877	1500	/	55% رحل
1931	16500	136	/
1948	28040	481	/
1959	34427	1600	900 عسكري
المجموع	90067	2217	4100

---

[1] Rapport sur la situation social dans le sud Algérienne, A.M.G, H.227

[2] M.R.Brigol , Op.Cit. p 49.

[3] Rapport sur la situation social dans le sud Algérienne. ,A.M.G, H 227.
وأيضا: CH.Féraud, **Notes Historiques sur La Province de Constantine**,
Les Ben djallab deTouggourt ,in R.A , n°23, 1880,PP 156-157 .

من خلال هذا الجدول نلاحظ تطورا ايجابيا في عدد السكان بالنسبة للورقليين خاصة في الخمسينات من القرن العشرين، فقد وصل معدل المواليد في الفترة ما بين1942-1957م حوالي 12,7 **%**[1]، لترتفع هذه النسبة سنة 1960 م إلى 48**%**،ولعل السبب الأول في هذا النمو الديمغرافي المذهل يعود إلى الزيادة الطبيعية للسكان الناجمة عن انخفاض في معدل الوفيات بما في ذلك معدل وفيات الرضع، إضافة إلى الزيادة المفرطة في معدل المواليد[2]، بينما نلاحظ معدل النمو الديمغرافي سنة 1931 م منخفض حيث وصل إلى 27.4%، وذلك بسب الجفاف الذي ضرب المنطقة في الثلاثينات، والذي أدي إلى انتشار الفقر والجوع والأوبئة[3]، بل وقبل ذلك حدثت أزمة اقتصادية في ربيع 1920م بسبب نقص مياه الآبار وارتفاع أسعار الحبوب ، وخسارة كبيرة في المواشي، والتي تقدر بـــ 8.5%، في الإبل،و41%، في الأغنام ، و%،68 في الماعز ، و30 % في الخيول [4]، هذا من جهة، وبسب السياسة القمعية الاستعمارية التي سلطت على الأهالي من إفقار وتجويع وتهميش ، نتيجة للمقاومة التي أبداها الورقليون من جهة ثانية.

جدول رقم (9): الوفيات المعلن عنها لدى مصلحة الحالة المدنية ما بين الحضريين والرحل 1956- 1959م[5]

السنوات	مجموع الوفيات	ما بين 0 و4سنة	مابين5 و14 سنة	70سنة وزيادة
1956	434	%28.3=123	%29.9=130	%5=22
1957	462	%41.3=191	%21.6=100	%8.4=39
1958	521	%50.6=264	%20.3=106	%6.9=36
1959	508	%51.5=262	%21.0=107	%3.5=18

[1] PROHUZA, Op.Cit,p 25

[2] M.R.Brigol , Op.Cit. p 50

[3] دوني بيلي ،المرجع السابق،ص 98.

[4] دوني بيلي ،المرجع السابق،ص 49.

[5] دوني بيلي، ص 98.

أما الأوروبيين فهم أيضا كانوا في تزايد مستمر منذ بداية الاحتلال، وهذا يرجع إلى الديناميكية الاقتصادية التي نشطها الاستعمار من خلال فتح شهية المعمرين للاستحواذ على الثـــــروات الطبيعية المعدنية والطاقوية للمنطقة، واستغلال المركز التجاري لورقلة باعتبارها إحدى المحطات الرئيسة للقوافل التجارية الصحراوية ، هذا بالإضافة إلى تحسن مستوى معيشتهم، وتطور خدماتهم الصحية، مع الأخذ في الحسبان أن الحكم العسكري في الجنوب عزز ثقة الأمن والاستقرار في نفوسهم، وأعطاهم حرية التنقل بكل آمان، لكن هذا لا يعني أنهم لم يتعرضوا لهجومات من طرف المقاومين، وصياتي الحديث عن هذا الأمر في الفصول اللاحقة.

جدول رقم (10): عدد السكان حسب القرى والمداشر بورقلة سنة1949[1]

القرى والمداشر	عدد العائلات	الفرنسيين	الأجانب	المجموع
قصر ورقلة	1547	1547	8	3102
بني ثور	377	1830	/	2207
الرويسات	377	1924	/	2301
سعيد عتبة	319	1411	/	1730
نقوسة	433	2779	/	3212
سيدي خويلد	152	803	/	955
الشط	237	1185	/	1422
البور	384	1677	/	2061
شعانبة الرويسات	44	1874	/	1918
المخادمة	725	3815	/	4540

خامسا / تطور العمـــــران:

لقد ذكرنا سالفا في إحدى الروايات التاريخية أن تأسيس مدينة ورقلة يعود إلى النموديين الذين بنوها في صحراء نوميديا وجعلوها مسورة[1]،وهذا ما يعطي انطباع

[1] Liste nominative des habitants de la commune d'Ouargla 1949. C.D.A.W.O, B 22.

بأقدمية العمران، الذي لاشك انه سيتطور حسب الظروف والتحولات الاجتماعية والاقتصادية، وهذا ما أشار إليه ابن خلدون من استبحار عمران المدينة قائلا: " واختطوا المصر المعروف بهم لهذا العهد بنوها قصورا متقاربة الخطة، ثم استبحر عمرانها، فاتلفت وصارت مصر...واستبحر عمران هذا المصر، واعتصم به بنو وركلا هؤلاء.."[2].

غـــير أن قلة الشواهد الأثرية العمرانية جعلت من الصعوبة معرفة النمط العمراني وطبيعة ارتباطه بالحضارة التي كانت سائدة في منطقة ورقلة قبل الإسلام، وعلى ما يبدوا لنا أن ما جاء في كثيــــر من الإشارات للرحالة والجغرافيين الذي تناولوا أقاليم الصحراء في مخطوطاتهم، أن الإنسان الذي عاش في هذه الأقاليم لم يعرف أهله الاستقرار ، وإنما اعتمدوا على الترحال وسكنوا الخيام المصنوعة من وبر الجمال وجلود الأبقار بطبعتيهم قبائل بدوية، و لم يظهر النمط العمراني الذي يميـــز المنطقة إلا بعد الفتح الإسلامي.خاصة بعد سقوط الدولة الرستمية296هـــ/908م، ونزوح الإباضيين الرستميين باتجاه ورقلة، أين أسسوا جنوبا على بعد 14 كلم مدينة" سدراتة"[3]، ولقد كانت هذه المدينة عنوانا للإبداع المعماري، وذلك من خلال ما اكتشفته الباحثة "مرغريت فان برشم " بين سنتي 1950-1952م من حفريات دلت على عظمة النمط العمراني لهذه المدينة بما اشتملت عليه من أسوار وقلاع ومساكن ودروب وأزقة وزخارف تؤكد الذوق الفني الرفيع لساكني هذه المدينة.[4]

وما يلفت الانتباه حول ما دوّنه الرحالة حول عمران مدينة ورقلة ، أن ذكرها ارتبط بكلمتي القصور والمياسير، وهي دلالة واضحة على أن النمط العمراني الورقلي اعتمد على نظام القصر الذي هو في الحقيقة عبارة عن مجموعة من الدور والمنازل القريبة من بعضها

---

[1] الوزان، المصدر السابق ، ص136.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق ،ج6، ص118

[3] النوري، المرجع السابق ، ج2، ص107.

[4] غيرستير، المرجع السابق، ص ص 148-149.

البعض والمحاطة في الغالب بسور يجمع بينها[1]، وهذا النمط من العمران هو الغالب على معظم المناطق الصحراوية، وفي ذلك يقول ابن خلدون: " ..قصور ذات نخل تسمى وركلان"[2]،وهو ما أكده الحميري :" في أن ورقلة واقعة في طرف الصحراء مما يلي افريقية، وهو بلد خصيب كثير النخل والبساتين، وفيه سبع مدائن مسوّرة حصينة بعضها قريب من بعض.."[3]،وهي ذات الإشارة ذكرها العياشي بشيء من التفصيل: " هي مدينة لها سبعة أبواب وهي في وسط خط من النخيل، ومساحة المدينة بالتخمين نحو نصف فرسخ في مثله محيط بها خندق مملوء من كل جهاتها، لا يصل احد إلى سورها إلا من ناحية الأبواب".[4]وهو ما كده أيضا الاغواطي في قوله: " ورقلة بلدة كبيـــرة جدا ولها سور يحيط بها فيه عدة أبواب".[5]

وهذا النمط العمراني ليس من إبداع المجتمع الورقلي، وإنما هو ناتج عن تأثير الحضارة العمرانية الإسلامية على بلاد المغرب نتيجة الحروب الدائرة بين القبائل البربرية وأعدائهم، وبالتالي فقد اتخذت معظم المناطق الصحراوية شكل المدينة الإسلامية ، إذ يقول هاشم خضير نايف : " إن المدينة الإسلامية غالبا ما تكون مدورة، ومحاطة بسور كبيـــر ذي أبواب،ومحاط بخنادق عميقة تملأ بالمياه عند قيام العدوان..الجامع الكبير أو الرئيسي يتوسطها.. وخارج نطاق السور الخارجي توجد أسواق بيع الحيوانات ،وكذلك مقابر أموات المدينة..".[6]

---

[1] إسماعيل العربي، **الصحراء الكبرى وشواطئها**، الجزائر،م.و.ك، 1983،ص 142.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 120.

[3]محمد عبد المنعم الحميري،**الروض المعطار في خبر الأقطار**،تح:إحسان عباس،مكتبة لبنان،ط2،1984،ص600.

[4] العياشي، المصدر السابق ، ص46.

[5] أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر** ، بيروت، دار الغرب الإسلامي،ج2 ،ط2، 2005، ص 256.

[6] نايف هاشم خضير ،**المدينة الإسلامية وخصائصها** (بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول)،المملكة العربية السعودية،مج3 ، 1984، ص 13.

أما الكتابات الفرنسية فلم تكن بعيدة الوصف عما ذكر سالفا، إذ نجد في احد التقارير الفرنسية : " ورقلة مدينة محاطة بسور خارجي، وخندق يمتلئ بمياه شتاءا ويجف صيفا"[1]، وحسب فكتور لارجو *V.Largeau* فقد جاء وصفه للمدينة أكثـــر وضوحا : " حيث شبهها بجزيرة من النخيل محاطة بالمياه ، وهي مرتفعة تقريبا في وسط الواحة ومركزة على ربوة كلسية...يحيط بها سور مزدوج مربع..وفي زوياه أربع بروج..وبيوتها على حافة الساحات منتظمة إلى حد ما، ومن الناحية الشرقية يوجد المسكن القديم لسلطان المنطقة.. وهي دار قليلة الارتفاع وضيقة، ويتوسط الساحة الداخلية لهذه البيوت

بئر ذو مياه مالحة لا يصلح للشرب، ومن الناحية الجنوبية للقصر يوجد برج مرتفع بعشرة أمتار، وبجانبه يوجد باب السلطان.. ".[2]، وكانت المدينة تضم ثلاثة أبواب خلال القرن الثالث عشر للميلاد، وهذا حسب المخطط الذي وصفه ليتيليو*Lethelleux* .[3]

ولا شك ما يتلاح للقارئ والناظر لقصر ورقلة تلك الأسوار الحصينة المنيعة، والتي تأخذ طابعي دفاعي في مجملها من حيث ارتفاع أبراجها، وقوة صلابتها، وحجم سمكها، بالإضافة إلى تعدد أبوابها التي وصلت في القرن التاسع عشر للميلاد إلى ثمانية وهي : باب الربعية، باب حميد، باب البستان، باب بوسحاق، باب عمر، باب عزي،باب الجديد، باب السلطان[4]،مع العلم انه في القرن 13م كانت هناك ثلاثة أبواب لثلاثة أحياء وهي :باب عمر لحي بني براهيم، وباب بوسحاق لحي بني سيسين، وباب الربعية لحي بني وقين.[5]والأكيد انه لكل باب دورها الدفاعي في صد العدوان أو لنجدة السكان.

---

[1] Gouvernement Général de L'Agérie , Notes…,Op.Cit,p381.

[2]V.Largeau ,Op.Cit.p94.

[3] J. Lethelleux: Op.Cit, p 138.

[4] Ibid ,p 138.

[5] J. Lethelleux: Op.Cit, p 138

أما من ناحية المواد والتقنيات المستعملة في البناء، فقد غلبت عليها المواد المحلية المتكونة من الرمل،والحجارة، وجذوع النخيل وسعفها، والطوب الذي يحصل عليه بخلط الطين والرمل بالماء تستعمل منه قطع تقطع باليد ثم تجفف بتعريضها للشمس، لاستعمالها في بناء الجدران الداخلية والسطح[1]، وهذا ما أكده احد التقارير الفرنسية في أن ورقلة: " بيوتها مبنية بالحجارة والجبس وجذوع النخل"، وهي ذات الإشارة عند الرحالة فكتور لارجو *V.Largeau* : " أما بيوتها فقد بنيت بالطين الخام".[2]

ومما أشارت إليه المصادر والروايات أن مدينة ورقلة عقب الاحتلال الفرنسي فقدت طابعها الدفاعي ونمطها العمراني الإسلامي، وأدخل عليها الفرنسيون هندسة معمارية أوربية جديدة[3] تتماشى مع النظام العسكري المفروض على مناطق الجنوب مثل تحطيم باب السلطان الموجودة في الزاوية الجنوبية الغربية للقصر ، وسد جزء من الخندق المحيط بالمدينة عام 1872م،لكونه تسبب في حمى المستنقعات[4]،هذا بالإضافة إلى التقاط صورة سنة 1884م تبين أن الأقواس الأفقية قد استبدلت بأقواس نصف مستديرة دامت إلى حد تهديمها نهائيا.[5]

زيادة على ذلك تهديم بنايات وإعادة بنائها في شكل مراكز وأبراج عسكرية، مثلما حدث في حي بني ثور ، حيث تم انجاز برج شانديز على يد الهندسة العسكرية وبمساعدة عمال عسكريين[6]، ناهيك على انه كان للصراع القبائلي المحلي دور كبير في تهديم عدد كبير من العمران، ومنها ما تسببت به إحدى المعارك الأهلية في تدمير المسجد الذي بناه الأمير الحفصي أبو زكريا.[7]

---

[1] P.Passager,Op.Cit,p88
[2] V.Largeau,Op.Cit.p94
[3] H.weisêrber, Op.Cit.p441.

[4] دوني بيلي ، المرجع السابق، ص ص: 9-10.
[5] المرجع نفسه ، ص 31.
[6] نفسه ، ص 25.

[7] H.weisêrber, Op.Cit.p 440.

وفي إطار هذه التغيرات العمرانية تطورت القرى التي استحدثت بورقلة، والتي سميت بالديار المفتوحة خلال الفترة الممتدة ما بين القرن السابع عشر والتاسع عشر الميلاديين (17م- 19م)[1]، وبالتحديد برزت في شكل تجمع سكاني خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي (19م)[2]،ومن هذه التجمعات السكانية نجد : نقوسة[3]،بامنديل[4]،الرويسات[5]،سعيد عتبة ،بني ثور،سيدي خويلد[1]،المخادمة، الشط[2]،لعجاجة[3]، عين البيضا،عين عمر[4] ،لحدب، البور،فران،سيدي بوغفالة، سكرة.[5]

---

[1] M.R.Brigol , Op.Cit. p 78.

[2] ينظر الملحق رقم 26:(التوسع السكاني في ورقلة وضواحيها 1888-1889م)

[3] حاليا دائرة تابعة لولاية ورقلة، وحسب دوماس *Daumas* هي "عبارة عن قصر محاط بسور خارجي مسنن بعلو خمسة امتار،وبسمك 75 سم، تعلوه تدعيمات مربعة يصل عددها الى ثلاثين، كما يضم هذا القر خمسة ابواب وهي:باب العلوش،باب الزريبة، باب القصبة، باب تلموناست، باب عين الزرقاء،ومن ناحية المباني فهي= تختلف نوعا ما عن قصر ورقلة وذلك بوجود منازل ذات طابق،اضف الى ذلك انها مبنية بالحجارة وسقوفها مغطاة بجذزع النخيل ومطلية بالجبس.في حين يضيف لارجوا ان نقوسة قصر صغير يحيط به صور من الطين تعلوه ابراج مربعة الشكل، وبه كذلك جامعيين صغيرين وهما موجودان بالناحية الجنوبية من القصر، احدهما تهدم جزء منه، كما يحيط بالقصر وعلى بعد 200 م تقريبا مساحات من شجر النخيل" . ينظر :

Daumas , Op.Cit , p 88

وقد وصفها تقرير فرنسي سنة 1842م : " أنها قرية صغيرة تقع فوق كثبان رملية في الشمال الشرقي من ورقلة، وتتشكل من 400 إلى 500 عائلة، بيوتها مبنية بالحجارة وسقوفها مغطاة بجدوع النخيل، ومطلية بالجبس، وبه خمسة مساجد مبنية بالحجارة تعلوها قبب، وتتشكل البنية الاجتماعية لنقوسة من ستة عروش"، ينظر: بن يوسف تلمساني،«الحياة الاجتماعية بواحة ورقلة من خلال تقرير فرنسي عام 1842م» ، **حولية المؤرخ** ، منشورات اتحاد المؤرخين الجزائريين ، ع1، 2002 ، ص ص :289- 290. ينظر: A .M.G , H226

ويذكر احمد دكار : أن نقوسة تعرف باسم " منقوصة" هذا الاسم أطلقه الرجل الصالح سيدي صالح بن موسى. ينظر: احمد دكار، المرجع السابق، ص43

[4] حاليا بلدية تابعة لولاية ورقلة، وقد وصفها تقرير فرنسي سنة 1842م: " أنها قرية شبه مهجورة، نتيجة الصراع الذي خاضه سكانها من أولاد المريبي ضد قبيلة المخادمة، بلغ عدد سكانها آنذاك 340 نسمة"، ينظر: تلمساني بن يوسف ، المرجع السابق، ص ص: 287-293

[5] حاليا بلدية تابعة لولاية ورقلة ، سميت بهذا الاسم تصغيرا لكلمة رؤوس نسبة إلى المكان الذي استقر فيه سكانها وهو عبارة عن مجموعة ربى صغيرة ذات رؤوس شبه حادة. ينظر احمد دكار، المرجع السابق، ص42.

كما جاء وصفها في تقرير فرنسي عام 1842م: " انها عبارة عن تجمع سكاني وسط الغابة من النخيل، تقع غرب ورقلة، محاطة بسور خارجي والبساتين الجميلة من كل ناحية، بلغ عدد سكانها آنذاك 170 نسمة، وبها حوالي أربعين عائلة". ينظر: تلمساني بن يوسف ، المرجع السابق، ص 292

وحسب تقرير ليتيليو*Lethelleux* لسنة 1948م، فقد وصل عدد سكان قرية الشط إلى 1200 ساكن، وقرية لعجاجة 850 ساكن، وقرية الرويسات 3730 ساكن، وقرية نقوسة 1056 ساكن[6]،في حين ذهب دوني بيلي *Denys Pillet* إلى القول بأن قرية الشط بها 109 دار ،منها 40 يسكنها البيض، ولعجاجة 90 دار، والرويسات 40 دار.[7]

---

[1] سميت بهذا الاسم نسبة إلى الشيخ سيدي خويلد الذي حل بالمنطقة رفقة مجموعة من العلماء والصالحين، منهم سيدي سالم وسيدي عطا الله، وترجع البدايات الأولى لتأسيس هذه القرية إلى سنة 1632م، حين شيد أبناء سيدي خويلد قصرهم بمادة من الجبس والطوب ووضعوا له سورا خارجيا وأبوابا تحميهم من التحرشات الخارجية. ينظر: احمد دكار، المرجع السابق، ص44- 45

كما جاء وصفها في تقرير فرنسي عام 1842م: " قرية تتشكل من 50 عائلة، منازلها مبنية بالحجارة ومطلية بالجبس يحيط بها سور خارجي وبها عدة بسلتين لزراعة النخيل والخضروات، كما تتشكل من عرشين أساسين وهما: أولاد سيدي خويلد،أولاد سيدي عطاالله". ينظر: تلمساني بن يوسف ، المرجع السابق، ص 292

[2] اشتق من البحيرة المالحة التي تفصل بين المنطقة وورقلة، ويرجع تأسيس هذه المدينة الى الرجل الصالح سيدي موسى، وهناك رأي آخر يرى أن تأسيس القرية يرجع ما بعد سقوط سدراتة سنة 1274م، وقد ساهم في تأسيسه الناجون من هذه الأحداث، وفيهم من يذهب ويقول إن التأسيس يعود إلى سيدي بلخير في القرن 13م. ينظر: احمد دكار، المرجع السابق، ص45

[3] نسبة إلى العجاج، والعجاج هو نوع من الريح الذي تهب على شكل دوائر، وهناك من يقول نسبة إلى صوت المياه التي تتدفق بقوة من الآبار الموجودة بالجهة، ويرجع تأسيس القرية إلى الشيخ سيدي سالم في مطلع القرن 13م، حيث التف حوله الناس، وشرعوا في بناء المساكن،. ينظر: احمد دكار، المرجع السابق، ص45.وايضا:
M.R. Brigol , Op.Cit. p 74.

[4] حسب تقرير فرنسي عام 1842م : انها تقع على الطريق الرابط بين ورقلة وسيدي خويلد، وتتشكل من 180 إلى 200 عائلة، محاطة بسور خارجي وخندق تجري به المياه شتاء، وتجف صيفا، ومن حيث العمارنن فان بيوتها مبنية من الحجارة والجبس، وبها ثلاثة مساجد، وسكانها يمتهنون الزراعة الى جانب بعض الحرف والتجارة". ينظر: تلمساني بن يوسف ، المرجع السابق، ص ص: 292- 293.

[5] انظر الملحق: (توسع الإطار الجغرافي العمراني بمنطقة ورقلة ما بين 1988 و1989)

[6] J. Lethelleux: Op.Cit, p 242

[7] دوني بيلي ، المرجع السابق، ص 17.

المبحث الثالث : الإطار التاريخي للمنطقة قبل الاحتلال الفرنسي

أولاً :ورقلة في العصور القديمة :

لقد تضاربت الآراء واختلفت الراويات حول حداثية أو أقدمية مدينة ورقلة، ومدى ارتباطها بالحضارات القديمة التي تعاقبت على منطقة شمال إفريقيا، فقد أرجعها البعض إلى أزمنة تاريخية تتصل بالنموديين، من ذلك ما ذكره الحسن الوزان: " وركلة (ورقلة) مدينة أزلية بناها النموديون في صحراء نوميديا، لها صور من الآجر النيئ ودور جميلة، وحولها نخل كثيـــر، ويوجد بضواحيها عدة قصور وعدد لا يحصى من القرى.."[1]، وهو ما أكده تقرير فرنسي في : " أن أول ما يلاحظ على عمران ورقلة، أنها مدينة قديمة، والدليل على ذلك هو وجود بقايا إيحات وبنايات تشهد على قدم الاستقرار في هذه المنطقة"[2]، غير أن هذا التقرير لم يقدم كثيرا في معرفة النشأة الأولى لورقلة، وفي ذات الإشارة ذكرت م.روفيلواز بريقول ***M.R.Brigol*** بأن ورقلة مدينة قديمة تعود إلى ماقبل التاريخ وذلك لارتباطها بوادي مية، حيث اكتشف علماء الآثار والمهتمين بالدراسات القديمة وجود سكان بهذه المنطقة سكنوا على ضفاف وادي مية[3]، في حين اكتفى صاحب غصن البان، الذي لم يزد في الإفادة بغير التأكيد على أن وطن وارجلان (ورقلة) من " الأوطان القديمة".[4]

أما ليثليّو *lethielleux* فيعرض أمامنا رأيا يفيد بمقدم جماعة من الزنجباريين على رأسهم الشيخ حادور وبنائهم المدينة، ويحدد ذلك بأنه كان عام 106هــ/726م، ولما كان هؤلاء ذووا بشرة سمراء فقد نسبت إليهم[5] أو نسبوها هم لأنفسهم.في حين ذكر جورج غير ستر*Georg Gurester* أن نشأة ورقلة تكون قد ارتبطت بجهد قام أبناؤه على

---

[1] الوزان ، المصدر السابق ، ص 390.

[2] تلمساني بن يوسف ، المرجع السابق، ص 287

[3] M.R.Brigol , Op.Cit. p9.

[4] اعزام ، المصدر السابق ، ص 03.

[5] J.lethielliux ,Op.Cit ,p11.

زراعة أول بساتين النخيل على يد رجل أسود من السودان بواحة عفران[1] التي يقول عنها أنها تعود في عهدها الأول إلى عصر الرومان أو ما قبله، والتي كانت هجرتها القسرية في القرن السابع أو الثامن للميلاد سببا في نشأة وارجلان (ورقلة) التي كانت تدل على قصر وبساتين واسعة[2].

ومن المؤكد أن الإنسان مر بهذه الجهة و لم يشيّد أية مدينة و لم يترك أي عمران، بل كان متجولا لا يمكث كثيرا في منطقة حتى يغادرها، و لم يعش على شكل تجمعات بشرية كبيرة مع الإشارة انه بدأ يعرف نوعا من الاستقرار، وذلك من خلال استعماله للكهوف والمغارات المتوفرة في أعالي ورقلة بمنطقة بامنديل وخاصة في المنطقة التي تعرف باسم كهف السلطان على بعد حوالي 20 كلم جنوب غرب ورقلة، وقد وصف الرحالة فكتور لارجو ***V.Largeau*** هذه الكهوف سنة 1877م قائلا أن عمقها يصل إلى 30 م وبه طوابق وغرف، وأخذ مقاييس إحدى الغرف فوجد ارتفاع الغرفة المحفورة في الجبل يصل إلى 1,70 م، والطول 3,90 م، والعرض 2,75 م.[3]

وأمام هذا يبقى التساؤل قائما حول إمكانية إيجاد أي نوع من الترابط بين ورقلة والحضارات القديمة خاصة في ظل وجود صور تحمل مشاهد معمارية ذات دلالات على وجود نوع من التأثر خاصة بالحضارة القرطاجية في جوانبها الدينية وهو ما قد يشير لوجود تواصل مع التاريخ القديم، ما قد يؤكد فعلا على أن ورقلة قريبة في نشأتها الأولى من تلك الأزمنة.

وان اختلفت هذه الروايات، فيبدوا أن ورقلة ضاربة في القدم، وذلك حسب الشواهد المادية(رؤوس سهام مشذبة على الوجهين ،رؤوس سهام على شكل متوازي الأضلاع ،قواطع قزمية مذنبة ،مثاقب صغيرة تستعمل في صناعة الحلي، وحلقات نظم العقود من

---

[1] لعل المقصود بها ربما أنها ايفران على ما بدا لي من خلال تقارب اللفظ .

[2] جورج غير ستر،المرجع السابق، ص 198.

[3] V.Largeau, **Le Pays…**,Op.Cit ,p184.

أصداف بيض النعام، أواني فخارية)[1]، وما اكتشفته أيضا الباحثة الأثرية جينات اوماسيب *G.Aumassip* في عشرات المواقع التي حفرتها برواق وادي مية بورقلة.[2] وإذا ما حاولنا أن نسلم بهاته الشواهد بعيدا عن الخوض في بعض جوانبها التفصيلية، فهي توحي بوجود نوع من الحياة المبكرة بهاته المنطقة التي تكون قد عرفت حركة من الاستقرار البشري، والآثار الموجودة اليوم كنقوش وحفريات بمنطقة الطاسيلي والهقار، تؤكد أن المنطقة الصحراوية بعمومها لم تكن جدباء من مظاهر الحياة التي يحتمل أن يكون لاستمرارها امتداد نحو ورقلة غيـــر البعيدة عنها باتجاه الشمال.

إن طبيعة هاته الروايات قد تقلل من أهمية اعتمادها كأساس لصورة نشأة ورقلة، وليس بالمقدور التعامل معها كونها احتمالات تساعدنا على الميل إلى ما ذهب إليه دوفيـــريي *Duveyrier* فيما ذكره عنه بوعصبانة الذي أكّد أنّه يخشى الخوض في التأريخ لمبدأ ورقلة كمدينة صحراوية، اكتفى بالتأكيد على أهميتها باعتبارها من بين أقدم المدن الصحراوية وأنه من غير الممكن أن نحدد دراستها مدققا[3]، وقد يكون هذا الرأي أقرب إلى إمكانية تقبّله، خاصة مع انعدام الوثائق التي تجعلنا أقرب للحقيقة.

زيادة على ذلك تذكر بعض المصادر التاريخية التي توصلنا إليها، انه في الثمانينات من القرن العشرين تم اكتشاف العديد من الأدوات والأسلحة، ورؤوس السهام تعوذ للعصر الحجري القديم *le Paléolithique* في حوض عرق التوارق[4]، وحدد عمر هذه الأدوات ما بين 200 ألف و100 ألف سنة قبل الميلاد،أضف إلى ذلك تم اكتشاف مجموعة

---

[1] G.Camps, **Les civilisation préhistoriques de l'Afrique du nord et du sahara** ,éd doin , paris,1974,pp299.
voir aussi :
-G.Aumassip, **néolithique sans poterie de la région de L'Oued Mya (Bas-Sahara)**,Alger,1973,p63.
- F.Marmier et G.Trecolle, « **Etude de l'industrie du Gisement d'hassi-Mouillah »,** Libyca,t XIX,1971,pp 53-47.
[2] G.Aumassip,Op.Cit,p10.

[3] بوعصبانة ،المرجع السابق، ص 11.

[4] هذا الحوض على بعد 20 كلم من جنوب مدينة ورقلة.

كبيرة من الأدوات الحجرية تعود إلى العصر الحجري الحديث *Le Néolithique* ،والعصر الحجري الأخــــير *L'Epipaléolithique* في كل من حوض الحمراية، وبرج ملالة وحاسي مويلح يتراوح عمرها ما بين 3750 و2400 سنة، هذا بالإضافة إلى أدوات حجرية أخرى اكتشفت في برج ملالة يتراوح عمرها بين 3750 و 2400 سنة وأدوات أخرى اكتشفت في الحقل المسمى الكثبان *Les dunes* أو (القنيفيدة)، يناهز عمرها 5400 سنة.[1]

وفيما يخص التواجد الروماني بورقلة، فالمصادر التي استطعنا الوصول إليها لا تقدم ما يحقق جانبا كبيرا من المعرفة بعلاقة الورقلين بالرومان، بل إن نقص الشواهد المادية يجرنا إلى حقيقة مفادها عدم وجود علاقة أصلا بين الطرفين، وحتى اسم ورقلة لا اثر له عند الكتاب اليونانين او الرومانيين[2]، وهنا تجدر الإشارة إلى أن العلاقة بين الرومان والأقاليم الصحراوية كانت على أساس عمل عسكري تمثل في إقامة الحصون المشرفة على المسارات الرئيسية بين مناطق التردد البشري وخاصة بين الصحراء والتل الجامع لسيطرهم.[3]

طبعا الأكيد وراء هذا العمل العسكري هو أن مناطق الصحراء أصبحت تمدد وتؤرق الجيش الروماني في الشمال،وها لكون الصحراء كانت امتدادا للمقاومة في الشمال وقاعدة خلفية لجمع أنصار جدد و لم الشمل من جديد، ونشر الوعي الوطني، بل وتواصل هذا التهديد حتى العهد الاستعماري الفرنسي ابتداءً من منتصف القرن التاسع عشر والقرن العشرين الميلاديين، حينما اتخذ الشريف بوشوشة وناصر بن شهرة ومحمد بن عبد الله الجنوب الجزائري مجالا للمقاومة الشعبية، وهذا ما يؤكد على الصحراء الجزائرية مثلت عمقا ثوريا يلتجئ إليه المقاومون كلما فشلت ثورتهم في الشمال.

---

[1] G.Aumassip,Op.Cit,pp 7-9

[2] M.R.Brigol , Op.Cit. p 09.

[3] محمد البشير شنيتي،« التوسع الروماني نحو الجنوب الجزائري وآثاره الاقتصادية والاجتماعية »، **الأصالة**، وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية، الجزائر، ع 41، 1977، ص 23

وما جاء بالإفادة في تواجد الرومان بورقلة هو تقرير مصلحة الشؤون العربية للولاية العامة سنة 1885م : " أن الرومان قد وصلوا إلى ورقلة لكنهم لم يستقروا بها، ويفتـــرض أن قادة المنطقة كانوا يعينون من طرفهم مقابل قيمة ما، وقد بقيت الأمور على هاته الحال إلى غاية القرن الثاني للميلاد حيث تخلصت ورقلة من الهيمنة الرومانية، منتهزة بذلك المواجهات التي كانت تعتـــرض روما من بربر الشمال".[1]وهي ذات الإشارة أكدها العوامر في قوله: " استولى الرومان حينا من الزمن في عهد وجوده بالشمال الإفريقي، وعلى اثر حروب متتالية بين الغزاة والبربر اجبر الرومان على الانسحاب من المنطقة وتركها لأصحابه".[2]

من جهة أخرى أكدت م. روفيلوازM. Rouvillois أن ورقلة كانت لها علاقة تجارية مع النومذيين، وهناك العديد من العملات النقدية الرومانية وجدت بهذا المنطقة تؤكد هذه التبادلات التجارية،وتذهب في قولها أيضا من المستحيل جدا أن يكونوا الرومان قد تجاوز هذه المنطقة التي تقع شمال غدامس التي كان يستقر فيها التجار الرومانيين،زيادة على ذلك احتملت م. روفيلواز بريقول M.R.Brigol أن ورقلة كانت معروفة عند الرومان غير أن اسمها آنذاك لا يُسمح بمعرفته وذلك لغياب وصف دقيق.[3]

أما التأثير الفينيقي على ورقلة، فقد كان في إطار تأثير الحضارة الفينيقية على حوض البحر الأبيض المتوسط، خاصة مع نهاية القرن الحادي عشر قبل الميلاد، حيث برزت منطقة ورقلة كنقطة عبور للقوافل التجارية بين ممالك ما قبل التاريخ مثل قرطاجة ونوميديا ،والأقاليم الصحراوية خاصة عبر الطريق الصحراوي الرابط بين قايس وقرطاجة وصولا إلى طبنة.[4]وإذا ما حاولنا التسليم بهذه الدلالات بعيدا عن الخوض في بعض جوانبها التفصيلية فهي توحي بوجود نوع من الحياة الاقتصادية تكون قد عرفتها ورقلة خلال العهد الفينيقي، زيادة على ذلك ما يؤكد التأثير الفينيقي على المنطقة وجود بعض

---

[1] Gouvernement Général de L'Agérie , « **Notes…**,Op.Cit,p381-445.

[2] العوامر، المصدر السابق ، ص35.

[3] M.R.Brigol , Op.Cit. pp10-11.

[4] محمد البشير شنيتي، المرجع السابق ، ص9.

الآثار ، حيث وجدت قطع نقود ذهبية قرطاجية في الطريق الرابط بين ورقلة والمنيعة[1]،بالإضافة إلى بعض الصور تحمل مشاهد عمرانية ذات دلالات على وجود نوع من التأثير خاصة بالحضارة القرطاجية في جوانبها العمرانية والدينية، وهذا ما تؤكده بعض روايات المجتمع المحلي بوجود أشكال من الزخرفة تعلوا أبواب المساكن التقليدية لها وجه الشبه بآلهة قرطاجنة المعروفة باسم "عشتروت" ، وقد أدخل عليه الورقليون بعد الفتح الإسلامي، رموزا إسلامية كالشهادتين، والبسملة، وبعض الآيات القرآنية.

ثانيا: ورقلة في الفترة الإسلامية

نظرا لندرة الوثائق والشواهد الأثرية الدالة على وصول الإسلام إلى منطقة ورقلة، جعلنا نكتشف عدة روايات تاريخية رغم محدوديتها تجمع كلها على أن ورقلة كان لها اتصال مبكر بالإسلام، في ذلك نجد صاحب غصن البان يؤكد أن وارجلان (ورقلة) كانت منذ فاتح القرن الثاني للميلاد وطن إسلامي[2]،وهو يتقاطع في الرأي مع جورج غيرستير*Georg Gurester* الذي أورد إشارة لمجيء فاتح قوي في القرن السابع أو الثامن للميلاد[3]،وليس واضحا إن كان المقصود هو الفاتح عقبة بن نافع الذي وصل إلى مناطق في عمق الصحراء كفزان وغدامس إلى غاية السوس الأقصى حسب الراويات التاريخية[4]، ولا ندري إن كان من السهل التسليم بأن الفاتح عقبة قد شق طريقه عبـــر ورقلة ليصل السوس الأقصى منطلقا من غدامس، أم أنه اتخذ مسلكا آخر؟ مع الوضع في عين الاعتبار أن ورقلة تمثل معبـــرا لغدامس الواقعة إلى الشرق منها، ومحاذية إلى حد ما لمنطقة السوس الأقصى في الجهة الغربية. فهل كان يعني وصول عقبة إلى هاته المناطق هو مواصلته المسير

---

[1] J . lethielliux ,Op . Cit ,p 9.

[2] أعزام ، المصدر السابق ، ص 03.

[3] غيرستير، المرجع السابق، ص148.

[4] عن حركة عقبة ينظر البلاذري ،**البلدان**..، المصدر السابق ،ص ص:262- 295.

باتجاه الغرب؟[1] ، وأياً تكن الإجابة فان أهالي ورقلة قد اعتنقوا الإسلام عندما حمل الفاتحون الأوائل مشعل الهداية إلى المغرب الأوسط في أواسط خير القرون[2].

وعلى الرغم من عرض هاته الروايات إلا أن غياب الشواهد يقلل من مصداقيتها، لكن ما هو اقرب إلى التأكيد بحسب أكثـــر من رواية تاريخية ، هو أن المناطق الصحراوية لم تكن بعيدة عن المؤثرات الحضارية، وبخاصة حواف الصحراء التي تعتبـــر ورقلة واقعة ضمنها بحكم قربها من المناطق الشمالية واتصالها المباشر بها خلال فتـــرات تاريخية مختلفة، وما توافرت عليه من قوة دفع بها لا تملك مراكز حضارة قديمة ساعدت على نشر الإسلام بالمنطقة.

أما واقع الحركة المذهبية بورقلة فقد عرفت المنطقة عقب الفتح الإسلام انتشار المذهب المالكي،خاصة وان هذا المذهب كان يعد الأكثـــر انتشارا لدى سكان المغرب الإسلامي،ولقد كان عام 440هـــ/1048م العام الذي تم فيه الانتصار الكامل لمذهب المالكية في المغرب الإسلامي[3]، إلا انه وفي إطار قيام دويلات إسلامية في بلاد المغرب عرفت ورقلة انتشار المذهب الإباضي عقب سقوط تيهرت عاصمة الدولة الرستمية عام 296هـــ/908م وتحرك الإباضيين باتجاه ورقلة ليتخذوا من مدينة سدراتة[4] مقرا لهم،

---

[1] موريس لومبارد، المرجع السابق، ص 87.

[2] علي يحي معمر، **الإباضية في الجزائر** ، الجزائر ،المطبعة العربية(غرداية)، 1986، ص 393.

[3] بروفنسال ليفي، **الإسلام في المغرب والأندلس،** تر: محمود عبد العزيز سالم، محمد صلاح الدين صلحي،القاهرة، مؤسسة شباب الجامعة ،1990ص 249.

[4] بعد سقوط الدولة الرستمية(296هـــ/908م) أخذ الإباضيون يتخيّرون لأنفسهم مركزا يأوون إليه، فنزلوا مدينة بني وارجلان وهناك على بعد أربعة عشر كيلومتر جنوبا، أخذوا في تخطيط عاصمتهم سدراته، وهي المعروفة عند البربر باسدراتن. وقد وصفها النوري بأنها كانت: «عروسة الصحراء تزخر بالعلوم والفنون والصناعات والعمران ونبع فيها علماء فطاحل » ينظر: البلاذري ، المصدر السابق،ص 271. النوري، المرجع السابق، ج2 ،ص 107.

وحسب عالمة الآثار السويسريّة مرغريت فان برشم *Margaret fan Berchem*، فإن سدراته قد امتدت طولا على مسافة ميل واحد، وعرضا على نصف ميل، لكنها تضمّنت ما يوحي بأنها تحاكي كبريات المدن. بما اشتملت عليه من أسوار وقلاع ومساكن ودروب وأزقّة وحارات ومنظومة ري دقيقة غاية في البراعة والإبداع

ومنها كان الانتشار للمذهب الإباضي. ولقد ترك هذا الأخيـــر بصمات واضحة على منطقة ورقلة خاصة من الناحية العمرانية والاجتماعية كنظام حلقة العزابة[1] ،إذ يذكر صاحب غصن البان قائلا: " إن هذه البلاد من سنة 101 إلى سنة 450 هــ عامرة بالإباضية كما قدمنا ولا اختلاط لهم مع الأجناس الأخرى ،وشؤونهم بأيديهم وكل واحد رئيس على عائلته ومنكب على أشغاله ومهماته والرياسة العليا بيد حلقة العزابة

بالجامع الكبيـــر في كل مدينة وإن نزلت بهم مسالة عويصة اجتمع لحلها العلماء العظام من جميع القرى، فيفصلونها على مقتضى الكتاب والسنة وآثار السلف ولا يؤدون على أملاكهم وديارهم وأنفسهم أي ضريبة لدولة إلا الزكاة "[2]، وأيضا من الناحية الاقتصادية، حيث بقي الإباضيون يسيطرون على الطريق التجاري بين ورقلة وقفصة إلى غاية القرن العاشر هجري بالرغم من حصار الفاطميين لهم في مناطق أخرى.

والملاحظ أن التركيبة الاجتماعية لسكان ورقلة أثرت على الحركة المذهبية وجعلتها تدخل في صراعات طائفية خاصة بين المالكية والإباضية، ومنها نجد ما ذكره أبو عبد الله اللواتي في مجلس محمد بن عصمة: " حتى تذاكر الفقهاء وذكروا أبا حنيفة، فقلت أليس قد قال مالك أبو حنيفة شيطان قذفه اليمن أبو حنيفة أضل لهذه الأمة من شيطان رجيم.. فلما قلت لهم ذلك.. دهشو..فقلت له: لم اقل من عندي شيئا، إنما قول قاله مالك..".[3]

وزخارف تؤكّد حسن الذوق الفنّي الرفيع لساكني هذه المدينة. ينظر: غير ستر، المرجع السابق، ص-ص 148-149.

[1] يعود تأسيسها إلى الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي(ت440هــ/) مطلع (5هــ/11م) بمنطقة تنسلي (بلدة عمر حاليا) جنوب ورقلة للقضاء على الفتن والاضطرابات التي ألمت بالقرية، وهي عبارة عن هيئة تربوية اجتماعية بعيدة كل البعد عن السلطة والسياسة، هدفها نشر الإسلام وإدارة شؤون القرية وتنظيم العلاقات الاجتماعية على أسس شرعية، وإصلاح ذات البين، وقد عرفها الدرجيني على أنها : « لقبا لكل من لازم الطريق وطلب العلم، وسير أهل الخير وحافظ عليها وعمل بها »، ينظر : الدرجيني، المصدر السابق، ج 2، ص 4

[2] أعزام ، المصدر السابق ، ص 27.

[3] الدرجيني ،المصدر السابق، ص 472.

ما تجدر الإشارة إليه هو أن ورقلة شهدت في عهد الدولة الرستمية ثورة أبو يزيد مخلد بن كيداد الزناتي[1] الملقب بصاحب الحمار سنة 316هـ/927م ،وقد حاول من خلال هذه الثورة إحياء الإمامة واستعادة الحكم الذي آل للعبيديين على الرغم من أن ورقلة لم تكن منطلق الثورة إلا أنها لعبت دورا رياديا على اعتبار هاته الثورة ارتباط بالمذهب الإباضي المنتشر في ورقلة، ولقد جسدت حركة أبو يزيد المروق عن السلطان القائم، وهدفت ربما لمحاولة إقامة كيان مستقل، ومستندة في غالب ذلك إلى التباين المذهبي الذي كان متجليا. ولقد كان لوارجلان(ورقلة) إسهاما في هذه الثورة من عدة أوجه،[2] مما أكد وثوق الصلة بها.ومع ذلك لم يستطع مخلد بن كداد تحقيق هدفه لأن المنية عاجلته سنة 335هـ/947م حسب رأي ابن خلدون.[3]

وفي عهد العبيديين (الفاطميين): لم يول العبيديون اهتماما كبيرا لورقلة، فقد اكتفوا بالهجوم عليها بعد أن هاجر إليها الإمام يعقوب بن أفلح، وكان هجوما خاطفاً تحدثت عنه المصادر الإباضية، فقد جاء في سير أبي زكريا[4] : "إن عبيد الله انتخب من عسكره أولي القوة والعدة والسلاح الشائك، فجعل عليهم عاملاً وأنفذهم إلى ورجلان، وقد سمع أهل ورجلان بإقباله فتوجهوا إلى قارة كريمة[5] وهي كدية عظيمة لا ترام، فطلعوها، فحفروا فيها مواجل للماء فملؤوها فلما وصل إليهم، حاصرهم أشد الحصار وذكر أصحابنا أنه طوق عليهم سبعة أطواق من خيل فأراد الإقامة عليهم حتى يموتوا عطشاً، فلما رأوا ذلك أرتابت نفوسهم، وفيهم رجل يهودي فأشار بجمال فزمّت

[1] هو مخلد بن كيداد بن سعيد الله بن مغيث بن كرمان بن مخلد بن عثمان بن وريمت بن تبقراسن بن سميدار بن يفرن ،ولد بقسطيلية ، نشا وتربى بتوزر،ويعتبر ثائر من زعماء الإباضية وأئمتهم، بربري الأصل، كان يغلب عليه الزهد و التقشف، ينظر: ابن عذاري المراكشي،**البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح :كولان، ليفي بروفنسال، دار الثقافة، لبنان، (د،ط)، 1980، ج 1، ص 216

[2] عمار غرايسة، المرجع السابق ، ص72.

[3] ابن خلدون ، المصدر السابق ،ج9، ص17.

[4] يحي بن بكر أبو زكرياء ،**سير الأيمة وأخبارهم**،تح: إسماعيل العربي،الجزائر،ش.و.ن.ت،ج1979،1، ص ص: 171- 172.

[5] كلمة وندالية معناها الجبل الصغير ومنها ((قورايا)) قرب بجاية

أفواهها فعطشها ثم أخذها فوقفها على حرف كريمة فجعل لهم في قصاع كبار زيتاً ،فإذا نظرت الجمال إلى ما في القصاع جعلت أفواهها في القصاع فمن رآها من أسفل كريمة حسب أنها تشرب. فإذا أعيتها أزمتها رفعت رؤوسها فنفضت الزيت عن مناخرها، ومن بعد عنها حسب أنها تشرب. وبلغنا أنهم أخذوا كسوة فرشوها بزيت فنشروها على حرف كريمة، فلما رأوها قالوا إن مع القوم ماء ونحن محاصروهم ليموتوا عطشاً، فتنحوا عنهم وقالوا لا مطمع لنا فيهم فارتحلوا عن أهل ورجلان فحرقوا المسجد الكبير لجنون بن يمريان.. فدخلوا ديارهم ففتشوها فوجدوا في دار أحد منهم بيضة نعامة مملوءة شعيراً فحملوها فلما وصلوا إلى رملة أزلفان (إيفران) لحقهم رجل من أهل ورجلان ممن أراد هلاكهم فأدرك بقية أهل العسكر فقال لهم: ما لكم تركتم أهل ورجلان وليس معهم ماء، وإنما جعلوا لكم الحيلة ".

ثم يقول أبو زكريا إن القوم قتلوا هذا المخبر قبل أن يصل خبره إلى قائدهم فيرجع بهم إلى احتلال ورقلة وهم لا يريدون ذلك، ويقال إن عبيد الله غضب على قائد عسكره لتركه ورجلان، فجاءه القائد برمح وضع على رأسه خبزة ورفعه إلى أعلا وقال هل يمكن أن يصله أحد؟ قيل لا، قال كذلك أهل ورقلة صعدوا على جبل لا نستطيع صعوده، ثم قال لسيده عبيدالله إنهم فقراء لا يملكون شيئاً وقدم بيضة النعامة التي فيها الشعير وقال هذه مطاميرهم.[1]

وفي عهد الدولة الحمادية، وبالتحديد في فترة حكم الناصر بن علناس تأكد رسميا تبعية ورقلة للحماديين حين قام الأميـــر الناصر سنة460هـــ/1067م بتعين واليا على ورقلة نجهل اسمه. وزيادة على ذلك وفي إطار الحروب الدائمة بين الحماديين وعرب بني هلال بعث الأميـــر جيوشه إلى ورقلة بقيادة ابنه المنصور وذلك لكسر التحالف الذي قام بين

[1] أبو زكرياء، المصدر السابق، ص ص: 171، 172

زناتة وعرب بني هلال، فهاجم المدينة وخربها سنة 468هـ/1075م[1]، وقفل راجعا بالغنائم والسبي.[2]

ويذكر ليتليو *lethielleux* عن هذا الهجوم بأن منطقة حوض وادي مية أصبحت ملجأ للفارين والمتذمرين، كما أن دخول الهلاليين إليها قد جعلها تميل إلى المشاكسة وانتهاج حياة الغزو من أجل المعيشة، فالهلاليون الذين فرضوا أنفسهم "كحماة" جدد للمنطقة، واحتكروا مهنة حراسة القوافل المتجهة للشمال، قد أحدثوا ما يستفز السلطة الحمادية من الاضطرابات، فكان لا بد من فرض السلم والهدوء لازدهار التجارة والفلاحة، خصوصاً وأن الحماديين فشلوا في توسيع نفوذهم نحو الغرب وأحيطوا بجيرانهم من الشرق.

بعد استتباب الأوضاع العسكرية في مواطن الزاب كون الأمير المنصور سنة 468هـ/1075م جيشاً ضم المتمردين التائبين والذواودة الراغبين في توطيد فلاحتهم بالموطن الجديد الذي هو الزيبان مع بسط سيطرتهم على واد ي ريغ[3] ووادي ميه.

---

[1] يوسف بن بكيرالحاج سعيد، **تاريخ بني ميزاب (دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية)**،غرداية ،المطبعة العربية ، 1992،ص26.

[2] ابن خلدون ، المصدر السابق، 356

[3] يعتبر وادي ريغ أحد المكونات الرئيسية للصحراء المنخفضة التي تضم مناطق الزيبان ووادي سوف ومنخفض ورقلة، فهو إقليم مستطيل الشكل طوله حوالي 160 كلم وعرضه يتراوح بين الثلاثين والأربعين كلم ، ويبدأ شمالا من عين الصفراء قرب بلدة أم الطيور، وينتهي جنوبا بقرية (القوق) قرب بلدة عمر جنوب تقرت،ويحد الإقليم من الشمال شط ملغيغ، ومن الجنوب ورقلة، ومن الشرق العرق الشرقي الكبير، ومن الغرب منحدر حصوي وهضبة وادي ميزاب[3]، ويحدد الإقليم بخط عرض 32.54 و34.09 شرقا ، ويبعد بـــ 618كلم عن الجزائر العاصمة، و161 كلم عن ورقلـــــة، و171 كلم عن حاسي مسعود، و95 كلم عن الــــــوادي، و220 كلم عن بسكـــرة. ينظر: رضوان شافو، **مقاومة منطقة تقرت وما جاورها للاستعمار الفرنسي 1854– 1875**، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر(مخطوط)،جامعة الجزائر، 2007، ص ص:14– 15.

تقدم هذا الجيش نحو وادي ريغ فسلب وأخذ الضرائب، ثم وصل إلى الحجيرة[1] المواصلة لنقوسة وقد كانت انقوسة في حالة حرب داخلية بين القبائل سميت بواقعة ((حيمة)) ، وبما أن الإباضيين كانوا أول من علم بقدوم جيوش القلعة فقد غادروا الحوض وتمكنت القوة الزاحفة من مباغتة السكان الآمنين فلم يتمكنوا من التحصّن بقارة كريمة ولا من تنظيم المقاومة والدفاع ' فكان القتل والتدمير والنهب في كل مكان، قتل الناس جماعات بجذوع النخيل. وقطعت النخيل وردمت الآبار والعيون واستمر ذلك من جيش المنصور مدة 33 يوماً، تهدم الديار وترمى الحجارة والأخشاب في عيون الماء، ومنها (عين الصفاء) التي استعصت لقوة دفع الماء ولكنهم تعنتوا وواصلوا ردمها بأطنان من الحجارة والأخشاب والتربة التي كان يحملها المعتقلون والأسرى تحت جلد السياط. فتم الخراب لأول مرة في حوض وادي مية خراباً منظماً بدافع الانتقام من زناتة وبعض الأعراب من الهلاليين ورجع الجيش المهاجم بالغنائم والأسرى ،ولكنه ترك حاكماً لم تذكر كتب التاريخ ولا الوثائق المحلية اسمه ولا مدة بقائه ولا مكان إقامته، فبقي لحراسة من تبقى من السكان ولكي يعاود حركة التجارة ويضمن طريق السودان والاتصال مع بجاية والقلعة، ليزداد تدفق الذهب والعبيد من الجنوب، ويزداد تدفق السلع الأخرى نحو الجنوب إلى السودان.[2]

أما في الجنوب فقد توسعت دولة المرابطين إلى فزان جنوب ليبيا. ويقال إن حدودها بلغت السودان، غير أن أيامهم لم تطل بهذا الوطن، إذ لم تدم فيه سوى 62 عاماً.[3] ويبقى السؤال عن وضع ورقلة السياسي أيام هذه الدولة التي وحدت المغرب وأنقذت الأندلس من حكم ملوك الطوائف ومدت في عمر الإسلام أربعة قرون أخرى بعد أن كاد يضيع بنزاعات الحكام فيما بينهم.،ليس لدينا ما يؤكد أو ينفي قيام علاقة سياسية بين حوض

---

[1] هي مدينة تقع جنوب تقـــرت وتبعد عنها بحوالي 100 كلم ، وقد تعددت الروايات حول أصل تسميتها بهذا الاسم ، وأرجحها إلى الصواب هو أن قصرها القديم الذي بني على ربوة عالية يلوح في الأفق وعلى مسافات بعيدة ، حيث يظهر للرائي وكأنه حجرة صغيرة ، وتصغيرا لهذه الكلمة أطلق اسم كلمة " **الحجيرة**".

[2] J.lethielliux ,Op.Cit ,pp 85-86.

[3] Ibid ,p 306.

وادي مية ودولة المرابطين، غير أن الوثائق توحي بأن المنطقة دخلت لفترة قصيرة تحت حكم المرابطين بالتبعية.[1]

وفي عهد الدولة الموحدية فأهم ما ميـــز ورقلة هو حملة يحي بن إسحاق الميورقي المرابطي المعروف بابن غانية سنة 672هـــ/1274م[2] ، والذي كان يخوض صراعا مع الموحدين، ولعل حملته على ورقلة جاءت كنوع من الانتقام المتعدد الجوانب.

أما عن وضع ورقلة فتضطرب المصادر في تعيين الحدود الجنوبية للموحدين. فيقال أن بلاد الجريد هي أقصى ما وصلت إليه وأنها لم تتجاوز جبال نفوسة جنوباً، ويبدو أن قفصة كانت النهاية الجنوبية[3]، ولكن من الناحية العملية فإن ورقلة قد شهدت ازدهاراً اقتصاديا، إذ يذكر عز الدين أحمد موسى قائلا : " وفي بداية العصر الموحدي بدأت كفة "وركلان" ترجح إذ كان تجار "وركلان" مع أهل الواحات يتاجرون بين السودان ومصر وحدود المغرب الشرقية بل إن تجارهم كانوا يصلون إلى درعة، وسجلماسة، ونول، ولمطة ويبدو أن "وركلان" أصبحت أهم مركز للتجارة مع السودان في نهاية القرن السادس نتيجة لموقف الموحدين من صنهاجة الصحراء وتبدل خطوط التجارة نحو الشرق وغدا الدينار "الوركلاني" ذا شهرة واسعة بفضل ذهب السودان ".[4]كما شهدت ورقلة أيضا نهضة علمية خلال عهد الموحدين الذي اتسم بالحركة الفكرية ونشر الثقافة.[5]

---

[1] عمار غرايسة، المرجع السابق، ص 82

[2] يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق ، ص26.

[3] عز الدين أحمد موسى ،**النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي** ،دار الشروق،ط1983،1،ص ص:41،42

[4] عز الدين أحمد موسى-، المرجع السابق ،ص 288

[5] المرجع نفسه ، ص 288

وابتداءً من القرن الثالث عشر خضعت ورقلة للحفصيين عن طريق أسرة بني مزني[1] التي استقرت بإقليم الزاب وأسسوا إمارة شملت جغرافيا المسيلة ونقاوس شمالا إلى ورقلة جنوبا ومن الدوسن غربا إلى بادس شرقا.[2] وقد زارها الأمـــير الحفصي أبو زكريا لما استقل بالحكم، وفي ذلك يقول ابن خلدون :" لما استقل الأميـــر أبو زكريا بافريقية وخلع طاعة بني عبد المؤمن، صرف عزمه أولا إلى مدافعة يحي بن غانية عن نواحي اماله، فشرده عن جهات طرابلس والزاب ووركلا. . واختط بوركلا المسجد لما نزل في أتباعه، وانزل بالأطراف عساكره وعماله لمنعها دونه ..." [3]، وهي ذات الإشارة عند دوني بيلي *Denys Pillet* .[4] وذكرت مادلين روفيلواز بيرقول *M.R.Brigol* أن السلطان الحفصي أعاد ترميم قصر ورقلة الذي حطمه ابن غانية والذي كان يتربع على مساحة ثلاثين هكتار.[5]

ولكن أبو زكريا لم يبق كثيراً إذ كان عليه متابعة بن غانية، متابعة استمرت أربع سنوات، و لم يلحق به حتى تمكن من العودة مرة أخرى إلى ورقلة ليعيث فيها خراباً هذه المرة في ورقلة ذاتها، فابن غانية لا يعرف غير التخريب حيثما حل.ففي سنة 631هـــ/1233م ظهر بغتة بورقلة وانتقم من أهلها جزاء استقبالهم لأبي زكريا فأطلق العنان لجيوشه المكونة من البربر والأعراب البدو لتنهب البلدة، فقد هدم الحصون التي بناها بنفسه وأجبر الناس على هدم بيوتهم وسور المدينة، وقتل العمال الضعفاء ثم غادر وترك المدينة تتخبط في الموت .. والبيوت الخاوية والنساء المنتهكة و لم تفرح المدينة إلا بخبر مقتله على ضفاف الشلف بعد سنة على يد الحفصيين.[6]وفي عهد أبو عمرو عثمان

---

[1] يعتبر بنو مزني من أشهر الأسر العربية التي هاجرت إلى بلاد المغرب الإسلامي أحلافا لقبائل بني هلال في القرن الخامس الهجري،واستقرت بإقليم الزاب خلال عصر الموحدين بقرية حناس إحدى قرى بسكرة.

[2] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 513

[3] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 337.

[4] دوني بيلي، المرجع السابق ،ص 15.

[5] M.R.Brigol , Op.Cit. p 67

[6] J.lethielliux ,Op . Cit ,p 126.

وأنظر أعزام، المصدر السابق،ص 44. غير انه يخلط بينها وبين هجوم الفاطميين سنة 909 م -296 هــ الذي تحصن فيه الناس بجبل كريمة.

بن محمد بن عزوز الحفصي الذي خرج إلى أهل تقرت وأغرمهم مالا ،وهدم سور البلد، ثم قدم عاملا على ورقلة واخذ منها مالا جليلا لإثراء خزانته، وقفل راجعا إلى تونس سنة 870هـــ/1465م.[1]

ثالثا:ورقلة العهد العثماني :

لا شك أن الصراع الجزائري الأسباني في العصر الحديث كان صراعا إقليميا بمسحة دينية، سعى من خلاله كل طرف إلى الانتصار لعقيدته وانتمائه الحضاري، فبعد سقوط غرناطة تخلصت أسبانيا من الحروب التي قادتها ضد مسلمي الأندلس طيلة قرون، واسترجعت قواها، تطلعت إلى نقل ميدان الحرب ضد المسلمين ولأول مرة من أرض الأندلس إلى أرض الجزائر وشمال إفريقيا،ويمكن اعتبار الهجوم الأسباني على مدينة دلس في سبتمبر 1502م، وإحراق المدينة وأسر 300 شخص من سكانها، أول حملة صليبية تتعرض لها السواحل الجزائرية في إطار ما عرف باسم "حروب الاسترداد"، مما دفع بأعيان مدينة الجزائر طلب النجدة من الدولة العثمانية في اطار الرسالة التي بعثوا بها إلى السلطان سليم الأول، وقد عرفت الجزائر بعد خضوعها لحكم الأخوين بابا عروج وخير الدين بربروس، وانضمامها طواعية إلى الخلافة العثمانية في سنة 1519م تاريخا جديدا حافلا بالانتصارات والمغامرات والسيطرة والقوّة والعظمة.[2]

وفيما يخص ورقلة وإلى جانب الفتـــرة الإسلامية، فإن قلة المصادر التي تطرقت لهذه المنطقة، جعلت من الصعوبة تصور ما كانت عليه ورقلة في الفترة العثمانية، واغلب ما يتوفر حول هذه الحقبة التاريخية اعتمد على أخبار الرحالة التي جاءت كمقتطفات دونوها في رحلاتهم ، كالعياشي والاغواطي والعدواني، وهي المصادر التي اعتمدها المؤرخون الأجانب في مراجعهم مثل : هايدو*Haydo*، وفيـــرو*CH.Féraud*، وبراكس*prax*،

---

[1] يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق ، ص67.

[2] حمادي عبد الله، «جزائر القرن السادس عشر من خلال وثائق بعض الأسرى الأسبان»، **مجلة المصادر**، ، م.و.د.ب.ح.و.ث.ا.ن 1954. ع 6، مارس 2002ص. 256.

ودوماس*Daumas* وغيرهم.وبالتالي فالحديث عن التأثير العثماني في ورقلة لا يخرج عن نطاق الحديث عن تاريخ الوجود العثماني في الجزائر مع إظهار خصوصية منطقة ورقلة.

وعليه فقد جاء في بعض المصادر التاريخية أن علاقة سكان ورقلة بالعثمانيين كانت ابتداءً من منتصف القرن السادس عشر للميلاد(16م)، وذلك من خلال الحملات العسكرية التأديبية التي اعتاد حكام الجزائر العثمانية ممارستها لبسط نفوذهم على الأقاليم الصحراوية والتي يمكن إجمالها فيما يلي :

1- حملة صالح رايس في أكتوبر 1552م على ارس جيش مجهز بمدفعين لفك الحصار، ومكون من 3000 من المشاة، و1000 من الفرسان، حيث قام بمحاصرة تقرت عاصمة وادي ريغ لثلاثة أيام إلى غاية الاستسلام، ثم توجه نحو ورقلة التي رفض حاكمها تقديم ضريبة لباشا الجزائر فوصلها بعد أربعة أيام من السير، حيث أخد من تجارها 200 ألف ريال، ومكث بالمدينة عشرة أيام ينتظر عودة حاكمها الذي فضل الانسحاب إلى نواحي القليعة مع أربعة آلاف فارس وكثير من الأهالي. أما المدينة ففتحت أبوابها وفيها أربعون تاجراً من الزنوج جاؤوا من السودان كالعادة لبيع العبيد، أخذ منهم 200.00 وزنة ذهب لقاء سلامتهم، وفرض على المدينة ضريبة سنوية من الذهب مع ثلاثين عبدا يتم شراؤهم وإرسالهم إلى الجزائرً، وعندما عاد سلطان ورقلة بعد رحيل صالح رايس التـــزم بهذه الضريبة دون معارضة.[1]

2- حملة يوسف باشا عام 1790م والتي ترتب عنها التزام في 29 نوفمبر من نفس السنة،بموجبه يتم دفع ضريبة سنوية للسلطة المركزية بالجزائر ، وتتلخص هذه الضريبة في مساهمة المنطقة بخمسة وأربعين فردا من رقيق السودان سنويا،يتوزعون كالتالي: يخص ورقلة 25 عبدا، وتقرت 16 عبدا، و و4 عبيد من تماسين[2]،وفي ذات السياق فقد تمت حملتين ضد تقرت، الأولى بقيادة صالح باي سنة 1771م، والثانية بقيادة احمد المملوك باي قسنطينة سنة 1818م، وسبب هاتين الحملتين هو التمرد المستمر لسلطة بني جلاب على السلطة المركزية ورفض التبعية لهم.

---

[1] J.lethielliux ,Op . Cit ,p 191

[2] Romey Alain, **Histoir, Mémoire et Societes, L'exemple de N'goussa : Oasis berbérophone du Sahara (Ouargla)**, L'Harmattan , Paris,1992, p65.

3- حملة قام بها فرحات بن مراد بطلب من شيخ انقوسة لذلك استثني من الضرائب وصار له الحق في أخذ 25 عبداً سنوياً من ورقلة.[1]

إلى جانب الحملات العسكرية فقد برزت مظاهر أخرى لعلاقة العثمانيين بسكان ورقلة خاصة في المجال الاقتصادي،وذلك من خلال عملية التبادل التجاري، بحكم الموقع الجغرافي لمنطقة ورقلة، حيث ظلت هذه الأخيـــرة ملتقى القوافل التجارية منذ القدم ،وعقدة المواصلات ومحطة للقوافل التي كانت تعبـــر الصحراء وتربط أقاليم الجنوب ببلاد العرب وجهات التل ،خاصة الطريق الرئيسي الرابط بين تفلالت وغدامس ، ويتفرع من ورقلة وتقرت إلى كل من غات وتماسين والقليعة والاغواط والزيبان.[2] زيادة عن طريق الذهب الذي كان يمر بورقلة وتقرت ويربط موانئ بلاد المغرب بالمدن الرئيسية للممالك السودان كغدامس وكانو وتمبوكتو.

إن المتأمل في الواقع الاقتصادي والاجتماعي لورقلة طيلة الحقبة العثمانية، فسيلاحظ نوعا من الاستقرار والازدهار، إلا أن المنطقة لم تستطع المحافظة على استقرارها وازدهارها بسبب دخولها منذ منتصف القرن السابع عشر للميلاد(17م) في صراعات محلية بين الأسر الحاكمة من جهة، وشيوخ العشائر البدوية من جهة ثانية، إلى غاية احتلالها من طرف الفرنسيين سنة 1854م، لتدخل ورقلة عهدا جديدا، عاشت من خلاله أبشع سياسة استعمارية في العصر الحديث.

خلاصة الفصل:

من خلال ما عرض سالفا يبدوا لنا أن ورقلة كمنطقة ذات موقع جغرافي استراتيجي جعلها محطة استقطاب لمجموعة من التجمعات البشرية من القديم، ومحل أطماع استعمارية منذ بداية العصور الحديثة خصوصا فترة الاستعمار الفرنسي، وهذا بسب ما

---

[1] J . lethielliux ,Op . Cit ,p 216

[2] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق ، ص83.

تملكه من ثروات طبيعية استهوت مختلف القبائل والأجناس التي سكنت المنطقة، فحسب الجغرافيين تقع هذه الأخيرة في قلب الصحراء المنخفضة المعروفة بمياهها الجوفية الارتوازية القريبة من السطح،وبالتحديد في الحوض الشرقي الكبير ،وكأنّ الطبيعة هيئتها لتكون ذات حيوية على أكثر من صعيد، هذا بالإضافة إلى المساحة الجغرافية التي تضمنتها منطقة ورقلة عبد العصور التاريخية جعلتها تلعب دورا كبيرا في مختلف الأحداث السياسية والاقتصادية التي شهدقما المنطقة خاصة في الفترة الإسلامية والفترة العثمانية،وجعلتها أيضا تحتل مكانه هامة بين مختلف المناطق الصحراوية.علاوة أن خيراقما الطبيعية ومواردها المائية كان لهما دورا كبير في الازدهار الاقتصادي الناتج عن النشاط التجاري والتطور العمراني لورقلة.وزيادة على ذلك أيضا أن إستراتيجية الموقع الجغرافي الممتاز أكسب المنطقة حصانة طبيعية أمنّت لها مقومات الوجود والاستمرار والاستقرار فترة من الزمن.

وفيما يتعلق بأصول التسمية، ورغم وجود تباين بين مختلف الروايات والإشارات الواردة في المصادر التاريخية أو الجغرافية، ومدى مطابقة هذه الروايات للحقائق الواقعية، فإنّ ما يكون اقرب إلى التأكيد هو وجود اختلافات في نطق الحروف،والى التقادم التاريخي المرافق لذلك وما يصاحبه من تحويرات في اللفظ ،وهذا إن دل على شي فإنما يدل على تعدد اللهجات واللغات في المنطقة،الأمر الذي جعل التسمية تشهد عدم الاستقرار في المصطلح،وعلى الرغم أن هذه الروايات والإشارات تبقى تحتاج إلى المزيد من الحقائق والإثباتات للوصول إلى نوع من الحقيقة.

زيادة على ذلك أكدت لنا معظم المصادر التاريخية والجغرافية على عراقة وقدم منطقة ورقلة مند العصور القديمة،لكونها كانت آهلة بالسكان الأوائل وهم القرمنتيون، لتعرف بعدها عبر فترات لاحقة،وحسب الظروف والتحولات الاجتماعية والاقتصادية تطورا سكانيا وعمرانيا نسجته مختلف الأجناس التي عمّرت المنطقة،وخلقت تواصلا اجتماعيا فيما بينها إلى غاية المنتصف الأول من القرن العشرين،ولذلك حاولنا في هذه الدراسة تناول أهم القبائل والقرى البارزة وذات حضور في عدد من الروايات والمصادر التاريخية.

وما هو مهم للإشارة وما تؤكده بعض الحقائق التاريخية أن منطقة ورقلة كانت تتمتع بنوع من الخصوصية والاستقلالية السياسية خاصة منذ استقرار القبائل البربرية والعربية بها، ويتجلى هذا أكثر في عهد الدولة الرستمية (777-908م)، وما كان يربطها بهذه الدولة من علاقات هو اعترافها بالتبعية الاسمية لها، غير انه بعد سقوط هذه الدولة سنة 908م فقدت منطقة ورقلة استقرارها واستقلالها نتيجة الحملات العسكرية ضدها للقضاء على جميع طموحاتها السياسية والعسكرية في المناطق الصحراوية،بداية بالفاطميين وإلى غاية الحملات التأديبية العثمانية والاحتلال الفرنسي سنة 1854م.

إلى هنا يبقى التساؤل القائم حول الموقف الذي اتخذه أهل ورقلة، ورد فعلهم إزاء الاستعمار الفرنسي الذي استهدفهم و هدد مصالحهم الحيوية، وكيف قاومت منطقة ورقلة هذا الاستعمار ؟هذا ما سنعرفه في الفصول اللاحقة.

الفصل الثاني
الاحتلال الفرنسي لمنطقة ورقلة

المبحث الأول
الأوضاع العامة للمنطقة قبل الاحتلال الفرنسي

المبحث الثاني
الغزو الفرنسي لمنطقة ورقلة ومراحله

المبحث الأول:الأوضاع العامة للمنطقة قبل الاحتلال الفرنسي

أولا – الحالة السياسية:

إن المتتبع للحالة السياسية في منطقة ورقلة وضواحيها عقب سقوط مدينة الجزائر في يد القوات الفرنسية بتاريخ 5 جويلية 1830م، سيلاحظ تلك الحروب والصراعات المحلية حول السلطة بين مختلف القبائل البدوية والأسر الحاكمة، وهذا من غير المستبعد أن الفرنسيين لعبوا دورا كبيـــرا في تغذية هذه الصراعات من خلال استخدام حكام المنطقة ، حتى تخلوا لهم الساحة، ويعملوا على تنفيذ مخططهم التوسعي للسيطرة على الصحراء الجزائرية، وقد تمثلت هذه الصراعات فيما يلي:

أ– الصراع بين مشيخة نقوسة وسلطنة ورقلة:

تعود البدايات الأولى لهذا الصراع إلى مطلع القرن الحادي عشر للميلاد(11م) حين استقرت أسرة بنـــي بابية بواحة نقوسة، هذه الأسرة التي تنتمي إلى العرق الزنجي حسب قول دوماس*Daumas*[1].كما تنتسب هذه الأسرة إلى الشيخ الولي الفاسي الذي حل بالمنطقة عام 1613م[2]،ولقد تعاقب على حكم مشيخة نقوسة خلال هذه الفتـــرة (1830-1851م) ثلاثة شيوخ وهم الشيخ الغالي، والشيخ الحاج احمد الثاني، والشيخ أبو حفص.[3]

أما سلطنة ورقلة فقد تعاقب على حكمتها عدة اسر محلية ابتداءً من أواخر القرن الثالث عشر الميلادي (13 م) ، حيث حكمت أسرة بنـــي أبي غبول سلطنة ورقلة ، واختار أهل ورقلة بعد سقوط سدراتة سنة 1283م رجلا من أسرة بني غبول النازحة من سدراتة ،والتي استوطنت حي بني وقين ، وعينوه سلطانا على ورقلة ، وهذا ما ذكره ابن خلدون في إشارة إلى سلطان ورقلة قائلا :" ...ويعرف رئيسه باسم السلطان، شهرة غيـــر نكيـــرة بينهم، ورياسته لهذه الأمصار مخصوصة ببني أبي غبول، ويزعمون أنهم من

---

[1] Daumas , Op.Cit , p 28

[2] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق ، ص88.

[3] Gouvernement Général de L'Algérie, « **Notes...** » , Op.Cit, pp394-395

بني واكيــــر(بني وقين) إحدى بيوت بني واركلا، وهو بذا العهد أبو بكر بن موسى بن سليمان من بني أبي غبول، ورياستهم متصلة في عمود هذا النسب".[1] ، وقد دام حكم هذه الأسرة بورقلة حوالي قرن من الزمن من (1283م- 1381م)، بعدها حكمت الأسرة الفيلالية بقيادة السلطان مولاي موسى الفيلالي[2] الذي حل بالمنطقة منذ مطلع القرن 16م ، الذي عمل على استتباب الأمن وتنظيم شؤون المدينة الاجتماعية والاقتصادية ، إلى أن وافته المنية مخلفا أربعة أبناء توارثوا السلطنة من بعده ، غيــــر انه في مطلع القرن السابع عشر الميلادي (17م) وقعت صراعات محلية بين الأحياء الثلاثة الكبـــرى بورقلة أدت إلى اغتيال السلطان سليمان بن مولاي موسى الفيلالي ، ودفعت بالعائلة الفيلالية إلى ترك السلطنة والفرار نحو اتجاه مجهول.[3]

بعدها جاءت أسرة علاهم (مغربية الأصل) التي حكمت سلطنة ورقلة أكثــــر من قرنين ونصف من الزمن منذ مطلع القرن السابع عشر الميلادي (17م)، حيث نصب سنة 1602م أول سلاطينها على ورقلة وهو مولاي علاهم،وهذا بعد أن تلاشت أسرة بنــــي أبي غبول، وقد أشارت بعض الدراسات التاريخية إلى أن الصراعات الطويلة بين مختلف التشكيلات الاجتماعية، وعدم توصلها إلى اتفاق حول سلطة موحدة هو الذي كان وراء استقدام مولاي علاهم من فاس[4] ، وهناك في فاس تمّ التفاوض بين الوفد وبين

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 107

[2] لم نعثر على تعريف لهذه الشخصية.

[3] Gouvernement Général de L'Agérie , « **Notes…** » , Op.Cit. p386

ينظر أيضا حسن الوزان ، المصدر السابق، ص10

[4] يذكر سليمان حكوم (باحث في التاريخ المحلي) في مخطوطه انه هناك مثل قديم كان سائرا يقول: "اللي ما تعلّم في فاس ولا زار مكناس إذا تعدّ من الناس ما يكون في الراس" أي من لم يتلق العلم في فاس و لم يزر مدينة مكنــــاس. ولو عد من خيار الناس، فإنه لا يوضع في مرتبة الرأس.هذا المعنى كان في وعي الناس ومن مسلمات النخبة في ذلك الزمن، لأن فاس كانت مدينة العلم تمثل ما يمثله الأزهر، وبلد الأشراف لأن الذي أسسها هو إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي كرم الله وجهه وفاطمة رضي الله عنــــها= ومكناس تمثل التصوف بما فيها من أولياء وخاصة سي محمد بن عيسى شيخ الطريقة العيساوية الجزوليــــة.ينظـــر: سليمان حكوم،وادي مية والقصور السبعة ، (مخطوط) ،ص 494

كبيـــر إحدى العائلات الشريفة المغمورة بفاس تنحدر من مولاي إدريس [1]،أب يفاوض عن أربعة أبناء رضي بإعطاء الوفد أصغرهم سناً اسمه: "مولاي علاهم" ولكن بثمن يوازي فكرة أهل فاس عن ورقلة بأنها مدينة الذهب السوداني، وكان الثمن مقدار " زوج وزنات من الذهب" ' بشرط أن لا يسكن ورقلة التي يوجد بها "التهم (حمى المستنقعات)، وأن يخصص له أربعون عبداً لخدمته ويخصص معاش له ولأسرته وعبيده،وقد استجيبت له كل الشروط بعد مدة من مكثه بالقليعة، اتضح أنه لا يمكن أن يحكم ورقلة من مسافة 370 كلم[2]، لذلك اتفق مع الجماعة على الانتقال إلى ورقلة، وخصصت له القصبة داخل الأسوار قبالة عين بوسحاق.[2] حيث يأتيه ماؤها عن طريق قناة ، وهي محصنة بها بستان من النخيل داخل السور المحيط بالقصبة[3].ووضع تحت تصرفه أربعون عبداً للخدمة والحراسة، وسلمت له قائمة بالمانحين الذين يعطونه التمور سنوياً واقتطعت له بساتين ولتصور كثرتها أعطي لها رقم أسطوري " أعطوه بساتين بعدد أيام السنة[4].

وقد ذكرت بعض المصادر التاريخية أسباب التجاء ورقلة إلى استقدام حاكم أجنبي ،إذ يذكر علي يحي : " فانقسم أهلها (أي ورقلة)ولكل داعية أتباع، ولكل قبيلة أشياع، واستطاع بنو سيسين أن ينتزعوا الحكم من بني واقين، ولم يتقبل ببني سيسين الأمر، فقد وقع بين أفراد العائلة نفسها نزاع وخصام نتج عنه فتن طويلة ذهبت فيها أموال وأرواح، وخشي أصحاب الحكم من بني سيسين أن يتغلب عليهم منافسوهم فينتزعون منهم مقاليد السلطة، فارتكبوا الخطأ الذي يرتكبه كل ضعيف يتمسك بالحكم رغما عن أهل وطنه. فالتجئوا إلى خارج ورقلة، وذهب منهم وفد إلى مراكش يدعو إليهم من يساندهم في موقفهم ويشدهم على كراسيهم، فجاءتهم هذه المساعدة ممن أخذ الحكم منهم ومن منافسيهم "[5]، وهو ما أكده ليتيليو *lethielliux* في قوله :" ورقلة تشتري سلطانا

---

[1] J.lethielliux ,Op .Cit ,p201

[2] Gouvernement Général de L'Algérie **, « Notes… »** , Op.Cit. p386

[3] J.lethielliux ,Op .Cit ,p202

[4] Ibid ,p203

[5] علي يحي معمر ، المرجع السابق،ص ص:406-407.

جديداً" [1]، وهي ذات الإشارة عند صاحب غصن البان في قوله : " بعد أن كانت الولاية بيد إباضية بني سيسين، وبعدما وقع بينهم من انشقاق والفتن ما تقشعر منه الجلود، ذهبت من أيديهم بأيديهم، وصارت بيد الأشراف(أسرة علاهم)" [2]،وعلى خلاف ما ذكرته بعض المصادر التاريخية أخرى، فإن صاحب غصن البان أرجع أول من تولى سلطنة ورقلة من أسرة علاهم هو مولاي عبد الغفار ابن مولاي محمد ابن مولاي علاهم سنة 1040م،وبقي في الحكم حوالي إثنة عشر سنة(12)،سار في أثنائها سيرة حسنة، بسط فيها الأمن والاستقرار، وكان لا يقدم على أمر حتى يأخذ مشورة أعيان البلاد، ثم جاء من بعده مولاي علاهم بن مولى محمد الذي حكم ورقلة مدة تسعة وعشرين سنة (29)، أحدث خلالها جملة من الإصلاحات إلى أن وافته المنية سنة 1081م [3]، ليأتي من بعده مجموعة من السلاطين تداولوا على السلطة بالحرب تارة، وبالسلم تارة أخرى منهم: (مولاي احمد، مولاي محمد، مولاي البكري، مولاي محمد مولاي البكري، مولاي احمد بن مولاي البكري) [4]، بينما المصادر الأجنبية تذكر انه قبيل الاحتلال الفرنسي لمنطقة ورقلة تعاقب على حكم هذه السلطنة سبع سلاطين وهم:مولاي الطيب، ومولاي دهبـــي، ومولاي علي، ومولاي سليمان، ومولاي مسعود، ومولاي عبد القادر. [5]

غيـــر أن صاحب غص البان يذكر أن مولاي عبد القادر كان سلطانا على ورقلة في عهد الشريف بشوشة، إذ يقول: " ولما استقر بشوشة بورجلان (ورقلة) وتمت له الولاية بها، أخذها عاصمة له وجدد الإمارة لمولاي عبد القادر" [6]،بينما السياق التاريخي للأحداث ينفي هذا القول ،كمان الدراسات الأجنبية والعربية لم تتطرق لا من قريب ولا من بعيد إلى هذا الأمر، ويبدوا أن صاحب غصن البان اختلطت عليه الأحداث، فأصبح يكتبها دون تمحيصها ومقارنتها بعضها البعض.

[1] J.lethielliux ,Op . Cit ,p201

[2] أعزام، المصدر السابق ، ص56

[3] المصدر نفسه ، ص 56

[4] نفسه ، ص ص: 54- 61.

[5] Gouvernement Général de L'Algérie **, « Notes… »** , Op.Cit. p388.

[6] أعزام، المصدر السابق ، ص71

وفي ظل الصراعات المحلية انقسمت التشكيلات الاجتماعية بالموالاة لإحدى الأسرتين، فنجد قبائل الشعانبة، والمخادمة ،وبني ثور، وبني سيسين تكتلوا مع أسرة علاّهم، بينما قبائل سعيد عتبة وبني وقين تحالفت مع أسرة بن بابية [1]، في حين بقي بني ابراهيم يتعايشون مع الظروف وفقا لمصالحهم.ولعل من اقوي أسباب الصراع بين الأسرتين، هو السلطة وحب الزعامة خاصة وأن بني بابية كانوا يرون أنفسهم بأنهم أحق من غيـــرهم في حكم المنطقة على أساس أنهم ينتسبون إلى حليمة السعدية مرضعة الرسول (ص).

وعلى الرغم من التفوق البشري والمادي والحضاري لسلطنة ورقلة إلا أنها فشلت في إخضاع أسرة بني بابية، وهذا يعود إلى أن هذه الأخيـــرة اعتمدت على سياسة قائمة على التدخل والتحرش بهدف إذكاء الصراع ضمن الكتلة المعادية من جهة، والاعتماد على المساندة والدعم الفرنسي، ناهيك عن دعم العثمانيين لهم مسبقا،الذين أكدوا لهم سلطتهم على المنطقة خاصة في مجال جمع الضرائب، مع العلم أن ورقلة كانت ملزمة بدفع خمسة وعشرين عبدا كضريبة سنوية للعثمانيين.[2]

وعليه فإن ابرز مظهر للصراع بين الأسرتين كان سنة 1830م حين امتنعت ورقلة عن دفع الضريبة السنوية لمشيخة نقوسة بالنيابة عن العثمانيين، فتحالفت أسرة بني بابية مع الجلالبة لإخضاع ورقلة، إلا أن هذا التحالف لم يحقق أي انتصار وذلك لحصانة مدينة ورقلة وعجز قوات الجلالبة عن اقتحام أسوراها.

وعلى خلفية الصراع الذي وقع بين أسرة علاّهم، استغل بني بابية هذا الصراع، خاصة وان ورقلة أصبحت تعيش فراغا سياسيا وبدون سلطان ، فسارع الشيخ الحاج احمد بن بابية سنة 1849م إلى إرسال ابنه الشيخ بوحفص رفقة عدة بن ساعد شيخ

---

[1] Blanchet.p**, L’Oasis et pays de Ouargla**, A.G,n° 9, 1900, p 155.

[2] CH.Féraud , Op.Cit, p271

قبيلة سعيد عتبة إلى السلطة الفرنسية محملين بالضرائب والإعلان عن مساعدتهم لاحتلال مدينة ورقلة ،وإخضاع القبائل المحيطة بها، والاعتراف بالسلطة الفرنسية مقابل منحه لقب الخليفة، وقد وافقت الإدارة الفرنسية على ذلك، وعينته خليفة على نقوسة في جويلية 1849م[1] ،ثم وضعت تحت تصرفه في 20 نوفمبر 1849م كتيبة تتكون من 200 فارس، هاجم بها ورقلة ، خاصة عندما وصلت الإمدادات الفرنسية من جبل عمور في نهاية شهر أفريل، وحاصرت مدينة ورقلة ، وخاطب الشيخ الحاج احمد بن بابية أهلها بصوت عالي وباحتقار قائلا :" نحن لا نريد السلطان الأسود الذي كتبنا له، وخاصة عندما ساند القوات الأجنبية"[2]،وقد بقي محاصرا المدينة طيلة إثنة عشرة يوما ، قطع فيها الاتصال بين الداخل والخارج، وقام بقطع الأشجار والنخيل المحاطة بالمدينة ،كل هذا من اجل فرض سلطته على المنطقة والاعتـــراف بها،إلا أن مدينة ورقلة بقيت صامدة في وجه أسرة بن بابية وحلفائها، هذا مع العلم أن الحاج احمد بن بابية تدعم مرة أخرى بإمدادات عسكرية فرنسية في شهر ديسمبر 1850م، ولكن للأسف أن الشيخ احمد وافته المنية في 19 جانفي 1851م في الطريق بعد معاناة لثلاثة أيام بمرض ضيق التنفس.[3]ووفقا لـــتقاليد الحكم وللحفاظ على مشيخة نفوسة تقرر تنصيب الابن البكر" أبو حفص" شيخا على نقوسة خلفا لوالده، والذي سار هذا الحاكم الجديد على نهج والده في محالفة الفرنسيين للقضاء على سلطنة ورقلة.[4]

ب- الصراع الداخلي بين أفراد أسرة بني بابية :

يعتبـــر الصراع على السلطة من أقوى الأسباب التي أدت إلى انشقاق أسرة بني بابية،وتعود البدايات الأولى لهذا الصراع حين قام احمد بدعم أولاد يوسف بالاستيلاء على الحكم، وإبعاد أبيه الحاج احمد بن بابية، ووقوف أخويه أبو حفص والطيب

[1] P.Passager, Op.Cit ,p103.
[2] Daumas , Op.Cit , p 34
[3] Ibid, pp32-34
[4] Ibid ,p34

بالتحالف مع عرش فطناسة والرحبات والشعانبة ضده، وإرجاع والدهما إلى الحكم من جديد سنة 1842م.[1]

لاشك أيضا أن وفاة الشيخ الحاج احمد بن بابية سنة 1851م، وتنصيب ابنه أبو حفص خلفا له، نتج عنه صراع على السلطة بين الإخوة الأعداء، بين أبو حفص وأخيه الطيب، الذي يمتاز بحيوية وطاقة كبـــيرة في تصريف الأمور، إلا أن صراعه مع أخيه جعله يراسل الحاكم العسكري المقيم بتيارت يشكو سوء المعاملة من أخيه أبو حفص، وقد سعت الإدارة الفرنسية للمصالحة بينهما إلا أنها فشلت في ذلك.[2]

هذا بالإضافة إلى الأسباب السالفة الذكر التي ساهمت في أضعاف قوة بني بابية وانشقاقها، هو تفرع قبيلة سعيد عتبة الموالية لبني بابية إلى ثلاثة فروع ، والتي دخلت هي الأخرى في صراعات دموية فيما بينها، نتج عنها اختلال في التوازن بين التحالفات العشائرية، وتعود بوادر هذا الاختلال منذ الأربعينات من القرن 19م، حيث برز على الساحة السياسية وضع جديد يتمثل في بروز تحالفات قبلية ضد بعضها البعض بهدف الاستحواذ على منابع المياه والسيطرة على المراعي.ومن هذه التحالفات، تحالف أولاد يوسف من قبائل سعيد عتبة مع المخادمة، والهجوم على إخوانهم من عرش الرحبات وفطناسة سنة 1843م، اللذين كانا موالين لقبائل الشعانبة وبني ثور، وانتهى هذا الصراع بعد عقد صلح بينهما.[3]

ومن جهة أخرى تغيـــرت الموازين من جديد وانفصلت المخادمة عن حلفائها السابقين، وانضمت إلى عدوها السابق من بني ثور والشعانبة، زيادة على ذلك ولتصفية المصالح بين مختلف القبائل البدوية تحالف عرش أولاد يوسف من جديد مع بني ثور ضد

[1] CH.Féraud , Op.Cit, p488
[2] Daumas , Op.Cit , p35
[3] CH.Féraud , Op.Cit, p488

المخادمة ،ودخلوا في حرب ضد الموالين للمخادمة ،وهما عرش فطناسة وعرش الرحبات، وأسفرت هذه الحرب على ستة عشرة (16) قتيل وخسارة ثلاثين(30) فرس. [1]

ج – إمارة بني جلاب وعلاقتها بسلطنة ورقلة :

تنتسب إمارة بني جلاب إلى مؤسسها الأول سليمان بن رجب المريني الزناتي الجلابي الذي قدم إلى منطقة وادي ريغ، وهم من بقايا الدولة المرينية بالمغرب الاوسط، وهناك أسس إمارته التي تسمت باسمه، ولقد أكد الرحالة فيــرو*Féraud* الذي زار المنطقة سنة 1871م ،أن الشيخ سليمان كان متوجها إلى مكة المكرمة لأداء مناسك الحج ، إلا انه عند وصوله إلى مدينة تقرت[2] في منتصف القرن السادس عشر الميلادي(16م) ، وجدها في حالة فوضى واضطرابات بين مختلف التشكيلات الاجتماعية الكائنة بالمنطقة وضواحيها، فطلب منه أهالي المنطقة الاستقرار بالمنطقة لاستتباب الأمن ،فنـــزل عند رغبتهم واستقر بها.[3]

وعليه فقد عمل الشيخ سليمان على تنظيم المدينة ، وكون مجلسا استشاريا، وجيشا نظاميا يصل عدده إلى 700 جندي من مختلف القبائل الصحراوية المجاورة، وربط علاقات اقتصادية وسياسية عدائية أحيانا، وودية أحيانا أخرى، وقد تعاقب على حكم هذه الإمارة حوالي ستة وثلاثون(36) سلطانا كان آخرهم السلطان سلمان بن علي

---

[1] CH.Féraud , Op.Cit, p488

[2] تقرت هذه المدينة تعرف أيضا باسم " البهجة"، وقصة تأسيسها حسب شارل فيرو *CH.Féraud* تعود إلى امرأة تسمى البهجة ، لشدة جمالها كانت تسكن تالة أو تقرت القديمة التي كان موقعها قرب النزلة ، وكانت تمارس البغاء ولما علم أهل تالة وأزعجهم ذلك ، قرروا طردها من تالة ، فقامت ببناء عشة بجريد النخيل في موقع خارج القرية في موضع تقرت الحالية ولحقها بعض الشباب ،ولما كان ولي صالح مارا بالمنطقة يدعى :(سيدي بوجملين) على ما تذكر الرواية ، ورفض سكان تالة استقباله ، فلجأ إلى عشة البهجة التي أكرمته وآوته ، ولما غادرها وضع يده على رأسها داعيا لها بأن تعمر عشتها وتصير عمرانا ، ومند ذلك الوقت تحولت عشة البهجة إلى دار من الطوب ، وكثرت بقربها المنازل حتى تحولت إلى مدينة وسميت " تقرت البهجة " . ينظر: رضوان شافو، المرجع السابق ، ص 16.

[3] CH.Féraud, Op.Cit ,PP 156-157

الجلابي، والذي في عهده سقطت الإمارة، وخضعت للاستعمار الفرنسي سنة 1854م.وقد امتدت سلطة هذه الإمارة إلى نفطة بتونس شرقا، وأولاد جلال غربا، أما فيما يخص سلطنة ورقلة فقد كانت مستقلة عنها، وغيـــر خاضعة لحكم الجلالبة ،وهذا ما أكده العياشي في رحلته قائلا: " ونزلنا تقرت وهي قاعدة وادي ريغ ومعسكر أمرائها أولاد جلاب...وسألوني عن قتال أهل ورقلا(ورقلة)، هل يحل لهم أم لا ؟ فقلت لهم إنهم ليسوا من أهل طاعتكم ولا ولاية لكم عليهم، فقالو: إنه يجب علينا تغييـــر المنكر وهذا منكر، فقلت: نعم . إلا أن من شرط المنكر أن لا يؤدي إلى منكر أعظم منه، فإنكم لا تصلوا إلى ذلك إلا بعد قتل مائتين من الناس كثيرة وان وصلتهم.."[1].

إلا أن العلاقة السياسية بين إمارة بني جلاب وسلطنة ورقلة برزت بعد سقوط مدينة الجزائر سنة 1830م، وكذا بعد اشتداد التنافس بين أسرة أولاد علاّهم الذين كانوا يحكمون سلطنة ورقلة، وأسرة بني بابية الذين كانوا يحكمون مشيخة نقوسة، وذلك حين امتنعت ورقلة عن دفع التزاماتها المعتادة إلى نقوسة،وقد ذكر العياشي أن أسرة بني بابية كانت خاضعة للجلالبة، إذ يقول: " مقوسا (أي انقوسة) من طاعة وادي ريغ لا من طاعة وارقلا"[2]، و قد اغتنمت أسرة بني بابية فرصة وصول السلطان ابراهيم بن محمد بن احمد الجلابي[3](1830-1831م) عند أسوار قصر نقوسة وبمساعدة أعراش السلمية وأولاد مولات،وأولاد السايح، وبمساعدة جيوش ورقلة، لحسم خلاف بينه وبين الشيخ الغالي بن بابية (1818-1842م)،وقد يكون سبب هذا الخلاف هو عدم دفع الضريبة السنوية لسلطان تقرت مقابل السماح لمشيخة نقوسة بالتسوق والتبادل التجاري،لكن الرياح تجري بما لا تشتهي السفن، فقد تفطن الشيخ الغالي بن بابية إلى هذا الاستغلال العسكري، وسوى خلافه مع الجلالبة بالصلح، والقضاء على جيوش ورقلة، ثم تحول

---

[1] العياشي، المصدر السابق ، ص49

[2] المصدر نفسه ، ص46

[3] حكم الإمارة لسنة واحدة وذلك بعدما تخلى عن الحكم مؤقتا للذهاب إلى الحج، فخلفه أخوه الأصغر علي بن محمد المعروف " علي الكبير"، وبعد عودته من الحج ، تعرض للقتل من طرف أخيه الذي سيطر على مقاليد الحكم ورفض التنازل عن العرش سنة 1831م.

الهجوم نحو أسور قصر ورقلة من اجل إعادة السلطان مولاي الذهبي إلى العرش بعدما أبعده عمه مولاي الطيب، إلا أن الهجوم فشل في اقتحام قصر ورقلة وذلك لحصانة أسوارها الدفاعية.[1]

وتجدر الإشارة إلى أن مشيخة نقوسة ذهبت بسياستها الرامية إلى التسلط على سلطنة ورقلة إلى درجة الخضوع للفرنسيين، بعدما اثبتوا ولاءهم الأعمى للسلطة العثمانية من اجل الإشراف والتأكيد على سلطتهم على المنطقة، وقد كانت تجمع الضرائب والإتاوات من الورقليين بالنيابة عن العثمانيين،وللعلم فإن السلطة العثمانية قد اتبعت هذه السياسة العدائية بين الاعراش والحكام المحليين لكونها وسيلة لفرض نفوذهم وإقرار سلطتهم على كامل المنطقة، وهي نفس السياسة التي اتبعها الفرنسيون بعد الاحتلال فيما بعد.

وفي إطار الخلافات الداخلية بين التجمعات السكانية بورقلة يذكر ليتيليو*lethielliux* قائلا: " استمرت الفتنة بعد رحيل أبناء الفيلالي وبدأت حرب الإشاعات، فشاع في بني إبراهيم أن بني ميزاب هم سبب البلاوي منذ غادروا سدراته ليستقروا بورقلة ،وأنهم على ضلال، واقتنع الناس شيئاً فشيئاً وزاد الطين بلة على الإباضيين تجاوزات معاونيهم وحلفائهم حميان ،واعتدآتهم وكراهة الناس لهم، وفعلت الدعاية المغرضة في بيئة مشحونة بالكراهية والحقد المتبادل، فحيكت مؤامرة للقضاء على الإباضيين ،وتقرر أن يقتل كل واحد جارهُ الإباضي. وفي اليوم المحدد للمؤامرة نفذ بنو إبراهيم بحماس فذبحوا من معهم، وهدموا حيهّم المجاور لعزي. ولكن بني سيسين نفذ بعضهم فقط،أما بني واقين فلم يفعلوا بل أغضبتهم المؤامرة فاستداروا على بني إبراهيم وطردوا المحرضين ورؤوس الفتنة من المدينة فالتجئوا إلى السلطان الثامن من أولاد بابية بانقوسة[2].طبعاً فرح السلطان ،واستقبلهم بحماس متمنياً أن يكونوا مساعدين محتملين في حالة حرب ضد خصومه وبقوا بانقوسة مدة ثلاثة أشهر' لكن هؤلاء لم يفقدوا إرادة عودة انتقامية لورقلة. ووجدوا انقوسة أضعف من أن تحقق لهم رغبتهم لأن حلفاءها الأقوياء سعيد عتبه في فترة

[1] Gouvernement Général de L'Algérie **, « Notes… »** , Op.Cit. p393
[2] J . lethielliux ,Op . Cit ,p194

رحلتهم إلى الشمال، فذهبوا إلى وادي ريغ ونزلوا عند أقربائهم بني إبراهيم القاطنين بتماسين وتحالفوا مع سلطان تقرت صديق أولاد بن بابية واغتنمها هو فرصة سانحة يوظفها ضد الإباضيين أعدائه المذهبيين. ودبرت المكيدة ودخلت فيها الوعود المغرية والمال. فتكونت حملة عسكرية يقودها سلطان تقرت ومرت بالحجيرة ،واستقبلت في انقوسة بحماس وتدعمت بمحاربين جدد تحت قيادة السلطان "الشيخ محمد" وكانت كلمة السّر"منصور المنتصر" ،وتواصوا أن الواحد منهم إذا لاقى أحدا صاح في وجهه منصور فإن أجابه منتصر وإلا قتله ،وكانت المعركة ضارية في الليل المظلم في الأول، ولكن المقاومة من الأسوار لم تقع لأن الأبواب فتحت وسقط موتى في الليل ،واستمرت إلى الصباح. فطلب المدافعون من بني سيسين وبني واقين الصلح ولكن قوبل بالرفض طلبهم، فهم من خانوا العهد وتقاعسوا عن تنفيذ المؤامرة، وتواصل القتال حتى قامت مفاوضات انتهت إلى انصياع المدافعين لمطالب المهاجمين وهي:

ـــ تعويض بني إبراهيم عن مصاريف الحملة كاملة

ـــ دفع ربع المداخيل لبني إبراهيم

ـــ أن لا يطالب الميزابيون بدّيات قتلاهم

وتحتم على بني إبراهيم دفع الهدايا التي وعدوا بها شيخ انقوسة وسلطان تقرت بعد أن تركت المدينة لنهب رجال بني جلاب الذين عادوا إلى انقوسة ليحتفلوا بالنصر المبين.[1]

ثانيا – الحالة الاقتصادية:

أ– الزراعة : لقد ذكرت المصادر التاريخية أن الحياة الاقتصادية بورقلة قبيل الاحتلال الفرنسي قد غلب عليها الطابع التجاري، وهذا طبعا دون إهمال الجانب الزراعي وبعض الصناعات المحلية التي كانت ضمن الأعمال اليومية لسكان المنطقة، واهم ما يميـــز المجتمع الورقلي في هذه الفتـــرة زراعة النخيل وزراعة بعض المنتجات المحلية المعاشية التي يخصصها الفلاح للاستهلاك العائلي، أو بيعها في أسواقه المحلية، وهذا ما أكده صاحب

---

[1] J . lethielliux ,Op . Cit ,p194

غصن البان: " وكانت حرفتهم الفلاحة بأنواعها"[1]، وهي زراعة محلية ذات مردود ضعيف من الناحية الاقتصادية، وقد كان اغلب سكان المنطقة يزرعون هذه المزروعات في مساكنهم وذلك في "ضيعات صغيرة"، كما كان الفلاح ينوع في مزروعاته حسب كل فصل من فصول السنة. ولاشك أن الاهتمام الأكبـــر للفلاح الورقلي هو النخلة باعتبارها الدعامة الأساسية للاقتصاد المحلي، وذلك لما توفره من إنتاج تجاري كبيع التمور وإنتاج صناعي كاستغلال مكونات النخلة (سعف الجريد، اللّيف، الكرناف، الجذوع) للصناعات المحلية.

هذا بالإضافة إلى توفر المياه الجوفية والآبار الارتوازية بالمنطقة ،وأيضا إلى الإمكانيات البسيطة التي تحتاجها النخلة سواء من ناحية علفها بالأسمدة، أو تلقيحها "بالدّكار"[2]، أو سهولة جني تمورها، إلى أن جاء الفرنسيون وطوروا زراعتها في أشكال هندسية، وادخلوا عليها تقنيات حديثة في صيانتها، سواء من جانب تقليمها أو معالجتها من الأمراض بالمواد الكيماوية، مما زاد من نوعية وكمية إنتاج التمور وخاصة نوع "الدقلة نور" التي أصبحت تصدر إلى فرنسا.

وحسب الفريد لوشوتلي *A.Le Chatelier*[3] فقد قدر نسبة توزيع أشجار النخيل في هذه الفترة الى40% يملكها الإباضيون، و40% يملكها العرب البدو، ولم يبقى للسكان الأصليين سوى 20% بعدما كانوا يملكون معظم نخيل المنطقة.زيادة إلى اهتمام الفلاح

---

[1] أعزام، المصدر السابق، ص 87.

[2] عبارة عن مجموعة ألياف ممزوجة ببدرة بيضاء على شكل دقيق، تلقح بها النخلة لتنتج ثمارا.

[3] الفريد لوشاتليه *A.Le Chatelier* من مواليد 1855م بباريس، اهتم بالحركة العسكرية منذ صغره، حيث درس في المدرسة العسكرية سان سير، وتخرج منها برتبة عقيد، تقلد عدة مسؤوليات عسكرية في عدة مناطق من الوطن منها: بوسعادة، ورقلة، غرداية، كما اهتم أيضا بالاستكشاف العلمي في الصحراء الجزائرية، حيث رافق بعثة العقيد فلاترس،وفي العقدين الأول والثاني من القرن العشرين اهتم بالدراسات الإسلامية والدراسات الاجتماعية، إذ أصبح أستاذا في(الكوليج دي فرانس)، وأسس البعثة المغربية بعد الاحتلال الفرنسي للمغرب، وأسس أيضا "مجلة العالم الإسلامي". ينظر: : أبو القاسم سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954** ،ج6،المرجع السابق ، ص ص74- 75.

الورقلي بزراعة القطن الأحمر من النوع السوداني خاصة في منطقة نقوسة، وقد كان يستغل هذا المحصول الزراعي في نسيج حايك نساء المنطقة.[1]

وعلى الرغم من الاهتمام الكبيـــر بزراعة النخيل إلا أن هذه الزراعة ضعفت وتدهورت وانخفض محصولها، وذلك بسب القطع والإهمال، وأصدق مثال على ذلك ما كان يفعله شيخ نقوسة الغالي بن بابية ضد سلطنة ورقلة، حيث كان يعمد إلى قطع نخيلها ويتعرض لقوافلها المتوجهة نحو منطقة وادي ميزاب، ولم ينتهي من ذلك إلا بعد حصوله على الإتاوات[2].زيادة على ذلك موت الكثيـــر من النخيل نتيجة إهمال مصادر المياه وعدم صيانتها، وذلك بسب الاضطرابات والفتن والتخريب الذي أصاب المنطقة، وتحول عدد كبيـــر من فلاحي المنطقة إلى مهنة الرعي، وقد استمر هذا الوضع إلى غاية استقرار الفرنسيين بالمنطقة سنة 1882م.

ب – التجارة : عُرفت ورقلة خلال الفتـــرة الإسلامية والعثمانية أنها نقطة وصل ذات أهمية بين بلاد السودان وبلدان المغرب ، وبالتالي فقد كانت محط رحال لكثيـــر من القوافل التجارية الوافدة من كل جهة،زيادة على ذلك كانت سوقا للتواصل الاجتماعي بين مختلف البلدان، خاصة لما كانت تمثله هذه الأسواق من أهمية اقتصادية كونها نقطة لتصريف وتامين المنتجات ومختلف الاحتياجات.[3]

وعلى ما يبدوا لنا أن ورقلة بواسطة موقعها الجغرافي، قد استطاعت أن تكتسي أهمية بالغة تظهر لنا من حين لآخر ما يربط بجانب من القوة التي استمدتها المدينة في تأكيدها قدرتها على إدارة شؤونها وتأمين احتياجاتها، بل أن تكون على مستوى من القدرة، على

---

[1] V.Largeau,Op.Cit, p59

[2] عبد الحميد زوزو،**محطات في تاريخ الجزائر(دراسات في الحركة الوطنية والثورة التحريرية على ضوء وثائق جديدة)**،الجزائر، دار هومة، 2004،ص93

[3] الوزان ، المصدر السابق ، ص 136،ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص 83-85

لعب أدوار بارزة تتصل بمصدر الحيوية والحركية الاقتصادية لعدد من الكيانات السياسية ذات الصلة بها، كما أن الحراك التجاري بين بلدان المغرب وبلاد السودان أعطى لسكان ورقلة خبرة في الممارسة التجارية خاصة في ظل العلاقات التجارية المميزة القائمة على كون ورقلة بوابة رئيسية للتجارة مع بلاد السودان، لكن قوة هذا النشاط التجاري سمح بوجود عناصر خارجية خاصة التجار الوافدين من قسنطينة، والذين ربما شكلوا أحد أهم حلقات التواصل والحراك التجاري على مستوى ورقلة وعلاقاتها الخارجية. زيادة على هذا أن الحركة التجارية جعلت من ورقلة كيانا سياسيا قائما بذاته له خصوصياته، حيث امتلكت بفضل التجارة الرائجة مع بلاد السودان عناصر القوة والمنعة، ولربما أصبحت مصدرا للخطر الذي يتهدد الكثيـــر من القوى السياسية الكائنة آنذاك كإمارة بني جلاب، ومشيخة نقوسة. ولعل هذا كان من الدوافع التي أوغرت صدور أسرة بني بابية بنقوسة للقضاء على سلطنة ورقلة.

ولاشك أن الطرق التجارية الصحراوية هي التي أعطت هذه المكانة الاقتصادية لورقلة، خاصة الطريق الرئيسي الذي يعرف بطريق الواحات والقصور، حيث ينطلق من تافلالت نحو غدامس، ويتفرع من ورقلة وتقرت إلى كل من غات وتماسين والقليعة والاغواط والزيبان. بالإضافة إلى طريق آخر لا يقل أهمية عن الطريق الذي سبق ذكره، وهو طريق الذهب الذي كان يمر على ورقلة وتقرت ويربط موانئ بلاد المغرب بالمدن الرئيسية بممالك السودان كغدامس وكانوا ، وتمبكتوا ، زيادة على ذلك فقد لعبت رحلات وتنقلات القبائل البدوية دورا كبيـــرا في تطور حركة التبادل التجاري، وذلك من خلال توفر بعض البضائع ، وتنوع السلع، وظهور ورقلة كمركز تجاري يستقطب نشاط المناطق الصحراوية الأخرى.

وفيما يخص حركة الصادرات والواردات، فإن ورقلة كان في مقدمة صادراتها ومنتجاتها :التمور بكل أنواعه، والملح، وفواكه الأشجار المثمرة بكل أنواعها مثل الرّمان والتين والمشمش ، إلى جانب علف الحيوانات، والشعير، والبشنة، وأيضا الخضر كالجزر والقرعة والبصل والثوم ،وبعض الصناعات كالمنسوجات...، بينما كانت ورقلة تستقدم

مختلف السلع والمنتجات لتنقلها فيما بعد إلى مختلف الاتجاهات، إذ كانت تنقل العبيد، وصفائح النحاس، وقطع الحديد، وأدوات مصنعة مثل :الإبر، براغي، بذور، فلفل اسود، أنياب الفيلة، جلود الحميـــر الوحشية، الجلود المطرزة.[1] واهم المناطق التجارية التي كانت تتعامل معها ورقلة نجد منطقة غدامس، ومنطقة بلاد التوارق (الطوارق)، ومنطقة تونس، أما العملة التي كانت متداولة في الأسواق آنذاك هي البوجو، والدور الاسبانية، والفرنك.[2]

غيـــر أن هذا الازدهار التجاري سرعان ما انطفأ ضوئه في أواخر العهد العثماني وبالخصوص قبيل الاحتلال الفرنسي لورقلة، فقد ضعف الحراك التجاري، الأمر الذي جعل التبادل التجاري لا يتجاوز نطاق العشائر البدوية المحلية، واختفت معظم منتجات السودان من الأسواق ،وهذا طبعا راجع إلى عدة أسباب نذكر منها:

- تحول المسالك التجارية عن منطقة ورقلة، وفقدان هذه الأخيـــــرة لطريق الذهب، وظهور طريق بحري جديد لنقل الذهب من خليج غينيا إلى البرتغال، زيادة على ظهور طريق صحراوي آخر من السودان إلى مصر.
- تراجع اهتمام السلطة العثمانية بالطرق الصحراوية التجارية، وعملية التبادل التجاري بها، وتحول اهتمامها إلى البحر الأبيض المتوسط.
- انتشار قطاع الطرق الذي أدى إلى تراجع عدد القوافل التجارية بورقلة، حيث أصبحت هذه الطرق غيـــر آمنة تسيطر عليها العصابات البدوية التي تتـــربص بالقوافل العابرة إلى ورقلة.
- كثـــرة الفتن والاضطرابات التي عرفتها بعض أقاليم السودان، واستحكام العداء بين حكام سلطنة ورقلة وبعض العشائر البدوية.

ج – الصناعة:لقد كان انتعاش الزراعة في ورقلة قبل الاحتلال الفرنسي دور كبيـــر في تفعيل حركة التصنيع،ولعل جذور هذه الحركة التصنيعية يمكن إرجاعها إلى العهد القديم،

---

[1] J.Lethelleux, Op ,Cit ,p166.
[2] Daumas , Op.Cit , p 86

حينما ارتبطت باكتشاف علماء الآثار بالقرب من ورقلة على بيض النعام، وهي مادة صالحة لتصنيع عدة أدوات خاصة بالحياة المعيشية للإنسان. والمتتبع لوتيرة حركة التصنيع بورقلة عبـــر العصور سيلاحظ أن التصنيع عرف تطورا تدريجيا في آليات التصنيع، وعلى الخصوص في العهد العثماني ، لكون أن هذه الفتـــرة شهدت علاقات تجارية بين ورقلة والسودان الغربي، حيث أمدت هذه الأخيـــــرة في إطار التبادل التجاري العديد من المواد الأولية خاصة بالصناعة مثل :الذهب الخام، ريش النعام، الجلود بأنواعها، إضافة إلى اليد العاملة الممثلة في العبيد.

وسبق القول إن النشاط الأول في ورقلة يتمثل في الزراعة، وعليه نجد معظم الأدوات المستعملة في الزراعة تؤكد لنا على وجود نوع من النشاط الصناعي لتوفير بعض الحاجيات مثل " الدلاء والقلل" وغيرها من الأوعية ، وهي منتجات تقليدية الصنع، إذ يعتمد في صناعتها على ما توفره الحيوانات من جلود، وما توفره التربة من مواد طينية.وعلى الرغم من طابع البساطة الذي عرفته الصناعة الورقلية، وفرضته الحاجة وطورته تجارب الورقليين،إلا أن الصناعة بلغت مستوى لابأس به من التطور، بل وتعدت الحدود الجغرافية لورقلة لتصل إلى أماكن بعيدة، فضلا عن الدور الفعال لهذه المصنوعات في المجتمع المحلي، إذ انتشرت محلات الحدادين والنجارين والخياطين،وكذا شركات صناعة الأسلحة و الأحذية، بالإضافة إلى صناعة الحلي التي اشتهر بها اليهود المستقرين بورقلة [1]،غيـــر انه ما يلفت انتباهنا هو اهتمام الورقليين بصناعة الأسلحة، والتي لم نرى لها أية إشارة في التبادلات التجارية بين البلدان المجاورة لورقلة،ويبدوا لنا أن تعرض ورقلة لكثيـــر من الحملات التأديبية العثمانية، واعتداءات بعض القبائل المعارضة لسلطنة ورقلة دفع هذه الأخيـــرة إلى الاهتمام بصناعة السلاح لتأمين أراضيها والتصدي للأخطار الخارجية، وهذا من شأنه الإفادة بوجود الحديد بورقلة أو قريبا منها، وانتشار استعمالاته، ولا يبدو ذلك مستبعدا في ظل استجلاب أهل ورقلة التبـــر الذي يضربونه

[1] Daumas , Op.Cit , p 86

في بلادهم مما يمنحهم الخبرة في تطويع المعادن التي رغم اختلاف طبيعتها تشترك في الحاجة الماسة إليها.

ومن أهم ركائز الصناعة الورقلية نجد النخلة ووبر وصوف مختلف الحيوانات، فالنخلة تعتبـــر العمود الفقري لمعيشة الفرد الورقلي، إذ هي مصدر قوته، فهو يصنع من مكوناها مختلف المصنوعات، فمن سعفها يصنع مختلف الأوعية الحاملة للرمل مثل" الزنبيل والقفة"، والحاملة للماء مثل" القنينة"،و"المظلة" الواقية من أشعة الشمس الحارة، كما يصنع بعض الأواني المنزلية مثل" الطبق، المشــرد".كما يتم استعمال الليف في صناعة الحبال ذات الأنواع المختلفة، والدروع لاستخدامها في عملية الحمل، زيادة على استخدام جذوع النخيل في بناء المنازل كأعمدة تحمي سقف المنـــزل من السقوط، وفيما يخص وبر وصوف الحيوانات فقد ظهرت الصناعة النسيجية والمتمثلة في صناعة الزرابي، والحوالي، والبـــرانيس والقشاشب، هذا بالإضافة إلى بعض الصناعات الجلدية مثل: الأحذية ،والقرب[1] والركوة[2]، والعمورة[3] وغيرها.

ثالثاً – الحالة الاجتماعية:

إذا كانت الحياة الاقتصادية قد عرفت ركودا وانكماشا،فقد انعكس ذلك حتميا على الحياة الاجتماعية في ورقلة، وذلك من خلال الصراعات القبلية[4] بين مختلف التشكيلات الاجتماعية الورقلية حول مواطن الكلاء والرعي والزراعة، ومنابع المياه، والتي أدت إلى

---

[1] القرب : مفردها قربة ،وهي مزود من جلد الماعز أو الإبل تستعمل لحمل الماء وحفظه وتبريده في فصل الصيف

[2] الركوة: هي علبة مصنوعة من جلد الماعز

[3] العمورة :وهي دلو مفتوح الفم مقام على عود مستدير

[4] لقد جاءت هذه الصراعات في السياق العام للصراعات القبلية التي عرفتها المناطق الصحراوية في أواخر العهـــد العثماني، فنجد في الجنوب القسنطيني بالصحراء كانت هناك ثلاث اسر تتقاسم النفوذ بهذه المنطقة وامتد تأثيرهـــا إلى غاية الجنوب الشرقي، وكانت كل أسرة تعمل على النيل من الأسرة المعادية، فقد كانت أسرة بن قانة ضـــد أسرة بوعكاز بمنطقة الزيبان، وبين شيوخ تقرت وشيوخ تماسين ،والبوازيد ضد أولاد نايل. وقبيلة طرود ضد قبيلة عدوان بوادي سوف، حتى أن الطرق الصوفية التي كانت منتشرة بالمنطقة لم تسلم من هذه الصراعات. للمزيـــد ينظر: أبو القاسم سعدالله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**،بيروت ، دار الغرب الإسلامي، ص ص11-12

نتائج عكسية كانت لصالح السلطة العثمانية والسلطة الاستعمارية الفرنسية فيما بعد.
واهم نتائج هذه الصراعات تشكل أحلاف قبلية برزت في شكل صفين وهما:
- الصف الغربي: الذي يضم قبائل الشعانبة والمخادمة وبني ثور، ويساندهم بنو سيسن المستقرين بقصر ورقلة.
- الصف الشرقي: ويضم قبيلة سعيد عتبة وأحلافهم من بنوا وقين (بنو وجين).

أما فيما يخص سكان بني ابراهيم فقد التزموا الحياد، و لم تكن مساندتهم لأحد الصفين السالفين الذكر إلا إذا اضطرتهم الظروف إلى ذلك، وحسب ما تقتضيه مصالحهم السياسية والاقتصادية.ونتيجة لهذا الانشقاق في الصفوف، وكثـــرة الحروب، فقد تقلص عدد السكان سنة 1842م إلى 9600 نسمة بعدما وصل سنة 1839م إلى أكثـــر من 26000 نسمة،كما لا نكاد نجد اختلافا كبيـــرا بين سنتي 1839م و1882م ،وترجع أسباب تقلص عدد السكان إلى كثـــرة عدد الوفيات نتيجة الحروب من جهة، والى هجرة بعض الورقليين إلى مناطق التل الجزائري، وتونس من جهة أخرى التي استمرت إلى غاية اندلاع الثورة التحريرية، فحسب دوني بيلي *Denys Pillet* قد هاجر حوالي 1500 من قصر ورقلة، و80 من قرية الشط،و14 من قرية لعجاجة، و5 من قرية سيد خويلد، ولقد استقر هؤلاء المهاجرين في القسم الجنوبي لمدينة تونس، ولفقرهم فقد اشتغلوا كخدام في البيوت والحمامات والمقاهي.[1] وأصدق مثال على ذلك الرسالة التي بعث بها احمد بن الحاج الورقلي إلى الوزير الأكبـــر بتونس مصطفى الكعاك، يطلب رخصة إعادة فتح مقهى كان يعمل فيه بعض الورقليين بعدما تم غلقها، ولأهمية هذه الرسالة نذكر نصها فيما يلي :

« وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

جناب الصدر الهمام العماد الأفخم أميـــر الأمراء سيدي مصطفى الكعاك المولى الوزير الأكبـــر أيده الله.أما بعد السلام الألف برفيع المقام.فالمعروض على السيادة انه توجد بالحاضرة بزنقة الورقلية عدد خمسة من نهج سوف لفة دار تعرف بدار الورقلية يسكنها

---

[1] دوني بيلي،المرجع السابق،ص 22.

فقراء الورقلية، وكانت بها مقهى برخصة رسمية، ثم وقع سحب الرخصة المذكورة من طرف السلطة ذات النظر منذ اثني عشر عاما تقريبا، وغلق القهوة المذكورة، وحيث أن ذلك مضر بالسكان القاطنين بالدار المذكورة، إذ هم بعدما كانوا يجتمعون هناك لتناول القهوة والشاي وقضاء أوقات الفراغ. أصبحوا مضطرين للتفرق بأماكن مختلفة، فالمرغوب صدور الإذن لإدارة مصالح الأمير بتجديد الرخصة المشار إليها باسمي، وبذلك يمكن لي الحصول على كمية من القهوة والتاي لاستهلاك ساكني الدار المذكورة. ولجنابكم أتم الشكر والامتنان مع مراسيم التعظيم والإجلال. من صاحب المطلب احمد بن الحاج بن محمد باش شاوش بالقسم الأول من الوزارة الكبرى. وكتب في 15 مارس 1948م.

احمد بن الحاج ».[1]

كما تجدر الإشارة هنا إلى أن قبيلة سعيد عتبة كانت من أقوى القبائل من ناحية القوة ، وهذا راجع إلى تفوق إمكانياتها الدفاعية مقارنة بالقبائل البدوية الأخرى، حيث قدر عدد قواتها بـــ 100 جواد، و500 بندقية.[2] زيادة على ذلك تمتين أواصر تحالفها مع قبيلتي الأرباع والحرازلة بجنوب التيطري، ومناصرة سلاطين ورقلة ضد أعدائهم.ولم تخف حدة هذه الصراعات إلا بعد استقرار النهائي للفرنسيين بالمنطقة عام 1882م، بعدما أصبح الخطر واحد يهدد كل القبائل المشكلة للمجتمع الورقلي.

وفيما يخص التطور السكاني لسكان ورقلة في هذه الفتـــرة فهو يفتقد إلى إحصائيات بسبب غياب السلطة الفعلية التي تهتم بهذا الجانب، وقد بدأت تظهر أولى هذه الإحصائيات إلا بعدما أصبحت ورقلة في اهتمامات المستكشفين الأوروبيين والفرنسيين بداية من العقد الثالث من القرن التاسع عشر،وهذا بهدف دراسة ومعرفة طبيعة السكان وتحديد إمكاناتهم وقدراتهم الحربية، زيادة على مراقبة تحركات القبائل البدوية قصد توظيفها لخدمة السياسة الاستعمارية في المنطقة، ولا نكاد نجد إحصائيات للسكان إلا في

---

[1] A.N.T .B 278.Document 73 N°42

[2] Daumas , Op.Cit , pp82-83

مصدرين هامين، أولهما: تقرير فرنسي يعود إلى سنة 1839م، والذي حدد عدد السكان بـــ 26.200 نسمة، منهم 12000 بدو رحل، و14200 مستقرون في سبعة قرى تحت سلطة ثلاثة قبائل أساسية وهم بني سيسين، وبني وقين، وبني ابراهيم[1]. والثاني تقرير فرنسي آخر يعود إلى سنة 1842م ، إذ حدد عدد السكان بحوالي 9600 فرد، منهم 3200رجل قادر على حمل السلاح.[2]

أما فيما يخص مظاهر الحياة السكانية في المجتمع الورقلي من خلال نمط حياتهم فقد اتسمت بمظهرين وهما :

- **البدو الرحل**: وهم الذين استقروا على هوامش وحواف قصر ورقلة وقراها في فتـــرات مختلفة،وكانت دوافع تنقلاتهم وأسفارهم بحثا عن المأوى الملائم للسكن والاستقرار، وبحثا عن الكلاء والمراعي لمواشيهم، وتصريف منتجاتهم المحلية، ومساندة حكام المنطقة عند الضرورة، وغالبا ما تكون تنقلاتهم إلى وادي ميـــزاب شتاءً لبيع منتجاتهم من التمور، الزبدة، والمنسوجات الصوفية، وخلال بداية فصل الربيع يتجهون نحو تاجرونة ، وفي نهاية الفصل ينتقلون إلى الشمال الغربي لإقليم وهران، ومع حلول فصل الخريف يعودون إلى ورقلة لجني محصول التمور،باستثناء قبائل الشعانبة الذي لايتوجهون إلى مناطق الشمال. وقد استقرت أولى القبائل البدوية في ورقلة منذ القرن الثاني عشر الميلادي (12م)، وهما قبيلتي المخادمة و بني ثور، ثم التحقت القبائل الأخرى على فتـــرات مختلفة، مثل قبيلة سعيد عتبة خلال القرن الثالث عشر الميلادي (13م)، ثم قبيلة الشعانبة خلال القرن السادس عشر الميلادي (16م)، وكل هذه القبائل تتكون من عدة أعراش سبق وان ذكرناها سالفا،كما تجدر الإشارة إلى أن البدو الرحل كوّنوا علاقات اجتماعية مع السكان المستقرين داخل القصر في إطار المصالح المتبادلة بين الطرفين، فعلى هذا النحو ارتبطت قبيلة سعيد عتبة بسكان بني واقين، وقبيلة المخادمة بسكان بني سيسين.[3]

---

[1] Rapport..., A.M.G,H227, Op.Cit.

[2] بن يوسف تلمساني، المرجع السابق، ص288.

[3] عبد الحميد زوزو، المرجع السابق،ص87

- **الحضر المستقرون:** هم الساكنين داخل قصور ورقلة وضواحيها،خاصة قصري نقوسة وورقلة، ويعتـــبر هذا الأخيـــر المركز العمراني الرئيسي لورقلة، ومن حوله تمّ التوسع في اتجاهات مختلفة، ويتوزع هؤلاء الحضر على ثلاثة أحياء أساسية تتخللها طرق ومسالك وأزقة ملتوية تؤدي إلى سبعة أبواب، وهي في وسط خط من النخل[1]، ويسكن هذه الأحياء شمالا بني سيسين وعددهم 1000 رجل قادر على حمل السلاح، وشرقا بني إبراهيم وعددهم 800 رجل قادر على حمل الســــــلاح، وغربا بني واقـــين وعددهم 1400 رجل قادر على حمل السلاح[2]،وقد حددت المصادر التاريخية عدد الديار الموجودة داخل القصر بستمائة دار، بالإضافة إلى ثلاثة مساجد، منها واحد للمالكية والثاني للإباضية[3].وفيما يخص قصر نقوسة فيضم حيا واحدا يسكن فيه الحضر وعددهم الإجمالي 2400 نسمة منهم 780 رجل قادر على حمل السلاح.[4]

كما تضاربت الآراء واختلفت الإحصائيات حول عدد الديار الموجودة داخل قصر انقوسة، فقد نجد تروميلي *Trumelet* يذكر 138 دار[5]، وأشار فكتور لارجو *V.Largeau* في رحلته إلى 151 دارا[6]، بينما حصرها دوماس*Daumas* ما بين 150 إلى 200 دار[7]، بالإضافة إلى وجود مسجدين وقصبة[8] ، بينما تقرير فرنسي يذكر وجود خمسة مساجد ومدارس قرآنية لتحفيظ القران.[9]

ومن خصائص سلوكيات الفرد الورقلي يذكر صاحب غصن البان: " حالة الورجلاني (الورقلي) من المعيشة واللباس في غاية البساطة...ويقتصر الواحد منهم على الأكلة الواحدة في النهار، وتجده يتصدق ويتبـــرع.. ويزور أقاربه وأرحامه، ويصلهم

---

[1] العياشي، المصدر السابق، ص47

[2] بن يوسف تلمساني، المرجع السابق، ص288

[3] Daumas , Op.Cit , pp 72-80

[4] بن يوسف تلمساني، المرجع نفسه، ص290

[5] Trumelet , Op.Cit , p499

[6] V.Largeau,op.Cit.p

[7] Daumas , Op.Cit , p88

[8] Trumelet , Op.Cit , p499

[9] بن يوسف تلمساني، المرجع نفسه، ص290

بالعطاء خصوصا في أيام المواسم تراهم بين غادٍ ورايح في الأزقة والشوارع والقرى المجاورة للمدينة..."[1].

رابعاً – الحالة الثقافية والدينية :

أ– الحالة الثقافية : رغم وجود الكثيــر من المصادر التاريخية التي تناولت تاريخ ورقلة من عدة جوانب، إلا أن ما يعاب عنها أنها لم تتطرق إلى الواقع الثقافي والفكري وحتى الديني خلال الفتــرة العثمانية، وكل ما جاء في هذه المصادر لا يعد أن يكون مجرد إشارات بسيطة جاءت في السياق العام للأحداث.ومن المتعارف عليه تاريخيا، أن ورقلة شهدت حركة علمية مند العهد الإسلامي ، حيث كان « الدّين قايم والعلم والعدل منتشر.. فلا تجدهم إلا بين طالب علم ومعلم..»[2]. ولعل ما استفادت به المنطقة كمركز تجاري وما رافقه من ازدهار عمراني، قد جعل منها مناخا ملائما للحركة العلمية خاصة في ظل انتشار المذهب الإباضي بها.زيادة على ذلك أن التواصل الذي تم مع بلاد المشرق العربي، كان عاملا مهما أسهم في إثراء الحياة الثقافية بعموم بلاد المغرب الإسلامي.

وحسب ما يبدوا لنا فإن منطقة ورقلة في أواخر العهد العثماني لا تختلف عن بقية المناطق الصحراوية الأخرى، فلقد كانت الأسرة والزاوية والمسجد مصدر الثقافة الاجتماعية، ولا شك أن التعليم القرآني التقليدي سيكون البارز على الساحة الثقافية، وذلك لبساطه طرق تدريسه، وتوفر مؤدبيه لتعليم الأطفال القراءة والكتابة وحفظ القران الكريم، وحسب كتب الرحالة فلا تكاد تخلو أية قرية من مدرسة قرآنية تابعة للمسجد، فعلى مستوى قصر ورقلة فقد احتوى على عدة مدارس لتحفظ القران تابعة للجامعين المالكي والإباضي، أضف إلى ذلك، فقد احتوت قرية سيدي خويلد على مدرسة قرآنية تعمل على تحفيظ القران وتعليم علوم الدين، وكان يزاول بها الدراسة حوالي 30 طالبا.[3]

---

[1] أعزام، المصدر السابق ،87

[2] المصدر نفسه، ص 25 .

[3] بن يوسف تلمساني، المرجع السابق، ص292

كما يبدوا لنا أيضا أن أهل ورقلة كانوا مهتمين بالمطالعة وجمع المخطوطات ،خاصة وان بعض المساجد كانت لها مكتبات خاصة، وهذا ما كده العياشي في رحلته :" ثم لقيت إمام المسجد بعد ذلك وأدخلني إلى منزله واحضر لي ما عنده من الكتب، فإذا عنده أجزاء من الموطأ، ومن البخاري، ومن الأكمل وبعض شراح المختصر والرسالة.."[1]، وفي موضع آخر يقول :" ولما كانت آخر أيام الإقامة سالت صاحبنا إمام المسجد هل في البلد شيء من خزائن الكتب، فاخبرني إن عند الأميـــر خزانة من الكتب، وانه لا يمنع من أراد الدخول إليها..فأدخلني إلى كتبه فإذا عنده نحو من أربعين سفرا من جملتها التوضيح والتتائي..".[2]

وزيادة على ذلك فالثقافة الشعبية لم تنحصر في التعليم القرآني والقراءة من خزائن الكتب، فقد كان للشعر والقصص الشعبي دور كبيـــر في التنوير والترفيه، غيـــر انه لم يصلنا شيء من هذه الثقافة.

ب – الحالة الدينية : لقد كان الاختلاف المذهبي سائد وسيد الموقف في هذه الفتـــرة، خاصة بين المذهب المالكي والمذهب الإباضي، وطبيعة هذا الاختلال يعود إلى عهد الدولة الرستمية بالمنطقة،ولقد ظل هذا الاختلاف سائد إلى ما بعد الاحتلال الفرنسي، بل واستغلته السلطة الاستعمارية في ضرب الصفوف لتطبيق سياسة فرق تسد، وما يترجم حدة هذا الاختلاف.

كما أن من خصائص سلوكيات الفرد الورقلي الدينية، انه كان حريصا على دينه، وهذا ما أكده صاحب غصن البان : "ولا رغبة لهم في الدنيا وحطامها إلا بما يسد رمقهم مرجحين كفة الآخرة على كفة الدنيا جاعلين نصب أعينهم قول الله تعالى مخاطبا الدنيا:من خدمني فاخدميه، ومن خدمك فخدمه مرتين.."[3].ويضف أيضا قائلا : " أما

[1] العياشي ، المصدر السابق ، ص46

[2] المصدر نفسه ،ص 47

[3] أعزام ، المصدر السابق،ص 87

من جهة الديانة والعضّ عليها بالنواجد فهو في غاية الصلابة، ويرتاح خاطره لتنفيذ جميع مهماته الدنيوية، ولا يرضى بمساس في دينه، ومما يؤثر عنهم يقولونه لسلاطينهم".[1]

كما كان للأولياء الصالحين مكانة هامة في حياة الورقليين ، بطبيعة الحال فالولي الصالح هو كل رجل غلبت على طبعه علامات التقوى والورع وكل الصفات الحميدة المنبثقة من الشريعة الإسلامية، ونتيجة لهذه الصفات يصبح هذا الولي مقصدا للتبرك به وطلب الدعاء لهم بالصلاح، فيقبلون يديه ويتمسحون بملابسه، وإذا مات هذا الولي اتخذوا من مكان وافته أو رباطه الديني ضريحا داخل قبة بيضاء ، ويصير قبـــره مزارا تشد إليه الرحال من طرف أهالي المنطقة في الأعراس وفي الأعياد والمناسبات الدينية قصد ابتغاء الوسيلة وطلب التبـــرك، ولقد غلب على هذه الزيارات طول الزمن بعض الخرافات والبدع ما انزل الله بها من سلطان، وقد ذكر ليتيليو *Lethelleux* أن أي زائر لمدينة ورقلة فانه يصطدم في شوارعها بعدة قباب ملونة بالجير الأبيض، تعرف باسم "الولي"،هذا بالإضافة إذا دخل الزائر في عمق شوارعها فسوف يلاحظ بيوت صغيرة محفورة في الجدران تعرف باسم "بالمرابط"، والبعض الآخر في قباب، حيث يشعل فيها الشموع والبخور، وفي بعض الحالات تقدم الذبائح والقرابين.[2]وترى النساء يقبلون عليها صباحا ومساءا يتلمسنها بأيديهن، ويخاطبنها باسم "سيدي مرابط فلان".

ومن الزيارات المشهورة حسب ما ذكره صاحب غصن البان :" الزيارة السنوية لمقام سيدي عبد القادر الجيلاني الحنبلي المتواجد بناحية بني سيسين، وذلك انه في كل عام في فصل الصيف يقع الاتفاق بين أعراش بيني سيسن بإبلاغ كافة قرى ورقلة بتحديد موعد الزيارة، وعادة يكون يوم الخميس، حيث يجتمع عند المقام جميع شرائح المجتمع الورقلي بين نساء ورجال، وهم في أحلى أبهة وزينة ، جماعات جماعات، فأصحاب الدفوف بدفوفهم، وأصحاب الطبول بطبولهم ومزاميـــرهم، وأصحاب المديح بمديحهم وأصحاب

[1] المصدر نفسه ، ص 87

[2] J. Lethelleux, Op.Cit, p 101

الخيل بفرسانهم، والشبان بألعابهم البارودية،وبعد ساعة يوزعون الصدقات ثم يرجعون إلى البلد على ذلك النظام والمهرجان ويتفرقون، وبعد صلاة العصر من اليوم نفسه تتجدد الألعاب البارودية أمام القصبة".[1]لكن صاحب غصن البان عرض مثل هذه الزيات لكونها تخالف الشريعة الإسلامية في كثـــير من الأمور، ومنها على سبيل المثال أن الزائرون عند وصولهم إلى المقام يطفون حوله سبع مرات مثلما يفعل الحجاج بمكة المكرمة.[2]

هذا بالإضافة إلى زيارات أخرى مشهورة، مثل زيارة سيدي مبارك بن حليمة بناحية بني براهيم، وزيارة سيدي عبد الرحمان أيوب بن جرار بناحية بني وقين[3]، وزيارة سيدي سلمان بقرية الشط، وزيارة سيدي بن ساسي بالرويسات.

وزيادة على زيارة الأولياء الصالحين، فقد كانت أيضا هناك زيارة المقابر، وذلك انه بعد صلاة عيد الفطر وعيد الأضحى يخرج المصلون أفواجا لزيارة المقابر ابتداءً من مقبـــرة أبي سهل والشيخ باسة، ثم مقبـــرة أولاد بابشة، ثم مقبـــرة أولاد أبي معقل، ثم مقبـــرة أولاد عبد العزيز، ختاما بمقبـــرة الشيخ الحاج احمد، بحيث يقرؤون القران ويوزعون الصدقات ويدعون الله بما تيسر، ثم يفترقون للذهاب إلى الأقارب والأحباب، وزيارة بعض المرضى المقعدين[4]، ولازالت مثل هذه الزيارات قائمة في وقتنا الحالي.

ومن المظاهر الدينية أيضا التي سادت المجتمع الورقلي آنذاك الاعتقاد بالغيب، وذلك أن الخوف الشديد من القوى الغيبة جعلتهم يصدقون كل شيء يملى عليهم وذلك حماية

---

[1] أعزام، المصدر السابق، ص ص: 105-106

[2] المصدر نفسه، ص ص: 105-106

[3] يتواجد ضريح هذا الولي داخل مسجد عليه قبة ضخمة البناء، والمسجد يحتوي على حوش صغير ومحراب واسطوانات ، هذا بالإضافة إلى أن الاتفاق على الزيارة يقع باجتماع أعيان عرش بني وقين على أن يكون يوم الأحد موعد الزيارة كما جرت العادة ،وذلك بعدما يجمعون الصدقات من أبناء الاعراش ويشترون جملا يذبح قربانا لله في صباح يوم الأحد، ويوزع لحمه في المساء حين يلتقي جمع من الطلبة لقراءة ما تيسر من القران، وهذا بدون حضور النساء كما جرت العادة عند بعض الزيارات الأخرى.

[4] أعزام، المصدر نفسه، ص 155

لأنفسهم وأهلهم وبلدهم من الخراب، ومن اعتقاداتهم الغيبية، أن روحا جنية تصيب بعض العائلات الغنية بورقلة إذا لم تتصدق،وتقتل أبناءها الصغار،وكانت لديهم مقبـــرة خاصة تسمى مقبـــرة " بركة المنسية" بباب عزي.[1] وتجنبا لهذه اللعنة أصبحت هذه العائلات ترسل المولود الجديد إلى عائلة سوداء فتعمل على تربيته وتدريسه، اعتقادا منهم أن هذه الروح الجنية لا تصيب السود. هذا بالإضافة إلى اعتقاد آخر وهو أن أضرحة الأولياء الصالحين تضر وتنفع، خاصة إذا تعدى احد على ما يتـــرك لهذه الأضرحة من هدايا وأموال وصدقات وذبائح، فتحل علية لعنة الضريح في ماله ونفسه وفي أولاده.[2]

المبحث الثاني: الغزو الفرنسي لمنطقة ورقلة

أولاً- دوافع الغزو الفرنسي :

لا شك أن سقوط واحة الزعاطشة سنة 1849م في يد القوات الفرنسية بمنطقة الزيبان ، زاد من شهية السلطة الاستعمارية للتوسع نحو مناطق الجنوب الجزائري التي لازالت لم تخضع للفرنسيين، وهذا لتحقيق عدة أهداف إستراتجية وعسكرية واقتصادية واجتماعية، ولعل الحديث عن الدوافع الحقيقة لاحتلال ورقلة لا يخرج عن نطاق دوافع التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية، إلا أننا سنحاول جمع وحصر أهم الدوافع الخاصة باحتلال ورقلة وضواحيها في النقاط التالية:

1- دور الدراسات العلمية الفرنسية المنشورة والمخطوطات العربية للرحالة المسلمين والمترجمة إلى الفرنسية، والتي اهتمت باكتشاف الصحراء الجزائرية، شجع السلطة الاستعمارية على الإسراع في احتلال الواحات الصحراوية، واهم هذه الدراسات نجد " الصحراء الجزائرية" ليوجين دوماس *Daumas* التي نشرها سنة 1845م بطلب من المارشال بيجو، وهذه الدراسة عبارة عن خلاصة الدراسات المتبعة خلال أكثـــر من عشر سنوات من طرف المديرية المركزية للشؤون العربية، بالإضافة إلى مجموعة حوارات وشهادات لأكثر من مائتين شخص(200) من السكان الأصليين للصحراء الجزائرية،

---

[1] J. Lethelleux, Op.Cit, p 101

[2] أعزام، المصدر السابق، ص 88

زيادة على ذلك قام بيربروجر سنة 1846م بترجمة مخطوطي "رحلة العياشي" خلال القرن السابع عشر الميلادي(17م)، ورحلة مولاي احمد خلال القرن الثامن عشر الميلادي(18م)، اللذين سافر من المغرب إلى ليبيا عن طريق الواحات الصحراوية الجنوبية، مع الاستفادة العلمية والاقتصادية والجغرافية في نفس الوقت من المسافرين القادمين من الجنوب الشرقي نحو الشمال في إطار التجارة، بل وطالب بعض الرحالة الفرنسيين بإنشاء مدرسة تطبيقية للمستكشفين المحليين.[1]

2- يبدو لي أن ظهور شخصية المارشال راندون *Randon* على الساحة السياسية والعسكرية كحاكم عام بالجزائر (1851- 1858م)، كان احد الأسباب القوية التي عجلت باحتلال ورقلة، هذه الشخصية التي كانت تؤمن بفكرة الاختراق الصحراوي لتحقيق الأمن والاستقرار للمعمرين والمستكشفين والقوات الفرنسية، حيث يقول: " ينبغي علينا أن نكون سادة في كل مكان، وإلا فلن نأمن في أي مكان"[2]، وبالتالي فإن احتلال منطقة ورقلة كان ضمن المشاريع الاقتصادية والعسكرية العاجلة في سياسة راندون *Randon*.

3- سوء العلاقة بين الشريف محمد بن عبد الله[3] والسلطة الفرنسية في أوائل الخمسينات من القرن التاسع عشر الميلادي (19م) بمنطقة الغرب الجزائري جعل السلطة الاستعمارية تعجل في عملية احتلال الجنوب الشرقي، خشية من أن يجدد محمد بن عبدالله المقاومة ضدها، مع العلم أن فرنسا أصبحت لديها قناعة راسخة بأن أية مقاومة شعبية تفشل في

---

[1] Augustin Bernard et N.Lacroix ,Op.Cit, pp 6-7

[2] Ibid , p2

[3] الشريف محمد بن عبد الله هو إبراهيم بن أبي فارس من مواليد أواخر القرن 18م ، وقد اختلفت المصادر التاريخية في تحديد مكان ميلاده ، لكنه ظهر على الساحة السياسية مند سنة 1841م عندما عينته السلطات الاستعمارية الفرنسية عبر المرسوم الملكي خليفة على الغرب الجزائري ، وهو ينتمي إلى أولاد سيدي احمد بن يوسف فرع قبيلة أهل رو سل قرب عين تيموشنت ، ولقد حاول الجنرال(بيجو) استمالته بهدف التفرغ لعدوانه على دولة الأمير ، إلا انه أحجم عن ذلك ، وبعدها أصبح محمد بن عبد الله يعاني من مضايقات لم يكن يتوقعها من الفرنسيين مما دفع به إلى حمل لواء الثورة ضدهم لمدة تقرب عن ثلاثين عاما ، وبدأ حياته الجهادية بالاستيلاء على ورقلة سنة 1857م ، ثم واصل جهاده عبر مختلف المناطق الصحراوية إلى أن توفي عام 1895م بعد كفاح مستمر ضد الاستعمار دام نصف قرن كامل.وللمزيد من المعلومات يمكن العودة إلى : يحي بوعزيز ، «كفاح الشريف محمد بن عبد الله »، **مجلة الثقافة** ، ع33 ،س6 ،1976م ،ص ص: 11- 24 .

مناطق الشمال، فمناطق الجنوب الجزائري تتحول إلى معاقل للثوار وملجأ للمقاومين بغية جمع أنصار جدد وتنظيم المقاومة الشعبية من جديد، مع الإدراك أن حلفاء الأمير عبد القادر كانوا قد وضعوا قواعد للمقاومة، وبالتالي فقد وجدت فرنسا عند توغلها لمناطق الجنوب صعوبة كبيرة لبسط نفوذها بسبب المقاومة الشديدة التي أبداها السكان، وعلى الخصوص منطقة ورقلة وضواحيها، فالاحتلال العسكري كان قد تم سنة 1854م، و لم يتم الإخضاع الكلي لها إلا في سنة 1882م.

4- عدم الاستقرار السياسي واستحكام الصراعات القبلية بين مختلف التشكيلات الاجتماعية لمنطقة ورقلة وضواحيها دفعت بالسلطة الاستعمارية إلى استغلال هذه الصراعات وتطبيق سياسة فرق تسد، وتحريضهم عليه وانتصارهم لقبيلة دون الأخرى، لأنهم وجدوا في الإبقاء على هذه النزاعات خير وسيلة لاحتلال ورقلة وبسط نفوذهم عليها، فعلى سبيل المثال فقد تعاقب على سلطنة ورقلة في ظرف إحدى عشرة سنة (1840-1851م) ستة سلاطين وهم : مولاي الطيب ، ومولاي الذهبي ، ومولاي عبد القادر، ومولاي علي الذي اغتيل بعد ستنين من حكمه، ثم حكم مولاي مسعود الذي حكم ثلاثة أيام فقط ، وكان آخرهم مولاي احمد الذي حكم لمدة شهرين فقط[1].ناهيك عن مشيخة نقوسة التي تعاقب على حكمها في هذه الفترة شيخين وهما : الشيخ الحاج احمد بن بابية،وابنه الشيخ أبو حفص بن بابية.

زيادة على ذلك العلاقات المصلحية بين أعداء سلطنة ورقلة والفرنسيين دفعت بالإدارة الاستعمارية إلى تكوين عملاء وموالين لها في المنطقة، وذلك لتسهيل عملية الاحتلال العسكري ، واهم مظاهر هذا الاستغلال حثّ بعض القبائل الموالية للفرنسيين على محاصرة القبائل المعادية للتواجد الفرنسي،واستخدام الشيخ سي حمزة ولد بوبكر[2] قائد

[1] Gouvernement Général de L'Agérie **, « Notes… »**, Op.Cit, p392

[2] هو سي حمزة بن سيدي بوبكر من قبيلة أولاد سيدي الشيخ ، ولد في أواخر 1818 في قرية البيض سيدي الشيخ ، نشا في زاوية أجداده ، وتعلم القرءان واللغة العربية ، وشب على ركوب الخيل والتدرب على السلاح ، استطاع أن يكسب ود الفرنسيين وثقتهم فعينوه كخليفة على مناطق واسعة من الصحراء امتدت من البيض إلى

أولاد سيدي الشيخ على التدخل في شؤون المنطقة سنة 1847م، واحتلال ورقلة عام 1853م باسم السلطات الفرنسية بعد معركة انتصر فيها على الشريف محمد بن عبد الله في عرق بوسروال جنوب ورقلة.

هذا بالإضافة إلى تدعيم احمد بن بابية شيخ نقوسة سنة 1849م لإخضاع ورقلة مقابل تأدية ضريبة اللَزمة، وفي 20 نوفمبر من نفس السنة منحت السلطة الفرنسية لقب الخليفة للحاج احمد بن بابية، وأرسلت إليه 200 فارس لإقرار سلطته على ورقلة، بل تواصلت الإمدادات العسكرية إلى غاية 1850م.[1]

5- في نظر بعض الساسة الفرنسيين أن احتلال ورقلة سيمكن الجيش الفرنسي من استكمال عملية التوغل العسكري إلى عمق الصحراء الجزائرية، وذلك باعتبارها منطقة عبور بين الشمال والجنوب من جهة، وباعتبارها بوابة أساسية نحو بلاد السودان من جهة أخرى، وعلى هذا الأساس يمكن تفسير السؤال المطروح: لماذا فضلت فرنسا احتلال الاغواط سنة 1852م، وعقد اتفاقية مع وادي ميزاب سنة 1853م، ثم احتلال ورقلة سنة 1854م ، على احتلال وادي ريغ ووادي سوف على الرغم أنهما اقرب نقطة إلى منطقة الزيبان والتي كانت الانطلاقة الأولى للتوسع الفرنسي نحو الصحراء الجزائرية؟

الأكيد أن هذا التفضيل يدخل ضمن نطاق الإستراتيجية العسكرية الفرنسية، حيث صرح الجنرال راندون *Randon* [2] لوزير الحربية بعد احتلال الاغواط سنة 1852م : "

ورقلة ، وقد لعب دورا كبيرا في تقويض مقاومة الشريف محمد بن عبد الله وناصر بن شهرة في الاغواط و ورقلة ، وفي سنة 1860 نشب خلاف بينه وبين السلطات الفرنسية بسبب انتشار نفوذه لدى القبائل الصحراوية ، فتم نقله إلى الجزائر إلى أن توفي فيها عام 1861م ، فخلفه ابنه بوبكر الذي تمكن من إلقاء القبض على الشريف محمد بن عبد الله

[1] Trumelet , Op.Cit, p32

[2] *Randon (Jacques-Louis-César-Alexandre, comte)* : من مواليد 25مارس 1795م بقرنوبل *Grenoble* ، تقلد عدة مناصب سياسية وعسكرية منها : عضو مجلس الشيوخ الفرنسي، ووزير،وحاكم عام للجزائر بين سنتي(1857- 1858م) ،تحصل على وسام الشرف في 24 ديسمبر 1851م، وقد توفي بجنيف سنة 1871م. ينظر:Narcisse Faucon,Op.Cit.p507

عن طريق الاغواط ستتمكن من التوغل داخل الجنوب في إطار السيطرة على كامل الجزائر".[1]

6- الموقع الاستراتيجي لورقلة جعل هذه الأخيـــرة تحضى بأهمية كبيـــرة عند المستكشفين الفرنسيين، وذلك بكونها همزة وصل بين الجزائر وبلاد السودان، وبالتالي كان لابد من السيطرة على هذه المنطقة وإخضاعها للنفوذ الفرنسي حتى تصبح محطة أساسية لانطلاق البعثات الاستكشافية العلمية والحملات العسكرية نحو عمق الجنوب الجزائري ونحو إفريقيا الوسطى والغربية. هذا بالإضافة إلى أن ورقلة كانت تمثل مخزنا" لدلال الطرق الصحراوية" وخاصة من القبائل البدوية وفي مقدمتهم قبائل سعيد عتبة والشعانبة، وهذا ما لاحظناه من خلال البعثات التي وصلت إلى ورقلة، فلا تكاد أية بعثة استكشافية تخلوا من أهالي ورقلة العارفين بمسالك الطرق الصحراوية الرابطة بين ورقلة والجريد التونسي، وورقلة وغدامس، وورقلة وبلاد السودان.

كما أن الموقع دفع بالسلطة الاستعمارية إلى حد التفكيـــر بمد خط سكة حديدية بغية ربط المستعمرات الفرنسية ببعضها البعض، ولتسهيل مهمة تنقل الوحدات العسكرية بالصحراء من جهة ، ولضمان الأمن والاستقرار للمستكشفين الذين كانوا يتعرضون للهجوم من حين إلى آخر من جهة ثانية، وقد أشار الرحالة لارجو *Largaux* إلى أهمية هذا الخط حين اقتنع بأن مخطط السكة الحديدية العابرة للصحراء إلى حد النيجر يجب أن ينطلق من بسكرة مارا بتقرت وورقلة.[2]

7- التوسع الاستعماري البريطاني بإفريقيا في إطار التنافس الدولي حول مناطق النفوذ دفع بفرنسا إلى التعجيل لإخضاع الجنوب الجزائري بما فيها منطقة ورقلة، لكون هذه الأخيـــرة منطقة حدودية مع تونس وليبيا هذا من جهة،ومنطقة عبور للقوافل التجارية من جهة أخرى.ومن جهة ثالثة في نظر الفرنسيين محاولة تفادي تكرار الخطأ العسكري

---

[1] Paul Azzan,**Conquete et Pacification de L'Algérie**, paris, p 341

[2] دوني بيلي، المرجع السابق،ص 18.

الذي وقعت فيه السلطة الاستعمارية حين سمحت بتحول الجنوب الجزائري إلى معاقل للمقاومين الجزائريين الذين فشلت مقاومتهم في الشمال، وبالتالي فان السيطرة على مناطق الجنوب الشرقي الجزائري سيكون صمام آمان وقبضة حديدية للجيش الفرنسي ضد المقاومين التونسيين الفارين من الشمال في حالة ما إذا احتلت تونس عن طريق البحر المتوسط.

ثالثاً– مراحل الغزو الفرنسي لورقلة: لقد مرت عملية سقوط منطقة ورقلة في أيدي قوات الاحتلال الفرنسي بثلاثة مراحل وهي:

المرحلة الأولى: البعثات الاستكشافية والحملات الاستطلاعية:

كانت أولى البعثات الاستكشافية إلى ورقلة بعثة الرحالة الجنـــرال دوماس*Daumas* الذي زار المنطقة سنة 1842م،حيث حدد موقعها الجغرافي، ووصف مدينة ورقلة والقصبة، وحدد أبواب المدينة، كما وصف بيوتها وعدد الديار، والمواد البناء المستعملة من البن وجذع النخل وسعفه،وأشار إلى مختلف قبائل المجتمع الورقلي ونشاطهم، والى مختلف العملات المتداولة في الأسواق، فضلا عن ذكر عمليات التبادل التجاري الداخلي والخارجي ، واهم المنتجات الصادرة والواردة ، كما تطرق إلى قصر نقوسة بوصف نمطه العمراني، وحدد عناصر سكانه ، وعدد دياره، وتعداده السكاني .[1]

كما حضّيت ورقلة بزيارة أدريان بربروجر*A.Berbrugger* [2] عام 1850م في إطار استكشاف الخط الصحراوي، وكانت انطلاقته من قابس، وشملت رحلته واحات وادي

---

[1] Daumas, Op.Cit.pp 72-88.

[2] عضو في لجنة الاستكشاف العلمي للجزائر باعتباره مختصا في مجال التاريخ وعلم الآثار، اهتم منذ البداية بدراسة الآثار الرومانية ثم الإسلامية ، من ابرز أعماله جمع المخطوطات من تلمسان وقسنطينة وغيرهما من المدن التي زارها ، كما ساهم في تأسيس نواة المكتبة الوطنية في عهد كولوزيل 1835 ، كان أيضا مديرا لجريـــــدة(المونيتور) ، ومؤسسا للجمعية الـــتاريخية الجزائرية ، ورئيسا لتحرير المجلة الإفريقية ، ومن ابرز كتاباته الأثرية : الجزائر التاريخية والمصورة والتذكارية ، وقد توفي سنة 1869م، انظر : أبو القاسم سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقـــافي 1830– 1954** ،بيروت،دار الغرب الإسلامي، ج6 ، ص 85.

سوف ووادي ريغ وورقلة والمنيعة وتوات،ثم عاد إلى مدينة الجزائر عن طريق بلاد الشعانبة متليلي ووادي ميزاب.[1]

واستعرض تروميلي *Trumelet* [2] من خلال زيارته لورقلة سنة 1853م قصبة ورقلة، واصفا نمطها العمراني، وأعراشها الثلاثة: بني سيسين، وبني وقين ، وبني ابراهيم، وحدد أبواب المدينة، وأشار إلى عدد السكان ونشاطاتهم وأوضاعهم الاجتماعية، ومختلق قرى وقبائل ورقلة، وتكلم بتفصيل عن أسرة أولاد بابية شيوخ نقوسة من خلال أصولهم، وسياستهم، وعلاقتهم بالفرنسيين، وصراعهم مع سلطنة ورقلة، كما تطرق إلى مقاومة الشريف محمد بن عبد الله ضد الفرنسيين.[3]

كما قام اوغيست شوازي[1] *Auguste.Choisy* برحلة خاصة إلى الاغواط والقليعة وورقلة ووادي ريغ وبسكرة لدراسة إمكانية مد طريق حديدي بين الجزائر والنيجر.[4]وفي إطار المشاريع الفرنسية الهادفة إلى ربط المستعمرات الفرنسية الإفريقية بالصحراء الجزائرية،مشروع كاباني*Cabanis* الذي طرح سنة 1853م والذي سيمتد من الجزائر إلى بوسعادة وورقلة على أن يتفرع ذلك إلى فرعين: واحد إلى تونس وطرابلس، والآخر إلى عين صالح والهقار.[5]

---

[1] A.Berbrugger , **Projet D'exploration des Oasis Algérienne** , **par Gabès Souf** , **Ouargla** ,**Touat**, **et Retour par Metlil et les Oued Mzab** ,Alger , s.d ,p 8 .

[2] عالم وضابط عسكري فرنسي من مواليد 1820م بريمس *Reims* (مارن *Marne*)،انخرط في صفوف كتيبة المشاة سنة 1839م، وقد جاء إلى الجزائر سنة 1851م، وبقي بها حوالي خمسة وعشرون سنة، كما أصبح عضوا بجمعية الشباب الأدبي سنة 1872م، ومتحصل أيضا على وسام الشرف من الحكومة الفرنسية. ينظر: Narcisse Faucon,Op.Cit.pp 603- 609

[3] C.Trumelet, Op.Cit , pp 32 -498

[4] Auguste.Choisy, **Le Sahara. Souvenir d'une Mission à Goléa**.Paris.1881.p290

[5] F.Cabanis,**Grand Chemin de Fer d'Afrique**, Paris ,1853 p 32

وقام الرحالة كوسون*Cosson*[1] برحلات في الجنوب الجزائري عام 1859م بدعم من وزارة الحرب التي كان يرأسها المارشال فايان *fayane*، وقد استطاع أن يستكشف الصحراء الجزائرية من الشرق إلى الغرب، وحتى أقصى الحدود الجنوبية، وجمع وثائق كثيرة وجدها بالمنطقة، كما ودرس السطح والمناخ السائد والمياه الجوفية، والحيوانات المتوفرة والنباتات البرية، والمزروعات من خضر وفواكه وركز على النخيل، واستخلص أنواع التمور، وشملت دراسته كل الصحراء الجزائرية ومناطقها بما فيها ورقلة معتمدا على أعمال ما كتبه الرحالة السابقون ومنهم الجنرال دوماس*Daumas*[2].كما تحدث

باجول *Bajolle* عن التكوين الجغرافي والطبوغرافي والآبار المائية لصحراء ورقلة ومن وادي مية إلى وادي ايغرغار.[3]

وفي مطلع الستينات زار الرحلة هنـــري دوفرييي***H.Duveyrier***[4] ورقلة وهو في طريقة نحو بلاد الهقار قادما من تونس عن طريق وادي سوف ووادي ريغ، حيث مكث

---

[1] *Cosson (Ernest Saint-Charles)*: عالم نباتي من مواليد 22جويلية 1819م بباريس،درس الطب إلى أن أصبح دكتور سنة 1847م، كما أصبح عضوا في البعثة العلمية الجزائرية سنة 1851م،وعضوا في الجمعية النباتية بفرنسا سنة 1854م،وعضوا حرا في أكاديمية العلوم، وبفضل أبحاثه العلمية تحصل على وسام الشرف، وله عدة مؤلفات منها: أزهار الجزائر(1854-1867م)،تقرير حول رحلة نباتية في الجزائر سنة 1849م، تدقيق عـــام حول الصحـــراء الجـــزائرية وثقافتها سنة1859م. ينظر: Narcisse Faucon,Op.Cit.p181

[2] E.Cosson , **Considération Général sur le Sahara Algérien et ses Cultures** , Paris , 1859 , pp02-23

[3] Le Capitaine Bajolle, **Le Sahara d'Ouargla**,**de Oued Mia**, **à l'Oued Igharghar**, Alger,1887,p55

[4] مستكشف جغرافي فرنسي ولد سنة 1840م، اهتم بالاستكشاف العلمي وعمره لا يتجاوز عشرين سنة، وبدا أول رحلة سنة 1859 من قسنطينة باتجاه وادي ميزاب ، وقد استطاع أن يتحصل على الميدالية الذهبية من الجمعية الجغرافية الفرنسية في باريس سنة 1864م بفضل كتابه الذي الفه عن الصحراء والذي جمع فيه فوائد جمة عن الصحراء ،كما اكتسب اللغة العربية والبربرية، ورافق الكثير من الإخوان الصوفيين التجانيين، القادريين ،أصبح عضوا في المؤسسة الجغرافية الفرنسية مند سنة 1867م حينما نجح في اختراق الصحراء وصولا إلى بلاد السودان الغربي، ألف عدة كتب خاصة بالصحراء. أهمها : "اكتشاف الصحراء" ينظر: Narcisse Faucon,Op.Cit,p244

يوما واحد استكشف فيه مدينة سدراتة الأثرية.[1] كما زار أيضا المهندس الفرنسي فيل*L.Ville* ورقلة خلال هذه الفترة، وقد شملت دراسته الآبار التقليدية الارتوازية القديمة، متخذا من بئر عين الصفا نموذجا لبحثه.[2]

ولم تتوقف الحملات الاستطلاعية والبعثات الاستكشافية مع سقوط مدينة ورقلة في يد القوات الفرنسية، بل ازدادت أكثـــر في الربع الأخيـــــر من القرن التاسع عشر الميلادي (19م)، وهذا على خلفية القرار الذي اتخذته السلطة الفرنسية الداعي إلى اتخاذ إجراءات عسكرية، والقيام بعمليات توسعية للسيطرة على الجنوب.

ومع بداية السبعينات من القرن التاسع عشر الميلادي (19م) وصل الرحالة شارل فيـــرو*Ch.Féraud*[3] إلى ورقلة سنة 1871م، حيث قام بدراسة طبيعية وانتربولوجية وإحصائية لمنطقة ورقلة. ونقوسة هذه الأخيـــرة التي وقف فيها على عينات حجرية مصنوعة من حجر السيليكس ، كما زار مدينة سدراتة الأثرية وقارة كريمة وجبل عباد، هذا بالإضافة إلى الاطلاع على المخطوطات الموجودة بالمنطقة ،وزيارة بعض القرى التي اندثرت مثل (ملوش،ماحاروز،تمازورات،وهيمة، تالة موسى، تالةمماس، تالة ازدوس، مكيدة الغربي)، كما استعرض العلاقات الاجتماعية بين مختلف القبائل البدوية، ونشاطها الفلاحي، وعادتها وتقاليدها، بالإضافة إلى تعرضه لأسرة أولاد علاهم سلاطين ورقلة

---

[1]P.Vuilot , **L'exploration du sahara(étude historique et geographique)** , libraire coloniale, paris, 1895, p64.

[2] M.Van Berchem, **sedrata et les anciennes villes berberes du sahara dans les recits des explorateurs de XIX siecle** , paris, 1960,p 293

[3] لوران شارل فيرو من مواليد فبراير 1829م بمدينة نيس الفرنسية ، يعتبر من الفرنسيين الذين كتبوا كثيرا عن تاريخ الجزائر وعن مدنها وتراثها، وقد ساعده في ذلك منصبه كمترجم احتياطي عسكري من الطبقة الثانيـــة في الجيش الفرنسي ، ومشاركته في الحمـــــلات العسكـــــرية الفرنسية باتجاه إقـــــليم الشرق، كم يعتبر مـــن المستعـــــربين القـــــــلائـــل الذين اتصلوا بالمجتمع الجزائري ودرسوا تراثه عن طريق الروايات الشفوية ، وترجمة الوثائق الأهلية ، ومن أعماله دراسة تاريخية تناول فيها حكم بني جلاب والتي نشرها في عدة حلقـــات بالمجلة الإفريقية في الأعداد من 23 إلى 31 بعنوان :

« Notes Historiques sur La Province de Constantine, Les Ben djallab Sultans deTouggourt»

وصراعهم مع أسرة بن بابية شيوخ نقوسة، بل وحتى الصراع الداخلي الذي قام بين أسرة بن بابية،زيادة على ذلك تطرق إلى الحركة الجهادية التي قادها الشريف محمد بن عبد الله ضد الفرنسيين ولقبائل الموالية لهم.[1]

كما وصلت القافلة العسكرية للجنـــرال قاليفي *Galliffet* يوم 8 جانفي 1873م إلى ورقلة قادمة من بسكرة مع 700 رجل و3000 جمل، والتي كانت ممونة بالماء لسد حاجياتها لمدة تزيد عن عشرة أيام، بعدما فشل في احتلال مدينة القليعة ،وبعدما مكث الجنـــرال قاليفي*Galliffet* في ورقلة مدة أربعة أيام ، جهز قافلته لمواصلة رحلته نحو المنيعة ، حيث تزود بالماء بقيمة خمسين لتـــــرة(50ل) مملوءة في مئة قربة (أكياس مصنوعة من وبر الجمال)، وغادر ورقلة يوم 11جانفي من نفس السنة،حيث مر على منطقة حاسي بركان(بركاوي)التي تبعد عن ورقلة بـــ 217 كلم[2]، مسافة سبعة أيام مشي ،حيث وصلها يوم 18 جانفي ، ولم يتبق له إلا مسافة ستة أيام مشي ليصل إلى قصر المنيعة.[2]

وفي 17 ديسمبر 1873م وصلت بعثة دورنو دوبيـــري[3] *Dournoux Dupéré*،المكونة من عشرين فارس، قادمة من تقرت بعدما مرت بالزاوية التجانية بتماسين، ثم بلدة عمر قاطعة الرمال نحو الحجيـــرة وصولا إلى قصبة ورقلة، حيث استقبلها أخ آغا ورقلة السعيد بن دريس، ورافقها في التجول بأحياء ورقلة الثلاثة (بني سيسين، بني ابراهيم،بني واقين)، حيث وصف دوبيـــري*Dupéré* في رحلته قصر ورقلة، واهم منشاته العمرانية، وقد استقر بورقلة حوالي واحد وعشرون يوما حيث غادراها يوم

---

[1] Ch. Féraud , Op.Cit , pp 456 - 493

[2] P.Vuilot ,Op.Cit.pp 115-116

[3] مستكشف فرنسي من مواليد 2 جوان 1845م بقوادلوب *Guadeloupe* (فرنسا)، تم اغتياله في الصحراء الجزائرية سنة 1874م، كان عضوا في الجمعية الجغرافية، وترك مذكرة علمية وضع فيها مخطط لطرق الاستكشافات في الصحراء، بالإضافة إلى اهتمامات أخرى في مجال السياسة والاقتصاد. ينظر:

Narcisse Faucon,Op.Cit.p215

4جانفي 1874م عائدا إلى تقرت[1]، إلا انه قتل بمنطقة وادي وهانت في طريق عودته من غدامس[2]. كما نظم أيضا في نفس السنة المستكشف بول سولايي*Paul Solellit*[3] رحلة إلى الجنوب ليصل إلى مدينة ورقلة صباح يوم 9 فيفري 1874م على الساعة السابعة مستقبلا من طرف محمد بن دريس آغا ورقلة، وأقام فيها لمدة ثلاثة أيام تعرف فيها على عادات وتقاليد سكان ورقلة واهم لهجاتهم اللغوية، التقى فيها الشيخ محمد بن حمادو احد رجال التوارق الذي زوده بمعلومات عن الشريف بوشوشة، وفي يوم 12 فيفري من نفس السنة غادر ورقلة متجها نحو عين صالح، بعدما تزود بالمؤونة وتسلم رسائل من آغا ورقلة محمد بن دريس ليسلمها إلى السلطات الفرنسية بعين صالح.[4]

كما قدم الطبيب فكتور لارجو *V.Largeau* [5] وصفا دقيقا عن مدينة ورقلة وقصرها من خلال زيارته لها، حيث وصلها يوم 12 ماي 1877م،مستقبلا من طرف الأغا عبد القادر بن عمر في قصره مع خدمه،ووضع تحت تصرفه كل ما يحتاج إليه من إمكانيات مادية وبشرية، من بينها تزويده بأحد "الدلّالين" المعروفين بخبايا الطرق الصحراوية، وهوسي قدور بن موسى،وفي رحلته استعرض لارجو *Largeau* النمط العمراني لورقلة، وشوارعها وبيوتها، وذكر مختلف عناصر أعراشها، وأحوالها الاقتصادية والتجارية، كما تحدث أيضا عن قصر نقوسة، واصفا نمطه العمراني، وعدد بيوته، وعلى النشاط الفلاحي

---

[1]Dournoux Dupéré, **Voyage au sahara** (E.B.S.G - aout 1874), imprimerie de E.martine, paris, 1874 ,p8

[2] دوني بيلي ، المرجع السابق، ص11

[3] من مواليد 1842م بفرنسا، اهتم بالاستكشاف والترحال منذ صغره، زار الجزائر سنة 1866م، وانضم إلى صفوف الجيش الفرنسي صنف مشاة، رحلته من الجزائر إلى عين صالح جاءت بناء على طلب المؤسسة العسكرية وغرفة التجارة الفرنسية بهدف بدراسة الطرق التجارية الصحراوية، والقبائل البدوية، توفي سنة 1888م. ينظر: Narcisse Faucon,Op.Cit.p280

[4] Paul Solellit , **Voyage de paul soulleillet d'Alger à l'oasis d'in- salah**, Alger,1875, p 49

[5] لارجـــــو *Largeau* من مواليد مدينة نيور الفرنسية ، انخرط في العديد من الجمعيات الجغرافية ومنها الجمعية الجغرافية بباريس ، وجمعية الإحصاء ، وجمعية المرصد الجوي ، وجمعية الطبوغرافيا في باريس ، كما أصبح عضوا في المجمع الدولي للعلوم الجغرافية عام 1875م. ينظر: . Narcisse Faucon,Op.Cit.p244

للسكان واهم المحاصيل الزراعية التي تنتج، وعن بعض الصناعات التقليدية، وتعرض أيضا إلى أهم شيوخ قصر نقوسة من بينهم الشيخ السايح وأخاه سي عبد القادر، وبعدما استقر بورقلة حوالي ثلاثة أشهر غادرها يوم 11 سبتمبر من نفس السنة متجهاً نحو السودان الغربي عبر عين صالح.[1]

وفي نفس السنة زار الرحالة لويس ساي *Louis say* ورقلة التي وصلها يوم 2 ماي في إطار التبادل التجاري بين ورقلة والجنوب الغربي، قادما من تقرت التي استقر فيها بضعة أيام منتظرا الشطر الأول من المنحة المخصصة لرحلته والمقدرة بخمسة آلاف فرنك فرنسي(5000ف)، وقد حاول هذا الرحالة أن يجعل ورقلة نقطة انطلاق استكشافية نحو عمق الجنوب الجزائري باتجاه الهقار،حيث تجهز من جديد ونظم بعثته، واختار ثلاثة ورقلية مرافقين له، وتقدم إلى غاية تماسنين إلا انه فشل في مواصلة الرحلة، وذلك بسبب تعرضه لتهديدات من طرف رجال التوارق، فرجع إلى ورقلة يوم 21 جوان، بعدما تبددت أحلامه في استكشاف منطقة الهقار.[2]

وكان من ابرز البعثات الاستكشافية في هذه الفتـــرة بالمنطقة، بعثة العقيد فلاترس *Flatters* [3] الذي وصل إلى ورقلة سنة1879م رفقة 100 رجل وصحفي أمريكي، ولقد حاول فلاترس *Flatters* هو الآخر أن يجعل منطقة ورقلة محطة انطلاق لاستكشاف بقية مناطق الصحراء، حيث نظم رحلتين، فالرحلة الأولى كانت نحو الاغواط، والتي انطلقت

---

[1] V. Largeau , Op.Cit.p 73

[2] دوني بيلي، المرجع السابق، ص15

[3] هو بول فرنسوا اكزافييه فلاترس *Paul François Xavier Flatters*، ظابط عسكري ورحالة مستكشف من مواليد 16 سبتمبر 1839م بمدينة لافال، تقلد عدة مسؤوليات عسكرية، فكان برتبة مــلازم للمـــشاة ســـنة 1853،، ثم ترقى إلى رتبة نقيب سنة 1864م، ثم قائد كتيبة سنة 1871م،قضى معظم حياته في المكاتب العربية بالجزائر، وفي سنة 1879م اضطر إلى العودة نحو فرنسا عندما دعته الحكومة الفرنسية أن يكون عضوا ضمن لجنة للدراسات العليا لدراسة مشروع ربط الجزائر بالسودان عن طريق خط السكة الحديدية، فعاد إلى الجزائر ببعثـــة استكشافية لتحقيق هذا المشروع، إلا انه لقي حتفه في الصحراء الجزائرية يوم 16 فيفري 1881م، بعدما تعرض لهجوم من طرق قبائل التوارق. ينظر: Narcisse Faucon,Op.Cit.pp 272-276

من ورقلة يوم 21 ماي 1880م رفقة 10 رجال و100 جمل، أما الرحلة الثانية فكانت باتجاه منطقة التوراق، التي انطلقت في ديسمبر من نفس السنة، وهذا بمعية 11 رجل فرنسي و47 جندي من الأهالي و32 سائقوا الجمال،و 8 رجال شعانبة لاستخدامهم كدليل في الطريق، و4 رجال من التوارق.[1]

غيـــر أن الرحلة الثانية كانت شاقة حيث أرهقت أعضاء البعثة وشتت شملهم، ونقص زادهم، وكثرت تحرشات التوراق بهم، فكانت النتيجة مقتل العقيد فلاترس *Flatters* من طرف مقاومي قبائل التوارق يوم 16 فيفري 1881م في منطقة (إن اوهاوان)، ولم ينجوا من هذا الهجوم سوى 63 فردا وقد مات منهم الكثيـــر في طريق العودة إلى ورقلة، باستثناء أربعة شعانبة الذين تأكدت نجاتهم ووصلوا إلى ورقلة يوم 28 مارس 1881.[2]

هذا ونشير أيضا انه في مطلع الثمانيات وقبل استقرار الفرنسيين تواصلت البعثات الاستكشافية إلى ورقلة لاستكمال مهمتها التجسسيَّة ، ومنها بعثة الرحالة اوغيست شوازي*Auguste.Choisy* إلى الجنوب الشرقي الجزائري ما بين 1879م و1880م ليتفقد مشروع سكة الحديد الذي سيربط بين الجزائر والنيجر والسنيغال،ماراً ببسكرة ووادي ريغ وورقلة والاغواط والمنيعة، وقد تكونت هذه البعثة من: المهندس شوازي *Choisy* ، المهندس باروا *Barois* مدير الطرق والجسور،جورج رولان*G.Roland* مهندس في المناجم، والدكتور ويسجيربر *Weisgerber* المكلف بالجانب الانتروبولوجي والتصوير ،الملازم ماسوتي *Massautier* نائب رئيس المكتب العربي بالاغواط ، وباسكال جوردن *Pascal Gaurdan*، وديسكام *Descamps* وباش*Pech* ممثلي قطاع السكة الحديدية بفرنسا [3]،وقد قامت هذه البعثة في ورقلة بدراسة طبوغرافية وجيولوجية وطبية، حيث درست تربتها وكثبانها الرملية، ومياهها الجوفية ، ونباتاتها الطبيعية ،واهم الأمراض

---

[1] Flatters **, Les deux Mission du Colonel Flatters**, Paris,1884, pp 168 - 182

[2] Flatters **,** Op.Cit, pp 247-251

[3] P.Vuilot ,Op.Cit, p 175

المنتشرة في المنطقة، كما زارت المناطق الأثرية الموجودة بها ،وقد اقترحت البعثة في دراستها لمد خط السكة الحديدية من الجزائر إلى السودان، فتح خط من الاغواط إلى القليعة، وخط من بسكرة إلى ورقلة والهقار، واعتبـــر شوازي *Choisy* أن هذا المشروع أحسن من المخطط الذي اتخذه في الجنوب الوهراني.[1]

كما برزت بعد ذلك حملة استطلاعية جديدة بورقلة بقيادة فيرديناند فورو*F.Foureau* [2] منذ 1898م،واتخذت مدينة ورقلة قاعدة لتوجيه حملاتها العسكرية نحو الهقار، والسنغال إلى غاية بحيـــرة تشاد،ولقد انطلقت هذه الحملة في 23 أكتوبر رفقة 306 عسكري ومدعمة بـــ 1000 بعيـــر ومدفعين، ومجموعة من الأهالي للاستدلال بهم في المسالك. وعلى الرغم من تعرضها لهجمات قبائل التوارق ،إلا أن الرحلة التي دامت سنة كاملة وعشرة أيام تمكنت من الوصول إلى بحيرة تشاد في جانفي 1900م[3]. وهي ذات الإشارة عند دوني بيلي ***Denys Pillet*** .[4]

لا شك أن هذه البعثات والحملات الاستطلاعية كانت إحدى عوامل نجاح الفرنسيين في الاستقرار النهائي بورقلة وضواحيها والسيطرة عليها، فبفضلها استطاعوا الوقوف على نقاط القوة والضعف ، ودرسوا جغرافيتها ومناخها وعرفوا تاريخها وثقافتها، واطلعوا على ظروفها الاجتماعية والاقتصادية، ووقفوا على علاقاتها التجارية ، وتمكنوا من معرفة حركة القبائل ومسالكها وأوقاتها، ووقفوا على الخلافات القبلية وذكرها خدمة لمصلحتهم، واخترقوا صفوف القبائل المعاونة لهم عن طريق فرق تسد ،وتكسير الصفوف

---

[1] A.Choisy, Op.Cit.p290

[2] رحالة ومستكشف فرنسي من مواليد 1850م بفروديارFredière ، قام بعدة أبحاث علمية واستكشافية في مناطق الجنوب الجزائري رفقة هنري دوفرييي وفلاترس،وطبع رحلته إلى الصحراء الجزائرية سنة 1883م. ينظر: Narcisse Faucon,Op.Cit.pp 266-267

[3] Louis Moulleseaux.et Piérre Boyer, **Histoire de L'Algérie**, paris,1962, p359.

[4] دوني بيلي، المرجع السابق،ص 34.

والتحكم في طرق القوافل التجارية وتحويلها إلى الأسواق الواقعة تحت سيطرتهم.وبالتالي فقد جاءت مهمة الاحتلال العسكري بسهولة رغم المقاومة التي أبداها سكان ورقلة.

هذا بالإضافة إلى أن معظم هذه البعثات الاستكشافية قد نجحت في مهمتها باستثناء البعض منها التي لم تحقق هدفها بسبب هجمات قبائل التوارق، أما بالنسبة للنجاح فهذا يعود إلى الدعم الذي لقيته من الآغوات الذين عينتهم فرنسا على ورقلة ،وعلى الخصوص الآغا محمد بن دريس، والآغا عبد القادر بن عمر، زيادة على دعم الزاوية التجانية لهم، من خلال استقبالهم، وتزويدهم ببعض المريدين لضمان سلامتهم في طريق رحلتهم.

المرحلة الثانية: الاحتلال العسكري لورقلة :

على ذكر الدوافع السالفة الذكر وقع الاحتلال الفرنسي على ورقلة، وهذا بعد ما تم تعيين محمد بن عبدالله سلطانا على ورقلة منذ سنة 1851م، إذ عمل على استتباب الأمن،والقضاء على الصراعات المحلية التي كانت قائمة بين القبائل البدوية والأسرة الحاكمة، وتحقيق الاستقرار السياسي، ومحاولة توجيه الأنظار من المجال الضيق إلى المجال الواسع ، والاستعداد لمواجهة خطر الاحتلال الفرنسي،وعليه فقد أخد يعد العدة والعتاد، ويجمع الأتباع والأنصار،واستمالة القبائل الموالية للفرنسيين، وبات يهدد التواجد الفرنسي بالمنطقة خاصة وأنّه دخل معهم في أول معركة يوم 22 ماي 1852م بمنطقة متليلي.[1]

وأمام هذه التهديدات ما كان من السلطة الاستعمارية إلا الإسراع في إخضاع منطقة ورقلة والسيطرة عليها قبل أن تتحول إلى قاعدة ثورية للمقاومة الشعبية، وعلى اثر الإجراءات التي اتخذها الحاكم العام راندون*Randon*، قام بتجهيز ثلاث فرق عسكرية الأولى قادمة من وهران بقيادة الجنرال يوسف والجنرال بلييسي *Bellissier* وماكماهون *Mac Mahon* [2].وفي المقابل لم يكترث الشريف محمد بن عبد الله بهذه

[1] Rapport du mois Septembre 1853.Cercle de Biskra. A.O.M. F80 501.
[2] E.Mangin , Op .Cit. ,pp 290-318

الإمدادات العسكرية، بل واصل هجوماته على الفرنسيين والموالين لهم ،وكبدهم خسائر كبيرة، الأمر الذي دفع بالسلطة الاستعمارية إلى الاستنجاد بعملائها في المنطقة وفي مقدمتهم سي حمزة ولد بوبكر الذي عينوه خليفة على المنطقة الممتدة ما بين الجلفة والحدود المغربية كمكافأة له على اشتراكه في إخضاع منطقة الاغواط سنة 1852م.فانطلق مدعما من الفرنسيين بقوات قدرها 2000 فارس و200 من المشاة[1]، وسار نحو مدينة نقوسة، حيث اخضع في طريقة قصر متليلي وووادي ميزاب إلى أن وصل نقوسة فأخضها له في 5 ديسمبر 1853م، رفقة الفرق العسكرية الفرنسية التي لحقت به بقيادة ديريو*Durieu*، وبارال *Du Barail*، ونيقو *Niqueux*، وبعد مرابطة دامت حوالي اثنان وخمسون يوما(52) بنقوسة ،سار سي حمزة ولد بوبكر نحو ورقلة رفقة العقيد ديريو *Durieu* على رأس 650 من المشاة، و300 من الفرسان لاحتلالها، ودخل في معارك طاحنة ضد الشريف محمد بن عبدالله خاصة في منطقة الرويسات، إذ انهزم الشريف محمد بن عبد الله في يوم 27 جانفي 1854م، وتم إخضاع كل قرى ومداشر ورقلة، وانسحب على إثرها نحو تونس لاسترجاع أنفاسه من جديد.[2]

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الدعم العسكري لسي حمزة ولد بوبكر لم يكن إلا ظرفيا بسب عدم قدرة فرنسا آنذاك على اقتحام ورقلة، هذا بالإضافة إلى أن سكان ورقلة رفضوا سلطة سي حمزة ولد بوبكر عليهم،بالإضافة إلى أن هذا الدعم كان يستهدف بالدرجة الأولى فتح الطريق أمام الإدارة الاستعمارية التغلغل داخل المنطقة من اجل التمكين للاحتلال.

---

[1] Ibid, p32

[2] Alain Romey, **Histoir, Mémoire et Societes, L’exemple de N’goussa : Oasis berbérophone du Sahara (Ouargla)**, L’Harmattan,paris,1992, p75

بعدها دخل الكولونيل ديريو *Durieu*[1] ليعلن باسم فرنسا احتلال ورقلة، مع إلزام سكانها بتقديم ضريبة سنوية تقدر بألفي فرنك(2000ف) للسلطة الفرنسية[2].إلا أن الجيش الفرنسي لم يستقر بالمنطقة ونصب عملاؤه بنيابة عنه،مع ترك حامية عسكرية مشكلة من مائة جندي(100)، وتجريد السكان من أسلحتهم، بالإضافة إلى أخد من كل قرية مجموعة من الشخصيات ذات مكانة في مجتمعهم،ووضعهم تحت الإقامة الجبرية بمدينة بسكرة، وهي سياسة اعتادت السلطة الاستعمارية استخدامها بعد احتلال أية منطقة في الجنوب،وهذا ما حدث أيضا بعد احتلال تقرت في نهاية 1854م.[3]

كل الكتابات الفرنسية تؤكد على أن سكان ورقلة قابلوا الاحتلال الفرنسي بمقاومة شرسة، ولولا استعانة فرنسا بعملائها في المنطقة لا تأخرت عملية احتلالها، غيـــر أن صاحب غصن البان نفى ذلك وكتب عكس ذلك، وذكر أن سكان ورقلة هم الذين طلبوا الحماية الفرنسية، إذ يقول في ذلك نقلا عن رواية الشيخ الحاج احمد بن محمد بن الشيخ الحاج احمد : " ..لم تمّ احتلال الدولة الفرنسية لبلاد الجزائر بعد حربها مع الأميـــر عبد القادر بن محي الدين سنة1264هــ/1846م بعد دوام ذلك الحرب الضروس مدة ستة عشر سنة اجتمع زعماء ورجلان (ورقلة) وبعثوا وفدا إلى بلدة الجزائر وطلبوا عميد الدولة الفرنسية الدخول تحت حمايتها، وذلك لما سئموا من ولاية الأشراف (أسرة أولاد علاهم)فقبل منهم ذلك، وعين لهم علي باي الذاودي من بسكرة قايدا وسماه باي الصحراء، وأوجّب عليهم ضريبة سنوية قدرها سبعة الآف وخمس مئة فرنك (7500ف)

---

[1] (*Durrieu (François-Louis-Alfred, baron*: جنرال فرنسي من مواليد 18 جانفي 1812م، انخرط في مدرسة هيئة الأركان العسكرية وتخرج منها برتبة نقيب سنة 1836م،وفي سنة 1854م ترقى إلى رتبة عقيد،كما تحصل على وسام الشرف في 10 أكتوبر 1851م، إضافة إلى عمله العسكري اهتم بالجانب العلمي حيث انخرط في جمعية الأعمال الطبوغرافية بالجزائر، وقد توفي في 27 ديسمبر 1877م، ينظر:

Narcisse Faucon,Op.Cit.p242

[2] C.Trumelet, Op.Cit , p 476

[3] Rapport du 27 janvier 1855.A.O.M. 10KK32

توزع على البلاد الورجلانية (الورقلانية) ، فقبلوا بذلك ورجعوا من عنده مسرورين، فمكث المذكور في الولاية أعواما عديدة إلى أن بدلته بسيدي حمزة.."[1].

لكن المتعارف عليه تاريخيا أن بنوا ميـــزاب هم الذين عقدوا اتفاق الحماية مع الفرنسيين سنة 1853م، وقبلوا بدفع ضريبة سنوية قدرها خمسة وأربعين ألف فرنك (45000ف)، وقد نص هذا الاتفاق على عدم تدخل فرنسا في الشؤون الداخلية لسكان بني ميـــزاب، وحماية تجارتهم بمناطق الشمال، وحرية تجارتهم مع ليبيا وتونس دون رقابة جمركية، مقابل اعتراف بنو ميزاب بالحماية الفرنسية.

وكما هو معروف أيضا أن العدو الفرنسي لا يكشف نواياه الحقيقية المسطرة لتحقيق أهدافه التوسعية، فهذا الاتفاق ما هو إلا در للرماد في عيون الميـــزابيين بغية إبقائهم على الحياد، والتفرغ للقضاء على الشريف محمد بن عبد الله واحتلال ورقلة، وقد تأكدا هذا فعلا عندما تم خرق اتفاق الهدنة من طرف واحد عن طريق الحاكم العام لويس تيرمان *Louis Tirman*[2] سنة 1882م.أضف إلى ذلك أن التقارير العسكرية بيّنت أن أعيان ورقلة وهم : عبد القادر بن كرميا شيخ بني سيسين، والحاج بن الحاج معيـــزة شيخ بني وقين، والحاج محمد كبـــير عرش بني ابراهيم، والحاج بوقلة كبيـــر عرش بني ابراهيم قد استسلموا بعد مقاومة منهم للسلطة الفرنسية رافضين احتلال ورقلة، وذهبوا إلى البيض يوم 11 سبتمبر 1854م لدفع ما عليهم من ضرائب إلى سي حمزة ولد بوبكر، ولهذا استغنى عنهم الشريف محمد بن عبد الله واتجه نحو وادي ريغ لجمع أنصار جدد.[3]

---

[1] أعزام، المصدر السابق، ص68.

[2] لويس تيرمان *Louis Tirman* من مواليد 29جويلية 1837م بميزيار *Méziéres* (فرنسا)، متحصل على شهادة دكتوراه في الحقوق، تقلد عدة مناصب سياسية وعسكرية، منها عضو مجلس محافظة ميزيار سنة 1863،عضو في وزارة الدفاع الوطنية الفرنسية عام1870م، عين حاكما عاما على الجزائر في الثمانيات من القرن 19م. ينظر: :
Narcisse Faucon,Op.Cit.p592

[3] Ch. Féraud , Op.Cit , p115

وفيما يخص تنصيب علي باي آغا على ورقلة وتكليفه بجمع الضرائب السنوية، فقد أكدت المصادر التاريخية أن علي باي نصبته السلطة الفرنسية بقيادة العقيد ديفوا *Desveaux* يوم 26 ديسمبر 1854م آغا على وادي ريغ ووادي سوف بحضور كل أعيان البلاد[1]، وضل بها إلى أن خلعته الإدارة الاستعمارية سنة 1871م، وعينت مكانه الملازم محمد بن دريس[2]،وليس سي حمزة ولد بوبكر كما جاء في الرواية.لأن سي حمزة عينته السلطة الاستعمارية منذ 1852م بلقب خليفة على المنطقة الممتدة من البيض إلى الحدود المغربية.وعليه فقد يكون صاحب غصن البان في روايته قد اختلط عليه الآمر والتبس ،فوقع في هذه التناقضات التاريخية.

الجدول رقم (11): ضباط وفرق الحملة العسكرية الفرنسية على ورقلة

- القائد العام للحملة : المارشال راندون *Randon* الحاكم العام بالجزائر	
الفرق العسكرية	
قوات وهران	بقيادة الجنرال يوسف
قوات البيض	بقيادة بلييسي *Bellissier*
قوات المدية	بقيادة ماكماهون*Mac Mahon*
عملاء موالين لفرنسا	سي حمزة ولد بوبكر(أولاد سيدي الشيخ)
فرق عسكرية أخرى	بقيادة ديريو *Durieu*، دي بارال *Du Barail*، نيقو*Niqueux*

[1] Personnel des commandements indigènes. A.O.M. 10KK32

[2] الملازم محمد بن إدريس جزائري الأصل، من مواليد الوطاية بمنطقة بسكرة سنة 1835م، عمل بالجيش الفرنسي كقائد للصبايحية ، ثم عينته السلطة الفرنسية آغا على تقرت سنة 1871م كما عينت أخاه السعيد آغا على ورقلة ، وتجدر الإشارة هنا إلى أن الامتيازات التي تحصلت عليها هذه العائلة كانت بفضل الخدمات الكبيرة التي قدمتها للفرنسيين ومساعدتهم في عملية استكمال احتلال الصحراء ، ومن ذلك إلقاء القبض على اخطر ثائر بالصحراء= بعد مقاومة الأمير عبد القادر وهو الشريف بوشوشة بمنطقة عين صالح سنة 1873م ، انظر : سعد الله ، **الحركة الوطنية الجزائرية 1860-1900**، مرجع سابق ، ص145

المرحلة الثالثة: الاستقرار النهائي للفرنسيين بورقلة

بعد سقوط مدينة ورقلة في يد القوات الفرنسية سنة 1854م، غادرت هذه الأخـــيرة باتجاه منطقتي وادي ريغ ووادي سوف لاستكمال عملية الغزو الاستعماري،تاركة عملائها يحكمون البلاد، حيث نصبت سيى زبير ولد بوبكر آغا على ورقلة[1] ، صاحب غصن البان ذكر بأن الفرنسيين بعد احتلال ورقلة نصبوا علي باي.

غيـــران الوضع الأمني لم يستقر في ورقلة مما دفع بالقوات الفرنسية العودة إلى ورقلة في ذكري عيد المسيح سنة 1857م لاستتباب الأمن وفرض السيطرة من جديد لمدة ثلاث سنوات، ثم عينت سنة 1860م السي زبيـــر ولد بوبكر سيدي الشيخ خليفة على ورقلة، إلا أن هذه الأخيـــرة تحررت مرة أخرى سنة 1871م من طرف الشريف بوشوشة[2]، ونصب فيها السي الزبيـــر مرة أخرى آغا على ورقلة[3]، وغادر بوشوشة متجها نحو

---

[1] M.R.Brigol, Op.Cit ,p32

[2] هو محمد بن التومي بن إبراهيم الغيشاوي المعروف باسم " بوشوشة " أي الفارس من مواليد الغيشة بجبـــال عمور، وعن تاريخ ميلاده يذكر يحي بوعزيز أنه ولد في مطلع القرن التاسع عشر ، بينما ذكر الكاتـــب محمـــد الأخضر عبد القادر السائحي(دون أن يذكر المصادر التي اعتمد عليها) بأنه :" ولد في قرية قرب المنيعة حوالي سنة 1826م " ، كان في بداية حياته راعيا مثل أجداده الدين ورث عنهم الشجاعة والفروسية ، رفع لواء المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي مند عام 1862 عندما اعتقلته السلطات الاستعمارية في ديسمبر بوخنيفيس قـــرب مدينـــة سيدي بلعباس ، وبعد فراره من السجن عام 1863 اتجه إلى فقيق بالحدود المغربية ، ومنها إلى توات أين شرع في جمع الأنصار وإعدادهم وتحضيرهم لحركة المقاومة ، وفي عام 1869 تمركز في عين صالح وأعلن نفسه شريفا عليها ، وبسرعة تجند تحت لوائه كثير من الأنصار من أهل توات وشعانبة متليلي وشعانبة المواضي بالمنيعة وشعانبة ورقلة ، فأخذت حركته تمتد وتنتشر خصوصا بعد انضمام بن ناصر بن شهرة إلى صفوفه في مـــارس 1869 ، ونتيجة لهذا العدد الكبير من الأنصار قام بحث سكان الجنوب على مقاومة النفـــوذ الفرنـــسي ، ومهاجمـــة المتعاونين مع العدو ، إذ قام بمطاردة الشيوخ والمسؤولين الذين عينتهم فرنسا ، للمزيد من المعلومـــات انظـــر : بوعزيز ، **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين** ، ج1 ، ص ص 216- 227

[3] تحول سي الزبير ولد بوبكر سيدي الشيخ من عميل للفرنسيين إلى مقاوم وثائر ضدهم وهذا بعد اندلاع ثـــورة أولاد سيدي الشيخ سنة 1864م على خلفية احتقار السلطة الفرنسية لعائلته، والتقصير مـــن شـــاهما، وإلغـــاء الامتيازات التي كانت تتحصل عليها،وعليه رفع لواء المقاومة إلى جانب أخوه سيي لاعلى، هذا بالإضافة إلى انـــه كوّن علاقة مصاهرة مع الشريف بوشوشة ،الأمر الذي جعل هذا الأخير يعينه آغا على ورقلة في مكان ناصر بن شهرة سنة 1871م.

منطقة وادي سوف.لكن القوات الفرنسية عادت مرة أخرى مجهزة بإمدادات عسكرية بقيادة الجنرال دولا كروا *DeLacroix* [1]،وإعادة احتلال ورقلة من جديد في 5 جانفي 1872م،وعلى اثر هذا الاحتلال نصبت السلطة الاستعمارية الملازم محمد بن دريس آغا على ورقلة وتقرت،وطلبت منه ملاحقة الشريف بوشوشة وإلقاء القبض عليه،إلا أنهّ في سنة 1877م تم عزل بن دريس بسب ارتكابه العديد من التصرفات التي لا ترضي الفرنسيين، وعينت مكانه الآغا عبد القادر بن عمر، وعلى ما يبدوا أن هذا الآغا الجديد لم يستقر في آغاويته، فبعد ثلاث سنوات قدم استقالته بسبب الغزو الفرنسي لتونس سنة 1881م، والذي انعكس على سكان ورقلة بحكم العلاقة الأخوية الموجودة بين الجالية الورقلية بتونس والتونسيين، والتي هاجر إليها الورقليون عقب احتلال ورقلة من جديد سنة 1872م. لتستقر هذه المرة القوات الفرنسية نهائيا عام 1882م بعدما تم تنصيب أول مركز عسكري فرنسي بمنطقة الرويسات تحت قيادة الفريد لوشاتولي *A.Le chatelier*،وفي نوفمبر 1887م تم بناء برج عسكري على يد الهندسة العسكرية في منطقة بني ثور.[2]

وفي هذا الصدد يمكن أن نتساءل حول أسباب تأخر استقرار الفرنسيين بورقلة إلى سنة 1882م، على الرغم من مرور تسعة وعشرون(29) سنة على احتلالها؟ ولماذا في هذه الفترة بالتحديد؟

فيما يخص فتــــرة الاستقرار، فهد يعود إلى التضييق على الحدود التونسية الجزائرية بعدما تم احتلال تونس سنة 1881م، وذلك لقطع أية علاقة مساندة أو مساعدة من طرف الجزائريين عموما والورقليين خصوصا بحكم تواجد جالية كبيــــرة من الورقليين مقيمين بتونس، زيادة على ذلك محاولة منع انتشار انتفاضة الشيخ بوعمامة إلى هذه المناطق، وإفشال أية حركة عسكرية شعبية، مع إحكام السيطرة على ورقلة حتى لاتكون

[1] دولا لا كروا *DeLacroix*: القائد العام لقطاع قسنطينة خلال السبعينات وأحد الضباط الفرنسيين الـــذين احتلوا بعض الواحات في جنوب شرق الجزائر ، وكان له دور كبير في مطاردة أولاد مقران إلى الصحراء.

[2] P.Passager, Op.Cit, p105

ملجأً للثوار الفارين من الجنوب الغربي، بالإضافة إلى أن الدول الأوروبية كانت مقبلة على عقد مؤتمر دولي ببـــرلين تحدّد فيه مناطق النفوذ، وعليه سعت فرنسا إلى تعزيز وجودها بالمنطقة لإبعاد خطر منافسة بريطانيا في التغلغل داخل الصحراء الجزائرية،لاسيما بعدما راج في ذلك العهد محاولات التوسع البريطانية والاسبانية والألمانية في الصحراء بغية تكوين إمبراطوريات استعمارية.

أما فيما يخص أسباب تأخر الفرنسيين في الاستقرار بورقلة يمكن حصرها كما يلي:

- وضع الثقة العمياء في عملاء السلطة الاستعمارية الذين نصبتهم كآغاوات على ورقلة مثل السي الزبير، حمزة ولد بوبكر،محمد بن دريس، عبد القادر بن عمر،فكل هؤلاء عجزوا على استتباب الأمن في المنطقة، وفشلوا في تحقيق الاستقرار للمعمرين الفرنسيين، بل وفيهم من رفع لواء المقاومة ضد السلطة الاستعمارية وعلى الخصوص السي الزبير ولد سيدي الشيخ.
- تشتت القوات الفرنسية عبـــر مختلف مناطق الوطن وذلك في إطار القضاء على الانتفاضات التي اندلعت خلال فتـــرة الستينات والسبعينات ،مثل انتفاضة أولاد سيدي الشيخ بالجنوب الوهراني سنة 1864م، وانتفاضة المقراني والحداد سنة 1871م، بالإضافة إلى الحرب البروسية الفرنسية سنة 1870م، والتي تكبد فيها الفرنسيون خسارة كبيرة،فكل هذه العوامل أشغلت السلطة الاستعمارية على فرض استقرارها بالمنطقة، وعطلت عجلة التقدم نحو استكمال الغزو النهائي للصحراء الجزائرية.
- ترك المجال للمستكشفين الفرنسيين والأوربيين لاستكمال رحلاتهم الاستخبارتية في المنطقة،قبل إنشاء المراكز العسكرية التي قد تجلب هجمات المقاومين،ويصبح المستكشفين عرضة لخطر الاعتداءات والاغتيالات من طرف القبائل المناوئة للاستعمار،ولقد كانت هذه الكشوفات الأولية أساسية للمهمات الأخرى الرامية إلى ربط الجزائر بالسودان الغربي، والتي تمت بعد فتـــرة استقرار الفرنسيين بالمنطقة.

خلاصة الفصل:

بخصوص ما تم استعراضه سلفا حول الأوضاع العامة لمنطقة ورقلة قبل احتلالها من طرف الفرنسيين اتضح لنا جليا أن تدهور الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية كان أحد الأسباب القوية التي سهلت للقوات الفرنسية التغلغل والتوسع في المنطقة بأقل التكاليف والخسائر مقارنة مع مناطق صحراوية الاخرى التي تم احتلالها.

فعلى مستوى الحياة السياسية شهدت المنطقة صراعات قبلية وأسرية خاصة الأسر الحاكمة: مثل آسرة بن بابية بنقوسة،وأسرة بني غبول بورقلة، وذلك من اجل الاستفراد بالحكم، ولعل طول مدة العداوة بين مختلف التشيكلات الاجتماعية بالمنطقة في أواخر العهد العثماني دفع بالسلطة الاستعمارية إلى استخدام هذه الصراعات لصالحها وذلك بتأليب أو تغليب طرف على طرف تطبيقا لسياسة فرق تسد،وهذا ما تمّ بالفعل.

أما على مستوى الحياة الاجتماعية والاقتصادية، فعلى ما يبدوا لنا أن المجتمع الورقلي آنذاك لم يكن على حالة من الانسجام التام، وذلك بسبب الصراع حول مصادر المعيشة المتمثلة في مواطن الكلاء والمراعي والمزارع، ومنابع المياه، هذا بالإضافة إلى تراجع المستوى الغذائي القائم على الزراعات المحلية ،وهذا بسب سياسة الانتقام بين الإخوة الأعداء المتمثلة في قطع الأشجار والنخيل،وأيضا جفاف العديد من الآبار الارتوازية بسب التخريب الذي أصاب المنطقة من جراء الاضطرابات هذا من جهة، وأيضا بسبب الإهمال وعدم الصيانة من جهة أخرى.هذا دون أن ننسى تدهور التبادل والحراك التجاري نتيجة لعدة أسباب ذكرناها سالفا.

والى جانب تدهور الحياة الاقتصادية والاجتماعية وعدم الاستقرار السياسي في المنطقة قبل الاحتلال الفرنسي،ازدادت الرغبة الاستعمارية لدى الحكومة الفرنسية للتوسع نحو عمق الصحراء، والتي جسدها الجنرال راندون *Randon* في سياسته العسكرية منذ سنة 1851م،بداءً بالبعثات الاستكشافية والحملات الاستطلاعية التجسسية إلى الاحتلال

العسكري المباشر،كما أن هذه الرغبة الجامحة تزامنت مع اشتداد التنافس بين بريطانيا وفرنسا حول مناطق النفوذ في إفريقيا، وعليه كان لابد على فرنسا أن تبسط يدها على خيرات الصحراء قبل أن تمتد أيادي استعمارية أخرى إليها.

إن هذا الحال الذي كانت عليه منطقة ورقلة جعل هذه الأخيرة تسقط في أيدي القوات الفرنسية سنة 1854م بعد محاولات التحدي والمقاومة التي أبدها سكان منطقة ورقلة، غير أن ضعف الإمكانيات وتواطؤ بعض العملاء حال دون ذلك.الأمر الذي اكسب السلطة الاستعمارية نوعا من الثقة والاطمئنان في ترك مسؤولية استتباب والاستقرار وفرض القوانين الفرنسية لهؤلاء العملاء، والذهاب إلى مناطق صحراوية أخرى لاستكمال عملية التغلغل والتوسع،لكن هذه الثقة والاطمئنانية سرعان ما فقدت من هؤلاء الوكلاء العملاء، بسبب عدم قدرتهم على مواجهة الانتفاضات الشعبية التي حدثت في المنطقة،مما دفع بالقوات الاستعمارية بالعودة إلى منطقة ورقلة الاستقرار بها نهائيا سنة 1882م.

أمام هذا المشهد يبقى التساؤل مطروحا أيضا: ما طبيعة هذه الانتفاضات الشعبية؟وكيف واجهتها السلطة الاستعمارية؟ كل هذا سنعرفه في الفصل التالي.

الفصل الثالث:
المقاومة الشعبية بورقلة وردود الفعل الفرنسية

المبحث الأول :
مساهمة سكان ورقلة في مقاومة الشريف محمد بن عبد الله

المبحث الثاني :
مساهمة سكان ورقلة في مقاومة الشريف بشوشة

المبحث الثالث :
أسرة أولاد سيدي الشيخ بورقلة بين العمالة والمقاومة

المبحث الرابع :
الطرق الصوفية بورقلة وموقفها من الاستعمار الفرنسي خلال القرن (19م)

المبحث الأول : مساهمة سكان ورقلة في مقاومة الشريف محمد بن عبد الله

اولاً/ حلول الشريف محمد بن عبد الله بورقلة ومبايعته سلطانا:

تتفق معظم المصادر التاريخية على أن فكرة الجهاد عند الشريف محمد بن عبد الله قد تبلورت في ذهنه عندما ذهب إلى مكة المكرمة لأداء مناسك الحج، وهناك التقى بالعديد من الجزائريين الذين طردهم فرنسا من ارض الوطن بحجة المساس باستقرار أمن الدولة الفرنسية، ولعل الدافع القوي الذي سانده وشجعه على الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر هو محمد بن علي السنوسي الذي كان متواجدا هو الآخر بمكة المكرمة بعدما طردته فرنسا سنة 1849م.

وعليه فقد رجع الشريف محمد بن عبد الله إلى الجزائر عن طريق ليبيا ثم الجريد التونسي ،فوادي سوف وتقرت، ثم دخل ورقلة سنة 1851م، واستقر بالزاوية القادرية بالرويسات[1]، وهذا ما تؤكده روايات المجتمع المحلي بالمنطقة.

---

[1] لقد اختلفت الروايات حول شخصية الشريف محمد بن عبدالله من حيث النسب والانتماء الصوفي والمدفن، فقد جاء في مقتضبة تاريخية بعنوان: ((سي محمد الطيب مولا ورقلة)) للشيخ حساني لحسن بن محمد (حمة باهي) شيخ الطريقة القادرية لعموم شمال إفريقيا والجزائر بالرويسات بورقلة، أن الشريف محمد بن عبد الله، هونفسه الشريف محمد الطيب بن إبراهيم بن احمد بن عيسى، حسني النسب قادري الطريقة، يتصل نسبه بالشيخ عبد القادر الجيلالي دفين بغداد وبأبيه الشريف إبراهيم بن احمد صاحب الزاوية القادرية بنفطة ،وهوصاحب الضريح الموجود بزاوية الرويسات. وقد اغتالته يد الغدر بمؤامرة من عملاء الاستعمار آخر سنة 1900م برصاصة ضابط فرنسي وهوقائم يصلي المغرب، في منطقة شروين في العرق الغربي الكبير، ثم نقل جثمانه ودفن بورقلة . ويستشهد في بحثه بأربعة أبيات من الشعر الشعبي وجدت في مخطوطة لشاعر من الأغواط يدعى الشيخ سي حرز الله بن الجنيدي القادري (1806-1896)، والمخطوطة مكتوبة بيد على بن محمد السوقاري بتاريخ 24 أفريل 1904م ،جاء فيها:

والطيب سي محاد جا عودوا غوار *** بن عبد الله الشريف ينسب للسادات

طاعت ليه المخادمة واولاد زيار *** تقرت وواد ريغ زيد بلاد توات

يقيموا يوم الطراد يديه المشوار *** يلقي عن بوعلام في يوم الندهات

غير أن المصادر الفرنسية تختلف في تحديد تاريخ موحد لقدوم الشريف محمد بن عبد الله إلى ورقلة، فقد ذكر بساجي *Passager* انه جاء في جويلية 1851م[1]، على خلاف ألآن رومي *Alain Romey* الذي ذكر انه جاء في شهر أوت 1851م[2]، بينما ارجع ليتيليو*lethielliux* مجيئه إلى أوائل 1851م، إذ يقول : " في شهر فيفري 1851م/1268هـ المدينة كانت هادئة على غير العادة، عندما جاء في إحدى الليالي شيخ رفقة زوجته على المهري الذي يجره، ملابسه ممزقة، تدل على أنه مسافر أتى من بعيد أضناه طول السفر واستقبل في بني سيسين من طرف عبدالله بوخالد أحد قادة بدو المخادمة، والذي يحمل له رسائل توصية، في البداية استقبل بغرابة ثم بدأ يستقبل العباد، كثير من الناس، وشيئاً فشيئا كشف عن اسمه، محمد بن عبد الله "[3]،وهو نفس التاريخ الذي يؤكده تروملي *Trumelet* [4]،ومادلين روفيلواز بريقول *M.R.Brigol* [5]،لتوضيح اللّبس يمكن القول إن الكتّاب الفرنسيين اختلط عليهم الأمر بين حلول محمد بن عبدالله إلى ورقلة ومبايعته سلطانا لها.

وتجدر الإشارة إلى أن مبايعة الشريف محمد بن عبد الله سلطانا على ورقلة كان بفعل تفاعل مجموعة من العوامل وفي مقدمتها دعم شيخ الطريقة السنوسية خاصة بعد عودته من بلاد الحجاز واستقراره بليبيا، أين أخذ يراسل الشريف ويشجعه على الجهاد ضد الاستعمار،زيادة على ذلك العلاقة القوية التي كانت تربط الشريف بالسلطات العثمانية

= غير أن دوني بيلي ينفي صحة هذا الكلام، ويذكر أن الشريف محمد بن عبد الله ليس هو شيخ القادرية، وانما الآغا سي محمد الطيب بن ابراهيم قائد القادرية في ورقلة كان مواليا للفرنسيين ، وقد قتل يوم 5 مارس 1901م في واقعة شروين قرب تيممون وهو يقاتل بجانب سير فير. ينظر:دوني بيلي، المرجع السابق، ص36.

[1] P.Passager, Op.Cit, p103

[2] Alain Romey, **Histoir, Mémoire et Societes, L'exemple de N'goussa : Oasis berbérophone du Sahara (Ouargla)**, L'Harmattan,paris,1992, p74.

[3] J.lethielliux,Op.Cit ,p248.

[4] Trumelet ,Op.Cit, pp44-79.

[5] M.R.Brigol,Op.Cit ,p31.

والتي كانت تسانده بقوة ضد الاحتلال الفرنسي للجزائر، وما يؤكد هذا الطرح عنـــد عودة الشريف محمد بن عبدالله إلى الجزائر عن طريق ليبيا رافقه حاكمها العثماني عـــزت باشا في نهاية 1849م.[1]

هذا بالإضافة إلى الدور الذي لعبه زعيم المخادمة الشيخ عبدالله بن خالد[2] ، الذي أيد حركته الجهادية وقدمه للأهالي وحمَلهم على الاعتـــراف بزعماته لقيادة المقاومة ضـــد الفرنسيين،هذا دون أن ننسى شخصية أخرى ساندت حركة الشريف محمد بن عبد الله وهي الحاجة الزهرة[3] التي لعبت هي الأخرى دورا كبيـــرا في اســـتمالة النـــاس إليـــه والتعريف به، وتبليغ الأهالي على أنه مبعوث من الله ليكون سلطانا على ورقلة ويحررها من الكافرين.

وحسب رواية المجتمع المحلي فإن الشريف محمد بن عبدالله لقي ترحابـــا واســـتقبالا كبيـــرين بورقلة، إذ كثـــر أتباعه وأنصاره في ظرف وجيـــز، واتفق الأهالي على توليته سلطانا على ورقلة في حالة انتصاره على الأعداء باقتراح من الحاجـــة الزهـــرة (لآلـــة زهرة).وتذكر المصادر التاريخية أن الشريف محمد بن عبد الله لم يجد صعوبة في الدخول إلى ورقلة، وعلى هذا الأساس بويع سلطانا على ورقلة في صائفة 1851م.[4]

ومن جهة أخرى لعل اختيار الشريف محمد بن عبد الله ورقلة مركزا لحركته الجهاديـــة على غرار المناطق الأخرى يعود إلى الأوضاع السياسية والعسكرية بالمنطقة ، ومنها على وجه الخصوص :

- الفراغ السياسي الذي عرفته ورقلة بعد القضاء على حكم أسرة أولاد علاهـــم، وبالتالي كان لابد من وجود زعيم يلقى الإجماع من طرف جميع قبائل ورقلة، و

---

[1] سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية** ،المرجع السابق،ص 356

[2] لم نعثر على ترجمة ذاتية له

[3] لم نعثر على ترجمة ذاتية لها

[4] Trumelet, Op.Cit.pp44-70

- يخلف الرؤساء المحليين كالآلة الزهرة وزعيم المخادمة الشيخ عبدالله بن خالد.هذا على غرار بعض المناطق الأخرى من الجنوب الجزائري كمنطقة الابيض سيدي الشيخ والاغواط وبسكرة ووادي ريغ، حيث نصبت فرنسا خلفاء لها بالنيابة يسهلون لها عملية الاحتلال والتوسع فيما بعد.
- كانت ورقلة لا تزال غير خاضعة لعملية الاحتلال، وكانت الملجأ الآمن لكثير من المقاومين الجزائريين الذين جددوا مقاومتهم ضد الاستعمار.
- محاولة تشتيت وتفريق القوات الفرنسية حسب مناطق الثورات التي كانت تعرفها البلاد، بحيث تزامنت هذه الفترة مع اندلاع ثورة بوبغلة وحلفائه في منطقة القبائل.

ثانياً/ جبهات التصدي والمقاومة قبل احتلال ورقلة (1850-1853م) :

بعدما تم الإعلان عن الشريف محمد بن عبد الله سلطانا على ورقلة، أخذ يفكر بجدية في القيام بأول تجربة عسكرية ضد القوات الفرنسية، فبدأ بالتعبئة ومراسلة القبائل المجاورة لكسب الأتباع وزيادة الأنصار والتزود بالمؤونة، ومهاجمة المتعاونين مع الاستعمار، ثم الدخول في مواجهات مع القوات الفرنسية[1]، وقد عرفت مقاومته عدة جبهات لتصدي التوسع الفرنسي في المنطقة، وهي كالآتي:

1- جبهة وادي ريغ والزيبان: على خلفية الأحداث التي وقعت في أسرة إمارة بني جلاب[2]،وذلك بسبب الصراع حول الحكم بين سلمان بن علي الجلابي[1] الوريث

---

[1]Rapport et situation politique en Algérie, Division d'Alger , A.O.M,1H11

[2] نسبة إلى مؤسسها الأول الشيخ سليمان بن رجب المريني الزناتي الجلابي الذي تربع على كرسي المشيخة ، حيث وجد الفوضى والحروب منتشرة في مختلف ربوع وادي ريغ ، فقام بإخماد تلك الحروب وجعل المنطقة تحت حكمه ، ليرثها من بعده أبناؤه وأحفاده، وقد تعاقب على حكمها ما يقارب 36 حاكما، واستمرت هذه الإمارة أكثر من ثلاثة قرون إلى غاية سقوط المنطقة في أيدي القوات الفرنسية عام 1854م. ينظر:
CH.Féraud, Op.Cit,PP 156-157

الشرعي لإمارة بني جلاب بتقرت، وابن عمه عبد الرحمان الذي كان متعاونا مع الإدارة الاستعمارية ،وذلك بعد احتلال بسكرة أعلن خضوعه للفرنسيين والتـــزم بدفع ضـــريبة سنوية تقدر بـــعشرين ألف فرنك فرنسي (20000ف)[2]. وعليه اتجه سلمان بن علي إلى ورقلة طالبا من الشريف محمد بن عبد الله نصرته واسترجاع سلطته، فمكان من الشريف إلا تلبية النداء، فاتجه نحو نقوسة واستولى عليها، ثم سار نحو وادي ريغ أوائل شهر أكتوبر 1851م عل رأس 100فارس و900 من المشاة،واستقر بمدينة تماسين[3]، التي اتخذها سلمان الجلابي ملجأ مؤقتا إلى حين استرداد عرشه، غير إن سلطان تقرت عبد الرحمان هـــاجم قوات الشريف محمد بن عبد الله المرابطة بتماسين بجيش قدره 600 فارس، لكن الغلبـــة كانت لقوات الشريف التي قتلت حوالي 85 رجلا، وأرغموه على التراجع والاعتـــصام بقصره سبعة عشر يوما.وفي المقابل فقد الشريف في هذه المعركـــة حـــوالي 30 قتـــيلا و10جرحى.

---

[1] سلمان بن علي هو ابن عم السلطان عبد الرحمان بن عمر ، وقد هرب إلى تماسين بعدما انتزع الحكـــم منـــه ، فأرسل عبد الرحمان في طلبه ، ففر سلمان إلى الغرب ولما توفي عبد الرحمان أرسل بعض سكان تقرت مبعوثا إلى السلطات الفرنسية ليأتي بالطابع إلى أولاد السلطان عبد الرحمان،فخلف هذا الأخير ابنه عبد القادر الذي كـــان صغيرا ، حيث عاشت الإمارة في عهده انحطاطا كليا في جميع المجالات، لذلك أرسل سكان تقـــرت رســـالة إلى سلمان الجلابي يستعجلونه فيها بالقدوم إلى تقرت ليحكمها ،لأنه الوريث الشرعي لسلطنة بني جلاب ، ففعـــل وأصبح بذلك سلطانا على تقرت. وفيما يخص الصراع بين الأسرة الحاكمة يقول مالتسان،مثلا : «..كان النزاع يسود أفرادها في السنوات الأخيرة من سقوطها ، إذ كان هناك دائما جلابيون يطالبون بالحكم ، ويحاولون إسقاط الجلابي الحاكم ، وكثيرا ما تم لهم ذلك ...وكانوا كلهم ينتمون إلى أسرة جلاب..» ، ينظر: مالتسان ، **ثـــلاث سنوات في غرب شمال إفريقيا** ،الجزائر،ش.و.ن.ت،ج3 ،1980، ص177

[2] Rapport du 1 au 15 mai 1845.A.O.M, F88- 493

[3] هناك اختلاف في تداول الروايات، هناك من يقول أن قوات الشريف بن عبد الله استقبلت من طرف ســـكان بلدة عمر، وانضم إليها أهل تماسين على أساس أن شيخ الزاوية التيجانية كان قد طلب من سلمان الجلابي مغادرة المدينة حتى لا تتعرض لأي هجوم، وهناك رأي آخر يقول إن سكان تماسين هم من استقبلوا قوات الشريف، وهو ما يؤكده سعد الله في قوله: إن الشريف محمد بن عبد الله عند دخوله تماسين وجد محمد العيد التجاني واقفا على الحياد من الحرب .ينظر : سعد الله، المرجع السابق ، ص 359.

هذا الانتصار الذي حققه الشريف محمد بن عبد الله رفقة سلمان بن علي الجلابي جعل السلطة الاستعمارية ترسل إمدادات عسكرية بحوالي 400 فارس إلى حليفها عبد الرحمان الجلابي، الأمر الذي شجع عبد الرحمان بمعاودة الهجوم مرة ثانية على تماسين في ليلة الرابع إلى الخامس من أكتوبر على رأس جيش قدره 600 فارس و1500 رجل حاصروا مدينـــة تماسين، غير انه فشل في الدخول إليها مما دفع به إلى التراجع والعودة إلى مقـــر ســـلطته بتقرت، وفي المقابل ترجع الشريف محمد بن عبد الله إلى ورقلة من اجل تعزيز صـــفوفه بقوات جديدة وفضل عدم مطاردة عدوه.[1]

والمتتبع للأحداث يلاحظ أن الظروف العسكرية والسياسية كانـــت تـــسير لـــصالح الشريف محمد بن عبد الله ، فمن جهة الجلالبة فقد توفي عبد الرحمان الجلابي، فخلفه ابنه عبد القادر في الحكم سنة 1852م وهو صغير السن وبقي تحت وصـــاية جدتـــه لآلـــة عيشوش.

ومن جهة الفرنسيين فقد تراجعت السلطة الفرنسية في مواقفها ضد حليف الـــشريف محمد بن عبد الله وحاولت التقرب منه، حيث راسلته السلطة الاستعمارية بقيادة "الجنرال دو صال *DuSall* " تطلب منه توقيف القتال بين الطرفين، والاعتراف به سلطانا شرعيا على إمارة بني جلاب، وعدم التعامل مع الشريف محمد بن عبد الله، غـــير أن ســـلمان رفض هذا العرض، وبقي متمسكا بخيار المقاومة، وفي هذه الأثناء قام سلمان بـــالهجوم على تقرت واسترجع عرشه ، بعدما انتصر على قوات عبد القادر ولآلة عيشوش، وأعلن نفسه سلطان وادي ريغ.[2]

وأمام هذا الانتصار ما كان إلا على الفرنسيين القبول بأمر الواقع والاعتراف بحكـــم سلمان بن علي الجلابي شريطة إن يقطع علاقاته مع الشريف محمد بن عبد الله وان يغلق سوق تقرت أمام أعداء فرنسا، لكن سلمان لم يهتم بهذه الشروط، بل عزز علاقاته مـــع الشريف محمد بن عبد الله وفتح مدينة تقرت وضواحيها لتجار ورقلة وأنصار الـــشريف

---

[1] CH.Féraud, Op.Cit,P159.
[2] Ibid,p160.

محمد بن عبد الله، وهذا ما أكده صاحب " ري الغليل"[1] في رسالة موجهة الى عبد الحميد التركي أحد الموالين للسلطة الاستعمارية ،ولأهمية هذه الرسالة نذكر نصها فيما يلي:

((إلى حضرة الأجل المرعي برعاية الله عز وجل، محبنا ومنا وإلينا، السيد الحاج عبد الحميد بي، فلا أكرمه الله ورعاه آمين؛ أما بعد:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: وأنه لما بلغْنا – يا محبنا – إلى المغير، استخبرنا بأن الشريف – قوافله – قادمة تكيل من تقرت، فلما بلغنا إلى تقرت، أتت قافلة من العرب، وهم الحرازلة والأرباع والشعانبة، وسعيد عتبة، والمخادمة، وغيرهم، ودخلت تقرت يوم الجمعة في 11 رجب سنة 1268هـ، وجابت ثلاث مئة جمل للبيع، وكيّلتْ القمح ثَمن الصاع البسكري بستة دورو الصاع؛ وكيّلت التمر باثني عشر ريال للحمل، واشترت البارود بريال ونصف للرطل، وكان الريال عندهم يساوي ريالين تونسي، وأخذت الرصاص بنصف ريال للرطل، وأخذت السلاح شيء كثير.

وأتت قافلة يوم السبت في 12 رجب سنة 1268هـ، وفيها عشرون جمل، وكيّلت القمح بأربعة ريالات ونصف للربعية، وكان الصاع البسكري فيه ستة ربعيات.

---

[1] هو مخطوط عنوانه"**ري الغليل في أخبار بني عبد الجليل من سلاطين فزان**"، لصاحبه محمد بن السلطان عبد الجليل بن غيث ابن احمد بن سيف النصر، ويقال انه ابن آخر أمراء فزان ، المخطوط مكتوب باللغة العربية تغلب عليه اللهجة العامية، يحتوي على مائة وثلاث ورقات ، تم تأليفه بباريس (فرنسا) سنة 1268هـ/1852م، وهو عبارة عن رحلة شملت أقطار المغرب العربي ومصر والحجاز واسطانبول والسودان القديم، ويقال أن السلطة الاستعمارية الفرنسية هي التي طلبت من المؤلف كتابة رحلته،وذلك أن المؤلف قبل مغادرته باريس سلمه إلى السيد الحاج عبد الحميد باي بطلب منه، ليسلمه بدوره إلى " ولاة الأمور" الفرنسيين، ويذكر أبو القاسم سعد الله أن الحاج عبد الحميد باي الذي رافق الرحالة الليبي في آخر رحلته، انه صور نسخة من المخطوط، وحملها سنة 1853م إلى الأب بارجيس الأستاذ في جامعة السربون آنذاك، ليقوم بترجمة المخطوط إلى اللغة الفرنسية.

ويعمل على تحقيق المخطوط حاليا الكاتب الليبي حسين المزداوي ، وقد كتب عنه الباحث علي مصطفى المصراتي الليبي في كتابه :**مؤرخون من ليبيا** ، والدكتور الجزائري أبو القاسم سعد الله في كتابه: **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، الجزء الثاني**.

وأتت قافلة يوم الأحد في 13 رجب سنة 1268هـــ، وفيها أربعين جمل، وأخذت القمح من غير كيل بالحمل، باثنيـــــن وأربعين ريال للحمل، وأما التمر فقد اشترته مثل القوافل الأولين.

ويوم الاثنين في 14 رجب سنة 1268هـــ لم يتحطى القمح في سوق تقرت، وأكثر الناس القلين باتوا من غير عشاء، لأن القمح لم يوجد في تقرت.

ويوم الثلات {الثلاثاء} في 15 رجب سنة 1268هـــ أتت قافلة، وفيها أربع مئة جمل، وجاء معهم رجل اسمه محمد السنوســـي، يدعي بأنه شريف، وهو قاضي عند الشريف القايم بورقلة وخليفته، وحط خيمته غرب تقرت بقرب باب سيدي عبد السلام، وأتى معه رجل من أكابر الأرباع اسمه الشيخ الناصر، وأهدوا – الأرباع – للشيخ سلمان فرس من جياد الخيل، وأتوا أربعين فارس من الأرباع، ومعه رجل يشعر ويقول:

أتينا على الخيل الجيـــــاد شبيـــه الريح لـــلسبـــــــاق

وركبنا كل صنديدا هماما ولا نختشوا من أهل النفاق

ونحـــن حمية الإســـلام جمعـــاً ونُقِـــرّوا بـــــالله بـــاقي

وبمحمـــــــــــــد بـــــالرسالـــة إلى يـــوم التـــــلاقي

فلما وصلوا قرب تقرت، ركب الشيخ سلمان، ولاقتهم جميع أهل تقرت، وأتى ميعاد (رُسل) من عند أولاد جلال إلى الشريف محمد بن عبد الله، وميعاد (رسل) من جميع أهل الزاب، وميعاد (رسل) من السلمية، وقالوا للشريف محمد بن عبد الله: إذا تحط بقرب الزاب نكونوا معك.

وخبّرنا رجل من أهل سوف يخدم في الشريف – وهو خبرنا خبر صحيح – بأن الشريف محمد بن عبد الله عنده ثلاثة عشر مئة من الخيل، وخمسة وعشرين مئة ساق (نفر) وخمسة عشرة مئة هجين؛ اثنين من الرجال على كل هجين، وقال لنا: إن

الشريف – بلا شك – متوجه إلى بسكرة، وأما خليفته الذي اسمه محمد السنوسي مشى لأهل وادي سوف، يفزع فيهم للجهاد.

وأتى الخبر يوم الخميس في 17 رجب سنة 1268هـــ إن الشريف محمد بن عبد الله عزم على أولاد نايل قبلة أبوسعادة، ويوم الجمعة في 18رجب سنة 1268هـــ أعطى الشيخ سلمان إلى خدام الشريف مئة حمل تمر، وخمسة أحمال قمح، وعشرة أحمال شعير.

وأما الشيخ سلمان ليس يحب الفرنصيص، ولو يأخذ رأينا ودبارتنا – خدام الدولة الفرنصوية – ليس يلبّسوا الشيخ سلمان، ولا يسرحوا له القمح، لأنه يعطي فيه لعدوهم، ونحن كتبنا جواب إلى مسيو سيروكا؛ متولي أمور العرب ببلاد بسكرة، وأعلمناه بما ذكرنا لكم.

وأما تقرت في وقتنا هذا للشريف بلا شك، وإنهم – أهل تقرت – كل يوم يركبوا في الصمعة وينادوا: الجهاد في سبيل الله؛ وأما الحاج محمد الأدريسي، كل يوم يقرّي في كتاب الجهاد على الشيخ سلمان، وعلى جميع أكابر تقرت، ويقول لهم: جاهدوا في سبيل الله خير لكم لو كنتم تعلمون، وكل ناس جاهَدوا، إلا أنتم يا أهل تقرت، وها هم جاعلين أمرهم.

وأما الحاج محمد الأدريســـي فهو ماشي من عند الشيخ سلمان ميعاد (رسل) إلى الشريف محمد بن عبد الله، ولكن نحن في ظننا إن الشريف ماشي عن قريب، ومتوجه إلى بلاد بسكرة، ولكن في هذا الوقت لم يقدر على شيء، وأما وقت الخريف وقيلَ إنه يقدر؛ وأما نحن إن شاء الله يوم الأثنين في 21 رجب سنة 1268هـــ نرحلوا من تقرت، ونتوجهوا إلى حضرتكم ببسكرة، ونخبروكم بما علمناه، ودمتم بخير، والسلام .

من محبكم ومحب الجميع، عبده: محمد بن عبد الجليل.تاب الله عليه، وغفر له ولأبويه آمين.

بتاريخ يوم السبت في 19 رجب سنة 1268هـــ/1852م.))

بعدما تيقنت السلطة الاستعمارية استحالة التفريق بين الشريف محمد بن عبد الله وسلمان الجلابي، أصدرت قرارا بعزل هذه المنطقة عن كل التبادلات التجارية ومنع كل القبائل المنضوية تحت سلطتهم من الاتصال بها.

وتحركت السلطة الاستعمارية في ربيع 1853م بقوة عسكرية قدرها 500 فارس و500 من المشاة مجهزة بقطعتين من المدافع بقيادة العقيد ديفوا *Desveaux*[1] للقيام بمناورة عسكرية بالقرب من وادي ريغ، فما كان من سلمان الجلابي إلا القيام بمجموعة من التعزيزات والاستعدادات، فقام بتصفية أعدائه بالمنطقة، وراسل الشريف محمد بن عبدالله الذي قدم على جناح السرعة لنجدته بجيش قدره 200 فارس و800 من المشاة، ولكنه ما إن وصل إلى منطقة الحجيرة حتى عاد إلى ورقلة بعد أن علم بتراجع القوات الفرنسية إلى بسكرة.

غير أن سلمان الجلابي بات متأكدا ما هي إلا ساعات ويتم احتلال وادي ريغ من طرف الفرنسيين، وعليه عمل على توحيد وتنسيق الجهود مع الشريف محمد بن عبد الله وباقتراح هذا الأخير بالذهاب لمناوشة العدو بعيدا عن مقر المشيخة الجلابية ،وأن لا يبقى قابعا في المدينة ، بل عليه أن يجمع قواته ويضايق مسيرة الفرنسيين إلى تقرت ؛ أي أن سلمان الجلابي لا يكتفي بمرحلة الدفاع بل عليه الهجوم ، وفي حالة الفشل يمكن التراجع نحو ورقلة، ومنها تتم عمليات الهجوم على العدو[2]، وتنفيذا لهذه الخطة عمل سلمان

---

[1] هو ديفو أو ديزفو ،على نطق آخرين ، واسمه الكامل : نيكولا جيل توسا Nicola Gilles Toussaint من مواليد1810/11/1م بباريس ، تقلد رتبا عسكرية كثيرة منها : رتبة ملازم عام 1830، ورتبة نقيب عام1840، ورتبة عقيد عام 1851 ، وجنرال عام 1859 ، وتولى عدة مناصب عليا ، فمن سنة 1859 إلى سنة 1864 عمل قائدا للقطاع القسنطيني ، ومن سنة1864 إلى سنة1869 عمل نائبا لحاكم الجزائر ، وفي سنة1869 شارك في أعمال لجنة الجزائر ، كما شارك في وضع قوانين السيناتوس كونسيلت وتطبيقاتها سنة1863 ، وتوفي سنة 1884 م ، وتعتبر سياسة ديفو في الجنوب الجزائري البصمات الأولى الفاعلة للتوسع الفرنسي في الصحراء ، وتعد مذكراته أحد المصادر الهامة التي تحمل مادة خبرية حول تاريخ الجنوب الجزائري، أنظر :

M.Emerit , Une Source pour l'histoire du second empire: « les Souvenirs du Général Desveaux »

[2] Ch. Féraud, Op.Cit, p199

الجلابي على نقل خزينة المشيخة إلى ورقلة، وبيع المخزون من التمور، وبعد أيام اســتقبل الشريف محمد بن عبد الله "بعين فليتة "على رأس جيش قدره 500 فــارس ودخــل إلى تقرت وأمر أتباعه بتحصين إمارة الجلالبة والدفاع عنها.

و في هذه الأثناء خروج محمد بن عبد الله من قاعدته الثورية بورقلــة تــرك فراغــا عسكريا استغلته السلطة الاستعمارية لاحتلال ورقلة بمساعدة العميل سي حمــزة ولــد بوبكر في 27 جانفي 1854م بعد محاصرتها بقوات قدمت من وهران ومعسكر والمديــة والبيض.وبعد خسارة الشريف محمد بن عبد الله لورقلة ما كان عليه إلا الحفــاظ عــل قاعدته العسكرية الثانية بوادي ريغ، حيث عاد إليها بعدما وجد ســلمان الجــلابي في انتظاره واخذ يعد العدة بالتنسيق بينهما للتصدي للاستعمار الفرنسي.

ومن جهة الفرنسيين بعد مرور سنة انطلقت القوات الفرنسية لاحتلال وادي ريغ يوم 18 نوفمبر 1854 بقيادة الرائد مارمي (Marmier) ، وبجيش قدره 250 جندي نظــامي و2400 من الاحتياطيين وقوات الصبايحية بقيادة العربي المملوك مكونة من 150 فــارس ،مرورا بالمغير وجامعة ، وصولا إلى المقارين التي تمركزت فيها القوات لتهيئة الظروف المناسبة للهجوم على عاصمة وادي ريغ ، وفي صبيحة 29 نوفمبر 1854 التحم الجيشان في معركة ضارية بالمقارين[1] دامت من الثامنة صباحا إلى الثانية زوالا .[2]

ويذهب الفرنسيون إلى أن جيش المقاومين كان يتألف من2000 و400خيالة[3] ، بينما يذهب أبو القاسم سعد الله إلى أن عدد المقاومين شمل 800فارس وألفين من الفنطازية [1]،

---

[1] المقارين مدينة تقع شمال تقرت بحوالي 10 كلم ، وهي مقر دائرة تابعة لولاية ورقلة ، تــشمل بلــديتين (المقــارين ، سيدي سليمان) ، كما تقع على الطريق الوطني رقم 3 الرابط بين بسكرة و ورقلة ، وتبعــد عــن العاصمة حوالي 650 كلم ، ويمتهن اغلب سكانها الفلاحة .

[2] Rapport sur le Combat de Meggarin , livré le 29 novembre 1854 , aux contingents réunis du Cheikh de Touggourt et de Cheikh de Chérif Mohamed ben Abdallâh , in R.AF , n 39 ,1895 , pp155- 159. voir aussi : Historique des tribus du cercle de Batna de l’année 1854 et 1855, A.O.M .10H17.

[3] المبشر ،ع176 ،31 ديسمبر 1854.

انهزم الجيش الفرنسي في أول الأمر وتراجع إلى الوراء إلا أنه عاد بقوة معززة رجحت الكفة لصالحه ، إذ أمر القائد الفرنسي كتيبة القناصة بإتباعه إلى" قبة الولي الصالح سـيد علي بن كـانون " والتي تشرف على القرية بغية السيطرة عليها وصد الهجوم ، وقـد استطاعت هذه الكتيبة أن تقضي على هؤلاء الثوار المتحصنين بقبة الولي الـصالح ، وفي نفس الوقت أعطيت الأوامر لدفع سرية الملازم عمار من الصبايحية الثالثة لصد الهجوم من الجناح الأيسر ، وفي هذه الأثناء تقدم الفوج الثاني للهجوم من اليمين بقيـادة النقيـب كورتيفران (*Courtivroin*) وعلى اليسار سرية السي مختار والسي بوضياف ، فانـدفع النقيب كورتيفران إلى وسط الفرسان المشاة المجاهدين متبوعا بتوغل النقيب فانـدرواس (*Vindrois*) بفصيلة من كتيبة القناصة الأهالي إلى الأمام ، في حين تقدم المـلازم الأول جوهانو (*Johanneau*) بفصيلة أخرى وشرع في محاصرة القرية ومطاردة أهاليها ، ممـا أدى إلى كل من سلمان والشريف محمد عبد الله إلى الانهزام[2]، ثم التراجع و الانـسحاب نحو تقرت،ثم وادي سوف إلى الجريد التونسي.[3]

ومهما كان الحال فإنّه في يومي1 و 2 ديسمبر 1854م دخل القائد مارمي تقرت وقد سبقه إليها الملازمان الأولان روز*(Rose)* وديان فيل *(Dyanville)* رفقة سـرية مـن الصبايحية ،وفي 5 ديسمبر وصل العقيد ديفـو *(Desveaux)* إلى تقـرت علـى رأس

---

[1] سعد الله ، **الحركة الوطنية الجزائرية 1830–1860** ،ج،1مرجع سابق، ص 361 .

[2] من نتائج هذه المعركة يذكر شارل فيرو – الذي رافق اغلب الحملات العسكرية في الجنوب الشرقي – في كتابه (صحراء قسنطينة) على لسان النقيب Seroka قائلا : ((... كان من نتائج انتصارنا في هذه المعركة التي دامت حوالي خمس ساعات ، تراجع الأعداء نحو تقرت ، وتساقط العديد منهم قتلى بسبب الازدحـام الذي وقعوا فيه أثناء عبورهم الجسر الممتد على عرض الخندق المحيط بالمدينة الذي يوصلهم إلى باب الخضرة ، المنفذ الوحيد إلى مقر مشيخة بني جـلاب ،- جاء في المبشر انه مات منهم ثلاثة عشر شخصا خنقا وسقطوا بالخندق-كما تمكنا من غنم 1000 بندقية و 100سيف و5 رايات ، في حين قدرت الخسائر البشرية بما يقارب 500 قتيل وجريح في صفوف العدو،ولم نسجل نحن سوى 11قتيلا و46 جريحا)). ينظر :

Ch. Feraud ,« Les Ben Djallab Sultans de Touggourt », in **R.A**, N° 25 , 1881 , pp 218- 220

[3] Rapport sur le Combat de Meggarin, Op,Cit,pp155-159

الطوابير التي تم جمعها من باتنة و الاغواط وبوسعادة لتنضم إلى بقية الفـرق العـسكرية المتواجدة بعين المكان معلنا باسم فرنسا احتلال عاصمة وادي ريغ ، وطرد الجلالبة[1].

2- جبهة وادي ميزاب : سبق وأن ذكرنا بأن الشريف محمد بن عبد الله لما سيطر على ورقلة أراد أن يتجه إلى مجموعة من المناطق المجاورة لجمع الأنصار والأتباع، فأخذ يستعد للسيطرة على مدينة بريان، حيث راسل أعيانها طالبا منهم الخـضوع وتقـديم الـولاء والطاعة، ولكنهم رفضوا، وأعلنوا استعدادهم لمحاربتهم، وتحدوه إذا أراد القتال عليـه أن يتجه مباشرة لمحاربة الفرنسيين أعداء البلاد، ويظهر أن الشريف لم يكترث لهذا التحدي فاقترب من متليلي وعسكر إلى جنوبها صحبة عدد من الشعانبة والمخادمـة والأربـاع، وبعد مناوشات صغيرة ومحدودة عاد أدراجه إلى ورقلة وعين الشيخ الطيب بن بابية شقيق الشيخ بوحفص رئيسا على نقوسة.[2]

وتعود أسباب رفض بني ميزاب الانضمام إلى مقاومة الشريف محمد بن عبـد الله إلى الخوف والقلق الشديد من انتقام فرنسا من أهاليهم ، إذ يقول الـشيخ حمـو عيـسى النوري: " لما احتلت القوات الفرنسية مدينة الاغواط شعر الميزابيون بقلق شديد وتوقعوا سورة الانتقام من فرنسا ، وقد كانوا يقاومونها في الشمال أينما حلت..".[3]ويذكر أبـو القاسم سعد الله أن هذا الأمر(اتفاق الحماية) اتخذه الفرنسيون كأسـلوب جديـد في المعاملة مع بعض الجزائريين وهو نصب حماية تضمن للطرفين واجبات وحقوقا معينة دون اللجوء إلى الحرب.[4]وهذا ما أكده الجنرال راندون *Randon* في احد خطاباته قائلا: ((لا يمكن اعتبارها معاهدة تجارة بيننا وبينكم، لكن بوضوح استسلامكم لفرنسا، خارج هذه الفكرة لا يوجد أي تسوية، مداخليكم من شتى الأنواع معروفة لدينا كل مدينة لا تدفع إلا ما هو معقول، اعتبروا أنفسكم في خدمتنا، وسنعطيكم حمايتنا في كل مكان لا نريد

---

[1] Henri Garrot, Op.Cit, pp191-192.

[2] يوسف بن بابكر الحاج سعيد ، الرجع السابق، ص 69

[3] حمو عيسى النوري ، **دور الميزابيين في تاريخ الجزائر** ، المرجع السابق، ص 272.

[4] سعد الله ،**الحركة الوطنية الجزائرية 1830- 1860**،ج1، المرجع السابق ،ص 359.

التدخل في شؤونكم الداخلية لا تهمنا أعمالكم إلا إذا مست الأمن العام وحقوق مواطنينا وقبائلنا الخاضعة)).[1]

3- جبهة الاغواط : سبق وأن ذكرنا أن اتخاذ الشريف محمد بن عبد الله ورقلة مركزا لنشاطه الجهادي بهدف الاستيلاء على تقرت والاغواط، فراسل ابن الاحرش زعيم أولاد نايل المتواجد بالجلفة طالبا منه الانضمام إلى الثورة، غير أن الباشاغا الشريف بن الاحراش رفض العرض، مما دفع بالشريف محمد بن عبد الله أن يتوجه إليه في نهاية 1851م بجيش مكون من قبائل سعيد عتبة وشعانبة بوروبة وشعانبة القبالة، ودخل معه في اشتباكات أسفرت عن اغتنام 500 جمل و400راس من البقر وأكثر من أربعة الآف رأس من الغنم[2]، وفي هذه الأثناء كان ناصر بن شهرة قائد الأرباع قد انضم إلى الشريف، وقد كان هذا الانضمام حافزا قويا نحو السيطرة على الاغواط، وفي أوائل 1852م هاجم الشريف مدينة الاغواط، غير انه اخفق في الدخول إليها، إلا انه عاود الهجوم عليها مرة أخرى بمساعدة كلا من آغا الاغواط يحي بن معمر بن سالم ،حيث وصل إلى أسوارها يوم 15 سبتمبر 1852م، لكن النجدة الفرنسية بقيادة الجنرال يوسف عرقلت عملية السيطرة على الاغواط وأبعدت الشريف عنها بعدما تم وضع ترتيبات التحصين والدفاع عنها.[3]

وأمام تهديدات الشريف محمد بن عبد الله قررت السلطة الفرنسية إخضاع مدينة الاغواط لسيطرتها بتجنيد ثلاث فرق عسكرية الأولى من وهران بقيادة الجنرال يوسف، والثانية بقيادة بيليسي والثالثة بقيادة ما كماهون، وفي الأثناء كانت قوات الشريف قد تقوت بعد الانتصار الذي حققه في "معركة الرق" ضد الفرنسيين ، حيث استقبله سكان الاغواط بحفاوة بالغة.ولما علمت السلطة الاستعمارية بدخول الشريف محمد بن عبدالله إلى الاغواط انطلقت القوات الفرنسية المرتكزة في النواحي المجاورة للاغواط، حيث وصلتها في 2 ديسمبر 1852، وشنت حملة ضخمة على المدينة كانت في منتهى الوحشية،

---

[1] Augustin Bernard et N.Lacroix ,Op.Cit.p19

[2] Ch.Féraud , le Sahara de Constantine,Op,Cit,p491

[3] E .Mangin , Op.Cit ,pp 316-318

وقد أسفر هذا الهجوم على قتل حوالي 800 قتيل من المقاومين وخروج الشريف محمد بن عبدالله من المدينة وانسحابه إلى ورقلة.[1]

ثالثا/ استمرار مقاومة الشريف محمد بن عبدالله بورقلة بعـــد الاحـــتلال والـــسيطرة (1854-1861):

على الرغم من النتيجة السلبية التي أسفر عنها قتال مدينة ورقلة وضـــواحيها بالنـــسبة لمحمد بن عبد الله، واستسلام قبائل الشعانبة والمخادمة وسعيد عتبة ، وانسحابه إلى وادي ريغ،ثم الجريد التونسي رفقة ناصر بن شهرة، ودخول ورقلة تحت النفوذ الفرنسي في 27 جانفي 1854م، وتذكر بعض الوثائق التاريخية خلال تواجد الشريف محمد بن عبـــدالله بتونس، كان قد متن علاقاته بكثير من اللاجئين الجزائريين ، واخذ رفقة ناصر بن شهرة يشنون الغارات على الأعوان الفرنسيين داخل الحدود الجزائرية، وكثيرا ما كان يشاركه في هذا العمل ثوار لاجئون آخرون خاصة محمد بوعلاق اليعقوبي، فتضايقت الـــسلطات الفرنسية والتونسية من هذه الهجومات،وأمرت بطردهم واستخدام القوة ضدهم، وهذا ما تؤكده مجموعة من الرسائل أهمها: رسالة من المشير احمد باشا باي تـــونس إلى قنـــصل فرنسا بتونس، والمؤرخة في 10 رمضان 1270هـــ الموافق لـــ: جوان 1854م، والتي جاء فيها :

((الحمد لله وحده من عبد الله سبحانه المتوكل عليه المفوض جميع الأمور إليه المـــشير احمد باشا صاحب المملكة التونسية إلى معاهدنا ذي الافتخار الأكبر الكـــولير بكـــلار المكلف بأمور الدولة الفرنساوية والقنصل جنرال بحاضرتنا تونس أما بعد: فإن رجلا من تلمسان اسمه الشريف محمد بن عبد الله قدم إلى أطراف بلادنا من ناحية الجريـــد،وأمرنا بطرده وإبعاده، وعدم قبوله ثم نخرب بمن معه، وأغار على الفطارية من رعيتنا مـــا بـــين نفطة وتوزر، وأخذ لهم قدر ثلاثين بعيرا ووقعت بينهم القتلى والجرحى وهو من القائمين على الحكم بالجزائر ،فأردنا أن نغصبه على البعد من عمالتنا تحفظا من فتنته ونخلص منه ما أخذه ، وان لم يبعد إذن بحربه، فأعلمناكم ليكون ذلك على ذكركم ،فإننا لا نـــأوي

---

[1] Ibid.

الظالمين في عمالتنا، ولو يصدر منهم ضرر في عمالتنا احرى مع الضرر.ودمتم في امن الله تعالى وكتب في رمضان المعظم من سنة 1270هــ)).[1]

وجاء في رسالة أخرى من المشير احمد باشا باي تونس إلى القنصل العـــام الفرنـــسي بتونس، والمؤرخة في 21 جمادى الثانية1270هــ الموافق لــ: مارس 1854م،مايلي:
((الحمد لله وحده. من عبد الله سبحانه المتوكل عليه المفوض جميع الأمور إليه المشير احمد باشا صاحب المملكة التونسية إلى معاهدنا ذي الافتخار الأكبر الكـــولير بكـــلار المكلف بأمور الدولة الفرنساوية والقنصل جنرال بحاضرتنا تونس أما بعد: فانـــه بلغنـــا كتابكم في شان الرجل الشريف الذي قدم من الغرب، والجواب إننا سمعنا بـــه قبـــل أن تخبرنا وفي الحين كاتبنا أمير اللواء ابننا احمد زروق بطرده وعدم قبوله في عمالتنا، هو ومن معه وأذناه ببعث له ليرحل من غرب عمالتنا، كما هو شان المحبة والموافقة بين الدولتين، وأما محمد بن القاضي الذي بنفزاوة فإننا نخاطب عامل الجريد بأن يخاطبه بالرحيـــل إلى دواخل العمالة، والبعد عن شبه الفساد،وإلا يخرج من عمالتنا ودمت في امن الله، وكتبت في21 جمادى الثانية1270هـــ)).[2]هذا بالإضافة إلى مجموعة أخرى من الرســـائل ذات أهمية لا يمكن عرضها كلية، ويمكن الرجوع إليها في الأرشيف الوطني التونسي.[3]

---

[1] A.N.T,B 212,D239,N°5

[2] A.N.T,B 219,D237,N°4

[3] ومن بقية هذه الرسائل نجد :

- رسالة من قنصل فرنسا بتونس إلى المشير الصادقي باي تونس، والمؤرخة في 31 اكتوبر1860، يعطـــي الإذن فيها بإلقاء القبض على ناصر بن شهرة الذي قام بغارات على دواوير أولاد رشيش. الوثيقة رقم11 ،صـــندوق 219 ، ملف237

- رسالة من الحاكم العام بالجزائر إلى قنصل فرنسا بتونس ، والمؤرخة في28 أكتوبر 1860م، جاء فيها:(نعرف جنابكم بأنه بلغ لي مكتوب بالتلغراف من الجنرال حاكم عمالة قسنطينة هذا نصه: بلغني أن جماعة ناصر بن شهرة بعد أن غزا السوابد واتجهوا لجهة الشرق ونزلوا على دواوير أولاد رشيش النازلين في وازرن وغزوهم.وبلغني هذا الخبر إجمالا و لم يبلغني تفصيل عن ذلك)). الوثيقة رقم 11 ، صندوق 212، ملف 239

إلا أن حركة الجهادية للشريف محمد بن عبد الله بقيت متواصلة ومستمرة، فبعد مكوثه عدة شهور بتونس عاد مرة أخرى في شهر سبتمبر من نفس السنة إلى وادي ريغ واتجه رفقة سلمان الجلابي نحو ورقلة لاستعادتها، غير أن حليف الفرنسيين سي الزبير قاومهما، فتراجعا نحو وادي ريغ للتصدي للتوغل الفرنسي في المنطقة. ودخل في اشتباك مع القوات الفرنسية في معركة المقارين 29 نوفمبر 1854م، والتي أسفرت عن انهزامه وانسحابه مرة أخرى إلى الجريد التونسي، بقي فيها حوالي ستة سنوات ثم عاد إلى ورقلة ليجدد مقاومته ضد الفرنسيين وعملائهم في المنطقة، وقد ذكر تقرير فرنسي أنّه في 15 أوت 1861م ظهر الشريف محمد بن عبد الله بورقلة مع مقاومين من التوارق واستوطن بحاسي الخفيف بين الحجيرة وانقوسة، وكان قد اخذ في طرقه تسع قطعان من الإبل لقبيلة المخادمة، ثم تموقع بين ورقلة والرويسات، حيث انضم إليه البعض من الشعانبة الذي خرجوا عن طاعة قائدهم احمد الشايب المعروف باسم "البساطي" والموالي للفرنسيين[1].هذا بالإضافة إلى قبائل المخادمة حينما اخذ منهم الشريف محمد بن عبد الله إبلهم اخذوا يفاوضونه على استرجاعها، فاشترط عليهم الانضمام إليه من جديد والدخول تحت طاعته، فما كان منهم إلا قبول بالأمر الواقع والالتحاق بصفوف الجهاد والمقاومة.

زيادة على ذلك فقد انضمت إليه قبائل بني ثور من جديد، وقد أهدوا له حصانا كرمز للطاعة والولاء، بالمقابل علمت السلطة الاستعمارية بكل هذه التطورات التي حدثت بالمنطقة، فقامت بعزل سي الزبير حاكم ورقلة الذي كان يعاني من مرض مزمن، وتعين علي باي بن بوعكاز مرة ثانية على ورقلة، وكلفته بملاحقة الشريف محمد بن عبد الله، حيث وصل إلى منطقة الحجيرة بجيش قدره 170فارس و1500من المشاة تقريبا كلهم من وادي سوف.[2]وصل علي باي إلى نقوسة في أوائل كتوبر1861م، واستقبله أهلها، ثم توجه نحو بامنديل واستقر هناك لمدة قصيرة اخذ يفاوض أعيان الشعانبة والمخادمة وبني تور حول تسليم الشريف محمد بن عبد الله، غير أن المفاوضات باءت بالفشل، مما دفع

[1]Rapport: « Notes pour servir….»,pp381-445.
[2] Ibid ,p31

بعلي باي الدخول في معركة يوم 3 أكتوبر 1861م ضد أنصار الشريف محمد بن عبد الله والتوارق ببغابات الرويسات، ونظرا لخبرة الشريف ومعرفته بالمنطقة الجغرافية استطاع أن يحقق انتصارا على عدوه علي باي ويجبره على التراجع والانسحاب نحو وادي ريغ.[1]

وتجدر الإشارة هنا إلى أن غياب سي الزبير عن ورقلة بسب المرض، كان احد الأسباب القوية في انتصار الشريف محمد بن عبدالله،وفي هذه الأثناء قامت السلطة الفرنسية بعزل سي الزبير وتعويضه بابن أخيه بوبكر ولد حمزة.

استطاع الشريف محمد بن عبدالله في 2 أكتوبر 1861م تحرير بعض الضواحي من ورقلة[2] ، غير أن المدة لم تطول،حيث دامت شهرا واحدا فقط، وفيها عمل على ترتيب الأمور واستتباب الأمن والاستقرار، وواصل هجوماته الخاطفة ضد القبائل الموالية للعدو، إذ قام في 10 اكتوبر1861م بأخذ قطعان من الغنم لأولاد السايح،ثم انسحب إلى قصر الحيران، وفي 18 و19 أكتوبر من نفس السنة هاجم نقوسة ودخل في اشتباكات مع القوات الفرنسية التي قدمت من البيض (جريفيل) بقيادة سي بوبكر ولد حمزة خليفة السي الزبير، وانتهت المعركة بملاحقة الشريف محمد بن عبد الله إلى عرقل بوسروال جنوب ورقلة[3]، أين ألقي عليه القبض بقارة الحاج، فأُخذ أسيرا إلى وهران، ثم نفي إلى جزيرة كورسيكا[4] حيث ظل سجينا هناك لغاية إعادته إلى سجن عنابة بعد أن داهمه المرض.

هذا وقد دون الشاعر مسعودي لخضر مقاومة الشريف محمد بن عبد الله في قصيدة شعبية طويلة من أبياتها مايلي:

---

[1] Ibid,p94

[2] Alain Romey,Op.Cit. p75

[3] Ibid. p75

[4] جزيرة كورسيكا تقع في حوض البحر المتوسط وبالضبط في الجنوب الشرقي لفرنسا استعمرتها هذه الأخيرة واعتبرتها جزءا من ترابها

نبد بالمقاومة في جبهتنا	نذكر لك رجال ياوطني تبغيك
بن عبد الله دار ثورة لمتنا	في مدينة ورقلة مسمية بيك
محمد بن شريف اول قادتنا	نظم ليها جيوش كانت تحمي فيك
كانت رجـــال يلـــقاهم معتنا	وقت الحزة تكون في جنبك وتجيك
ومن بعدو ابطـــال هاذي عادتنا	سال المجـــاهدين هاهم بين ايديك
الشجـــاعة والنيف هي همتـــنا	وكـــوراما رجالها لا مايخفيك
ياقصد دي التـــراب وصحرتنا	كي تسمع برهان دي جيهة يرضك

وفي نفس السياق يقول الشاعر محمد بن جدية في أبيات شعرية شعبية حول مقاومـــة الشريف محمد بن عبد الله بورقلة :

ياحضار نعد ليكم ذا المقال	نسمع ليكم ذي القصيدة جبناها
التاريخ يعيد نفسوا يارجال	وقعت في الجنوب ثورة معتاها
الشيء الي صار فايت شاو الحال	ابحث في تاريخ وطنك تلقاها
وقعت ثورات في هذ الرمال	الف وثمانية وخمسين معاها
قائدهم معروف بطل من الابطال	بن عبد الله الشريف هو مولاها

وفي موضع آخر يقول :

بايعيو البلاد كل نساء والرجال	خالد المخدمي في مبداها
في مدينة ورقلة حط الرحال	الحكومة في الرويسات بناها
كون جيش قوي خيول ورجال	في تقرت فرنسا تلقاها
وقعت معركة كبـــيرة في القتـــال	خسرت فرنسا وماتوا بنـــاها
قاوم الاستعـــمار حتى في الجـــبال	في غـــرداية وزاد لغواط معاها

وحسب تقرير فرنسي يذكر أن علي باي بعد إلقاء القبض على الشريف محمد بن عبد الله اهتم بملاحقة ناصر بن شهرة إلى الحدود التونسية، حيث قام بشن حملة على أربعة قرى تونسية كانت تأوي ناصر بن شهرة، والتي أسفرت عن 62 قتيل من السكان، وحجز 185 بندقية، و400 خروف، و60 من الإبل، و8 من الخيل، بالإضافة إلى كمية من محصول التمور.[1]

استكمالا لمقاومة الشريف محمد بن عبد الله، ظهرت شخصيتين جديدتين، فالشخصية الأولى هو مولاي بن مولاي بن عبد الرحمان، ظهر بورقلة في 15 جويلية 1864م، واستقبله سكان قرية الشط بحماس كبير وادعى انه شريف مبعوث من العثمانيين لمواصلة المقاومة ومحاربة النصارى المسحيين.[2]

أما الشخصية الثانية فهو الحاج محمد الغربي، ظهر بورقلة في 29 جويلية 1864م على أمل القيام بمقاومة ضد الفرنسيين، ولقد حاولت هاتين الشخصيتين تنسيق الجهود والتعاون فيما بينهما لمحاربه شيخ نقوسة، وهذا بعدما انضم إليهما الشعانبة والمخادمة وبني ثور،وشعانبة أولاد إسماعيل، وسكان الشط، فهاجموا الشيخ الحاج بوحفص بن بابية ، الذي هرب إلى الحجيرة ثم توجه نحو تقرت مع ثلاثين من عائلته، فنهبت قصبته، ومساكن أنصاره، الذين القي عليهم القبض، ثم أطلق سراحهم بعد دفع غرامة مئة فرنك(100ف)، ثم عين المقاومون صيحية بن بابية(ابن عم الشيخ الحاج بوحفص) المعادي للفرنسيين على مشيخة نقوسة، وفي 10 سبتمبر1864م توجه الحليفان مولاي بن مولاي بن عبد الرحمان والحاج محمد الغربي نحو بريان لإخضاعها وكسب الأتباع والأنصار، وضمان المؤونة والسلاح، إلا أنهما فشلا أيضا في إخضاع هذه المنطقة وانهزما في معركة فقدوا فيها بعض الرجال[3]، فتفرق شملهم، واخذ كل واحد سبيله، حيث تم

[1] Rapport à l’empereur, le 10/10/1868. A.O.M. 11H37.
[2] Rapport: « Notes pour servir… », Op.Cit.p411
[3] Ibid, p 412

اعتقال مولاي بن مولاي بن عبد الرحمان ، أما الحاج محمد الغربي فقد اختفى وغابـــت أخباره حسب رواية شارل فيرو.[1]

والغريب في هاتين الشخصيتين أهما غير سويتين من الناحية الأخلاقية فقد وصـــف شارل فيرو مولاي محمد على أنّه ابن غير شرعي لسلطان المغرب الأقصى عبد الرحمان بن هشام، وكان يقيم في بسكرة سابقا، وقد تم سجنه بسب ارتكابه جرم السرقة، أما فيما يخص الحاج محمد الغربي فقد وصفه على أنه تاجر مخدرات. وعليه نتساءل هنا : هل فعلا هاتين الشخصيتين جاء لرفع لواء الجهاد والمقاومة ضد النصارى؟؟.وزيادة على ذلك فقد بينت الأحداث السالفة الذكر أهما ليست لديهم أيه علاقة بحركة الجهـــاد والمقاومـــة، وذلك بسبب فشلهما في تحقيق أي انتصار على العدو، وأمام هذه الصورة يبقى التساؤل مطروحا مرة ثانية :كيف يمكن لسكان ورقلة قبول هاتين الشخصيتين لقيادة مقاومتـــهم ضد الفرنسيين؟ هل هذا يعود إلى الافتقار لزعيم يقود المقاومـــة؟ أم أن روح المقاومـــة والتعطش للجهاد أعمى بصيرهم؟؟.

وعلى الرغم من هاية مقاومة هاتين الشخصيتين إلا أن سكان ورقلة استمروا في مهاجمة القبائل الموالية للفرنسيين، فقد توجهوا بعدها إلى ضواحي بسكرة وصولا إلى وادي ايتل، وهاجموا أولاد زكري ،وأهل سيدي خالد، واستولوا على غنائمهم المقدرة بحوالي 1764 ابل، و780 رأس من الغنم، وبعد هذه الهجمة رجعوا إلى ورقلة، وأوقفوا هجماهم خلال شهري نوفمبر وديسمبر لانشغالهم بجني محصول التمور، وفي ليلـــة 31 ديـــسمبر1864م جددوا هجماهم على أولاد عيسى في أم العظم إلى أن جاءهم نداء سي لعلا للالتحاق به في حفرة الشوش".[2]

المبحث الثاني : مساهمة سكان ورقلة وضواحيها في مقاومة الشريف بشوشة

من المتعارف عليه تاريخيا أن مقاومة الشريف بشوشة ضد الفرنسيين كان نتيجة لثورة أولاد سيدي الشيخ سنة 1864م، هذا بالإضافة إلى مجموعة من العوامل الـــتي دعمـــت

[1] Ch.féraud: le Sahara de Constantine,Op.Cit. p502

[2] Rapport: « Notes pour servir… »,Op.Cit.pp413-414

حركته الجهادية، وأبرزها انهزام فرنسا في حربها ضد بروسيا سنة 1870م،وسخط الأعيان والاعراش من مرسوم 1863م، وظهور محي الدين بن الأمير عبد القادر بالجنوب التونسي في أوائل السبعينات، وانتفاضة المقراني والحداد أوائل 1872م، ونشاط الحركة الـــسنوسية في الصحراء خاصة عن طريق ممثلها الحاج احمد التواتي.

لعله في هذا الصدد لا يجدر بنا التعمق في الأسباب التي دفعت بالـــشريف بوشوشـــة لرفع لواء الجهاد ضد الفرنسيين في الجنوب الشرقي الجزائري (ورقلة،وادي ريـــغ، وادي سوف،المنيعة، عين صالح)، وهنا نتساءل لماذا الجنوب الشرقي الجزائري بالتحديد؟ أهـــي الصدفة، أم هناك أسباب ؟

يبدوا من وجهة نظرنا أن اختيار بشوشة هذه المنطقة يعود إلى أن الجنوب يعتبر دائما الملجأ الآمن للمقاومين حينما تفشل مقاومتهم في الشمال،زيادة على ذلك أن بـــشوشة أراد مواصلة مسيرة الشريف محمد بن عبدالله في الجهاد والمقاومة بعدما القي عليه القبض سنة 1861م، كما أن تواجد المقرانيين في منطقة ورقلة وعلى رأسهم بومزراق المقـــراني شجع بشوشة على التواجد بالمنطقة لمساعدتهم وتسهيل مهمة انـــسحابهم إلى تـــونس[1]، وخاصة بعدما استولى الفرنسيون على زمالة بومزراق المقراني في الحضنة، أضف إلى ذلك قرب الحدود الجغرافية مع تونس والتي كانت دائما ملجـــأ للانـــسحاب واســـترجاع الأنفاس،وتجديد المقاومة.

---

[1] تجد الإشارة إلى انه بعد انكسار مقاومة المقرانيين انسحب بمزراق المقراني نحو الجنوب ليتوجه نحو تونس عـــبر تقرت ووادي سوف ثم نفطة، لكن خبرا وصولهم أثار مخاوفهم وحذرهم من الذهاب إلى وادي سوف حـــتى لا يتعرضوا لمحاربة علي باي، فاتجهوا نحو ورقلة يوم 20 أكتوبر 1871م، واستقبلهم بشوشة بحفاوة وابن شـــهرة وسي الزبير، واتفق رايهم على الهجرة إلى تونس بمعية ناصر بن شهرة في جانفي 1872م، وكان عددهم حوالي 150 شخص، واتخذوا طريقهم عبر تقرت ووادي سوف، ودخلوا الجريد التونسي واستقروا هناك، بينما رجـــع بمزراق المقراني الى ورقلة لمواصلة المقاومة، غير انه القي عليه القبض في 20 جوان 1872م.

ولعل أول عمل عسكري للشريف بشوشة في إطار المقاومة ضد الاستعمار وبعيد عن "جماعة المداقنة"[1]، كان سنة 1869م حين بدأ في مهاجمة القبائل والقوافل التي تتعامل مع الفرنسيين، وازداد نشاطه أكثر في الجنوب الشرقي بعدما تراجع قدور بـــن حمـــزة إلى الحدود الغربية، وفي المقابل استغل بشوشة هذا التراجع ليتقدم هو نحو الجنوب وصولا إلى ورقلة التي استرجعها من عملاء فرنسا في 6 مارس 1871م وجعلـــها مركـــزا لحركتـــه الجهادية.[2]

اولاً/ حلول الشريف بشوشة بورقلة:

لقد اختلفت المصادر التاريخية حول تحديد تاريخ موحد لقدوم بـــشوشة إلى ورقلـــة، فالتقارير الفرنسية تؤكد على أن بشوشة كان متواجدا بورقلة مند سنة 1870م، حينمـــا عاد من طرابلس، وقالت أنه حمل رسائل إلى بعض الشخصيات من الشعانبة والمخادمـــة وبني ثور، الذين كانت لهم روابط مع الحركة السنوسية من ثورة الشريف محمد بن عبد الله، كما أن له علاقات جيدة مع الزاوية الرحمانية التي يوجد له فرع في منطقة لعجاجة وعين البيضاء بورقلة، ومن هذه الشخصيات : لخضر المخادمي، واحمد الشايب الشعانبي، ومصطفي من بني ثور، والخازن من لعجاجة[3].هذا بالإضـــافة إلى أن 100 فـــارس قـــد شاركوا مع الشريف بشوشة في هجومه على المنيعة في أفريل 1870م بجيش قـــدره 200 فارس من الشعانبة و260 من التوارق.[4]

ويذهب أيضا صاحب "غصن البان" إلى أن الشريف حل بورقلة سنة 1870م، إذ يقول :" ...وذلك انه لما كانت الدولة الفرنسوية منشغلة في حربها مع المانيا سنة 1870م قـــدم

---

[1] " المداقنة " نسبة إلى رجل ترقي ، وأول من أطلق هذه التسمية أحد كبار شعانبة ورقلة وهو " معطي الله بوظير" الذي كان في ضيافة الشعانبة المواضي ، فقدم له زعيمهم " بوبكر بن عبد الحكم" في مجاعة 1867 عنزة مشوية ، ولكن بدون سمن ولا ملح ، فقال له بوظير مازحا : (الطوارق مداقنات) أي صعاليك ، وبقيت التسمية بعد ذلك على الجماعة التي اتخذت من السطو والقتل عملا لها في الصحراء والتي تكونت عام 1868 ، أنظر:
Le chatelier ,« Les Medaganat », in **R.A**, N° 30 , 1886 , pp 39- 40 .

[2] سعدالله، المرجع السابق،ج1،ص 278-279

[3] Rapport: « Notes pour servir… »,Op.Cit.p429

[4] Rapport: « Notes pour servir… »,Op.Cit.p429

لورجلان (ورقلة) بشوشة..."[1]،على خلاف رأي لويس رين L. Rinn الذي يذكر أن بشوشة حل بورقلة سنة 1871م من اجل القضاء على علي باي لتسهيل مهمة انتقال المقرانيين إلى تونس.[2]وهو نفس الطرح يؤكده لوشتليه Le chatelier بأن" بشوشة قدم إلى ورقلة سنة1871م بعدما كان ينوي الاستيلاء على تقرت والقضاء على علي باي، إلا انه فشل فاتجه نحو ورقلة"[3]، وهذا ما ذكره أبو القاسم سعد الله أيضا.[4]

أما بخصوص أسباب قدوم بشوشة إلى ورقلة، يذكر التقرير الفرنسي أنه لما كان متواجدا بمنطقة عين صالح وصلته رسالة من أهل ورقلة مفادها:" لا تبقوا يوما واحدا، أقدموا إلينا بخيمكم، احضروا بشوشة معكم، لم يبقى فرنسي واحد يحكم، إلا قادتنا يعاملوننا بظلم. تعالوا لتخليصنا".[5]وهو نفس الرأي الذي ذكره "صاحب الصروف" قائلا: " وكان أتى إلى ورقلة رجل شريف يقال له بشوشة، فاجتمع بابن لخضر المخدمي، والتفت حوله الجموع الكثيرة من المخادمة والشعانبة، ومنهم المسمى: لبز من شعانبة الوادي،وكثير من قرى سوف، وذكروا له أفعال علي باي وأمواله ".[6]

غير أن صاحب "غصن البان" يذكر خلاف ذلك ، إذ ينفي أن جماعة اتصلوا به لتخليصهم من ظلم بني جلدتهم، فيقول :" ..وكان لما سمع الأهالي بقدومه اجتمع سكان المدينة من الاعراش الثلاثة واتفقوا على عدم طاعته والدخول تحت نفوذه..".[7]

من خلال هذين الرأيين حول قدوم بشوشة إلى ورقلة نتساءل: ما مدى صحة هذين الرأيين؟ وإذا كان الرأي الثاني صحيح، فما هي الدوافع التي جعلت الاعراش الثلاثة(بني

---

[1] أعزام، المصدر السابق، ص68

[2] L. Rinn , **Histoire De L insurrection De 1871 en Algérie** ,Alger, 1891, pp612-613

[3]A. Le Chatelier, la Sanglante épopée des Medagant 1860-1885,éditions grand-Alger livres.Alger,2007,p18

[4] سعدالله، المرجع السابق،ج1،ص ص: 278-279

[5] Rapport: « Notes pour servir… »,Op.Cit.p429

[6] العوامر، المصدر السابق ،ص 318

[7] أعزام ، المصدر السابق، ص68

سيسين، بني واقين، بني براهيم) بورقلة يجتمعون لمحاربة بشوشة وهم يرزخون تحت نـــير الاستعمار الفرنسي؟ لاشك أن هذين الرأيين يدفعنا إلى القول إن السلطة الاســـتعمارية تعمدت ممارسة سياسة "فرق تسد"، والضرب بين الصفوف والقبائل والاعراش، وإذكاء الصراع الداخلي، حيث أشعلت الإدارة الاستعمارية الخلافات المذهبية والعرقية، فغذوها، ليخلقوا بذلك صفوفا في المنطقة، وقد اوجدوا صفا يساندهم بالفعل، وهم الذين تحصلوا على امتيازات شخصية أو عائلية كقايد أو آغا، أو بشاغا..الخ، مثل علي باب بوعكاز ، وسي حمزة ة ولد بوبكر من أولاد سيدي الشيخ ، زيادة على ذلك أنه خلال الـــستينات اشتد الصراع بين الاعراش الثلاثة حول السلطة والنفوذ، ومن الجانـــب المـــذهبي بـــين الإباضية والمالكية، هذا بالإضافة إلى الصراع بين سلاطين ورقلة ومـــشايخ بـــن بابيـــة بنقوسة، وعائلتي بوعكاز وبن قانة بوادي ريغ.

ثانياً/ بشوشة يحرر ورقلة ويجدد المقاومة :

بعد مدة أقام فيها الشريف بشوشة بعين صالح، توجه نحو ورقلة لتحريرها من قبضة علي باي الموالي للفرنسيين، وقبل انطلاقه اجتمع بأنصاره وأتباعه، وبيّن لهـــم الهـــدف الحقيقي من المقاومة، وأخبرهم بأن فرنسا قد حانت ساعة خلاصها، فقال :" إذا كنـــتم ترغبون في الغزو والنهب فقط، فلست منكم،وأما إذا عاهدتموني على أن تعطوني السيادة على ورقلة فإني اقبل قيادتكم شريطة أن تعاهدوني على أن تكونوا معي حتى النـــصر أو الموت "[1]. وعليه اتجه بشوشة نحو تقرت في أوائل 1871م، لتحريرها مـــن الفرنـــسيين، فوجد صعوبة في ذلك بسبب تمركز عدد من الجنود الرماة، فاتجه نحو نقوسة يوم 5 مارس دون مقاومة سكانها، مما سهل عليه التوجه نحو ورقلة في نفس اليوم والتي دخلها بدون أية مقاومة نظرا لوجود عدد من المؤيدين له بها (الذواودة، المخادمة).

وفي ذات الإشارة لهذا الجانب ومن وجهة نظرنا نجد أيضا خوف أهالي المنطقة مـــن التجنيد الإجباري في صفوف القوم والصبايحية نتيجة للقرار الذي أصدره وزير الحربيـــة

[1] Rapport: « Notes pour servir… »,Op.Cit.p421

آنذاك بتاريخ 18 جانفي 1871م، والذي ينص على نقل عدد كبير من قوات الـــصبايحية التي كانت مجندة في صفوف الجيش الفرنسي إلى أوروبا للمشاركة إلى جانب فرنـــسا في حربها ضد بروسيا سنة 1871م،وزيادة على ذلك رفع الـــسلطة الاســـتعمارية لقيمـــة الضرائب المفروضة على الأهالي نتيجة للانهيار الاقتصادي الذي عرفته فرنسا من خـــلال حربها مع بروسيا، وقد أوكلت مهمة جمعها إلى علي باي الذي اتبع سياســـية الـــبطش والتقتيل في سبيل إرضاء السلطة الاستعمارية.هذا بالإضافة إلى تزايد العجز الغذائي لدى فلاحي المنطقة بسبب السياسة الزراعية الاستعمارية التي أدت نقص مياه السقي، وهبوط مستوى المياه في واحات الأهالي لصالح المعمرين.

غير أن صاحب "غصن البان" يذكر أن الاعراش الثلاثة(بني سيسين، بني ابراهيم، بني واقين) رفضوا دخول بشوشة وقاوموه ، إذ يقول:" واجتمع سكان المدينة من الاعـــراش الثلاثة واتفقوا على عدم طاعته. والقائد إذ ذاك على بني واقين الشيخ الحاج معيزة، وعلي بني إبراهيم الحاج حمي، وعلي بني سيسين جلول بيحمان، والرئيس الحاج أبوعزيز بـــن خواجة، وبعد الاتفاق أعطوا العهود على عدم الخداع، ولمزيد من الاحتياط بنوا سدا بين كل عرش وآخر، ولما وصل بوشوشة نزل بمن معه في القصبة...، فانضم إليه من أطاعـــه من أهل ورقلة، فلما جمع عساكره خرجت إليه المدينة بسلاحها وقاتلته قتالا شديدا من الصباح إلى العشية (المساء) وكانت الدائرة عليهم فانهزموا ودخلـــوا المدينـــة وأغلقـــوا الأبواب وتسلقوا الجدران ثم تقابل الصفان من أول النهار إلى أن أظلم الليل فوقعت الغلبة على أهل المدينة وتكاثر الثوار ثم وقع الخداع من بعض الفساد، وفتحوا لبشوشة الأبواب بحجة أنه جاء لقتال الإباضية خاصة فنهبوا إباضية بني سيسين، وقتلوا منهم من وقعـــوا بأيديهم، وهرب البعض إلى عرش بني واقين، والبعض إلى نقوسة...وكانت الغلبة دايـــا على الأهالي ، اجمع رأيهم على السلم والانقياد، ويفعل الله في ملكه ما يشاء، فركـــب الشيخ احمد فرسه، ومعه عبد القادر بن الصحبي الوقيني حاملا راية بني واقـــين وقـــصد

بشوشة، ودفع له "القود" وهو عبارة عن حصان يكون بعدته، ورجع من عنده بعـــد أن قبل طاعته..."[1]

اللافت للأمر أن معظم الدراسات التاريخية العربية والأجنبية لم تشر إلى هذه المقاومة التي أبدها أعراش ورقلة الثلاثة ضد بشوشة، ولكن بعض الدراسات في نفـــس الوقـــت أكدت أن الذواودة والمخاذمة بعد دخول بشوشة المدينة قامو بتخريب متاجر الميـــزابيين الذي حاولوا أن يقاوموه ويرفضوا سيطرته.أضف إلى ذلك قد ذكرت سالفا أن السلطة الاستعمارية قد نجحت في تغذية الصراعات المذهبية والعرقية، حينما صورت أن بشوشة جاء ليقضي على الإباضية فقط، وبالتالي بدلا من أن تواجهه القوات الفرنسية والعميلـــة واجهه إباضيوا ورقلة.

زيادة على ذلك أن الفرنسيين لم يذكروا أن بشوشة شارك في عملية قتل الميزابيين،لأنه بقي خارج أسوار المدينة،لان عملية القتل هي تصفية حسابات بين المخادمة والميـــزابين، فالمخادمة هم الذين دخلوا المدينة وقتلوا أربعة من بني ميزاب من إخوة بومعيزة والشيخان بيحميان بوعزيز انتقاما لمقتل قائد المخادمة الناصر بن الناصر الذي مات مقتولا بالـــسم بدسيسة من علي باي.[2]

وبعد ثلاثة أيام من الاستيلاء على ورقلة نصّب بشوشة خيمته خارج البلد واستدعى ممثلي العروش الثلاث التي حاربته لتجديد لهم الآمان، وفي هذه الأثناء كان علـــي بـــاي خارج ورقلة معسكرا في حاسي الناقة، حيث استولى على ابل الـــشريف بـــشوشة في حاسي بوخزانة، فانطلق مسرعا مع قواته لاسترجاع إبله، ولكن عاد خال اليـــدين، و لم

---

[1] أعزام ، المصدر السابق، ص ص: 69-70

[2] Rapport: « Notes pour servir… »,Op.Cit.p432

يسترجع أي شيء، فرجع إلى ورقلة.[1] وهذا ما أكده صاحب غصن البان قائلا:" ثم ركب بشوشة وعسكره لإرجاع إبلهم فلم يضفروا بشيء فرجع ودخل القصبة".[2]

بعد عودة بشوشة إلى ورقلة عين ناصر بن شهرة آغا عليها إلى غاية سبتمبر 1871م، ليعين بعدها صهره سي الزبير ولد بوبكر، غير أن صاحب غصن البان يذكر أن بشوشة عين مولاي عبد القادر من أسرة أولاد علاهم أميراً على عروش ورقلة، وبعد مدة اظهر الناس تذمرهم من حكم مولاي عبد القادر، وشكوه إلى بشوشة، فأمر بعزله وعين مكانه مولاي احمد من نفس الأسرة، ونفي مولاي عبد القادر إلى نقوسة، وبقي الأمر هكذا مدة إحدى عشرة شهرا.[3]

وفي هذه الأثناء اتصلت جماعة من شعانبة الوادي وكثير من قرى سوف ببشوشة يطلبون منه تخليصهم من سلطة علي باي وظلمه [4]، والإجهاز على عائلته وزمالته وأمواله

---

[1] Rapport: « Notes pour servir… »,Op.Cit.p438

[2] أعزام ، المصدر السابق، ص 71

[3] المصدر نفسه، ص 71

[4] حسب روايات المجتمع المحلي فإن علي باي كان حريصا على خدمة فرنسا أكثر من خدمة الفرنسيين لها، وكان مجبرا على تطبيق السياسة الفرنسية في المنطقة ، وقد اتبع سياسة البطش والتقتيل تجاه إخوانه ، وكان لا يرحم كل من حاول الخروج أو التمرد عن سلطته، مما ولد كراهية في نفوس الأهالي ضد سياسته ،الأمر الذي أدى إلى تعدد محاولات التمرد والثورة عليه في كل من تقرت و ورقلة ووادي سوف.ففي تقرت هناك قصة لازالت راسخة في الذاكرة الشعبية كرد فعل على بطش علي باي مفادها :« أن مجموعة من أعيان تقرت تمثل مختلف الاعراش اتخذت قرارا بتدبير عملية لاغتيال القايد علي باي، فاستأجروا أحد "الحرطانيين" لتنفيذ العملية مقابل تحريره من سيده ، لكن من حسن حظ علي باي أن حراسه اكتشفوا الأمر قبل تنفيذه ،فقبضوا على الجاني ثم قتلوه ».ومن جانب آخر أرادت السلطة الفرنسية تهدئة الأوضاع وكسب الأهالي الى صفها، فعملت على إلغاء بعض الضرائب التي كانت مفروضة في العهد العثماني مثل" ضريبة العرس" ، إلا أن علي باي لم يلتزم ببعض القوانين الفرنسية التي= =كانت لا تخدم مصالحه مثل عدم إلغاء ضريبة العرس ، فقد كان يفرضها على الأهالي دون علم السلطة الفرنسية ، ويتجلى ذلك من خلال ضيافته لبعثة مالتسان إلى تقرت حيث يقول هذا : «...وعرفت فيما بعد السبب الحقيقي، الذي حمل القائد –علي باي- على أن يتخلص منا.لقد كان ينوي إقامة حفلة عرس، يزوج فيها أحد أبنائه.وتقع في العرس من هذا النوع أشياء كثيرة سيئة، ولذلك لم يكن يرغب في أن يكون الأوربيون شهودا على تصرفاته الشاذة، لأنهم قد يحدثون فيما بعد المكتب العربي ببسكرة، الذي هو تابع له ،عن أعماله الجنائية.ومن أبرز

التي أودعها ببلدة قمار، وكان علي باي قد ذهب إلى الزاب مصحوبا بنحو 40 فـــارس تاركا جميع عياله وأمواله في قمار[1] ، فاتجه يوم 8 مارس من نفس السنة إلى وادي سوف مار بالطيبات، وعليه وصل الشريف إلى قمار ونزل بها في آخر النهار بمكان معروف في صحن الأبدوع، وأرسل إلى أهل قمار أنه ما جاء لمقاتلتهم ولا لحربهم وإنما لمقاتلة علـــي

ما يحدث في العرس من مساوئ هو نهب أموال الضيوف من طرف صاحب العرس، فلا يدعى إليـــه إلا رعايـــا القائد، وكان عليهم أن يحملوا معهم هدايا كثيرة للعروسين،مما يجعل هذا العرس شبيها بعملية نهب...».ينظـــر: مالتسان ، مصدر سابق ، ص 181–182. وينظركتابي : **بحوث ودراسات في تاريخ وادي ريغ**، باتنـــة ، دار قانة للطبع والتجليد،2008، ص 110.

أما في وادي سوف فقد استقبل سنة 1860 ضابط فرنسي جاء مفتشا للمنطقة في زيارة سنوية بـــسيل مـــن الشكاوي ضد علي باي ، فبالقرب من الوادي خرج ثلاثة آلاف شخص متظاهرين ضد تعسفاته ، وقد اعتـــرف الضابط في تقريره بأن بعض الشكاوي كانت حقيقية ولكنه لم ير داعيا لأخذها في الاعتبار.ينظر: أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، بيروت، دار الغرب الإسلامي،ج5، 2005، ص16–17.

[1] العوامر، المصدر السابق ، ص 318

ويذكر الشيخ محمد الطاهر التليلي في مخطوطه ، والذي حققه المؤرخ أبو القاسم سعد الله ، أن سبب تواجـــد عائلة علي باي وزمالته بقمار هو: « أنّ الحكومة الفرنسية أمرته بأن يهجم على قرية من قرى أقبلّي من القطـــر التونسي لأسباب لا محل لذكرها هنا، فامتثل حاكم الوادي وجهز العسكر، وكان عنده من الحرس الدائم خصيصًا له 600 جندي، فتوجه بهم إلى حيث أمر بالهجوم. وكان من الجنود الذين جهزهم البطل المشهور أبو الطيـــب الشعنبي من شعانبة الوادي وقد كان صاحب الكلمة النافذة في طرود. فلما قارب علي باي قرية أقبلي بجنوده حطّ الرحال في مكان معيّن، وحطّ أبو الطيب رحله بقومه قرب علي باي ومنفردًا عنه. فبدا له أن يستأثر بالهجوم في قالب جديد، فذهب إلى تلك القرية، وقال لهم: إنّ علي باي المأمور من قِبَل الحكومة أتاكم بجنود لا قِبَل لكم بها، فما عليكم إلاّ أن تتركوا المال عندكم كرهن وعنوان سلام. فتسلّم من عندهم صندوقين مـــن النقـــود الفـــضية والذهبية، وقال لبعض قومه: بلّغ هذين الصندوقين إلى معسكري. فلما رآهما علي باي قال لأبي الطيب، ما هذا؟ فأجابه أبو الطيب بأنه دخل القرية فلم يجد فيها إلاّ النساء والأطفال، فأعجبه من أثاثها هذان الصندوقان، وهمـــا فارغان، فاستأثر بهما؛ فعلم علي باي أنه خانه وأنه اتفق مع أهل القرية على الصلح على شرط أن يؤدّوه هـــذه القيمة من المال، فحنق عليه وأمره بأن يرجع المال المأخوذ من القرية إلى الحاكم الرسمي للجيش. فامتنع أبو الطيب من تسليم صندوقي المال، ونادى في قومه أن لا قتال، وأنه لا بد من الرجوع إلى البئر الجديد والمبيت به. ونادى منادي علي باي في العسكر أنه لا بد من دخول القرية ومقاتلتها، فوجد أبو الطيب آذان العرب كلها مصغية إلى= قوله، ومُعرضة عن قول علي باي. وقوّض القوم خيامهم ورجعوا أدراجهم. و لم يبت مع علي باي إلاّ عدد قليل لا يمكنه معهم أن يقاتلوا قرية أو قرى عديدة، فما وسعه إلاّ اللحوق بأبي الطيب ورجوعه من مأموريته دون أن ينال منالا »، ينظر: محمد الطاهر التليلي، « **فدلكة تاريخية عن منطقة سوف (بالجزائر)** »، تح : أبو القاسم سعد الله ، مجلة العرب، 2004.

باي.[1] لكن بوشوشة لم يجد علي باي إلا انه وجد أهله وعائلته وذخائره ، فخطـــب في أهلهم قائلا : " فالواجب على أهل قمار إذا أرادوا الأمان على أنفسهم، أن يسلّموا عائلة علي باي وجميع ذخائره، وأن يسلّموا (أيضًا) الشيخ محمد الــصغير[2]، رئـــيس الزاويـــة التجانية". فأجاب أهل قمار بأنه لا يمكنهم أن يسلّموا الوديعة له التي استودعها، ولا أن يسلّموا الشيخ مهما كلفهم الأمر. فدخل الشريف بجنـــوده إلى قمـــار وعـــاثوا فيهـــا فسادًا[3]،ولما عظم الأمر بعث له الشيخ محمد الصغير مبلغا من المال بمعية جماعة من أهـــل قمار يفاوضونه من اجل حقن إراقة الدماء، فسمع كلامهم ووعدهم بالانتقال، فجمـــع قومه ومتاعه وارتحل راجعا من حيث أتى بعد أن انضم إليه العديـــد مـــن أهـــل وادي سوف.[4]

وأثناء تواجد بوشوشة هناك بوادي سوف وصلته العديد من الرسائل من منطقة تقرت يطلبون المساعدة للقضاء على حليف الفرنسيين علي باي و قواته المدعمة مـــن طـــرف فرنسا،وقبل وصول بوشوشة إلى تقرت وقع اتفاق بين أهالي تقرت والشعانبة لمـــساعدة بوشوشة في الهجوم على القوات الفرنسية ، وعلى أن يتم تقسيم المشاركون إلى فوجين :

---

[1] العوامر، المصدر السابق ، ص 319

[2] كان مقدما على زاوية قمار بوادي سوف ، وبعد وفاة والده محمد العيد التجاني اجتمع المقدمون وانتخبوه لتولي مشيخة الطريقة التجانية يوم 19 نوفمبر 1875 ، وبالرغم من كبر سنه آنذاك (65 سنة) إلا أن أخلاقه وعلمه أهلاه لذلك، فحسب قول المصادر الفرنسية فإنه جمع كل الخصائص المطلوبة من ورع وعلم وفضيلة ، للمزيد انظر : أبو القاسم سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي** ،ج4 ، ص ص: 225-226.

[3] التليلي ، مصدر سابق ، ص 9.

[4] العوامر، المصدر السابق ، ص 320

- الفوج الأول يلتحق بالشعانبة في سطح العسكر[1] للقضاء على العساكر الفرنسيين كرجل واحد

- الفوج الثاني يبقى بوسط البلاد ويقوم بإفراغ مخازن الثكنة العسكرية من الأسلحة والذخيرة ثم إحراقها[2]، وفي هذه الأثناء انتهز بوشوشة غياب علي باي الذي كان يعسكر بجيشه بمنطقة عين الناقة ، ودخل تقرت يوم 13 ماي 1871م بقوة قدرت بـ 900 مقاتل[3] ،من باب عيسى في جو من الزغاريد والتهليل مع وجود مقاومة ضعيفة من بعض الجنود الفرنسيين والذين تحصنوا بقصبة المدينة دامت يومين (14-15 ماي) ، ثم استسلموا بعد مفاوضات حيث ضمن لهم بوشمال بن قبي[4] السلامة والعافية ومغادرة المدينة ، لكن بمجرد أن وصلوا إلى (ذراع البارود [5]) يوم 15 ماي 1871م ، هاجمهم بوشمال بن قبي وشقيقه قبي بن قبي انتقاما منهم على المناكر التي ارتكبوها، فقتلوهم عن آخرهم وكان عددهم ثلاثين ،كما ألقوا القبض على العديد من أفراد عائلة علي باي وتم سجنهم بتقرت .

ويذكر صاحب "غصن البان" أن بشوشة قام بمطاردة الحامية الفرنسية التي كانت في المدينة، ولحق بها على مسيرة ثلاثة أيام باتجاه الشمال وقتل منها الكثير ومنهم والدي علي

---

[1] تعرف هذه المعركة عند المجتمع المحلي (بمعركة سطح العسكر) نسبة إلى المكان الذي حدثت فيه المواجهة بين بوشوشة والفرنسيين. ينظر،: رضوان شافو، **مقاومة منطقة تقرت وما جاورها للاستعمار الفرنسي 1854-1875م**، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر،جامعة الجزائر،2006-2007، ص ص:73-112، وينظر كتابي أيضا: **بحوث ودراسات في تاريخ وادي ريغ**، ص ص: 91-105.

[2] قويدر بن احمد بن عبد القادر بن علي بن احمد بورنان ، **كراسة مخطوطة حول تاريخ تقرت** (غير محققة)،1982.

[3] André Voisin , **Le Souf, Monographie, Manuscrit**, El-oued,1965, p4

[4] الشيخ بوشمال بن قبي لا نعرف عن حياته العلمية ولا عن انتمائه الصوفي شيئا، سوى أنّه هو أحد أعيان مدينة تقرت ، وكان يشغل منصب " مقدّم النزلة[4]" ، أما من الناحية السياسية ومن خلال سياق الأحداث التاريخية فيبدو انه كان مواليا للسلطة الفرنسية في بداية الأمر ، ثم تدارك ذلك إلى الولاء لأنصار المقاومة ضد العدو، ينظر: رضوان شافو، مقاومة منطقة تقرت...، المرجع السابق ، ص109

[5] هو حي تابع لبلدية النزلة ، ويبعد عن مقر دائرة تقرت حوالي2 كلم .

باي بن فرحات، وذكر أيضا انه من بين الناجين قبطان يسمى كوخ وزوجته الذي حينما رأى القتل نطق بالشهادتين مظهرا للإسلام خوفا على حياته، فأمسكوه وآتوا به إلى الشريف بشوشة ،الذي عفا عنه واصطحبه إلى ورقلة فأمر بختانه وسماه "عبد الرحمان" وألبسه لباسا عربيا وأرغمه على الصلاة في مسجد المالكية الكبير، وكان هذا القبطان يحسن صناعة الأسلحة،فانخرط في معمل رجل يسمى "بن قامة الإبراهيمي" يساعده ويقتات من عمله هو وزوجته، وكلما وجد بندقية فرنسية صالحة اشتراها وخزنها عنده، ثم اختفى فجأة و لم يظهر إلا بعد خمسة عشرة يوما مع الجنرال دو لاكروا ***DeLacroix*** بتقرت ودخل معه إلى ورقلة".[1]

كان بوشوشة قد وعد حامية علي باي وأنصاره بذهابها حرة إلى بسكرة ، لكنه حدث العكس ، فهل يعني هذا أن بوشوشة تواطأ مع بوشمال بن قبي على القيام بذلك ،أو يكون بوشمال بن قبي قد نفذ ذلك دون علم الشريف بوشوشة؟ ويبدو لي أن الطرح الثاني هو الأقرب إلى الصواب.

وبعد أن ثبت بوشوشة سلطته ونفوذه في المنطقة، اتجه صوب الزاوية التجانية بتماسين وفرض عليها حصارا ، ومنها واصل سيره إلى عين صالح قاعدته الإستراتيجية لجمع الأنصار وتدبير الخطط .[2]أما علي باي لما علم بما حدث في تقرت ، اتجه يوم 27 ماي 1871م إلى الزيبان وأراد أن يحتج لدى الحاكم الفرنسي ضد عائلة بن قانة التي اتهمها بالتواطؤ مع بشوشة وأتباعه في احتلال ورقلة وتقرت ، لكن الحاكم عوض أن يكون في صفه انقلب ضده واتهمه بالإهمال والتقصير والجبن ، وتوعده يوم في أول جوان من نفس السنة بتقديمه إلى المحاكمة ، فغادر علي باي بسكرة ، وعزم على استرجاع نفوذه الضائع ، فاتجه إلى واحة انسيغة التي يتمركز فيها أتباع ابن قانة ، ثم تقدم إلى المغير التي فر منها أهلها، فقام بسلب كل ما وجده بها من أمتعة وأثاث.

---

[1] أعزام ، المصدر السابق، ص ص:72-73

[2] L. Rinn ,Op.Cit , p493

وما إن وصل إلى تقرت في 8 جويلية 1871م وجد أهل تقرت قد تخندقوا على البلدة وملئوا الخندق بالماء، فكان بحيرة حول البلدة، فحاصرها لمدة يومين بمساعدة أنصاره من أولاد عمر، وأولاد زكري وأولاد نايل ، واستطاع الجند دخول الخندق ونقبوا السور ووقع رمي بالرصاص بين علي باي وأهل تقرت، ففشلوا في اقتحامها بعد معركة خسر فيها الطرفين عدد كبير من القتلى والجرحى واضطر أن ينسحب إلى الوراء ، ولّما علم علي باي بمقدم الشريف من ورقلة ارتحل ليلاً تحت السر إلى سوف، فبات ليلته تلك غربي قمار، ودخل قمار صبيحة الغد وترك ذخائره فيها وجميع ما لا يمكنه نقله، واستودع أهله وجميع عائلته عند رجال قمار، وذهب إلى بسكرة فارا يوم 13 جويلية 1871م لتتخلص منه وادي ر يغ وسوف نهائيا من بطشه .[1]

وبعد استتباب الأمن في المنطقة ، أخذ بوشوشة ينتقل بينها وبين الدوسن وغيرهما رفقة ناصر بن شهرة لكسب أنصار جدد ، فأخذ يدعو الناس لتأييده والانضمام إلى حركته ، وخلال هذه الفترة ونظرا للموقف المعارض الذي اتخذه أولاد زكري الذين ساعدوا علي باي على محاصرة تقرت،حاول الانتقام منهم بخوض ثلاث معارك معهم ،إلا أنه فشل استمالتهم إليه وفقد عددا كبيرا من أنصاره ، وبعض مواشيه وجماله .

بعد هذا الفشل عاد بشوشة إلى ورقلة، حيث اهتم بمراسيم تزويج ابتنه إلى سي الزبير من أولاد سيدي الشيخ، والذي عينه آغا على ورقلة خلفا لناصر بن شهرة، بعدها توجه نحوا بني ميزاب طالبا منهم الدخول تحت طاعته، إلا أنهم رفضوا الولاء والطاعة بسب ما ارتكبه أنصار بشوشة في حق إخوانهم الميزابيين بورقلة، وصمموا على مقاومته، الأمر الذي دفع بشوشة بالرجوع إلى ورقلة خوفا من مغبة هذه المقاومة الغير محسومة النتائج.

وفي المقابل استغلت السلطة الاستعمارية انشغال بشوشة بالإغارة على القبائل المناوئة له، إذ كلفت العميل بولخراص بن قانة بالتوجه نحو وداي ريغ والاستيلاء عليها، فدخل

---

[1] التليلي ، المصدر سابق .ص10

تقرت وانتصر على قوات بوشوشة ،وقرر الزحف نحو ورقلة، ولكنه أجل ذلك في انتظار عودة قبائل سعيد عتبة من رحلة الشمال لكي يضمها إلى قواته، في 4 نوفمبر1871م كان سيتم اللقاء بين سعيد وبولخراص بالقرارة، ولكن سبقه بوشوشة بهجوم عليهم في كويف الجبلة بين القرارة والعلية بقوة تعدادها 40 فارسا و200 مهريا من شعانبة بوروبة وشعانبة المواضي والمخادمة، والمقرانيين الفارين من الشمال،وقد انهزم بشوشة في هذه المعركة وفقد زمالته، إذ جرح بشوشة في فخده، كما جرح قائد المخادمة عبد القادر بن عبد الله، وقائد الشعانبة بوروبة الشايب بن بروبة، وتم استشهاد 56 قتيل من قوات بشوشة، و38 قتيل في صفوف سعيد عتبة.[1]

بعد ما شفي بشوشة من جروحه عاد إلى المقاومة من جديد، إذ استقر بحاسي بروبة في أواخر نوفمبر من نفس السنة، وأخذ ينظم صفوفه وجيشه، إذ قسم جيشه إلى عدة فرق بقيادة كلا من صهره السي الزبير وناصر بن شهرة والمخادمة والمقرانيين، ولما علمت السلطة الفرنسية بتحركاتهم أمرت بملاحقتهم، فاتجهوا جميعا نحو حاسي تمزقيدة،لتبدأ بعدها إرهاصات القضاء على مقاومة الشريف بشوشة.

ثالثا/حملة الجنرال " دولا لا كروا *DeLacroix* واحتلال ورقلة من جديد:

بعدما تأكدت السلطة الاستعمارية من فشل الباشاغات ، والقياد في الحفاظ على سلطتها في الجنوب، جنّدت كل قواتها لمقاومة ثورة الشريف بوشوشة ، ولا سيما عند إخمادها لانتفاضة " المقراني والشيخ الحداد " ، و أعطيت الأوامر للجنرال " دو لا كروا *DeLacroix*" بالزحف على تقرت ، والذي انطلق من المسيلة في 30 نوفمبر ليصل إلى تقرت في27 ديسمبر 1871م بعد تحرير دام ثمانية أشهر(من ماي إلى ديسمبر) ، وعين " الملازم بن إدريس[2]" قائدا على المنطقة لمدة أربعة سنوات خلفا لعلي باي ، كما

---

[1] Rapport: « Notes pour servir… »,Op.Cit.p435

[2] الملازم بن إدريس جزائري الأصل ، من مواليد الوطاية بمنطقة بسكرة سنة 1835، عمل بالجيش الفرنسي كقائد للصبايحية ، ثم عينته السلطة الفرنسية آغا على تقرت سنة 1871 كما عينت أخوه السعيد آغا على ورقلة ، وتجدر الإشارة هنا إلى أن الامتيازات التي تحصلت عليها هذه العائلة كانت بفضل الخدمات الكبيرة التي قدمتها

عين حمو بن حرز الله الذواودي من أولاد زكري قائدا على المنطقة الشمالية لوادي ريغ (المغير ، جامعة ، أم الطيور وما جاورها من قرى ومدا شر) .[1]

وبخصوص احتلال ورقلة من جديد فقد اختلفت الآراء ، فحسب لويس رين يذكر أنه في 28 ديسمبر 1871م كلف الجنرال دولا كروا القائد " روزRose " الخبير بشؤون الصحراء بالاتجاه صوب ورقلة ، فاحتلها يوم 2 جانفي 1872م.[2]وحسب تقرير فرنسي أن الجنرال دولاكروا *DeLacroix* وصل إلى ورقلة يوم 5 جانفي 1872م.[3]

أما صاحب" غصن البان" فيذكر كيفية وصول الجنرال دولاكروا *DeLacroix* دون تحديد التاريخ إذ يقول:" ..قدم الجنرال في خمسمئة فارس وبعدها جاءته النجدة من ناحية بسكرة وناحية الاغواط، ولما وصل الجنرال ورجلان (ورقلة) تلقته سعيد عتبة، ومن كان تحت طاعة الدولة ودخل بعاسكره من باب رابعة ابي الربيع خارقين زقاق جماعة بني وقين، والشارع الكبير الذي بوسط السوق الحالي قاصدين القصبة، ولما وصلها وجد خليفة بشوشة هناك مولاي احمد بمسكنه ومن معه فقتلهم، ثم أخذت العساكر في الوصول من جهة غرداية وبسكرة فملأت البلاد بذلك الجيش الجرار، وكان نزول العساكر في ناحية الطابية(موضع بجهة محط سعيد)،ولما استقر بالقصبة واجتمعت العساكر اخذ في عقاب من كان في إعانة بشوشة".[4]كما عملت السلطة الاستعمارية معاقبة سكان ورقلة ،

للفرنسيين ومساعدتهم في عملية استكمال احتلال الصحراء ، ومن ذلك إلقاء القبض على اخطر ثائر بالصحراء بعد مقاومة الأمير عبد القادر وهو الشريف بوشوشة بمنطقة عين صالح سنة 1873 ، انظر : أبو القاسم سعد الله ، **الحركة الوطنية الجزائرية 1860–1900**،ج2 المرجع السابق ، ص145.

[1] L.Rinn , Op.Cit , pp 628- 634

[2] Ibid.

[3] Rapport: « Notes pour servir… »,Op.Cit.p435

[4] أعزام ، المصدر السابق، ص ص: 73–74. =

= ويذكر الشيخ أعزام انه عندما بدأ دو لاكروا في البحث عن بوشوشة ومن معه من كبار أهل البلدة، أخرج القبطان كوخ(اسمه هكذا وهو احد الموالين لعلي باي) قائمة كانت عنده فيها أسماءهم كان يكتبها سرا وجيء بهم، فاخذ الجنرال دولاكرو في الانتقام فقتل من لعجاجة والشط ، ومن جملة المقتولين: الحاج أحمد الذي أرغمه بوشوشة على تولي قيادة بني واقين بعد مقتل والده عيسى" والحاج محمد وأحمد ابني عبد القادر الذي لقب

إذ حجزت بساتين المنشقين الآخرين وغرمت العروش التي ساندت الثورة بمبلغ 247.184 فرنك دفعت فورا وسجن كثير من كبارها[1]، في حين نجد مبلغ الضريبة عند بـــساجي *Passager* وصل إلى 250000 فرنك.[2]

وهكذا أعاد الجيش الفرنسي احتلال منطقة ورقلة ووادي ريغ عندما أدرك أهميتهما الإستراتيجية في الصحراء الشرقية ، والخطورة التي شكلتها ثورة بوشوشة وحلفائه مـــن خلال السيطرة عليها ، وجعلها قاعدة ثورية لضرب العدو في كل الاتجاهـــات .بعـــدها، أرسل الجنرال دو لاكروا *DeLacroix* مجموعـــة لملاحقـــة بوشوشـــة بقيـــادة العقيـــد قوم*Gaume* من الكتيبة الثالثة لقناصة إفريقيا والمكونة من 250 صبايحية ، و240 خيالة ، و45 فارس من القوم ، أسرعت في السير ولحقت بالثوار إلى جنوب حاســـي تامزقيـــدة واشتبكت معهم في معركة يوم 9 جانفي 1872م، مما دفع ببشوشة إلى الانسحاب رفقـــة أنصاره من المعركة تاركين وراءهم 120 خيمة وعددا من الجمال[3]، واتجه هو ومن معه إلى الجنوب الغربي، وستولى الفرنسيون على الزمالة بما فيها من أغنام وجمال وتمور وحبوب وزرابي مع النساء والخدم والأطفال، وقتل في المعركة عدد كبير من الثوار منـــهم أحـــد أحفاد بن ناصر بن شهرة وقبض الفرنسيون على اثنين من كبار المقرانيين من ثورة الحاج محمد المقراني الشهيرة والذين التحقوا بمقاومة بوشوشة والزاوية الرحمانية التي كان مقدمها

"كبـــدي" لأنه رأى ولديه يقتلان بصورة بشعة فأخذ يتألم ويردد كلمة كبدي، والحاج "الخـــازن" وهومقـــدم الطريقة الرحمانية بالعجاجة الذي بقى فارا مدة ثم أخبر به بعض الجواسيس قيل أنهم كسروا عظامه وأضلاعه واحدا واحدا، وبعض كبار نقوسة. وحمية بن عبد القادر سيدروحو، ومحمد بن جلول حفيان، ثم أمر الجنرال بنهب ديار بني سيسين وهدمها جميعا، لأنهم فتحوا الباب لقوات بوشوشة، فأخذ العسكر في هدمها إلى أن وصلوا إلى جامع سدراتة، فاعترض الشيخ "إبراهيم بن عبد القادر الرويسي" بشدة وحزم على الجنرال، وادعى أن الـــديار الباقيـــة ملكه، فتوقف الهدم ولكن أمر بقلع نخيلهم في عين بوسحاق، فعارضه أيضا بحجة أن الحكومة الفرنسية لا توافـــق على ذلك، وإن كان ولابد فتأخذه الدولة تستثمره فأخذ برأيه. ينظر: أعزام ، المصدر السابق:ص73.

[1] Rapport: « Notes pour servir… »,Op.Cit.p437

[2] P.Passager, Op.Cit, p104.

[3] Rapport: « Notes pour servir… »,Op.Cit.p436

الخازن والشيخ "الحاج بلخير العجاجي" وهما "عبد العزيز بن محمد" القاضي و"محمد بن حمودة" القاضي، واستولوا على أغنام وأموال السعيد بوداود المقراني.[1]

على اثر هذه المعركة افتراق شمل الثوار، واتجه كل طرف إلى حال سبيله يقرر مصيره بيده ، فيقال إن بوشوشة اتجه إلى الجنوب الغربي واستقر بقورد عيش.ثم أخد يتنقل بين مناطق الجنوب إلى أواخر شهر جويلية 1873م حين ظهر بالمنيعة، وأغار على قطعان أولاد يعقوب بين البيض والأغواط، وجبال عمور، واقترب من ور قلة فكلف الآغا بن دريس الذي عينته السلطة الاستعمارية خلفا لعلي باي، أخاه السعيد بن دريس بملاحقة بشوشة، والتقى الطرفان في حاسي الناقة خلال شهر ديسمبر، ودارت بينهما معركة انهزم فيها بوشوشة مرة أخرى، حيث فقد 15 قتيلا، وزمالته وحتى زوجته زينب ،وفاطمة بنت جلول التي أخذت أسيرة، إلى الزاوية التجانية بتماسين.فقرر استرجاعها غير انه تصادف مع قوات الجنرال ليبيير *Lieber* الذي كان يعسكر آنذاك شرق الحجيرة قرب وادي ريغ، فأمر السعيد بن دريس بالتوجه لملاحقته فعثر عليه يوم 17 فيفري في حاسي معمر، وتلاحم معه في معركة محدودة و لم ينل منه، فعاد إلى ورقلة حيث جهزت له السلطات الفرنسية قوات كبيرة ممونة ومسلحة.[2]

قرر الجنرال د و لاكروا *DeLacroix* هذه المرة الخروج بنفسه للقضاء على بشوشة، فانطلق من ورقلة يوم 4 مارس 1874م رفقة السعيد بن دريس بقوات مكونة من 40 فارسا و260 مهري، تحمل مقدار 40 يوما من المؤونة، وعددا كبيرا من القرب والبراميل لكي تسير دون خوف من الجوع، وبعد 26 يوما وصلت إلى حاسي الميلوك جنوب غرب عين صالح، حيث اشتبك الطرفان في معركة حامية الوطيس، انهزم فيها بوشوشة وجرح، وفقد 50 من رجاله[3]، ولنتركه يقص التفاصيل[4]: « هزمنا، أصحابي هربوا، وبقيت رفقة

---

[1] أعزام ، المصدر السابق:ص73.

[2] Rapport: « Notes pour servir… »,Op.Cit.p436

[3] Rapport: « Notes pour servir… »,Op.Cit.p437

[4] Ibid, p438

10 أو15 فردا نطلق النار، بعد ذلك وجدت نفسي وحيدا مجروحا في رجلي، وحـــصاني مصاب إصابة مميتة لم يستطع الوقوف فتركته أرضا، وألقيت بندقيتي وتوجهت إلى القائد بعج بن قدور، قائلا: أعطوني الأمان لم يجبني وأخذني إلى سعيد بن دريس كـــل منازلنـــا نهبت، وامرأتي عثر عليها وأخذت أسيرة مع الأخريات ».[1]

ويذكر في هذا الصدد أيضا الشيخ التليلي قائلا : « أرسل الفرنسيون حملـــة بقيـــادة الجنرال (لاكروا) لإطفاء نار الثوار، فلحق بالشريف إلى عين صالح. وكانت الإبل الـــتي تحمل مؤونة الجنود اثني عشرة (مائة). فلمّا علم الشريف بلحاق الحملة الفرنسوية فـــرّق قومه، فبعضهم قصد عين صالح بالذات، وبعضهم عرّج غربيّها، وبعضهم توجه شرقيّها. وكان الشريف في جماعة توجه إلى الجبال، والحملة قصدت عين صالح ذاتها وحاصـــرتها، وأرسل الجنرال إلى أهلها بعدما نصب عليها المدافع من جهاتها الأربع فقال لهم: إن أردتم الأمان سلّموا لنا الثوار، وإن أبيتم إلا النار فلا يأتي على هذه القرية الغد إلا وهي في خبر ليس. فقاد أهل القرية جميع من دخل من الثوار إلى الجنرال، فوضعهم هـــذا في شـــكائر الخيش وربطها وجعلها كالأعمدة. وكان من حسن الحظ أن دلّ الجنرال على شاب اسمه أحمد، بطل من أبطال الشعانبة، أنه هو الذي يأتيك بالشريف ميتًا أو حيًّا، فلما جيئ بـــه وبامرأته وأبيه، وكان قتل قبطانًا من الحملة أراد اعتراضه وإيقافه، فلمّا جاء عيَّن له بساطًا يخصه، فشاهد ما وقع بإخوانه من الحرق بالبارود وهم في وسط الشكائر، فرغبه الجنرال أنه إن أتى بالشريف ينيله ما يستحقه من الجزاء ويحصل على رضا الحكومة، فأرســـله في أربعين فارسًا فذهب بهم حيث ينـــزل الشريف، ونزل مع الشريف بعدما ذكر له أنه هزم الحملة الفرنسوية وانتصر عليها. فاطمأن الشريف لذلك، فغافله حتى تمكن منه، فأســـره وقاده إلى الجنرال، فخرج به داخل هذا إلى قسنطينة، وقتل رميًا بالرصاص »[2]

بعدما أُسر بشوشة على يد بعج بن قدور بن المبارك قايد سعيد عتبة ، اقتيد إلى ورقلة ووضع في سجن سري في الشط،وقد دامت فترة التحقيق معه شهرا بورقلة، وبعدها اقتيد

[1] Rapport :**Comment Bou Choucha Raconta un jour son histoire**, p13
[2] التليلي ، المصدر السابق ، ص 10.

إلى العاصمة لعرضه على المجلس الحربي باعتبار أن ورقلة أصبحت تابعة لمقاطعة الجزائر العسكرية ، ابتداء من22 ماي1874م، ومن هناك إلى قسنطينة حيث أودع في السجن لعدة شهور رفقة ثلاثة من شعانبة ورقلة أسروا معه وهم: داود بن شوليه وعلي بن معمر وبوجمعة بن الشيخ ، ثم قدموا إلى المحاكمة كمجرمي حرب ، فصدر الحكم في الأولين بالنفي وعلى الثالث بالإبعاد في مكان حصين ، أما بشوشة فحكم عليه بالإعدام الذي نفذ يوم 29 جوان 1875م على الساعة الخامسة صباحا بمعسكر الزيتون في ضواحي مدينة قسنطينة[1] .يذكر صاحب "غصن البان" أنّه خلال محاكمة الشريف بشوشة شهد على أعماله بعض القياد والأغوات والمشايخ ومنهم: علي باي آغا تقرت ووادي سوف، والأخضر بن محمد آغا الأرباع،وبن الأخضر قايد المخادمة، وسليمان بن مسعود قايد الشعانبة، وحمو بن بودغاس.[2]

وعقب القضاء على انتفاضة بشوشة وإخضاع ورقلة ووادي ريغ من جديد للسلطة الاستعمارية ، عملت هذه الأخيرة على قمع الأهالي ، إذ أقدمت سنة 1872م على إعدام 12 رهينة بالرصاص في طابية نتاكوميت (عين المعدمين)،وصادروا أراضيهم ونخيلهم، وهدمت منازلهم، كما صادرت ممتلكات كل العائلات التي شاركت في المقاومة ضد الفرنسيين، وعملت على إفقار المجتمع الأهلي لصالح المستوطنين الجدد، مما جعل الأهالي يتحولون من مالكين لأراضيهم إلى خماسين في أرضيهم عند المعمرين، ناهيك عن فرض غرامات مالية ثقيلة على أهالي المنطقة قدرها 247187 فرنك، وذلك لكونها احتضنت مقر الثورة والمقاومة.[3]

هذا بالإضافة إلى الاعتقالات والمحاكمات العسكرية، حيث أصدرت الإدارة الاستعمارية عدة إحكام قضائية عسكرية في حق المنتفضين وزج بهم في السجون بتهمة التصدي لفرنسا والمساس بامن الدولة الفرنسية، وخاصة الشخصيات المرموقة واعيان

---

[1] L. Rinn ,Op.Cit , p663.

[2] أعزام ، المصدر السابق، ص 77.

[3] دوني بيلي، المرجع السابق، ص9

المنطقة، وقد تمت محاكمتهم بالمحكمة العليا للجنايات بقسنطينة خلال ربيع 1873م، وكان من المفروض أن تدوم هذه المحاكمات 45 يوما، إلا أنها استغرقت 56 يوما نظـرا للعـدد الكبير الذي احتضنته قاعة المحكمة، والذي قدر بحوالي 600 شخص بين متهمين وشهود، وبالتالي عدم قدرة لجنة متكونة من إثنة عشرة شخص على إدارة ومحاكمة عدد هام مـن المدنيين بتهم كبيرة وثقيلة،وقد حوكم حوالي ثلاثة عشر من أعيان تقرت، وثلاثـة مـن شعانبة ورقلة من جملة من 152 شخص حسب الإحصائيات المدونة في عقد الإدانة.[1]

كما تجدر الإشارة أنه رغم القضاء على مقاومة بشوشة وأنصاره، وسيطرة الفرنسيين من جديد على ورقلة التي لم تستقر بها، إلا أن ورقلة لم تعرف استقرارا، وذلك بـسبب هجمات عصابات المداقنة ، حيث استمر سالم بن شرائر الورقلي في قيادة عصابة المداقنة، إذ قامت سنة 1874م بغزو ورقلة واغتنمت حوالي 500 بعير، غير أن معظمهـا هلـك بسبب العطش عندما فرت هذه العصابة نحو عين صالح [2]،وفي صـائفة 1876م تكـررت عملية الغزو على المخادمة وبني ثور من طرف عصابات المداقنة،ونفس الشيء حـدث في فيفري 1879م حين قام المداقنة بغزو كبير اشترك فيه 470 مهري على المخادمة، فاغتنموا حوالي 30 بعيرا في حاسي طرفاية،واستولوا أيضا على قافلة من الحبوب في حاسي الزيت (شرق ورقلة)،وفيما يخص موقف الإدارة الاستعمارية من هذه الهجمات، فـان الآغـا الجديد عبد القادر بن عمر الذي نصبته فرنسا خلفا لابن ادريس لم يستطع أن يواجه هذه الهجمات بجدية، وذلك بسبب الانشقاقات التي كانت موجودة بين المخادمة وبني ثور.[3]

المبحث الثالث : أسرة أولاد سيدي الشيخ بورقلة بين العمالة والمقاومة

تنسب أسرة أولاد سيدي الشيخ إلى الجد السادس والعشرين عبد القادر بـن محمـد والمعروف باسم سيدي الشيخ، ولقد خلف سيدي الشيخ ستته عشر طفلا شكلوا العائلة، غير انه بعد وفاة الأب انقسمت الأسرة إلى قسمين: قسم أولاد سيدي الشيخ الـشراقة

---

[1] رضوان شافو، **مقاومة منطقة تقرت**...، المرجع السابق،ص103.

[2] دوني بيلي، المرجع السابق، ص12

[3] المرجع نفسه ، ص18

وقسم أولاد سيدي الشيخ الغرابه، وكل قسم عمل على تأسيس سلطة روحية وذلك من خلال إنشاء زاوية خاصة به.

وما يهمنا في هذه الأسرة هو علاقتها بالمقاومة في منطقة ورقلة، ويبدو لنا من خلال تتبع مسار هذه العلاقة وجدنا أنها تعود إلى القرن السابع عشر ميلادي، وذلك حينما أوصى سيدي الشيخ بالخلافة لابنه الحاج بوحفص(أولاد سيدي الشيخ الشراقة)، غير انه توفي وترك سمعة طيبة في مناطق ورقلة وضواحيها، حين كان يتردد عليها ويرشد الناس ويصلح بين القبائل، حيث أصلح بين الشعانبة وبني ثور، وبين هؤلاء والمخادمة خلال صراعاتهم حول مناطق النفوذ والتجارة أيام القرن السابع عشر الميلادي.[1]

ولعل الأسباب التي دفعتنا إلى الحديث عن علاقة أولاد سيدي الشيخ بورقلة، وتناقضاتهم بين العمالة للفرنسيين أحيانا،والمقاومة ضدهم أحيانا أخرى، هو الدور المزدوج الذي لعبته هذه العائلة في تعاملها مع الاستعمار خلال تواجده بالجزائر، فخلال مقاومة الأمير عبد القادر بالغرب الجزائري، كان قد طلب مساعدتهم سنة 1846م، إلا أنهم اعتذروا عن تقديم أية مساعدات له بدعوى خوفهم من الفرنسيين بالاعتداء على قبور أجدادهم وتهديمها، هذا بالإضافة إلى اتصالهم المباشر والمبكر بالسلطة الاستعمارية في أفريل 1847م،حينما قدموا مبلغ لأحد الجنرالات الفرنسيين وفرسا كهدية وعربون وفاء للخضوع والولاء، وبقوا ملتزمين بدفع الضرائب للفرنسيين بانتظام إلى غاية 1848م.

كانت السلطة الاستعمارية تراقب تطور أوضاع أسرة أولاد سيدي الشيخ من بعيد، وكانت قد علمت عن طريق جواسيسها بالصراع الدائر بين أفراد الأسرة حول الولاء أو عدم الولاء للفرنسيين، فاغتنمت الفرصة وعملت على تشجيع سياسة التفرقة وضرب ذاك بذاك، لتحقيق مصالحها التوسعية في الصحراء الجزائرية.وفي رسالة من المارشال

---

[1] J. lethielliux, Op.Cit.p 208

راندون *Randon* إلى قائد مقاطعة وهران مؤرخة في 26 ماي 1858م، تؤكد مدى اهتمام السلطة الاستعمارية بهذه العائلة لتحقيق أهدافها، ومما جاء في هذه الرسالة نذكر: "...أسرة أولاد سيدي الشيخ كان لها تأثير كبير في كل المناطق الصحراوية، تأثير لا نقاش فيه، وإذا أراد سي حمزة الخليفة الحالي أن يضع هذا التأثير تحت تصرفنا فلا احد يشك أننا سنصل إلى أهدافنا، لكن بعيدا عن ذلك لا زالنا نبحث عن الوسائل للدخول في علاقات، لان عدم رغبة هذا القائد تميل إلى القضاء على جهودنا...".[1]

وما يهمنا في هذه الأسرة أبناءها الإخوة الأربعة الذين ارتبط اسمهم بالاحتلال والمقاومة في منطقة ورقلة وضواحيها وهم :" سي حمزة ولد بوبكر، سي النعيمي ولد بوبكر، سي لعلا ولد بوبكر،سي الزبير ولد بوبكر"، ولقد كانت البداية مع سي حمزة ولد بوبكر الذي اتصل بالفرنسيين منذ سنة 1850م، طمعا في الجاه والسلطة[2]، وقد تزامن أيضا هذا الاتصال مع قدوم الشريف محمد بن عبد الله إلى ورقلة لقيادة المقاومة ضد فرنسا وعملائها في المنطقة.

ولقد حاول الشريف محمد بن عبدالله إقناع سي حمزة ولد بوبكر بعدم التعامل مع الفرنسيين، إلا انه فشل في ذلك، وفي المقابل عمل سي حمزة ولد بوبكر على خدمة الفرنسيين أكثر من خدمة أنفسهم، وهذا باعتراف السلطة الاستعمارية:"...ربط قضيته بقضيتنا، وكان وفيًّا لنا،كان يرغب في سلطنة ورقلة ليكون بين أيدينا، ويكون الشخص المهم في توسعنا بأقصى الجنوب، كان طموحه حكم الجنوب حتى تمبكتوا، أو على الأقل من ورقلة حتى توات..."[3]، فقد ساهم في إخضاع القبائل الموالية للشريف محمد بن عبدالله مثل قبائل الأرباع، وأولاد نايل إلى غاية وادي النساء، كما ساهم في حصار واحتلال الاغواط سنة 1852م،وزيادة على ذلك سهل مهمة الفرنسيين في احتلال ورقلة في 27 جانفي 1853،بعدما اخضع نقوسة ودخل في معركة مع قوات الشريف محمد بن

[1] Augustin Bernard et N.Lacroix , Op.Cit ,p31
[2] C.Trumelet , Op.Cit ,pp 74-76.
[3] Augustin Bernard et N.Lacroix , Op.Cit ,p20- 21

عبد الله حيث انهزم فيها هذا الأخير، وبعدها دخل سي حمزة ورقلة باسم الفرنسيين، وانتظرهم إلى غاية وصولهم، حيث استقبلهم استقبال الفاتحين الأبطال بالطبول والمزامير.

ومما ساعد سي حمزة في انتصاره على الشريف محمد بن عبد الله بورقلة هو انضمام أخوه سي الزبير ولد بوبكر والشيخ الطيب بن بابية شيخ نقوسة إليه ، وأعلنا تخليهما عن مقاومة الفرنسيين، فتقوى مركزه، وازداد طموحه أكثر.

وعلى اثر هذه الانجازات كرمته فرنسا سنة 1853م حيث عينته خليفة على كل المناطق التي تمتد من البيض بحوض الساورة إلى ورقلة، وعينوا أخاه سي الزبير آغا على ورقلة.وهكذا بقي سي حمزة يخدم الفرنسيين طيلة ثماني سنوات إلى أن توفي سنة 1861م فخلفه ابنه سي بوبكر ولد حمزة الذي عينته السلطة الفرنسية خلفا لأبيه ولكن برتبة بشاغا، ومنطقة محدودة، على خلاف رتبة أبيه(الخليفة)، والامتداد الجغرافي لمنطقة الحكم(من البيض بحوض الساورة إلى ورقلة)[1].وأهم دور لعبه سي بوبكر ولد حمزة للفرنسيين هو إلقاء القبض على الشريف محمد بن عبد الله في أواخر 1861م.غير أن سي بوبكر هو الآخر لم يبقى طويلا في منصبه حيت وافته المنية أوائل 1862م، فعين الفرنسيون بقيادة الرائد كولوميو *Colomieu* أخاه سي سليمان بن حمزة، وعينوا عمه سي لعلا آغا على ورقلة خلفا لأخيه سي الزبير.[2]

---

[1] لقد اعتمدت السلطة الاستعمارية خلال فتة احتلالها للجزائر على سياسة تحطيم نفوذ الأسر والعائلات الجزائرية الكبيرة ذات السمعة والمكانة المرموقة في البلاد مثل(أولاد سيدي الشيخ، عائلة المقراني، عائلتي بوعكاز وبن قانة ...وغيرهم)، بعد أن نالت غرضها، فمع بداية الاحتلال حاولت استمالة هذه العائلات إليها كوسيلة لفرض سيطرتها مثلما فعلت مع سي حمزة في احتلال ورقلة، وبن سالم في احتلال الاغواط، ولما حانت الفرصة للاستغناء عنهم سارعت إلى التقليص من رتبهم ومناطق حكمهم، وتقليم أظافرهم حتى لا يبقى فيها أي أمل للشعب إذا أراد أن يقوم بأي عمل ضد الإدارة الاستعمارية، وهذا الاحتقار والتهميش كان وراء الكثير من المقاومات الشعبية في الجزائر.

[2] Colomieu (v), « **voyage dans le sahara algérien de Géryville à Ouargla** », Tour du monde , T2,n° 193 ,1863, pp181-199.

إذا كان الكلام السالف الذكر عن أسرة أولاد سيدي الشيخ وعلاقتها بورقلة له دلالة واضحة عن العمالة للفرنسيين ومحاربه المقاومين، فيمكننا القول إن التغير الـــذي أجـــراه الفرنسيون سنة 1862م في هذه العائلة، يعتبر نقطة تحول في أسرة أولاد سيدي الـــشيخ بورقلة من العمالة لصالح الفرنسيين بقيادة سي حمزة ولد بوبكر وابنه بوبكر إلى المقاومة والجهاد ضد الفرنسيين بقيادة سي سليمان ولد حمزة وعمه سي لعلا ولد بـــوبكر، و لم تستفق السلطة الاستعمارية من خطئها وغفوتها إلا بعد فوات الأوان وإعلان ثورة أولاد سيدي الشيخ سنة 1864م.

ولما تم الإعلان عن ثورة أولاد سيدي الشيخ لبى النداء آغا ورقلة سي لعلا، حيـــث جند كل بدو ورقلة، حيث اتجه أواخر فيفري 1864م إلى منطقة وادي النـــساء وأخـــذ يخضع كل الذين حاولوا معارضة الثورة من الشعانبة والمخادمة، وخلال شهر ماي مـــن نفس السنة اتجه سي لعلا نحو نقوسة وقام بتخريبها والاستيلاء علـــى أمـــلاك الـــشيخ بوحفص بن بابية.[1]

وفي الشتاء كان البعض من ثوار الشعانبة والمخادمة وبني ثور يهـــاجمون خـــصومهم والمعارضين لحركتهم الجهادية نواحي بسكرة، ثم تراجعوا في أوائل جانفي 1865م باتجاه قريتي العالية والطيبين بمنطقة الحجيرة ، وبعدها التحقوا بضواحي ورقلـــة، أيـــن كـــان ينتظرهم سي لعلا رفقة ناصر بن شهرة، والتقوا جميعا في "حفرة الشوش"، حيث قـــرروا الهجوم على ورقلة واسترجاعها من الفرنسيين.[2] غير أن سي قدور قائد قبائل سعيد عتبة الموالين للفرنسيين بعدما كانوا ضدهم سنة 1851م، وذلك لارتباطهم بقبائـــل الحرازلـــة والأرباع المؤيدين لحركة الشريف محمد بن عبدالله، كشفوا خطة الهجوم وابلغوا السلطة الاستعمارية.[3]

---

[1] M.R.Brigol,Op.Cit ,p32
[2] Rapport: « Notes pour servir… »,Op.Cit.p415
[3] Ibid.p415

وفي هذه الأثناء كان العقيد سيروكا *Seroka* معسكرا بقواته في "منطقة دزيوة" بعدما أُخبر بتحركات سي لعلا، وخوفا من هجوماته تقدمت قوات العقيد سيروكا *Seroka* نحو منطقة الحجيرة، ثم التحقت به قوات علي باي التي كانت هي الأخرى تعسكر منذ فترة بمنطقة الحجيرة،وفي طريقهم للالتحاق اخبروا بأن عدة قوافل تحمل كميات من البارود إلى قوات سي لعلا، فاعترضوا طريقهم، واخذوا حمولة البارود.وبعدها قرر العقيد سيروكا *Seroka* مباغتة قوات سي لعلا في"حفرة الشوش" ،فأمر النقيب فورجيمول يوم 31 جانفي 1865م، بالهجوم على قوات سي لعلا، مما دفع بهذا الأخير إلى الانسحاب نحو جنوب شرق ورقلة يوم 2 فيفري 1865م.[1]

وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى آن أعوان السلطة الاستعمارية بالمنطقة وجيوشهم وفي مقدمتهم بولخراص بن قانة بجيش قدره 200 فارس، والموهوب بن شنوف قائد بني سليمان، وفرسان تقرت بقيادة سي إسماعيل بن اليزيد بجيش قدره 350 فارس، والطيب بن حرزالله قائد أولاد زكري بجيش قدره 120 فارس و665 من المشاة، كانوا قد اعترضوا طريق سي لعلا لمحاصرته والقضاء عليه، وانتهت المعركة باستشهاد 50 قتيل وعدد كبير من الجرحى، مقابل ثلاثة قتلى و18 جريح في صفوف العدو.وقد فضل سي لعلا الانسحاب إلى الجنوب الغربي بعدما سمع بمقتل ابن أخيه سي محمد القائد الثاني لثورة أولاد سيدي الشيخ.[2]

وفي هذه الفترة استغلت بعض عروش ورقلة تراجع وتقهقر سي لعلا وأنصاره ، منهم عرش أولا إسماعيل الذين تأثروا بأحداث الحرب الطويلة، حيث اتصلوا بالعقيد سيروكا Seroka طالبين الآمان بشروط، غير أن العقيد سيروكا*Seroka* اخبرهم بأنه لا يملك الصلاحيات الكافية لتحديد الشروط، في انتظار قرار القيادة العامة،فجاءته الأوامر من

---

[1] Rapport: « Notes pour servir… »,Op.Cit.p415

[2] Ibid.pp417-418

وهران بإلحاق آغوية ورقلة بمقاطعة قسنطينة، وتعين عليها علي باي قائد ودي ســـوف ووادي ريغ.[1]

وفي أوائل مارس 1865م وصل العقيد سيروكا *Seroka* إلى ورقلة وبقي بها حوالي إثنة عشر يوما استسلمت خلالها سعيد عتبة والشعانبة وفرع من بني ثور، أما الرافـــضين للاستسلام فقد هددهم بمصادرة أملاكهم وحجزها أن لم يعود إليها خـــلال شـــهرين، فاضطرت المخادمة وبني ثور إلى العودة للحفاظ على ممتلكاتهم، وفي شهر جوان جددت القبائل المستسلمة طلب الآمان من العقيد سيروكا *Seroka* ، وأرســـلوا أعيـــانهم إلى بسكرة في 15 أفريل 1865م، غير أن السلطة الاستعمارية رفضت استـــسلامهم بحجـــة مشاركتهم في الحرب ضد فرنسا في مقاطعة وهران، وبالتالي طلبت منهم الـــذهاب إلى وهران، وفي شهر جوان ذهب مبعوثان عن ورقلة إلى بسكرة لطلب الاستـــسلام مـــن جديد، فتم قبول الطلب وفق شروط أهمها[2]:

- عدم تدخل الاستعمار في دينهم وعادتهم
- أن لا يطلب منهم التجنيد في الجيش كصبايحية لمحاربة قبائل أخرى
- أن ينزل بنو ثور في موقعهم الحالي بعد أن منع عليهم منطقة البرج الأحمر.
- احترام حرماتهم بحيث لا يقترب منها عسكري ولا لفيف أجنبي.
- أن يدفعوا ضرائب مقابل الآمان والحراسة.
- أن لا يدخلوا مع أي متمرد ضد السلطة الفرنسية.وفي شهر جويلية رجعت كل الأسر باستثناء أسرتي الحاج قنان، وناصر بن ناصر.[3]

وفي ظل تواجد سي لعلا بالناحية الغربية فضل ناصر بن شهرة رفقة النعيمـــي ولـــد الجديد قائد أولاد الشايب، وإبراهيم بن عبد القادر قائد السوهامة، وناصر بن ناصر قائد

---

[1] Rapport: « Notes pour servir… »,Op.Cit.pp417-418

[2] Ibid.p419

[3] Ibid.p 419

المخادمة، وبوعزة بوعزة، وعثمان الخمقاني من أعيان المخادمة، مواصلة المقاومة بمنطقـــة ورقلة، غير أنهم في أواخر شهر مارس 1865م اصطدموا مع قوات الآغا علـــي بـــاي في منطقة بئر روي (حاسي بركين) جنوب ورقلة، وانتهت المعركة بأسر ابراهيم بن عبـــد القادر وانسحاب ناصر بن شهرة ورفاقه نحو الجريد التونسي عبر غدامس.[1]

أما سي لعلا وبعد التطورات التي حدثت في الناحية الغربية أخد يراســـل الـــسلطة الاستعمارية لطلب الآمان والاستسلام بشروط، غير أن الفرنسيين رفضوا ذلك، مما دفع بسي لعلا إلى مواصلة مقاومته في التل بالجنوب الغربي على أمل قبول السلطة الاستعمارية استسلامه وإعطائه الآمان[2].وحينما ظهر الشريف بشوشة وناصر بن شهرة بمنطقة ورقلة سنة 1870م، اتصل بهم سي لعلا لتنسيق الجهود الحربية ضد الفرنسيين بالمنطقة.ورغـــم هذا التنسيق بين الأطراف الثلاثة إلا أن السلطة الاستعمارية نجحت في تشتيت جهـــود المقاومة خلال بداية السبعينات من القرن التاسع عشر،فقلد كشفت معركـــة حاســـي تمزقيدة في 9 جانفي 1872م عن ضـــعف المقاومين،وتـــشتتت جبهتـــهم، وتعقـــدت مشاكلهم،فسي لعلا عمل على تجديد اتصالاته بينه وبين السلطات الاستعمارية لطلـــب الآمان وتسهيل عملية الاستسلام[3]،و لم يُقدّر لهذه المحاولات أن تنجح، فاتجه نحو الجنوب الغربي على الحدود، واستقر بمنطقة كرزاز بوادي الساورة إلى أن وافته المنية سنة 1896م عن عمر يناهز ستون عاما،أما سي الزبير فقد استسلم للفرنسيين بدون شـــروط إلى أن وافته المنية هو الآخر سنة 1879م،خاصة بعد تقهقر مقاومة أولاد ســـيدي الـــشيخ في معركة حاسي عتاب سنة 1866م ومصادرة أملاكهم من طرف السلطة الاستعمارية، أما الشريف بشوشة فالقي عليه القبض وحكم عليه بالإعدام.وفيما يخص ناصر بن شهرة فقد انسحب إلى تونس رفقة بعض المقرانيين واخذ يواصل هجوماته على الأعوان الفرنسيين.

---

[1] Ch.féraud, le Sahara de Constantine,Op.Cit. pp508-510

[2] Rapport: « Notes pour servir… »,Op.Cit.p419

[3] Trumelet,Op.Cit.pp 74- 75

المبحث الرابع : الطرق الصوفية بورقلة وموقفها من الاستعمار الفرنسي خلال القرن(19م):

إن الكثير من الناس يعتقد اليوم أن التصوف هو الدروشة والبدع والخرافات، وهذا الاعتقاد يعتبر من مخلفات الحقبة الاستعمارية في الجزائر، غير حقيقة التصوف تعني الزهد في الدنيا، والتأمل في ملكوت الله مع كثرة العبادات والطاعات، وهذا ما أكده ابن خلدون في قوله عن التصوف:" وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيها مما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة".[1]

ولعل الكثير من الباحثين يقرّون أنه كان للطرق الصوفية في الجزائر مكانه هامة في البدايات الأولى لعملية الاحتلال والتوسع والتغلغل الاستعماري في الأراضي الجزائرية، وذلك لدورها الفعال الذي لعبته في الأحداث العسكرية والسياسية والثقافية والدينية، ولا يختلف اثنان اليوم على أن معظم المقاومات الشعبية الجزائرية خلال القرن التاسع عشر كانت نابعة من مختلف الطرق الصوفية التي عرفتها الجزائر، بل وصل الأمر إلى تحالف الطرق في ما بينها مثلما ما حدث مع الرحمانية حين تحالفت مع الأمير عبد القادر.

غير انه في الجهة المقابلة هناك من يرفض هذا الطرح، ويؤكد على أن الطرق الصوفية وقفت إلى جانب الاستعمار الفرنسي في الجزائر، حيث سهلت للقوات الفرنسية عملية استكمال التوسع في الصحراء الجزائرية، وأنها أغرقت المجتمع الجزائري في ظلمات الجهل والدروشة، إلى أن جاءت الجامعة الإسلامية وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وحاولوا تصحيح مسار التصوف عند هذه الطرق،والتصدي للسياسة الاستعمارية الفرنسية.

[1] ابن خلدون، المصدر السابق،مج1، ،ص 683

وإذا ما انفردنا بالتصوف في المجتمع الورقلي فنجده قد تجسد منذ القرن التاسع عشر في مجموعــــة مــــن الطــــرق الــــصوفية، وهــــي القادريــــة و التجانيــــة ،والرحمانية،والشيخية،والسنوسية ،والطيبية، وقد أقيم لهذه الطرق زوايــا في مختلــف أرجاء المنطقة باستثناء السنوسية التي كان مقرها خارج المنطقة ،ولكن نفوذها وتأثيرها في حركة المقاومة الشعبية كان أقوى بكثير من الطرق الصوفية الأخرى،وسنناول أهم الطرق الصوفية من حيث علاقتها بحركة الجهاد والمقاومة ضد الاســتعمار الفرنــسي بورقلة، وليس من حيث عقيدتها وأورادها وفروعها :

1- الطريقة القادرية: تنسب هذه الطريقة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني دفين بغداد (470-562هـ/1078-1167م)، ولقد انتقلت هذه الطريقة من المشرق العربي الى بلاد المغرب العربي عن طريق الشيخ أبي مدين شعيب بن الحسين (500-594هـــ/1104-1198م)، ومنها انتشرت أفكارها ومبادئها عبر مختلف بلدن المغرب العــربي، ومنــها الجزائر عن طرق الشيخ مصطفى بن المختار الغريسي، الذي أسس أول فرع للقادرية سنة 1200م، ثم أسست فروعا لها في الشرق والغرب والوسط والجنوب،وتم تعين على كل فرع من فروع الزاوية مقدم ،كما لها أوقاف كثيرة كانت ترسل مع الحجاج إلى الزاوية الأم ببغداد.[1]

أما من ناحية المقاومة فكانت بدايتها إلى جانب المقاومين الجزائريين في عهد الأمير عبد القادر الذي قاد مقاومة شعبية في الغرب الجزائــري(1832-1847م)، غــير أن الاستعمار الفرنسي تفطن للدور الجهادي لهذه الطريقة فعمل على استغلالها لــصالحه من اجل التحكم والسيطرة، وبثوا الفرقة والعداوة بين مختلــف الطــرق، وزرعــوا الجواسيس وضعاف النفوس لمراقبة مريدها، وبالتالي القضاء على المقاومــة الــشعبية الجزائرية.

---

[1] سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي** ،المرجع السابق، ج 4 ، ص 4

ولعل الطريقة القادرية بورقلة من الطرق الــتي احتوهـا الــسلطة الاســتعمارية واستخدمتها في تغلغلها في أعماق الصحراء الجزائرية، ويعود تأسيس هذه الزاوية إلى الشيخ محمد الطيب بن محمد بن براهيم، ومن ناحية سنة التأسيس فيــذكر بــساجي *P.Passager* أنها تأسست سنة 1884م[1]، غير أننا بالرجوع إلى فترة مقاومة الشريف محمد بن عبد الله، فإن معظم المصادر التاريخية تذكر أن محمد بن عبدالله جاء إلى ورقلة سنة 1850م ونزل بزاوية الرويسات،وهذا ما يطرح عدة تساؤلات: هل المقصود هو الزاوية القادرية، أم أن هناك زاوية أخرى؟ أما من ناحية عدد أتباعهــا فلــم تــذكر المصادر التاريخية العدد آنذاك باستثناء بساجي *P.Passager* الذي ذكــر أن عــدد مريدها قد وصل سنة 1957م إلى 2300 مريد.[2]

أما عن موقفها من الاستعمار، فقد ذكر أبو القاسم أن الزاوية القادرية بالرويسات قد وضفتها الإدارة الاستعمارية في اكتشافاهم العلمية (التجسسية) في عمق الصحراء الجزائرية، وذلك أن الشيخ محمد الطيب كان قد رافق بنفسه بعثة المستكشف الفرنسي فلامان *Flumand* إلى تيديكلت في خريف 1899م، بهدف استكشافها والتعرف على أحوالها الجيولوجية والنباتية، وإمكانيات مياها الجوفية، وقد أخد معه الــشيخ محمــد الطيب من خدمه عشرين شخصا مسلحا[3]، وأربعون مهريا لحماية القافلة، غــادرت البعثة ورقلة يوم 28 نوفمبر 1899م متوجهة نحو عين صالح، ولما تفطن ســكانها إلى نوايا هذه البعثة استعدوا للمقاومة[4]، وقد تعرضت هذه البعثة إلى هجوم كــبير مــن عرب الصحراء قاده حوالي 75 مسلحا،وذكر أيضا أن الحاكم العام جول كامبون قد اعتمد على الشيخ محمد الطيب سنة 1895م لتسهيل عملية احتلال منطقة تيديكلت.

---

[1] P.Passager,Op.Cit, p134

[2] Ibid, p133.

[3] سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي** ،المرجع السابق، ج 4 ، ص 49

[4] عاشوري قمعون، « دور عائلة الشيخ ابراهيم بن احمد الشريف في الحركة الوطنية الجزائرية»، **مجلة البحوث والدراسات**، المركز الجامعي بالوادي، ع3، س3،جوان 2006، ص76.

هذا بالإضافة إلى مرافقته لرحلة بول سولييه *Paul Soleillet* عام 1873م انطلاقا من متليلي نحو عين صالح،زيادة على ذلك قام الشيخ محمد الطيب برحلة عام 1885م من ورقلة إلى غدامس، وكان قد كتب وصفا لرحلته وتركه عند أخيه محمد الكبير بزاوية نفطة، وقد ذكر في هذه الرحلة أن الشيخ محمد الطيب عندما وصل إلى تطاوين على الحدود التونسية وجد ضابطا فرنسيا فسلمه المقبوض عليهم في مسالة قتل الماركيز دي موريس.[1]

أضف إلى ذلك أنه احتفظ بعلاقاته الجيدة مع الفرنسيين إلى غاية وفاته، وهو ما تؤكده الرسالة مؤرخة في 19 ديسمبر 1897م من الطيب بن ابراهيم شيخ الزاوية القادرية بورقلة إلى الحاكم العسكري بالاغواط يبن فيها غضبه من أولاد سيدي الشيخ بورقلة الذين نشروا الفوضى بالمنطقة حسب رأيه[2]، كما استطاع أن يتصدى لبعض

هجومات المقاومين في الصحراء، وأن يساعد بعض قبائل التوارق في التصدي للثائرين من السنوسيين.[3] وقد أكد دوني بيلي *D.Pillet* هذه الأعمال في قوله أن الشيخ محمد الطيب كان قد رافق عدة رحلات استكشافية مع الفرنسيين إلى أن قتل في معركة شروين قرب تميمون يوم 5 مارس 1901م، وهو يقاتل إلى جانب الجنرال سيرفيير.[4] ونقل جثمانه إلى مدينة ورقلة حيث دفن بزاويته بالرويسات.[5]

غير أن ما يلفت النظر هو أنه رغم الخدمات التي قدمها شيخ القادرية بورقلة للفرنسيين، إلا أن السلطة الاستعمارية تعاملت مع الطريقة القادرية بحذر شديد في

---

[1] عاشوري قمعون، المرجع السابق، ص75-76

[2] ينظر الملحق رقم 10:(رسالة من الطيب بن ابراهيم شيخ الزاوية القادرية بورقلة إلى الحاكم العسكري بالاغواط1897م)

[3] سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي** ،المرجع السابق، ج 4 ، ص 49

[4] دوني بيلي، المرجع السابق، ص 36.

[5] عاشوري قمعون، المرجع السابق، ص76

تحقيق أهدافها، حتى لا تشكل عليها خطرا، ويكبح جماحها التوسعية في الصحراء الجزائرية، وفي حالة ما إذا وقع الخطر فهي تلجا إلى سياسة "فرق تسد" حتى يخلو لها الجو بكل إرياحية، حيث سخرت السلطة الاستعمارية لتحقيق هذا الهدف، ولضرب العناصر الثائرة التابعة لأية طريقة دينية معادية لفرنسا، ما قيمته مائتين وأربعين ألف فرنك فرنسي(240000ف)[1].وهذا ما حدث حينما استخدمت الطريقة التجانية بضرب الطريقة القادرية في مؤامرة اغتيال المغامرة إيزابيل ابرهارت حين حضرت إلى تقرت في إطار حفل استقبال أقيم على شرف قدوم الشيخ الهاشمي الشريف أخ الشيخ محمد الطيب من باريس، وقد تخوفت السلطة الاستعمارية من هذا الاستقبال فأوعزت إلى رئيس المكتب العربي بالوادي غاستون كوفي على زرع الفتنة بين القادرية والتجانية، حيث دبر مكيدة لاغتيال إيزابيل ابرهارت، غير أنها نجت بأعجوبة، وقد اتهم الشيخ الهاشمي الشريف التجانية بتدبير المؤامرة، وهذا بعدما تم اعتقال الجاني الذي ثبت انه من أتباع الطريقة التجانية.[2]

وفي المقابل لا يمكننا أن نغفل عن الضوء المشرف والمشرق في تاريخ الزاوية القادرية بورقلة، فعقب مقتل الشيخ محمد الطيب، خلفه أخوه الشيخ محمد الهاشمي الذي قدم إلى زاوية الرويسات سنة 1901م، وعمل على تنظيم شؤونها العائلية وتعمير الزاوية بالأتباع والمريدين،بفضل عطائه وجوده وكرمه على أهالي المنطقة، وذكائه وفطنته للسياسة الاستعمارية في استغلال نفوذ الزاوية، وهو الذي قال عنه الشيخ عبد الحميد بن باديس في جريدة البصائر:" كان الشيخ الهاشمي شيخ الطريقة القادرية- رحمه الله- رجلا ذكيا، واسع الحيلة، بعيد النظر، أدرك بثاقب فكره أن ما عليه الطرقية من جهل والجمود لا يمكن أن يستمر طويلا، وأن المستقبل للعلم لا محاله، فولى وجهه شطر العلم، وقدم أبناءه لجامع الزيتونة المعمور، وحبس أملاكه كلها على العلم، واشترط في

[1] Budget 1868.A.O.M. F80/903

[2] سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي** ،المرجع نفسه، ص 53

حبسه أن تعمر زواياه بأهل العلم من أئمة ومدرسين ومتعلمين، واشترط في أبنائه أن لا حظ لا حد في الحبس إلا إذا حصل على شهادة التطويع من جامع الزيتونة، وجعل الإشراف على الحبس لنظارة جامع الزيتونة، وبنى عمله هذا على أن أملاكه هي أول للمسلمين، فلتعد بالنفع على المسلمين، فكان عمله هذا لم يسبقه إليه احد من أمثاله.."[1]،كل هذه الصفات والأعمال أصبحت في نظر فرنسا تشكل خطرا على تواجد السلطة الاستعمارية بالمنطقة، فاضطرت القيادة العسكرية بورقلة إلى استدعائه والتحقيق معه، وإعطائه مهلة 24 ساعة لمغادرة ورقلة نحو وادي سوف بعد قضاء ثمانية أشهر هناك.[2]

ورغم التغير الذي أحدثه الشيخ محمد الهاشمي وأحفاده من بعده في تاريخ الزاوية القادرية خلال النصف الأول من القرن العشرين، إلا أن الكتابات التاريخية لازالت لم تنصفها، وتبقى الوثائق المخزنة في أدراج زواياها كفيلة بأن تنصفها مستقبلا.

2- الطريقة التجانية : ظهرت هذه الطريقة في أواخر القرن الثامن عشر، وهي تنسب إلى الشيخ " أحمد التجاني " المكنى بابي العباس أحمد محمد التجاني الشريف ،ولد بعين ماضي قرب الاغواط سنة 1150هـ / 1737م[3]،و هي تعد أحدث الطرق الدينية في الجزائر ، وقد انتشرت هذه الطريقة عبر مختلف مناطق الوطن، حيث أسست لها زوايا، أهمها زاوية عين ماضي بالاغواط، وزاوية تماسين بورقلة، وزاوية قمار بوادي سوف، وذلك بفضل القوافل التجارية الرابطة بين الشمال والجنوب، والشرق والغرب، فكثر أتباعها ومقدموها، بل وامتد نفوذها إلى خارج الجزائر، وأصبحت قوة

[1] البصائر، ع 95.

[2] عاشوري قمعون، المرجع السابق، ص76

[3] حرازم الفاسي ، جواهر المعاني و بلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني ، ج 1 ، دار الجيل، بيروت ، 1988 ، ص 23

يتودد إليها الراغبون في التحالف.وخلال البدايات الأولى للاحتلال الفرنسي للجزائر، التزمت الطريقة التجانية الحياد، وقد قيل أن" الشيخ التجاني قد وضع التمر في فمه فأصبح بذلك ملتزما بعدم الحرب، ولكنه لا يمنع من يرغب في الانضمام إليه".[1]ولعل هذا السكوت هو الذي دفع بالأمير عبد القادر سنة 1838م بالهجوم على الزاوية التجانية بعين ماضي لما تبين خطر الاتصالات القائمة بين التجانيين والفرنسيين، أضف إلى ذلك أن لويس رين *L.Rinn* كان قد برر في كتابه(المرابطون والإخوان) موقف التجانية من المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي حين قال إن التجانيين كانوا على يقين من أن الأمير سيفشل لا محالة في حربه ضد فرنسا، وأنهما لن يجنيا شيئا منه حتى ولو نجح، لان التل يقع بين يدي طرق صوفية أخرى أقدم من التجانية، وأكثر تجدرا بين السكان، وبالتالي فان التبعية للأمير غير مناسبة لهم.[2]

وفيما يخص ارتباط أهل ورقلة بالطريقة التجانية، فليس هناك زاوية مؤسسة بالمنطقة، غير أن تأثير نفوذها في المنطقة عن طريق زاوية تماسين اوجد بعض الأتباع والمريدين يتراوح عددهم بعض المئات.[3]وتأسيس زاوية تماسين كان عن طريق "الشيخ الحاج علي الينبوعي" (1180-1260هـ/1767-1844م)، حيت بنى زاويته هناك سنة1214هـ ، ويرجع نسب الحاج علي إلى بلدة ينبع ببلاد الحجاز، فكان له دور كبير في قيادة الطريقة، ونشرها خصوصا بوادي ريغ ووادي سوف.

أما موقفها من الاستعمار، فهو شبيه بالطرق الصوفية الأخرى التي فضلت خدمة الاستعمار على خدمة الوطن باستثناء البعض خلال القرن التاسع عشر، و لم تلعب أي دور ايجابي في حركة المقاومة بورقلة ، بل إن التجانيون عارضوا ثورة الشريف محمد بن عبد الله بورقلة ، وتصدوا لدخوله إلى تماسين مقر الزاوية التجانية ، وتذكر المصادر

---

[1] سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي** ،المرجع السابق، ج 4 ، ص 196

[2] L.Rinn, **Marabouts et Khouans**, étude sur l’Islam en Algérie, Alger, 1884,p 423- 427

[3] P.Passager,Op.Cit, p133

التاريخية أن الحاج علي هو الذي اخبر أهالي وادي سوف ووادي ريغ والزيبان بتقدم الفرنسيين نحو بسكرة وقال لهم :" إن الله هو الذي أراد أن يعطي الجزائر وإقليمها للفرنسيين، وهو الذي مكن لهم فيها، فابقوا مسالمين، ولا تطلقوا البارود عليهم...فاتركوا الفرنسيين وشأنهم يفعلون ما يريدون، لأنهم اتخذوا في الظاهر طريقا عادلا وحكيما".[1] كما أن خليفة الحاج علي الينبوعي ابنه " محمد العيد التجاني" فقد أشادت المصادر الفرنسية بخصاله ، فحسب شهادة هنري دوفيريي ***H.Duveyrier*** أنّه ساعده بوصية من الجنرال ديفو*Desvaux* على الدخول بكل أمن وأمان إلى بلاد الطوارق ،و أعطاه لقب التابع للطريقة لحمايته من الأذى، وقلده سبحة الطريقة ، أما لويس رين فيذكر أن تأثيره- أي محمد العيد- في سوف ووادي ريغ قد سهل كثيرا مهمة الجنرال ديفوDesvaux سنة 1854م في تأسيس السلطة الفرنسية بمنطقة الجنوب الشرقي.[2]

كما أن الزاوية التجانية بتماسين رفضت تأييد مقاومة بشوشة أيضا، عندما حاول استمالتها بعدما حرر تقرت من القوات الفرنسية في ماي 1871م، لكون أن الشيخ " محمد العيد التجاني[3]" رفض استقباله قائلا : " بمشيئة الله دخل الفرنسيون إلى الجزائر، وأن حكومتهم دائمة فاحترس ".هذا بالإضافة إلى أن الزاوية قدمت خدمات جليلة للرحالة الفرنسيين المستكشفين للصحراء الجزائرية، ومنها بعثة فلاترس ***Flatters*** المتجهة نحو أقصى الجنوب الجزائري لاكتشاف بلاد التوارق، ودراسة مشروع مد خط حديدي عبر هذه الفيافي،حيث كان ضمن البعثة احد مقاديم التجانية وهو عبد

[1] سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي** ،المرجع السابق، ج 4 ، ص 220

[2] المرجع نفسه، ص ص:221-225.

[3] هو محمد العيد التجاني بن الحاج علي التماسني من مواليد 1815م ببلدة تماسين التابعة لولاية ورقلة ، نشا وترعرع في حضن أسرته التي اشتهرت بالصلاح والطهارة ، فحفظ القرءان وتعلم مبادئ الشريعة الإسلامية ، بعد وفاة والده خلفه في قيادة الزاوية التجانية بتماسين (1853-1875) وبقي بها إلى أن وافته المنية بتاريخ12 نوفمبر 1875م.

القادر بن أحميدة الذي استخدم كدليل للبعثة،غير أنّه مات في الطريق مـــع فلاتـــرس *Flatters* على اثر هجوم شنه التوارق، أضف إلى ذلك أن شيخ زاوية تماسين أرسل عدة رسائل إلى توات وعين صالح، وغيرها من المدن لتقديم المساعدات للفرنسيين.[1]

3- الطـــريقـــة الطـــيبـــيـــة: تـــواجدت هذه الطـــريقـــة بورقلة خـــلال القرن التاسع عشر للميلاد ،أمـــا الزاوية الأم فتتـــواجد بوزان بالمغرب الأقصى وتـــدعى " دار الضمانة " ، أما أورادها فهي شبيهة بالطرق الأخرى ، حيث تدعو إلى التقـــوى والإكثار من فعل الخير والحفاظ على القيام بالواجبات الدينية، غير أن أتباعها قليلون مقارنة بالقادرية والتجانية[2]، ولهم زاوية تعرف باسم الشيخ سيدي " عبدالله بن أحمد " الذي عاش في القرن الثامن عشر الميلادي، و قد سمي عليها الحي الذي تتواجد بـــه الزاوية وهو حي سيدي عبد الله .

4- **الطريقة السنوسية** :الحديث عن هذه الطريقة الصوفية ليس كالحديث عن الطرق الأخرى، وذلك لكونها لعبت دور كبير وايجابي في مقاومة الشريف محمد بن عبد الله بورقلة خصوصا، وفي الصحراء الجزائرية عموما، زيادة على ذلك أنها لم تملك زاويـــة بمنطقة ورقلة،على خلاف الزاوية القادرية بالرويسات، والتجانية بتماسين، والرحمانية بعين البيضا ولعجاجة، والشيخية بالشط.وتنسب الطريقة السنوسية إلى شيخها محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسني الادريسي(1787-1859م).[3]

---

[1] سعد الله ،**تاريخ الجزائر الثقافي.ج4**،المرجع السابق، ص 216

[2] P.Passager,Op.Cit, p133

[3] ولد في مستغانم بالجزائر يوم الاثنين 15 من ربيع الأول 1202هـــ، الموافق 1787/12/24م وتوفي بالجغبوب بليبيا يوم الأربعاء 9 صفر 1276 هـــ، الموافق 1859/9/7م، اشتهرت طريقته في ليبيا، وبعض الدول المجاورة لها، ولا نرى أنه جاء إلى الجزائر كما ذكر المؤلف، وقد يكون أحد أتباعه، فقد ذكر أحمد الشريف الـــسنوسي، وهو حفيد مباشر للمذكور، أن جده قد كلفه رسول الله (ص) في (رؤيا) بثلاثة أمور وهي بناء المساجد، وإرشاد العباد وبث العلوم، والجهاد في سبيل الله، حيث قام بالأولين، أما الجهاد فقال: "رأيت في نفسي ضعفاً من كثـــرة الأمراض، فعلمت أن لا قدرة لي عليه، فتشفعت بسيدتنا فاطمة رضي الله عنها، وقلت يا رسول الله لا طاقة لي به،

وفيما يخص علاقة السنوسية بمقاومة الشريف محمد بن عبد الله بورقلة فهي تعود إلى الأربعينات من القرن التاسع عشر الميلادي حين التقى الشريف محمد بن عبـــد الله بالشيخ السنوسي في مكة المكرمة في إطار أداء مناسك الحج، حيث توثقت الصلة بين الطرفين، وقد دعا الـــشيخ الـــسنوسي كـــل الجزائـــريين إلى محاربـــة الاســـتعمار والنصارى.وأمام تدهور الأوضاع العسكرية في الجنوب الشرقي الجزائري خاصة بعـــد احتلال واحة الزعاطشة سنة 1849م رجع الشريف محمد بن عبد الله إلى الجزائر عـــن طريق غدامس واستقر بورقلة التي عين عليها سلطانا سنة 1851م بطلب من الـــسيدة لآلة الزهرة الورقلية، بعد وصول رسائل التأييد والتشجيع من الشيخ السنوسي.وقـــد ذكر أبو القاسم سعد الله أن الشيخ السنوسي كان الواسطة بين الشريف محمد بن عبد الله والعثمانيين، ويكون قد جند له الأتباع وعاونه بالسلاح وبالرسائل ونحوها.[1]

وقد ذكرت بعض المصادر أن الشيخ السنوسي اجتمع بالشريف محمد بن عبد الله غرب مدينة تقرت، وهذا حسب ما ذكره صاحب "ري الغليل" في قوله : ((...ويوم الثلات{الثلاثاء} في 15 رجب سنة 1268هـــ أتت قافلة، وفيها أربع مئة جمل، وجاء معهم رجل اسمه محمد السنوســـي، يدعي بأنه شريف، وهو قاضي عند الشريف القايم بورقلة وخليفته، وحط خيمته غرب تقرت بقرب باب سيدي عبد السلام، وأتى معه رجل من أكابر الأرباع اسمه الشيخ الناصر[2]، وأهدوا – الأرباع –

لتوالي الأمراض معي، فأمرت من ينوب عني" .. فأناب عنه الشريف محمد بن عبد الله السماحي، وأرسله للجهاد من مكة المكرمة في سنة 1264هـــ (الموافق 1848م تقريباً) بعد أن بايعه على الجهاد والمـــوت في ســـبيل الله، ووصّاه بالقيام بهذه الفريضة على إتباع السنّة، وقال له اجعل مركزك ببلد مغنية، وبعد ذلك اجمع عـــسكراً مـــن السودان، ثم بعد ذلك قم بفريضة الجهاد؛ ثم أرسل بعده عمر الفضيل، وعبد الله السني، وأبا القاسم العيـــساوي، والشيخ عمر بن عزيز، والشيخ محمد بن حسن المصراتي، وهؤلاء كلهم قياد (أي من كبار المعاونين له) واســـتمر يراسله ويكاتبه ويحرضه على القيام بهذه الفريضة، حتى أرسل إليه بأن يقدم عليه في الجغبوب، فقدم عليـــه عـــام 1274هـــ (الموافق 1857 – 1858م) فذاكره في خطته التي لم ينفذها المعني، ثم أمره بالرجوع، ولم يلبث أن أتاه الخبر بوفاة محمد بن علي السنوسي.

[1] سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**،ج1، المرجع السابق، ص385

[2] الشيخ الناصر: لم نتوصل إلى ترجمته.

للشيخ سلمان فرس من جياد الخيل، وأتوا أربعين فارس من الأرباع، ومعه رجل يشعر ويقول:

أتينـــا على الخيل الجيـــاد شبيـــــه الريح
وركبنا كل صنديدا هماما ولا نختشوا من أهل النفاق
ونحـــن حمية الإســلام جمعــاً ونُقِـــرّوا بـــالله بــاقي
وبمحمد بالرســـالة إلى يوم التـــلاقي

...وأما تقرت في وقتنا هذا للشريف بلا شك، وإنهم – أهل تقرت – كل يوم يركبوا في الصمعة[1]، وينادوا: الجهاد في سبيل الله؛ وأما الحاج محمد الأدريسي[2]، كل يوم يقرّي في كتاب الجهاد على الشيخ سلمان، وعلى جميع أكابر تقرت، ويقول لهم: جاهدوا في سبيل الله خير لكم لو كنتم تعلمون، وكل ناس جاهَدوا، إلا أنتم يا أهل تقرت، وها هم جاعلين أمرهم)).[3]

وعليه فبفضل إرادة وعزيمة الشريف محمد بن عبد الله ، ورسائل الشيخ السنوسي التحريضية والتأييدية لبّى الكثير من سكان ورقلة نداء المقاومـــة ضـــد الاســتعمار الفرنسي، والدخول معه في عدة معارك طاحنة، إلا أنه في الخـــير تمكنـــت القـــوات الفرنسية من احتلال ورقلة سنة 1853م، وإلقاء القبض على الشريف محمد بن عبد الله سنة 1861م، أما الحركة السنوسية فقد قامت السلطة الاستعمارية بمحاربتها وتضييق الخناق عليها من خلال توظيف الطريقة القادرية والطريقة التجانية للوقـــوف أمـــام

[1] الصْمعة (عامية) جمعها: صوامع، وصْمُعٌ: الصَوْمَعَة، مأذنة الجامع

[2] محمد الإدريسي، المقصود به الشيخ محمد بن علي السنوسي، والسنوسيون أدارسة، فهم ينتسبون إلى إدريس الأكبر.

[3] محمد بن عبد الجليل، **ري الغليل**، المصدرالسابق،ص17

انتشار السنوسية بالمنطقة وخطرها، وقد ذكر أحد الفرنسيين عن السنوسية قائلا: ((إن السنوسية هي المسؤولة عن جميع أعمال المقاومة التي قامت ضد فرنسا في الجزائر، وان السنوسية هي المدبرة لجميع نكبات فرنسا في الشمال الإفريقي..وأنها أيدت ثورة محمد بن عبد الله في صحراء الجزائر1849م..)).[1]

5- الطريقة الرحمانية : يعود أصل الطريقة إلى الشيخ " محمد بن عبـــد الرحمــــــان الأزهـــري الزواوي الجرجري " المولود حوالي 1720م من قبيلة آيت إسماعيـــل ، و توفي سنة 1793م المعروف يومئذ ببوقبرين[2]، و أخذت الطريقة تنتشر في أرجاء البلاد ، و كان من بين تلامذته الشيخ " محمد بن عزوز البرجي " المولود سنة 1756م بواحة البرج قرب طولقة ، فأسس الطريقة بالجنوب ، و أصبحت الطريقة تنسب إليه و صار أتباع الطريقة الرحمانية يعرفون بالعزوزية ، و في سنة 1817م توفي الشيخ محمد بـــن عزوز البرجي ، ودفن ببرج طولقة.[3]وليس هناك إحصائيات حول أتباع هذه الطريقة بورقلة خلال القرن التاسع عشر ،غير أن بساجي P.Passager يذكر انه كان للطريقة فروع في قريتي عين البيضا ولعجاجة ، وقد وصل عدد أتباعهـــا ســـنة 1957م إلى 2000 شخص.[4]

أما موقفها من الاستعمار فيتجلى في تأييدها لثورة الشريف محمد بـــن عبـــد الله، حيث وجد هذا الأخير مختلف أنواع المساعدة والدعم من خلال لجوئه العديد مـــن المرات إلى الجريد التونسي، واجتماعه بالشيخ مصطفى بن عزوز شيخ الزاوية الرحمانية

---

[1] محمد بن معمر،" **علاقة السنوسية بثورة الشريف محمد بن عبد الله**" ،مدونة أشغال ملتقى مقاومة الشريف محمد بن عبد الله بورقلة، 25-27 فبراير 1998،ص62.

[2] أبو القاسم الحفناوي ،**تعـــريف الخـــلف بـــرجـــال الســـلف** ، الجزائر، المـــؤسســـة الوطنية للفنون المطبعية،ج2 ، 1991 ، ص ص 298 –302 .

[3] عبد الحليم صيد ،« محمد بن عزوز شيخ العلماء و المجاهدين» ، **مجلة الثقافة** ، العدد 115 ، الجزائر ، 1997 ، ص ص: 97 – 113 .

[4] P.Passager,Op.Cit, p133

بنفطة.[1]

6– الطريقة الشيخية : تنسب هذه الطريقة إلى مؤسسها (سيدي الشيخ)، وهو عبد القادر بوسماحة ، دفين البيض (ت 1023هـ/1645م)، وترجع أصولها الصوفية إلى عدة طرق صوفية أخرى، غير أن مـؤسسها قادري الطريقة،ولكن فيما بعد أصبح مقدما للطريقة الشاذلية على يد محمد بن عبد الرحمن السهيلي، وأوصى أولاده عند وفاته بإتباع تعاليم الشاذلية[2]، ويعتبر الولي سيدي بلخير الشطي الورقلي احد أتباع الطريقة الشيخية، حيث أسس زاوية له في قرية الشط تتضمن غرفتين وقاعة للصلاة، وكان قد اشتهر هذا الولي بتقواه وورعه وأخلاقه العالية، وحبه الشديد لفعل الخير، حيث شهد له الناس بالعديد من الكرامات التي عرفها الشيخ، من بينها كان يملك عصى يضرب بها ارض فيخرج الماء يتدفق يجري حول الزاوية ،ومن كرامته أيضا يقال انه في احد الأيام لم يجد ما يقدمه لضيوفه فاستخرج الحليب من طوب الطين الذي بني به الزاوية.هذا بالإضافة إلى أن الزوار الذين كانوا يقصدونه بهدف المسِّ بشخصه أو بزاويته فيكون الموت أو الإصابة بالعمى مصيرهم.[3]

وبعد وفاته صارت زاويته مكانا للتبرك به، حيث أصبح بعض الشباب المقبلين على الزواج يقصدون الزاوية لأخذ البركة من الولي وذلك بوضع مبلغ مالي اعتقادا منهم أن بركة سيدي بلخير الشطي تحمي العلاقة الزوجية وتكللها بإنجاب أولاد.هذا زيادة على الاحتفال بالزيارة الأساسية السنوية للزاوية التي كانت تقام كل شهر سيبتمبر[4]. وفيما يخص عدد الأتباع فليس هناك إحصائيات حول أتباع هذه الطريقة بورقلة خلال القرن التاسع عشر الميلادي ،غير أن بساجي P.Passager يذكر أن عدد

---

[1] سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**،ج1، المرجع السابق، ص386

[2] سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**،ج4، المرجع السابق، ص103

[3] P.Passager,Op.Cit, p135

[4] P.Passager,Op.Cit ,p135.

أتباعها سنة 1957م وصل إلى 2000 شخص.[1]

يبدوا أن موقف الطريقة الشيخية من الاستعمار كان الرفض والمقاومة ،وقد تجلى ذلك من خلال موقف لآلة الزهرة الورقلية التي كانت ذات حركة دنية تتبع الطريقـــة الشيخية، وساعدت الشريف محمد بن عبدالله في ثورته ومبايعتـــه ســـلطانا علـــى ورقلة.زيادة على ذلك الدور الذي لعبه سي الزبير وسي لعلا من أولاد سيدي الشيخ في دعم مقاومة الشريف محمد بن عبد الله.

خلاصة الفصل:

من خلال ما تم استعراضه سالفا حول مظاهر المقاومة والتصدي التي أبداها سكان ورقلة ضد التوسع الفرنسي في المنطقة،يبدوا لنا أن هذه المقاومات الشعبية ارتقت بالعلاقات الاجتماعية بين مختلف التشكيلات الاجتماعية بورقلة وخارجها،حيث تم تجاوز كل الصراعات المذهبية والعرقية من اجل الدفاع عن الأرض،واسترجاع الحرية والكرامة، فالمتأمل في قوات الشريف محمد بن عبد الله وقوات الشريف بشوشة،فسيلاحظ حتما ذلك التنوع في صفوف المقاومين الذين جاؤوا من مختلف المناطق الصحراوية تلبية لنداء الجهاد،خاصة من الاغواط ووادي ميزاب ووادي ريغ والزيبان...وغيرهم، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على عمق الروابط الاجتماعية وأواصر الأخوة بين أفراد المجتمع الجزائري.

أضف إلى ذلك أن المجتمع الورقلي أكد قابليته للمقاومة قبل عملية الاحتلال الفرنسي للمنطقة،وأكد أيضا انه كان متعطشا وحريص على من يقوده ويسيّر مقاومته، لذلك نجد أن الشريف محمد بن عبدالله والشريف بشوشة قد لقيا ترحابا واستقبالا كبيـــرين مـــن طرف الورقليين،على خلاف بعض المصادر التاريخية التي حاولت تشويه الحقائق التاريخية مؤكدة في ذلك على أن المجتمع الورقلي كان يساند الفرنسيين من خلال استمالة بعـــض الزعامات الصحراوية إلى جانبهم،وخدمتهم للإدارة الاستعمارية أكثـــر مـــن خدمـــة

[1] Ibid, p133

أنفسهم،وقد تجلى هذا بوضوح في الدور المزدوج الذي لعبته أسرة أولاد سيدي الشيخ في تعاملها مع الاستعمار خلال تواجده بالمنطقة.

كما تجدر الإشارة إلى أن العلاقات الأخوية التي كانت تربط بين الشعب الجزائري والتونسي والليَبي ساهمت بشكل كبير وفعّال في توسيع الإطار الجغرافي لحركة المقاومة التي قادها كلا من الشريف محمد بن عبدالله والشريف بشوشة وأنصارهم في الجنوب الشرقي،حيث كانت مناطقهم الحدودية ملجأً لتجديد المقاومة وكسب أنصار جدد، وهذا ما أكدته العديد من التقارير والمراسلات بين الفرنسيين والحكام التونسيين والليبيين.

تبقى الإشارة المهمة ذات الصلة بهذا الجانب أن حركة الجهادية بقيت متواصلة ومستمرة،حتى بعد القضاء على مقاومتي الشريف محمد بن عبد الله والشريف بشوشة، وهذا تأكيد على أن سكان ورقلة قد استفادوا من الخبرة العسكرية في عمليات التصدي والمقاومة خلال بداية احتلال المنطقة، الأمر الذي جعلهم يواصلون هجوماتهم الخاطفة بين الحين والآخر على القوات الفرنسية في مختلف المناطق الصحراوية المجاورة لمنطقة ورقلة، وفي نفس الوقت استمرار هذه الحركة الجهادية أعطى نتيجة عسكرية وسياسية وهي تأكد السلطة الاستعمارية من فشل الباشاغات، والقياد في الحفاظ على سلطتها في الجنوب،مما دفعها إلى تجنيّد كل قواتها العسكرية، لترسيخ الاحتلال واستقرار الوضع الأمني بورقلة منذ 1882م

كما يبدو أن موقف الطرق الصوفية كان قائما بورقلة منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي،ويتجلى ذلك من خلال الدعم المعنوي الذي قدمته بعض الطرق الصوفية، من بينها القادرية التي احتضنت الشريف محمد بن عبدالله منذ حلوله بورقلة سنة 1852م،غير أن موقفها تغير في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي لصالح الفرنسيين، هذا بالإضافة إلى الطريقة الرحمانية، والطريقة الشيخية التي أبدت رفضها للاستعمار من خلال موقف لآله الزهرة الورقلية التي كانت ذات حركة دنية تتبع الطريقة الشيخية، علاوة على موقف الطريقة السنوسية التي كان نفوذها وتأثيرها في حركة المقاومة الشعبية كان أقوى بكثير من الطرق الصوفية الأخرى.

الفصل الرابع

السياسة الاستعمارية بورقلة وآثارها على السكان 1854ـ 1954م

المبحث الأول:

السيـــاسة الإدارية والعسكرية

المبحث الثاني:

السياسة الاقتصادية والاجتماعية

المبحث الثالث :

السيـــاسة التنصـــيرية (التبشيرية)

المبحث الرابع :

السيـــاسة التعـــليمية والقضـــائية

المبحث الأول: السياسة الإدارية والعسكرية

أولاً/ السياسة الإدارية:

لقد كانت السياسة الإدارية الفرنسية في الجزائر منذ بداية الاحتلال متعددة المشاريع نتيجة عدم الاتفاق داخل البرلمان الفرنسي بين البقاء في الجزائر أو الخروج منها ومن بين التساؤلات التي طرحت آنذاك: هل تسلم الجزائر إلى الدولة العثمانية بعد أن تم القضاء على النظام الإداري بها ،أم يكون الاحتفاظ بها كمستعمرة فرنسية ؟وقد استمرت هذه التساؤلات تطرح في البرلمان الفرنسي إلى أن أعلنت الحكومة الاستعمارية أن الجزائر قطعة فرنسية بمرسوم 22 جويلية 1834م وعين عليها حاكم برتبة جنرال، وخولت له صلاحيات واسعة عسكرية ومدنية وبمساعدة وكيل مدني وكاتب عام ومدير مالي، ومند هذا التاريخ صار النظام الإداري في الجزائر يسيّر نظريا بقوانين فرنسية وليس بقوانين المستعمرات على أساس أن الجزائر "امتداد طبيعي لفرنسا"،وعليه من خلال ما ذكرنا سالفا نستكشف أن أسلوب الإدارة الفرنسية في الجزائر تأثر بوجود رأيين مختلفين في الأوساط الاستعمارية هما : رأي العسكريين ويتمثل في اتخاذ بعض الرؤساء التقليديين الجزائريين الموالين للاستعمار وسطاء بينه وبين الجماهير، والرأي الثاني هو للمدنيين والذي يقوم على أسلوب الإدارة المباشرة.

وانطلاقا من هذا الاختلاف جاء النظام الإداري خاصة بعد 1840م مزيجا بين النظام العسكري والنظام المدني ، بحيث عرفت المناطق الشمالية نظاما مدني وعرفت المناطق الداخلية خليطا بين نظام مدني على الأوروبيين وإدارة عسكرية بمساعدة المكاتب العربية ، وعلى ضوء مرسوم جويلية 1834م اتسمت السياسة الإدارية بصدور قوانين كثيرة عرفت خلالها السلطة الفرنسية التردد حينا و التناقص أحيانا، وقد سخرت هذه القوانين كلها في خدمة السياسة الإدارية الاستعمارية.

بعد عملية الاحتلال العسكري لمنطقة ورقلة وضواحها عملت السلطة الاستعمارية على فرض سياسية إدارية ، وذلك لضمان استقرار الفرنسيين في المنطقة، والتحكم والسيطرة على الأهالي لتجنب اللاستقرار واللامن في المنطقة ،وقد عرفت هذه السياسة التنظيمية على المستوى الإداري أشكالا متعددة ، حيث أسندت السلطة الاستعمارية النظام الإداري إلى أبناء البلاد باعتبارهم أكثر دراية بشؤون العرب والمسلمين، وكان من أهم المشرفين على هذا اللون من النظام نجد الجنرال ديفو Desveaux الذي حقق بعض التطورات لصالح الإدارة الاستعمارية، وذلك من خلال مجموعة مراسلات كان يبعث بها إلى رؤساء القبائل، وشيوخ الزوايا من أجل استمالتهم ووضعهم في خدمة المصالح الفرنسية الاستعمارية.

1- استحداث نظام القياد والباشاغوات:

لقد اعتمدت السلطة الاستعمارية على نظام يمكّنها من إحكام قبضتها على المنطقة ، باعتبار ورقلة منطقة صحراوية مفتوحة، والظهور أمام الأهالي بملامح الحرص على مصلحتهم، فبعد الإطاحة بسلطنة أولاد علاهم الفاسية استبدلت السلطة الجديدة النظام الإداري الذي كان معمولا به من قبل بنظام "القياد والشيوخ"[1] ، فجاء هذا بديلا عن نظام السلطان ، ونظرا لكون فرنسا تعلم بأنه ليس من السهل على هؤلاء القياد أن يمارسوا سلطتهم وسط الشعب الذي لن ينقاد لهم بسهولة ، فقد أعطتهم نوعا من القوة التي تسمح لهم بممارسة حكمهم، ومن ابرز الباشاغوات والقياد الذين حكموا ورقلة منذ بداية احتلالها ولغاية استقرار الفرنسيين بها نهائيا نجد:

أ- الباشاغا سي الزبير(1854-1862م): من أسرة أولاد سيدي الشيخ ، كان مواليا للفرنسيين منذ احتلال ورقلة سنة 1854م، وتم عزله سنة 1862م بسبب المرض ،وفي سنة 1864م تحول من عميل للفرنسيين إلى مقاوم وثائر ضدهم وهذا بعد اندلاع ثورة

[1] شارل أندري جوليان ، **تاريخ إفريقيا الشمالية**، تعر: محمد مزالي،الجزائر،ش.و.ن.ت، تونس، الدار التونسية للنشر،ج2، 1978، ص ص:737 – 378.

أولاد سيدي الشيخ ،على خلفية احتقار السلطة الفرنسية لعائلته، والتقصير من شانها، وإلغاء الامتيازات التي كانت تتحصل عليها، هذا بالإضافة إلى انه كوّن علاقة مصاهرة مع الشريف بوشوشة الأمر الذي جعل هذا الأخير يعينه آغا على ورقلة في مكان ناصر بن شهرة سنة 1871م.

ب – الباشاغا سي لعلا ولد بوبكر (**1862–1864م**) :شقيق الخليفة سي حمزة ولد بوبكر، عينته السلطة الاستعمارية آغا على ورقلة سنة 1862م خلفا لأخيه سي الزبير الذي كان يعاني من مرض مزمن منذ عدة سنوات، وتم عزله سنة 1864م بسبب تمرده على الفرنسيين ،والدفع بابن أخيه سليمان بن حمزة إلى الثورة ضد القوات الفرنسية،وخلال أحداث ثورة أولاد سيدي الشيخ حاول عدة مرات الاستسلام والتفاوض مع الفرنسيين بشروط، إلا أن السلطة الاستعمارية رفضت ذلك، فاستمر في المقاومة إلى غاية الثمانيات أين استقر مع ابن أخيه سي قدور بن حمزة في منطقة كرزاز إلى أن وافته المنية سنة 1896م بقرية الحاج الدين.[1]

ج – الآغا علي باي (**1865–1872م**): هو علي باي بن فرحات بن سعيد من عائلة بوعكاز الذوادية ، عينه الفرنسيون آغا على تقرت خلفا لسلطة بني جلاب بعد سقوط إمارتهم، وأيضا وادي سوف بعد احتلالها، وقد ادعى هذا القائد أنه من نسل بني جلاب ، ولعله أراد بذلك أن يجعل لنفسه هيبة لدى سكان تقرت ، فاعتماده على هذا النسب يجعل له قيمة كبيرة في مدينة كان الحكم فيها مقتصرا على بني جلاب مند سنوات طويلة ، أما من الجانب الوصفي لشخصيته ، فهو رجل في حوالي الأربعين من عمره اسود اللحية، اسمر الوجه ، ذو عينيين صغيرتين براقتين ، يتسم بالوقار عموما.[2]

د – الآغا السعيد بن ادريس(**1874–1876م**): هو شقيق الملازم محمد بن دريس آغا تقرت ، وتم تعينه من طرف السلطة الفرنسية كآغا على ورقلة في 25 جويلية 1874م ، وتجدر الإشارة في هذا الجانب إلى أن الامتيازات التي تحصلت عليها هذه العائلة كانت

---

[1] Rapport: « Notes pour servir….»,pp415-445

[2] مالتسان، المرجع السابق،ص152.

بفضل الخدمات الكبيرة التي قدمتها للفرنسيين ومساعدهم في عملية استكمال احتلال الصحراء ، ومن ذلك إلقاء القبض على أخطر ثائر بالصحراء بعد مقاومة الأمير عبد القادر وهو الشريف بوشوشة بمنطقة عين صالح سنة 1873م، وبقي في القيادة إلى تاريخ استقالته سنة 1876م.[1]

هـــ – الآغا عبد القادر بن عمر(1876–1884م): من مواليد مدينة المدية ، عينته السلطة الاستعمارية آغا على ورقلة سنة 1876م برتبة ملازم أول[2]، ويقال انه عرف بحسن سيرته في التعامل مع الرعية، وكانت له مواقف حازمة في القضاء على الفتن، ومن الأمثلة على ذلك، الفتنة التي حدثت بين المخادمة والإباضيين بسبب أن أحد المخادمة أراد أن يتوضأ في المسجد الإباضي فنزع الإبريق من يد صبي وصفعه، وكادت الحرب أن تبدأ لولا أنه تدخل وسجن كل المشاركين في القتال، وعزمت جماعة سعيد عتبة على الانتقام، ولكن منع كل من هو غير إباضي من الدخول للمسجد قطعا للأسباب[3]، غير أن السلطة الفرنسية عزلته سنة 1884م بسب فشلة في استتباب الأمن بورقلة وفض النزاعات بين الشعانبة والتوارق.[4]

وبتاريخ 22 ماي1872م تم استحداث تعديل إداري في الجنوب القسنطيني أصبحت ورقلة تابعة لملحقة تقرت والتي تضم كلا من وادي ريغ ووادي سوف ، إلا أنه في سنة1874م تم إلغاء ملحقة تقرت لتصبح تابعة لملحقة ورقلة.وبعد استقرار الفرنسيين نهائيا بورقلة سنة 1882م، وتنصيب أول حامية عسكرية بالرويسات،تحولت القيادة مباشرة إلى الحكام العسكريين الفرنسيين، وإلغاء نظام القياد بالتعين، والعمل بنظام الشيوخ بالانتخاب، وذلك أن كل عرش من أعراش القبائل ينتخب شيخا يكون ممثلا عنهم في التعامل مع السلطة الاستعمارية، ثم بعدها يقدم اسمه وسيرته رفقة اثنين آخرين إلى الحاكم

---

[1] Rapport: « Notes pour servir….»,p437

[2] Ibid,p137.

[3] أعزام ، المصدر السابق، ص 76–77.

[4] دوني بيلي ، المرجع السابق ، ص22

العام بالجزائر، وبعدها يقع تعين أحدهم بورقة ممضاة من الحاكم العام، ثم يعلن الحاكم العسكري بالمنطقة يوما مشهودا بخصوص هذا التعيين، ثم يلبسه البرنوص[1]، ويعطي له تسميته وخاتمه بحضرة الأهالي وبعض الضباط من الجيش الفرنسي، ثم يحرص الحاكم العسكري على تقديم النصائح للشيخ الجديد على القيام بوظيفته والنصح والإرشاد للتأقلم مع الفرنسيين، والرفق برعيته والسهر على مصالحهم وغير ذلك من الأمور.

ومن الأمثلة على ذلك تعيين سي حمد بن بقار قايد على عرش سعيد عتبة،وسي سليمان بن رابح قايد على عرش بني سيسين[2]،وتعين سي قدور بن عبد القادر قايد على عرش المخادمة سنة 1942م[3].كما يتم الطلب في حالات استثنائية من بعض القياد الذين اثبتوا ولاءهم لفرنسا من الحكومة الفرنسية تعينهم قيادا على بعض العروش التي تخدم مصالحهم، وهو ما حدث مع القايد نعمان بن دباخ الذي طلب من حاكم عمالة قسنطينة تعينه حاكما على ورقلة وعروشها.[4]

---

[1] البرنوص (البرنس) لباس تقليدي فضفاض شائع في الجزائر، وهو عبارة عن ثوب من الصوف أو الوبر أو الملف يوضع على الأكتاف وله غطاء للرأس، وهو يذكره هنا كرمز للسلطة والحكم، لأن العثمانيين ثم الفرنسيين كانوا إذا ولّوا موظفًا ساميًا أعطوه البرنس ليظهر به أمام الرعية لكي يطيعوه. وتجدر الإشارة هنا إلى أن السلطة الفرنسية تفطنت إلى وسائل كثيرة تكسب بها الجزائريين ، وهي اكتساب الشيوخ ،سواء شيوخ الدين أو شيوخ الطرق الصوفية أو شيوخ القبائل والأسر العريقة ، وذلك عن طريق " هدية البرنوس " ، والتي كانت لها أثار فاعلة في النفوس مند العهد العثماني ، ومن خلال هذه السياسة يتضح لنا أن النفوذ الفرنسي امتد بواسطة هؤلاء الشيوخ إلى مناطق كثيرة من البلاد مند بداية الاحتلال، ولكن لكل شيخ أهميته ولون برنسه ورموزه ووظيفته.

[2] رسالة من قائد مقاطعة باتنة الى حاكم عمالة قسنطينة بخصوص شكوى تقدم بها سي سليمان بن رابح قايد بني سيسين بورقلة ضد علي باي.A.O.M ,8H6 ,1865

[3] قرار من الوالي العام بالجزائر بتعين السيد قدور بن عبد القادر قائدا على عرش المخادمة A.O.M ,8H24 ,1942، ينظر الملحق رقم (12).

[4] رسالة من نعمان بن دباخ إلى الجنرال بارفوا حاكم عمالة قسنطينة يطلب فيها تعينه حاكما على ورقلة وعروشها.A.O.M ,8H6 ,1867 ، ينظر الملحق رقم(4).

وتكمن وظيفة هؤلاء الشيوخ في استخلاص الضرائب الفرنسية بأنواعها والبحث في النوازل، وبعد التحري والتقصي يراسل الحاكم العسكري ليرى رأيه في القضية، وللشيخ أن يفصل في بعض القضايا التي لا تتعلق بالدماء والقتل.[1]

ويذكر أيضا صاحب "غصن البان" أن السلطة الاستعمارية استحدثت ما يسمى " بالضمان" وهو بمثابة خليفة ينوب الحاكم العسكري عند غيابه في حل المسائل الصعبة كالقتل مثلا.ورجل الضمان يتم انتخابه من طرف قبيلته او عرشه بكل حرية، وان يكون من أهل الكفاءة والعلم، بعدما يعرضونه على شيخ القبيلة أو العرش، والذي بدوره يقدمه إلى الحاكم العسكري، ثم يتم تعينه رسميا من طرف الوالي العام للجزائر، وبقي هذا النظام سائدا إلى غاية 1927م، حيث أصبح "رجل الضمان" هيكل فاقد لصلاحياته ، وأصبحت مرتبته مرتبة حارس، يتم تعينه من طرف حاكم الملحقة.[2]

2- تأسيس ملحقة ورقلة 1902م :

لقد كلفت التوسعات الاستعمارية الفرنسية في الصحراء الجزائرية بعد 1870م ميزانية كبيرة مما أقلقت الإدارة الاستعمارية ، هذه الأخيرة التي طرحت القضية على البرلمان الفرنسي بغية وضع حد للإسراف والتقليل من النفقات العسكرية في الزحف نحو الصحراء، وعلى اثر ذلك ارتفعت عدة أصوات تنادي بإنشاء وحدة إدارية خاصة تتمتع بميزانية خاصة يتم تمويلها عن طريق المساهمات المحلية المستخلصة من هذه المناطق ،وبعد مشاورات حثيثة بين أفراد الحكومة الفرنسية، تقدمت لجنة الميزانية بغرفة النواب بعرض مشروع "قانون للتنظيم الإداري والمالي للجنوب الجزائري"، وبناءً على هذا الاقتراح أصدرت السلطة الاستعمارية يوم 24ديسمبر 1902م قانون تضمن تنظيم أقاليم الجنوب

---

[1] أعزام ، المصدر السابق ،ص ص: 78-79

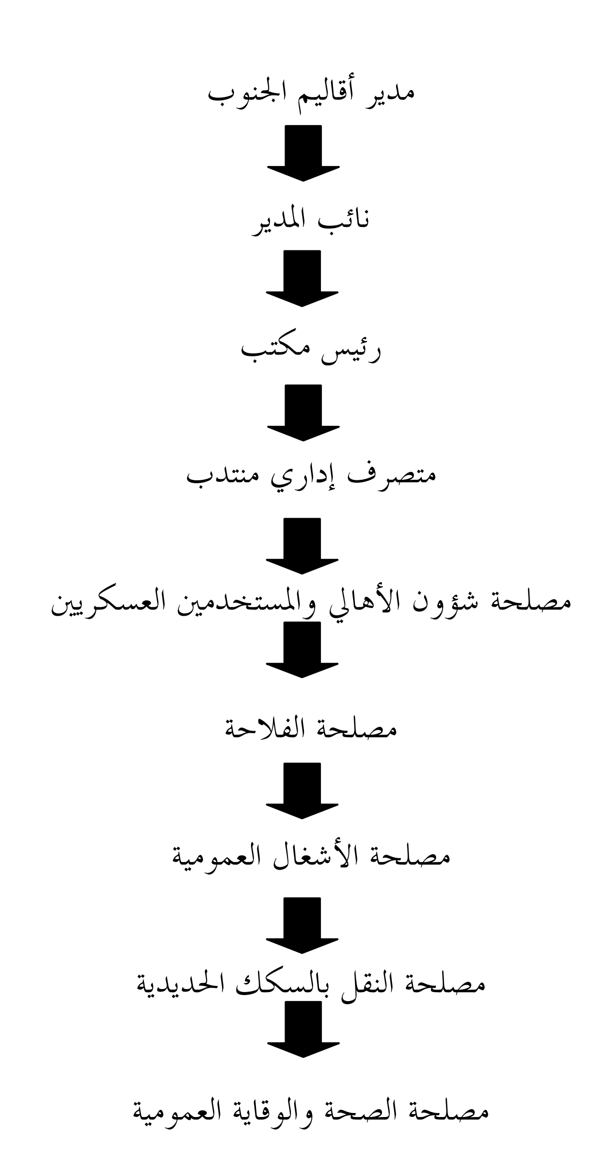
[2] المصدر نفسه، ص79

الجزائري، وإنشاء ميزانية خاصة ومستقلة بها ، بما فيها قرار يخص إنشاء ملحقة ورقلة[1]، وقد أخذ تقسيم هذه الأقاليم شكلين حسب مرسوم 12 ديسمبر 1905م :فالشكل الأول قسم إلى دوائر وملحقات ومراكز،والشكل الثاني قسم إلى بلديات مختلطة وأخرى أهلية،وقد شملت هذه الأقاليم العمالات التالية : (عمالة تقرت وعاصمتها تقرت ، عمالة الواحات وعاصمتها ورقلة ، عمالة عين الصفراء وعاصمتها كولومب (بشار) ، عمالة غرداية وعاصمتها الاغواط).[2]

وقد عيّن على رأس كل إقليم حاكم عسكري أو ضابط سامي يتم تعيّنه حسب مرسوم 14 أوت 1905م المحدد لصلاحيات واختصاصات الحاكم العام على الجزائر بهذه الأقاليم، وتربطه علاقة مباشرة بالحاكم العام الذي له صلاحيات التعين بناءً على اقتراح وزيري الحربية والداخلية.[3]

وفي ذات السياق أن هذه العمالات لها نفس التنظيم الإداري الذي يطبق في الشمال ، بحيث كانت ورقلة وتقرت تابعتان لمقاطعة قسنطينة وأراضي عين الصفراء تابعة لمقاطعة وهران وغرداية تابعة لمقاطعة الجزائر[4]، كما كان لهذه العمالات ميزانية موحدة يضعها الحاكم العام ويصدرها بمرسوم بعد استطلاع رأي مجلس الحكومة بالجزائر.والمخطط التالي يبين الهيكل الإداري لتسيير أقاليم الجنوب:

[1] Gouvernement Général de L'Algérie, **Les Territoire du Sud de L'Algérie** ,Alger, imp. Algérienne,1929,pp317- 318
[2]R.Estoublon et A.Lefebure, **Code de L'Algérie annoté**, Alger, imp.Adolphe Jordan,1907,1902,p82
[3] M.Steeg, **Rapport d'ensemble, Situation Générale des Territoires du sud pendant 1903-1921**,Alger, p 39
[4] M.Steeg,Op.Cit,p49



وفي الفترة الممتدة بين 1907- 1919م أصبحت مقرا للقيادة العامة لمناطق الواحات ،ثم أصبحت مابين 1917- 1919م مقرا للقيادة العامة لمجموعة الصحراء الجزائرية و التونسية و السودانية بقيادة (لابيرين laprrine).[1] ولقد أصبحت ورقلة بلدية أهلية تضم ملحقة تيديكلت المكونة من عين صالح و المنيعة حسب مرسوم 5 أوت 1920م.[2]ويعود إنشاء البلديات الجزائرية إلى سنة 1867م، حيث أصبح الجزائريون داخلين تحت السلطة الإدارية لهـذه البلديات الجـديدة بـواسطة

[1] دوني بيلي ، المرجع السابق ،ص 39

[2] M.Steeg , Op.Cit ,p 53

القياد ورؤساء الاعراش،وفي سنة 1868م ظهرت البلديات المختلطة في المناطق التي لا تزال تحت سيطرة العسكريين،وتضم هذه البلديات بموجب تدابير المادة من قانون 20 ماي 1866م :" المراكز السكنية التي يتواجد فيها الأهالي والأوروبيون في آن واحد، وتتمتع بمداخيل خاصة غير أنها لا تحتوي على عدد من السكان يكفي لجعل مرسوم 27 ديسمبر 1866م نافذا فيها في الحين".وتجدر الإشارة هنا بحكم أن ورقلة بلدية أهلية فإن التسيير الإداري بها لم يخدم الورقليين بقدر ما خدم المصالح الاستعمارية والبعض من أعوانهم،فالمجلس البلدي يكون منتخبا ويمثل مختلف الفئات الاجتماعية المتواجدة بالمنطقة، وحسب المراسيم الفرنسية فإن أغلبيته تكون فرنسية بنسبة الثلثين من أعضائه ،بينما يمثل الأهالي والأجانب نسبة الثلث من أعضائه على أن توزع المقاعد بين الطوائف الثلاثة، ويشترط على الناخب الأهلي أن يبلغ من العمر 25 سنة وأن يكون من القاطنين بالمنطقة مند سنة.

وبعدما تم إنشاء بلدية ورقلة الأهلية ،تحولت كل الدواوير (القبائل) التي تدخل ضمن نطاق هذه البلدية إلى مجالس جماعية ، تتمتع بصلاحيات المجلس البلدي، ويتشكل مجلس الجماعة من القايد أو شيخ الدوار رئيسا، ومن الأعيان الذين يختارهم الدوار، ويختلف عددهم حسب عدد السكان[1]، ويعقد مجلس الجماعة أربع دورات عادية ويمكن استدعاؤها استثنائيا من طرف قائد المركز، ويعين أعضاؤها لمدة ثلاث سنوات من طرف قائد الإقليم العسكري، وتتمتع بميزانية مرتبطة بميزانية البلدية الأم، وقد بقي هذا التنظيم معمول به إلى غاية 1931م تاريخ إنشاء الحالة المدنية بورقلة، وحسب الدليل الإحصائي لعروش ودواوير ورقلة

---

[1] حسب القانون الفرنسي المطبق على الدواوير يكون ثمانية أعضاء للدواوير التي تقل عن 1.000 ساكن، وعشرة أعضاء للدواوير التي يزيد عددها عن 1.000 ويقل عن 1.500 ساكن، واثنة عشر عضو للدواوير التي يفوق عدد سكانها 1.500 ساكن.

فقد وصل عدد مجالس الجماعة بين سنتي1925 و1930م إلى 119 مجلس، والجدول التالي يبين ذلك[1]:

الجدول رقم (12):مجالس الجماعة بمختلف عروش ودواوير ورقلة (1925– 1930م)

العرش (الدوار)	عد العشائر (الجماعة)	عدد أعضاء كل مجلس	عدد القياد	عدد السكان
بني واقين	09	09	01	1800
بني ابراهيم	08	08	01	1800
بني سيسين	07	07	01	1604
بني تور	07	14	01	1546
سعيد عتبة	10	20	01	1735
المخادمة	07	14	01	1591
الشط ولعجاجة	07	08	01	1151
انقوسة	04	؟/	01	؟/
سيدي خويلد	03	10	01	152
الشعانبة	57	؟/	03	؟/
المجمـــــوع	119	90	12	11379

[1] الدليل الإحصائي ، **عروش ودواوير جماعات الجزائر** ،1900، ص ص: 55- 367.

وللعلم فقد تعاقب على حكم ورقلة منذ إنشاء أول مركز عسكري سنة 1882م ولغاية إلغاء الحكم العسكري على مناطق الجنوب سنة 1947م حوالي تسعة حكام وهم كالتالي:

الجدول رقم (13):قائمة الحكّام الفرنسيين الذين تولوا الحكم في ورقلة 1881– 1940م[1]

اسم الحاكم	فترة حكمه
لوشاتولي الفريد Colonel le Chatelier	1881-1898م
الرائد بين le Commandant Payn	1898- 1901م
العقيد لابرين Colonel Laperrine	1901- 1910م
الرائد بين le Commandant Payn	1910- 1913م
العقيد منيي Colonel Meynier	1913- 1917م
العقيد دينو Colonel Dinaux	1917- 1918م
الرائد سيجوني le Commandant Sigonney	1918- 1922م
الرائد ديكلوس le Commandant Duclos	1922-1927م
العقيد م.كاربيلات[2] le Colonel M.Carbillet	1927- 1940م
النقيب هايس Le Capitaine Hays	1940-1949[3]

[1] M.Steeg,Op.Cit ,p 12

[2] ينظر الملحق رقم 30.

[3] Rapport mensuel, les territoires du sud 1949 , C.D.A.W.O, B410.

وللإشارة فإن عهد العقيد م.كاربيلات M.carbillet (1927- 1940م) قد شهد إنشاء الحالة المدنية سنة 1931م، وذلك مواصلة لسياسة الإدماج وطمس الهوية الجزائرية[1]، وزيادة على ذلك فإن إنشاء الحالة المدنية بورقلة على الطريقة الفرنسية لم يكن في خدمة الورقليين، وإنما من أجل ضبط الأمور والتعرف على الأفراد والعائلات، وإحكام السيطرة عليهم، فمثلا حسب إحصائيات شهر مارس 1942م وصل عدد المواليد الجدد 97 شخص، وعدد الوفيات 58 شخص، وعدد المتزوجين 16 شخص، وعدد المطلقين 5 أشخاص[2]،وهذه الطريقة تختلف عما كان يتبعه الجزائريون من قبل في تدوين عائلاتهم،فقد كانوا يطبقون الطريقة الإسلامية في الأسماء والألقاب، وذلك بوضع كل عائلة سجل خاص بها يحمل أسماء المواليد والوفيات، وابرز الأحداث العائلية، هذا بالإضافة إلى طريقة أخرى تعتمد على الذاكرة القوية في حفظ النّسب حتى يبقى متواترا بين الأجيال.

وتحقيقا للهدف الاستعماري المتمثل في الإدماج وطمس الهوية الجزائرية اصدر البرلمان الفرنسي قانونا في 23 مارس 1882م يلزم الجزائريين بالتسجيل في الحالة المدنية، بل وأضافت نصوص قانونية في قانون الأهالي (الانديجينا) تنص على معاقبة كل من يتأخر في الإعلان عن الحالة المدنية، وبناءً على ذلك فإن تأخر إنشاء الحالة المدنية بورقلة إلى سنة 1931م يعود إلى قلة عدد السكان مقارنة بسكان الشمال من جهة، والى تطور حركة تنقل البدو الرحل من منطقة إلى منطقة أخرى، واندماج بعض القبـــائل والاعـــراش مع بعضها البعض شكل خطرا على

[1] دوني بيلي ، المرجع السابق ، ص58

[2] Rapport mensuel sur la situation Economique et Politique des territoires du sud pendant le mois de mars 1942 ,A.N .T , B88

استقرار المعمرين وأمنهم من جهة أخرى، وقد تم إحصاء الورقليين الذين مسهم قانون الحالة المدنية سنة 1931م حوالي 16500شخص.[1]

ثانيا / السياسة العسكرية

1- الانجازات العسكرية (1882 – 1914):

بعد احتلال ورقلة في 27 جانفي 1854م عينت السلطة الاستعمارية سي حمزة ولد بوبكر خليفة عليها ، بغية استتباب الأمن والاستقرار، في حين غادرت القوات الفرنسية ورقلة باتجاه وادي ريغ ووادي سوف لاستكمال عملية الاحتلال والتغلغل الاستعماري، غير أن لهيب المقاومة المحلية بالجنوب الشرقي بقيادة كلا من الشريف محمد بن عبد الله ،والشريف بوشوشة، وناصر بن شهرة، وأنصار مقاومة أولاد سيدي الشيخ، وبعض المقرانيين المتواجدين على مستوى المنطقة دفع بالقوات الاستعمارية بالعودة إلى ورقلة، بعدما فشل القياد الذي عينتهم فرنسا باسمها في المنطقة على بسط الأمن وفرض السيادة الفرنسية، ليستقر الجيش الفرنسي نهائيا بورقلة سنة 1882م بعدما قام بتنصيب مركز عسكري دائم بالرويسات، وتم تعين العقيد الفريد لوشاتلي في جويلية 1883م حاكما عسكريا على فصيلة من القناصة الجزائريين.[2] من طرف الحاكم العام للجزائر آنذاك تيرمان **Tirmane**.

ومن الإجراءات العملية الأولى التي اتخذها العقيد لوشاتلي **le chatelier** ، قام يوم 9 فيفري 1884م بإقالة الآغا عبد القادر بن عمر من منصبه، وذلك بسبب فشله في عدم القضاء على هجمات الشعانبة والتوارق وفض النزاع بينهما.[3]

---

[1] دوني بيلي ، المرجع السابق ، ص58

[2] المرجع نفسه ، ص22

[3] المرجع نفسه ، ص22

بعد ذلك في 10 مارس 1884م قام الحاكم العام بزيارة تفقدية، وأخذ انطباعات حسنة عن رئيس المركز، وتأكد بنفسه من قبول السكان للوضع الجديد، وكتب له وصية يقول فيها: " أرى أن الانشقاق بين الشعانبة والتوارق يشتد لأنه سيجعل الشعانبة في حاجة لمساعدتنا ضد جيرانهم، أما بالنسبة للتوارق فإنهم لن يكونوا بجانبنا مطلقا، لذلك عليك عزلهم حتى تسمح الظروف لنا بتطويعهم، وكل ذلك يجب أن يتم بحكمة وذكاء، وعند عودتي للجزائر سأضع تحت تصرفك اعتمادا ماليا من 500 إلى 600 فرنك، لأجل استخدامها في استمالة الشعانبي أيغير بن الشيخ[1] حتى تلقي عليه القبض، وآمل أن يؤخذ حيا حتى يحاكم في المجلس الحربي".وللإشارة فإن هذا الصراع بين الشعانبة والتوارق على الرغم من أنه صراع قبلي، إلا أننا لا نستبعد دور السلطة الاستعمارية في تأجيج مثل هذه الصراعات.

وبعد حاثة مصرع الرحالة فلاترس Flatters في 16 فيفري 1881م من طرف التوارق، سارع العقيد لوشاتلي le chatelier إلى إنشـــاء مراكز وأبراج عسكرية خاصة في المناطق الإستراتيجية الرئيسية ، تتحكم في مرور القوافل التجارية من جهة ، وتضمن لهم الأمن للمعمرين ،وتسمح لهم بالتصدي لمقاومة سكان الصحراء من جهة ثانية ، و منه بسط نفوذه على الشريط الواقع ما وراء الأطلس الصحراوي.ومن ناحية نمط بنائها فهي بناءات صغيرة، وتغطيها قبابها ميزة خاصة، وتحتوي على مسكن للحارس المكلف بحراسة الآبار القريبة، ويفتح هذا البرج للمسافرين وخصوصا الضباط العسكريين والموظفين ويخضع كل ذلك لنظام محدد[2]، وأهم هذه الأبراج في عهده نجد:

---

[1] هو أحد أبطال المجموعة التي قضت على فلاتيرس ومعسكره ببير لغرامة سنة1881م في نطاق نشاط ثوار التوارق

[2] Commandant Couvet, **Notes sur le Souf et Les Souafa** , B.S.G.A, 1934 , p76

أ- برج فلاتيرس Flatters (**برج عمر ادريس حاليا**)[1]: كانت واحة (تيماسينين) نقطة التقاء وعبور هامة لقوافل الصحراء في الطريق العرضي من عين صالح إلى غدامس، وطريق ورقلة - حاسي الطويل – غدامس وهي المسماة اليوم على الشهيد عمر إدريس – وتدعى أيضا الزاوية الكحلة،حيث اختار الفرنسيون هذا الموقع الذي يجمع بين الطرق التجـــارية ومزار المعتقدين في شيخ الزاوية، وقد تم بناء هذا البرج ما بين 1906م و1907م من طرف صبايحية تقرت، بتكلفة قدرها 5300000 فرنك[2]،وهو بناء مربع على شكل حصن به غرف ومخازن وغرف النوم للجنود ،له بوابة ضخمة، وسور عليه حراس، ومنه يمكن مراقبة كل القوافل القادمة من الغرب والشمال والعكس.[3]

ب- برج شانديز Chandez ببني تور (**البرج الأحمر**) [4]: سمي هذا البرج نسبة إلى الضابط شانديز Chandez الذي توفي سنة 1918م في عين قطارة على بعد 150 كلم من الشمال الشرقي لعين صالح، وقد بدأت أشغـــال هذا البرج أواخـــر 1885م، حين عمل العقيد لوشاتلي le chatelier على فصل المكتب العربي الموجه للإدارة المدنية عن القوات المسلحة، ثم بداية بناء البرج في بني ثور على يد الهندسة العسكرية .بمساعدة عمال عسكريين جاؤوا من الجزائر العاصمة، هذا بالإضافة إلى الاستعانة بحوالي 300 رجل من حافري الهندسة والمحكوم عليهم بالسجن في باب الواد، وانتهت أشغال هذا البرج وتم تدشينه في نوفمبر 1887م.[5]

وتعود أسباب بناء هذا البرج إلى افتقار السلطة الاستعمارية لبعض المكاتب الإدارية الخاصة بشؤون الأهالي،واستخدامه أيضا كمركز للمراقبة،زيادة على توسع مساكن القصر العتيق حتى أصبحت ملاصقة (لمقر الإدارة) الذي كان في القلعة القديمة

---

[1] ينظر الملحق رقم 34.

[2] J.C. Humbert, **L'œuvre du Colonel Carbillet au Sahara 1927-1940**,éditions jacques gandini, france,1997,p72.

[3] J.C. Humbert, **Sahara(Trass de L'homme),**1989,p 147

[4] ينظر الملحق رقم 34.

[5] P.Passager, Op.Cit, p105

التي كانت قصر سلطان ورقلة، حيث مدرسة عقبة بن نافع. وضيق هذه عن حاجة مصالح الإدارة. وكذلك لعدم شعور السلطات بالأمن نوعا ما.[1]

أما من ناحية وصف هذا البرج فهو يقع في وسط ثكنة عسكرية ذات أسوار سميكة الجدران عالية، ويمتد على مساحة تفوق 1000م، وتوجد في زوايا السور الخارجي أربعة أبراج للحراسة والمراقبة، ويتشكل من طابقين[2]:

- الطابق الأرضي: ويضم قاعات عديدة مخصصة للاستنطاق والتعذيب.

- الطابق العلوي: ويضم كذلك قاعات للاستنطاق والتعذيب تقابلها 12 زنزانة فردية.

ج- برج لالمان Lallemand: سمي هذا البرج نسبة إلى الضابط Lallemand الذي شارك في إخضاع منطقة القبائل عام 1857م وقمع انتفاضة المقرانيين سنة 1871م، وقد تم إنشاؤه سنة 1894م، في حاسي بلحيران على بعد 140 كلم شرق ورقلة [3]على مفترق الطرق (تقرت- تماسنين)و(الوادي- تماسنين)و(ورقلة - غدامس)،وجاءت فكرة إنشاء هذا البرج في هذا الموقع من قبل العسكري بيجات Bujat قائد اقليم تقرت، وقد بلغت تكلفة انجاز هذا البرج حوالي 1800000 فرنك ،وهو يحتوي على غرفتين،وفي سنة 1931م تمت إعادة ترميمه بعدما طلب العقيد كاربيلات Carbillet من الحـــاكم العام بالجـــزائر مبلغا للتـــرميم قدره 1500 فرنك[4]، هذا وتذكر بعض

---

[1] دوني بيلي، المرجع السابق ، ص25-26. وينظر الملحق رقم (27)

[2] Roger Delerive , **Forts Sahariens des Territoires du Sud**,impr-Geuthner,paris,pp35-36.

[3] دوني بيلي، المرجع السابق ،ص31

[4] J.C.Humbert, L’œuvre…, Op.Cit,,p72.

الشهادات الحية التي عاصرت الثورة التحريرية بالمنطقة أن هذا البرج قد استخدم كمعتقل للتعذيب المجاهدين.

وفي سنة 1898م حدث تغير على مستوى القيادة العسكرية، حيث تم تعين "الرائد بين Payn " خلفا للعقيد لوشاتليle chatelier ، وقد حاول هذا الحاكم الجديد السيطرة على الوضع في ورقلة، غير أنه لم يكن محظوظا، حيث شهدت فترة حكمه عدة هجمات من طرف فرسان المهاري، خاصة الهجوم الذي وقع أواخر 1898م على برج لالمان، وقتل أربعة من حراسه، هذا بالإضافة إلى مرض خطير أصاب الجيش الفرنسي بالمنطقة، فمن مجموع 100 عسكري من القناصة الجزائريين(الترايور) المتمركزين بورقلة توفي 34 منهم ، وفي ظرف سنة واحدة من جراء حمى تعرف بالتيفوملاريا أو الحمى البرداء التي تنتهي بالتهاب القصبات والرئة.[1]

هذه العوامل دفعت بالسلطة الاستعمارية سنة 1901م إلى عزل الرائد بين Payn وتعين مكانه العقـيد لابيـرين،laperrine وقد عرفت فترة حكم هذا الأخير انجازات وتطورات عسكرية هامة، حيث صدر قانون 24 ديسمبر 1902م الداعي إلى تقسيم الجنوب إلى أربعة أقاليم عسكرية[2]، وبموجب مرسوم 14 أوت 1905م تم تحديد صلاحيات الحاكم العام وتنظيم إدارة الأقاليم الجنوبية واعتبارها منطقة حكم عسكري، وقد وضعت هذه الأقاليم تحت إشراف المباشر للحاكم العام بالجزائر الذي يمارس بها كل الصلاحيات الإدارية والعسكرية والمالية، ويساعدوه في إدارة شؤون هذه الأقاليم مستشار مقرر يعين بمرسوم ويكلف بتسيير أقاليم الجنوب، وبناءا على هذه التطورات، فقد انتقلت قيادة منطقة الواحات والتي كان مركزها ورقلة إلى عين صالح وبقيت هناك غالى أن عادت مرة أخرى لورقلة مع بداية الحرب العالمية الأولى سنة 1914م.

[1] المرجع نفسه ، ص34

[2] P.Passager, Op.Cit, p105

2- **الانجازات العسكرية (1914- 1942)**: لقد تم استحداث مجموعة من الإجراءات والعديد من الانجازات العسكرية تمثلت فيما يلي:

أ- استمرار سياسة بناء الأبراج العسكرية ومنها:

- برج لوطو[1] Lutaud: نسبة إلى الحـــاكم العام بالجزائر شارل لوطو Ch.Lutaud (1915- 1916م)،تم بناؤه في ديسمبر 1907م.[2]

- برج بولنياك[3] Polignac: نسبة إلى بولنياك مؤسس الشركة الجغرافية المختصة في الشؤون الصحراوية، وتم بناؤه بعد حفر حاسي (ايسنجل) مع 60 من ميهاريست الهقار 27 ماي 1908م وانتهت عملية الاشغال في سيبتمبر 1909م، وقد وصل مبلغ انجاز هذا البرج حوالي 12870000 فرنك، أضف إلى ذلك أن هذا البرج تضمن سكنات عسكرية للضباط، ومستوصف، ومكاتب[4]، وقد تعرض هذا البرج إلى عدة هجمات من طرف التوارق ، حيث وقع الهجوم عليه بقيادة إبراهيم بكدّة عدة مرات وفي إحدى المرات قتلوا 10 عساكر مع العريفLenoir واشتبكوا مرة أخرى سنة 1916م وقـــــــــتل عريف أول (فرنسوا) و6 آخرين ،ثم أخلي البرج وهرب عساكره إلى عين الحجاج فهاجمهم القائد إبراهيم بكدة في 13ديسمبر1917م. واضطروا إلى الاختباء في برج فلاتيرسFlatters .

ب- تأسيس الكتائب الصحراوية المهرية:

في أول أفريل 1902م شرع العقيد لابيرين laperrine بهدوء وفعالية ودون استشارة الجنرالات المسنين في الجزائر في إنشاء قوة أخذت خلال عشر سنوات تجوب الصحراء في جميع الاتجاهات وتلتقي بالتـــوارق، وتؤاخيهم، وتلاقي منهم التعاون السلمي تحت

---

[1] ينظر الملحق رقم 35

[2] J.C.Humbert, L'œuvre…,Op.Cit,p38.

[3] ينظر الملحق رقم 35.

[4] J.C.Humbert, L'œuvre…,Op.Cit,p73

راية الحكم الفرنسي،فيما لم تستطع الجيوش الفرنسية أن تحقق شيئا مقارنة بما أنجزه العقيد لابيرين laperrine ببضع مئات دون إطلاق رصاصة واحدة تقريبا.وقد تم تأسيس كتيبة صحراوية مهرية خاصة بورقلة في 5 سبتمبر 1914م، في فترة حكم العقيد منييMeynier (1913-1917م).[1]

وقد لعبت هذه الكتائب الصحراوية المهرية دورا كبيرا في استقرار الأمن بورقلة ومساعدة الجيش الفرنسي في تغلغله نحو أقاصي الجنوب الجزائري، ففي أفريل 1916م غادر العقيد منيي Meynier ورقلة رفقة القوم وكتيبة ورقلة الصحراوية متوجها إلى مدينة جانت لاسترجاعها من أيدي التوراق الذين استولوا عليها في شهر مارس من نفس السنة، وفي 13 فيفري شارك حوالي 26 عنصر من كتيبة ورقلة الصحراوية في واقعة عين الحجاج، حيث لقي خمسة صحراويين، و16 عشر من القناصة وطبيب حتفهم.[2]

هذا بالإضافة إلى أن كتيبة ورقلة الصحراوية كانت تنشط كثيرا على محور(ورقلة – عين صالح)، ففي عهد "الرائد سيجوني Sigonney " خلال أفريل 1919م حاول الرائد بين Bayn مع حرفي في المكانيك الذي كان يشتغل تحت قيادته الالتحاق بعين صالح على متن دراجتين ناريتين ابتداء من ورقلة ، فتوقف في الطريق بسبب الرمال على بعد 100كلم شمال المنيعة، وتعطلت دراجتهما،وبعد يومين من الانتظار أنقذهما مفرزة من فرسان المهـــاريست كانت تتبع خطواهما[3].وفي عملية استســـلام إحدى القبـــائل التـــارقية غادرت الفصيلة الثـــانية للكتيبة الصحـــراوية بورقلة والمكـــونة من 110 فارس في 25 جانفي 1929م متوجهة إلى برج بولنيـــاك للالتقـــاء بإبراهيم بن بكدة ،ونحو 100 تـــارقي الذين يطلبون الآمـــان، ثم ترجع الكتيبة نحـــو برج

---

[1] دوني بيلي، المرجع السابق ، ص42

[2] دوني بيلي، المرجع السابق ، ص ص: 43- 44.

[3] المرجع نفسه ، ص40

فلاتيرس Flatters ،ويصل جزء منها إلى ورقلة بعد أداء مهمتها بنجاح يوم 23 جوان من نفس السنة رفقة العقيد لابيرين laperrine .[1]

ج ــ التجنيد الإجباري: بعد الاحتجاجات التي قام بها بعض أبناء الجنوب أصدرت السلطة الاستعمارية في 8 نوفمبر1926م قرارا يقتضي الفصل الأول منه إلغاء عملية التجنيد الإجباري في مناطق الجنوب.[2]

د- إنشاء مصلحة للسيارات العسكرية :في عهد العقيد منييMeynier (1913-1917م) وفي إطار المواصلات تم إنشاء مصلحة للسيارات العسكرية بورقلة سميت بـــ (ت.م 1191) ، وكانت أول تجارب هذه المصلحة في 22 جويلية 1916م حينما انطلقت سيارتـــين خفيفتين على خط تقرت – عين صالح ، وقد وصلت واحدة إلى هدفها بينما الأخرى تعطلت. وفي ماي 1917م كانت تجربة انطلاق سيارات عسكرية مكونة من خمسة عربات خفيفة على مسافة 750 كلم عبر طريق ورقلة-عين صالح .هذا بالإضافة وفي إطار تدعيم المواصلات تم فتح خط بري للسيارات العسكرية سنة 1918م يربط بين تقرت وورقلة برحالات أسبوعية.[3]

وفي إطار الترفيه العسكري الرياضي تم بين شهري 10 مارس و18 أفريل 1929م إجراء مسابقة عسكرية للسيارات الصحراوية عبر طريق تونس-كاو-تونس مرورا بورقلة وتقرت، بمشاركة 38 سيارة من 18 طراز.[4]

---

[1] المرجع نفسه ، ص47.

[2] **صدى الصحراء** ، 15 مارس 1926، ع8، س1، ص 1

[3] دوني بيلي، المرجع السابق ، ص40

[4] المرجع نفسه ، ص55.

كما تجدر الإشارة إلى أن مصلحة السيارات العسكرية بورقلة كانت تستقبل عتادها العسكري من الجزائر العاصمة عن طريق القطار الذي يصل إلى تقرت عبر عدة محطات، ثم يتم نقله برا إلى ورقلة، وتذكر المصادر الفرنسية أنه في 17 ديسمبر 1919م وصلت أول قافلة عسكرية قادمة من الجزائر العاصمة قوامها 18 شاحنة صغيرة.وفي إطار تفعيل حركية هذه المصلحة ، والاستعداد للحرب العالمية الثانية ،تم إنشاء كتيبة صحراوية متنقلة مجهزة بسيارات عسكرية خفيفة سنة 1938م، وتنصيب وحدة مدفعية صحراوية متحركة بورقلة على طول الخط الرابط بين برج شانديز وبرج لوطو، وزودوه بمدافع من عيار 75، حيث تقوم هذه الوحدة بدوريات بين ورقلة وبرج لالمان، وفي حالة اندلاع الحرب العالمية الثانية يتوجب على الوحدة المدفعية الرجوع إلى برج فلاترسFlatters .[1]

ويبدوا لنا من خلال انجاز المصلحة العسكرية للسيارات والوحدة المدفعية، أن فرنسا قد استغلت المنطقة ماديا وبشريا أحسن استغلال، وذلك استعداد للحرب العالمية الثانية، ومن مظاهر هذا الاستعداد ، قامت السلطة الاستعمارية بتعزيزات أمنية على الحدود الشرقية، وذلك بسبب التوتر الحاصل بين فرنسا وايطاليا، حيث عملت على ترميم برج لالمان ،وبرج فلاترسFlatters ، وزودهم بالمزيد من المدفعية والمشاة، وفي إطار عملية الترميم استعملت شاحنات لاتيل وشاحنات خفيفة، كما استعملت سيارات التوربيدو، وسيارات رونو لنقل أفراد وحدات الجيش الفرنسي إلى هذه الأبراج.[2]

وفي خضم مجريات الحرب العالمية الثانية، ورغم التحصينات التي اتخذها فرنسا تجاه أعدائها من دول المحور، إلا أنها لم تصمد أمام الضربات الألمانية حيث تم احتلال شمال

---

[1] دوني بيلي، المرجع السابق ، ص63.
[2] المرجع نفسه ، ص62.

فرنسا وتقهقر الجيش الفرنسي خاصة بعد إعلان ايطاليا الحرب على فرنسا وبريطانيا في 8 جوان 1940م، وسقطت القوات الفرنسية في ظرف عشرة أيام ،مما دفع بالسلطة الاستعمارية الفرنسية إلى عقد هدنة مع الألمان بقيادة المارشال بيتان، على خلاف الجنرال ديغول الذي فر إلى بريطانيا وأعلن عن حكومة فرنسا الحرة المعارضة للاستسلام.وفي إطار هذه الهدنة عملت السلطة الاستعمارية بالجزائر باستبدال الكتائب الصحراوية المهرية بوحدات عسكرية منزوعة السلاح سميت بـــ " المليشيات الصحراوية الإقليمية". [1]

هــ – إنشاء محطة للطيران العسكري :بعدما أصبحت ورقلة مركزا للقيادة العليا لمجموع الصحراء(الجزائر، تونس، السودان) في المدة ما بين 1917و 1919م، فكر الفرنسيون في استحداث قاعدة عسكرية للطيران الجوي بورقلة، ولقد كان أول استطلاع جوي فوق مدينة ورقلة في ماي 1917م، قامت به طائرتين من نوع فارمان، انطلقتا من القاعدة الجوية ببسكرة، ويتميز هذا النوع من الطائرات بمحركات بقوة 80 حصان، وسرعة 100كلم/سا لمدة ثلاثة ساعات ونصف دون هبوط.[2]وفي أول فيفري 1919م تم إنشاء سرب جوي صحراوي بورقلة قوامه ستة طائرات من نوف فارمان، بعدما تم تخصيص وإيجاد مكان لهبوط الطائرات بمحاذاة برج شانديز،ثم تحول المهبط سنة 1939م إلى منطقة عين البيضاء حاليا.[3]وفي إطار تحسين الخدمة الجوية قامت السلطة الاستعمارية باستقدام طائرات جديدة من نوع (دي.سي.3) ،واستحداث خط جوي يربط بين ورقلة والجزائر العاصمة بمعدل رحلتين في الأسبوع مرورا على بسكرة وتقرت[4]،وللعلم فان استحداث المحطة العسكرية للطيران بورقلة

---

[1] المرجع نفسه ، ص65

[2] دوني بيلي، المرجع السابق ، ص45

[3] المرجع نفسه ، ص64

[4] المرجع نفسه ، ص82

بهدف استكشاف الصحراء إلى حدود الهقار وتمبكتو.واستخدامه في الغارات الجوية على أعدائها في حالة نشوب أية حرب.

وأمام هذه الانجازات شهدت ورقلة عدة زيارات من طرف الحكام العامون للجزائر، وذلك بهدف الوقوف على هذه الانجازات وتكريم وتشجيع حكامها بالمنطقة على خدمة الصحراء الفرنسية ، فقد ذكرت صحيفة "لاكروا Lacroix" ، أنه في شهر فيفري قام الجنرال نوقيس Nougis، وقائد الفصيلة 19 للجيش الفرنسي، والجنرال بوبنالBoubnall والنقيب Bic Abourbenبيك ابوربن بزيارة ورقلة، حيث استقبلوا من طرف العقيد كاربيلات Carbillet قائد المركز في وسط جماهير كبيرة من الأهالي يهتفون ويهللون بحماسة لهذه الزيارة، ثم توجهت بعثة الجنرال نوقيسNougis إلى جانت عن طريق برج فلاترس وبرج بولينياك.[1]وفي إطار التكريم والتشجيع قررت لجنة الرابطة البحرية الاستعمارية (L.M.C) سنة 1938م منح أكبر وسام في الرابطة للعقيد كاربيلاتCarbillet وأعوانه الصحراويين، والجنود المرتزقة بورقلة.[2]

وفي سنة 1942م زار الحاكم العام بالجزائر الجنرال شاتل Chatel تقرت ، حيث استقبل في تماسين من طرف الإخوة التجانيين ،وحدثهم عن عمق العلاقات بين المسلمين والفرنسيين. وفي نفس اليوم توجه إلى ورقلة حيث استقبله سكان ورقلة بالابتهاج والسرور باستخدام المزامير والطبول، فدخل المدينة، حيث بدأ بزيارة المرضى من الأهالي ثم زار بعض المدارس العمومية، وانتهت زيارته بتفتيش ومراقبة الجيش الصحراوي.[3]

[1] La Tournée du Général Noguès en Algérie, , **LA CROIX**, 22 jeudi 1934 ,55 année , N° 15646, p 6
[2] La Grande Médaille de la L.M.C. est attribuée à la ville nouvelle de Ouargla, , **LA CROIX**, 24 octobre 1938 ,59 année , N° 17091, p 6
[3] Le Gouverneur Général Châtel visite le Sud Algérien , **LA CROIX**, 14 janvier 1942, 63 année , N° 18089, p5

المبحث الثاني :السياسة الاقتصادية والاجتماعية

أولا/ السياسة الاقتصادية:

لقد أجمعت معظم المصادر الفرنسية أن دوافع وأهداف التوسع الاستعماري في الجنوب والواحات الصحراوية هي دوافع اقتصادية في المقام الأول، ثم تأتي الدوافع الأخرى متتالية الأخرى تلو الأخرى، فمنذ احتلال ورقلة سنة 1854م أولى الفرنسيون اهتماما كبيرا بالوضع الاقتصـــادي، فعملوا على تطويره وتحسينه وذلك بهدف خدمة المعمرين وإصلاح الاقتصاد لفائدة الأهالي، وقد تمثلت أهم مظاهر التنظيم الاقتصادي بورقلة فيما يلي :

1- **صيانة وتشييد طرق المواصلات وتحسين النقل**: لعل الهدف الأساسي من هذه العملية هو تسهيل عمليات تنقل القوات الاستعمارية، وتذليل ظروف استقرارها في المراكز العسكرية المختلفة التي أنشؤوها، وكذا ربط مستعمراتهم المختلفة ببعضها البعض في الشمال والغرب والوسط، زيادة على خدمة التجارة الفرنسية وفتح أبواب السبل لها في كل أسواق إفريقيا.

وعليه فقد شرعت السلطة الاستعمـــارية بعد استقرارها بورقلة في صيانة وتشييد طـــرق المواصـــلات قصد فك العزلة بين ورقلة والمناطق المجاورة لها، حيث تـــذكر المصـــادر أنه لم يكن هنـــاك طرق معبدة ،ولقد كانت عملية النقل قبل الاحتلال تتم عن طريق ظهر البغـــال والجمـــل ،فمسافة 160 كلم

بين تقرت وورقلة كانت تقطعها دابة تحمل راكبان اثنان واحد على كل جانب محمول على مقعد، واستمر الحال هكذا إلى سنة 1915م حينما شرعت السلطة الاستعمارية في تعبيد أول طريق بين ورقلة وعين صالح ، بعد ظهور أول سيارة عسكرية متحركة ذاتية من نوع (دولاهاي) قادمة من غرداية.[1]كما أن النشاط الحيوي للتجارة بورقلة جعلها تقوي علاقاتها ببلدان عديدة عبر طرق ومسالك متنوعة بين سنتي 1915 و1920م يمكن تحديدها فيما يلي[2]:

[1] Pistes de Ouargla 1914-1916,AOM, 21H355.

[2] Ibid

- طريق ورقلة تقرت : وتبلغ مسافته 180كلم، ويمر عبر تماسين وبلدة عمر والحجيرة وصولا إلى واحات ورقلة، وتم انجاز بمبلغ قدره 60000 فرنك فرنسي.[1]
- طريق ورقلة القولية (المنيعة) : وتبلغ مسافته بـــ 330كلم، تم انجازه سنة 1920م بمبلغ قدر بـــ14.089 فرنك فرنسي.
- طريق ورقلة غرداية : وتبلغ مسافته بـــ 180كلم ورقلة، وتم انجاز بمبلغ قدره 50000 فرنك فرنسي[2]
- طريق ورقلة تماسنين : وتبلغ مسافته بـــ 600 كلم ، ويمر عبر برج لالمان وبرج فلاترس ، ومرورا بحاسي الطويل.
- طريق ورقلة عين صالح : وتبلغ مسافته بـــ 500 كلم.

وبغض النظر عن السيارات العسكرية المستعملة في نقل أفراد الجيش الفرنسي ، تذكر المصادر الفرنسية أن أول اتصال بالسيارات النفعية وقع بين ورقلة وجانت عن طريق حاسي الطويل في صيف 1926م، حيث استعملت فيه سيارات من نوع "رونو" ذات ستة عجلات وتستهلك 40 لتر/100كلم[2]، وفي السنة نفسها يحاول السيد أرمان ديفيك Arman dufic ناقل عمومي في تقرت أول اتصال تجاري بين تقرت وورقلة على متن شاحنة من نوع رونو ذات وزن 205ط خلال 13 ساعة.[3]

وبعد المحاولة الناجحة لرحلة مغامر بسيارة ستروين Citroen التي انطلقت من تقرت يوم 17 جانفي 1922م مرورا بورقلة وصولا إلى تومبكتو،عملت السلطة

---

[1] J.C.Humbert, L’œuvre…,Op.Cit,p65.
[2] J.C.Humbert, L’œuvre…, Op.Cit,p65
[3] دوني بيلي، المرجع السابق ، ص ص:52 ـ 53

الاستعمارية على انجاز الطرق المعبدة وتحسينها حتى أصبحت طرقا صالحة للاستعمال من قبل الشاحنات ذات الوزن الثقيل،حيث أخذت تقوم بتهيئة الطرق ووضع الإشارات المرورية عليها[1]،وأنشأت سنة 1933م خطين لنقل المسافرين بالسيارات يعملان بصفة منتظمة ، الأول يربط ورقلة بغرداية ، والثاني يربط ورقلة بالمنيعة بمعدل رحلة أسبوعية ، ورحلة بين ورقلة وتقرت بمعدل ثلاث مرات في الأسبوع.[2]ولقد كانت ورقلة المكان المناسب من أجل صيانة وتلبية احتياجات مستلزمات الطريق من تزويد العجلات بالهواء ومراقبة المحركات والمبردات قبل قطع الجزء المتبقي من الطريق وهذا حسب رحلات المستكشفين، وحسب المشاركين في سباق السيارات الصحراوية.

وتجدر الإشارة هنا انه بمجرد تطور شبكة خطوط النقل والمواصلات الرابطة بين ورقلة والمدن المجاورة قلت حركة القوافل التجارية، وما بقي منها استخدم في الغالب في تهريب الشاي والسكر من قابس حتى نهاية 1937م.[3]

2- تطوير الخدمات البريدية والاتصالاتية : فيما يخص البريد والاتصالات الهاتفية فقد ظهر اهتمام كبير به ، فأمام التهديدات التي كانت تشكلها المقاومة الشعبية على الفرنسيين في الصحراء ، سعى القادة العسكريين إلى إقامة أول مركز راديوا تلغرافي بورقلة سنة 1915م[4] ،وأصبحت ورقلة تمتلك منذ 31 ديسمبر 1904 إلى 31 ديسمبر 1921 خطين تلغرافيين وهما[5] :

1 - خط ورقلة - غرداية بطول 179.900كلم^2

2 - خط ورقلة - تقرت بطول154.375 كلم^2

---

[1] J.C.Humbert, L’œuvre…, Op.Cit,p34

[2] J.C.Humbert, L’œuvre…, Op.Cit,p64

[3] دوني بيلي، المرجع السابق ، ص57.

[4] J.C.Humbert, L’œuvre…, Op.Cit, p38.

[5] Rapport, les Territoires du Sud…, Op.Cit, p387

وبهذه الخطوط التلغرافية حضيت ورقلة بوكالة بريدية سنة 1920م[1]، حيث كانت ورقلة تتلقى بريدين في الأسبوع، واحد من غرداية على البغال، والأخر على الجمال من تقرت، وكان يسيرها قابض مساعد فرنسي وأربعة مساعدين من الأهالي وموزع بريد من الأهالي ، وفي سنة 1931م تم تدشين الوكالة البريدية بانقوسة، وكان يتم نقل البريد كل أسبوع عن طريق أربع فرسان تدفع لهم إدارة البريد أجرا شهريا بقيمة 75 فرنك فرنسي، وبمرور الأيام وتسارع الأحداث ،عملت السلطة الاستعمارية على تسريع عملية وصول البريد في ظرف زمني قصير، وعلية أصبحت تستخدم شركات النقل البري، حيث استخدمت في 8 نوفمبر 1933م أول خدمة بريدية بالسيارة بين ورقلة وجانت ،بل واستخدمت أيضا الطيران في نقل البريد ، حيث كان أول اتصال بريدي جوي بين ورقلة وجانت سنة 1938م[2].وتجدر الإشارة أن السلطة الاستعمارية كانت قد خصصت حوالي 2.500.000 فرنك لتطوير الخدمات البريدية لمدة عشر سنوات (1930-1940م) في مناطق الجنوب بما فيها ورقلة.[3]

جدول رقم (14): تطور مداخيل التلغراف والهاتف بورقلة خلال (1919-1921)[4]

مكتب البريد	رسوم التلغراف والهاتف (بالفرنك)		
	1919	1920	1921
ورقلة	14.814	16.719	21.364

أما الاتصالات الهاتفية فقد وضع أول خط هاتفي بورقلة سنة 1940م وكان يربط ورقلة- قسنطينة ، وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية شهد الهاتف في ورقلة توسعا كبيرا

[1] Ibid, p377

[2] دوني بيلي، المرجع السابق ، ص63.

[3] G.Soubiron , Op.Cit , p345.

[4] Rapport, les territoires du sud…, Op.Cit, p381

بافتتاح العديد من الغرف التلفونية، حيث تم فتح خطوط هاتفية على مستوى المناطق المجاورة ،ففي سنة 1947م تم توصيل ورقلة هاتفيا بتقرت وغرداية ، وفي نفس السنة تم فتح حط هاتفي داخلي يربط ورقلة بالرويسات ، وكان لهذه الإنجازات الجديدة دورا في رفع عدد المشتركين بالهاتف في ورقلة ، وهذا ما ساهم بدوره في رفع عدد الاتصالات التلفونية، حيث قفز من 19905 مكالمة سنة 1946م إلى 24155 مكالمة سنة 1948م.[1]

جدول رقم (15): امتدادات الشبكة الهاتفية بورقلة (1930–1940)[2]

خط الشبكة	الامتداد العام		حجم السلك	قيمة الأجهزة ومصاريف البريد
	خطوط موجودة	خطوط جديدة		
ورقلة- تقرت	/	170	3	670.000 فرنك
ورقلة- غرداية	70	155	3	730.000فر نك

3- فرض الضرائب على الأهالي : لم تكتفي السلطة الاستعمارية بإدخال تنظيمات اقتصادية على الاقتصاد المحلي بهدف تنمية وتطوير الاقتصاد الفرنسي ، بل أنها فرضت على الأهالي مجموعة من الإجراءات والقوانين القمعية، خاصة إذا شارك الأهالي في أية مقاومة شعبية ضد التوسع الفرنسي في الجزائر، منها إثقال كاهل الأهالي بمجموعة من الضرائب ،والتي برزت منذ بداية الاحتلال وكان ذلك بارزا من خلال المرسوم

[1] دوني بيلي، المرجع السابق ، ص72.

[2] G.Soubiron ,Op.Cit , pp350-351.

الصادر 17 جانفي 1845م الذي حدد مجموعة من الضرائب مع استحداث ضريبة جديدة خصت عمالة قسنطينة، والقبائل والجنوب الخاصة بالنخيل. ومنذ 13 جويلية 1874م أقرت السلطة الاستعمارية ضريبة جديدة عرفت بالضريبة العربية،زيادة على الضريبة الفرنسية المباشرة[1].وبناءً على هذه القوانين فلم تسلم ورقلة من هذه الضرائب على الرغم من محدودية إنتاجها الفلاحي ومستواها المعيشي المتدني، مما دفع بسكان ورقلة من كل عام إلى بيع أجزاء من أراضيهم الفلاحية لتسديد الضرائب أو لتزويج بناهم.[2]واهم الضرائب التي فرضت على أهالي ورقلة نجد :

أ- ضريبة اللزمة : والتي أقرها المستعمر وتُحدد حسب أصناف النخيل ومدى جودها، وتعدادها، وهي ضريبة مستحدثة بموجب المرسوم الصادر 17 جانفي 1845م يبقى العمل سار بها إلا في منطقة تقرت بما فيها الوادي[3] وظلت فرنسا تطبقها على النخيل، لتؤكد عنها وفقا لمرسوم 20 ديسمبر 1922[4] و8 جوان 1930[5] ،و أخذت تتطور من حيث ارتفاع قيمتها وهذا من خلال أصناف النخيل، ففي سنة 1922م كانت اللَزمة على الأصناف الآتية: نخيل الصنف الأول (تمور التصدير الوحيدة دقلة نور) يدفع على النخلة الواحدة 1.80فرنك، و نخيل الصنف الثاني(تمور رخوة للاستهلاك المحلي جيدة) ،فاللّزمة على النخلة الواحدة 0.95 فرنك، أما نخيل الصنف

---

[1] أحميدة عميراوي وآخرون، **آثار السياسة الاستعمارية والاستيطانية في المجتمع الجزائري (1830-1954)**، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، م .م.و.د.ب.ح.ث، الجزائر، 2007، ص ص: 56-57.

[2] دوني بيلي، المرجع السابق ، ص41.

[3] René , Valet , **Le Sahara Algérien** , étude de l'organisation administrative, financière et judiciaire des territoires du sud, imprimerie la Typo-Litho, Alger, 1927,p134.

[4] Ibid, p 139.

[5] Contribution direct imports , Impôts Arabe (1906-1945) Mémoire du Conseille du G.Gé.d'Alg ,A.N.A, B 051.

الثالث(تمور جـــافة من النوعية الرديئـــة) والنخلة الواحدة يدفع عليها 0.85 فرنك[1].

أما اللّزمة الواجب أداؤها سنة 1930م فهي بالترتيب الأتي :

- الصنف الأول يدفع على النخلة الواحدة 3فرنك.
- الصنف الثاني يدفع على النخلة الواحدة 1.25فرنك.
- الصنف الثالث فقيمة الضريبة على النخلة 0.85فرنك[2].

ب- ضريبة الزكاة : تفرض على الأغنام والماعز والإبل والأبقار، وقد حددت قواعد هذه الضريبة كالتالي:(خروف واحد أو عنزة واحدة من مجموع مائة،عجل واحد من ثلاثين،جمل واحد من أربعين)، وبتحويلها إلى ضريبة نقدية فقد حددت كالتالي: (الخروف: 0,10 فرنك، العجل والجمل: 4فرنك، البقرة: 0,05 فرنك).[3]

ج- ضريبة العشور(ضريبة حول الحبوب): أي تقديم عشر المحصول الفلاحي إذا كانت الأرض لا تسقى، و20/1 منه إذا كانت مروية. ونصيبا معينا عن المواشي.

وأمام ارتفاع هذه الضرائب العربية ما كان على أهالي ورقلة إلا البحث عن حلول لتسديد ضرائبهم، مما دفع بالسلطة الاستعمارية على إمدادهم بقروض عينية ذات اربح ربوية بلغت سنة 1891م حوالي 200% ساهمت في تجريد الحضريين الورقليين من نخيلهم ومن أشياء أخرى.[4] وفي عام 1898م تحصل احد الفلاحين الورقليين من قرض ربوي بـــ 200 فرنك فرنسي لعشرين يوما بقيمة فائدة ربوية 180%.[5] وتجدر الإشارة إلى أن مسالة القروض قد أخذت لدى الفلاحين مظهر مأسويا، حيث أصبحت ظاهرة

---

[1] R.Valet , Op. Cit, p 139
[2] Contribution,A.N.A ,B 051
[3] Note du général Martimrey sur l’usure. juillet 1860 , A.O.M F80-1762
[4] دوني بيلي، المرجع السابق ، ص27.
[5] المرجع نفسه ، ص33.

الربا هي المنتشرة عند الأهالي، وكان الرابح الكبير من وراء هذه الظاهرة هم اليهود والمعمرون.[1]

وأمام تدهور الوضع الاقتصادي المحلي، وفقر الأهالي، حاولت السلطة الاستعمارية منذ 1918م إصلاح نظام الضرائب العربية، حيث كلفت رؤساء القبائل بجمعها من الأهالي ثم دفعها في صندوق الخزينة الفرنسية.[2]وقد وصل مجموع الضرائب المحصلة بورقلة سنة 1949م حسب تقرير رئيس الملحقة النقيب هايس Hays الى 3,815,226 فرنك[3]، والجدول التالي يوضح ذلك :

جدول رقم (16): قيمة الضرائب المحصلة بورقلة خلال سنة 1949[4]

القبائل	قيمة الضرائب	التحصيل	الباقي من التحصيل
ورقلة المدينة	2,526,548	570,000	1,956,548
بني ثور	2,036,792	1,568,052	468,470
سعيد عتبة	853,300	600,000	253,300
المخادمة	376,086	354,384	21,702
شعانبة القبلية	373,230	349,835	23,395
شعانبة بوسعيد	406,712	372,955	33,757
المجموع	6,572,668	3,815,226	2,757,172

[1] Note du général Martimrey sur l’usure. juillet 1860 ,Ibid

[2] دوني بيلي، المرجع السابق ، ص67.

[3] Rapport mensuel , Impôts. C.D.A.W.O,B 410

[4] Rencignements Statistiques sur Ouargla. A.O.M. 10H18

4- الاستيلاء على الآبار لارتوازية :

يعود الاهتمام بالآبار الارتوازية بالصحراء الجزائرية إلى سنة 1856م، حين أمر" الجنرال ديفوDesveaux " بحفر بعض الآبار الارتوازية في منطقة وادي ريغ ، حيث تفجر الماء في أول بئر ارتوازي يوم 9 جوان بواحة تمرنة بمنسوب قدر بـــ 4010 لتر/ د[1]، ، ومن هناك امتدت حملة الحفر باتجاه تملاحت نواحي بلدة تماسين وحفروا بئر ثانية بلغ منسوبها من المياه 60 ليتر/د، بعدها اخذوا في الاتجاه نحو الشمال وبالضبط إلى قرية سيدي راشد على مسافة عشرين كلم من تقرت وحفروا بئر ثالثة على عمق 40م بلغ منسوبها من المياه 4300ليتر/د، ثم تواصلت عمليات الحفر إلى قرية أم الطيور، الشقة إلى غاية منطقة الزيبان.[2]

وفي ورقلة قبل استقرار الفرنسيين وصل عدد الآبار التقليدية سنة 1870م باستخدام تقنية الغطس حوالي 180 بئر، بسعة 20.790 ل/د، وفي لعجاجة حوالي 66 بئر بسعة 15.500 ل/د، وفي قرية الشط 70 بئر بسعة 14.000 ل/د ، وفي عام 1883 ازداد عددها ليصل إلى 395 بئر.[3]وبعد استقرار الفرنسيين بورقلة تم إدخال أول آلة للثقب مع فرقة مكونة من 40 رجلا تابعين لكتيبة إفريقيا التأديبية لثقب الآبار لارتوازية، ليتفجر الماء يوم 4 فيفري 1883م مساءً، بمنسوب 150ل/د ، غير أن المحاولة في إخراج الماء لاقت صعوبات تمثلت في صعود الرمل مما يؤثر على منسوب المياه، ورغم ذلك تواصلت عمليات الحفر، حيث حفروا في شهر ماي بئر ثانية بمنسوب 100 لتر/د، وفي جوان حفروا بئر ثالثة ورابعة بمنسوب 10 لتر/ثا[4].ولعل الهدف الأساسي من وراء عمليات الحفر هو تأمين المياه لغابات المعمرين، وللقوافل العسكرية التي تجوب الصحراء الشرقية الجزائرية ،ولذلك يقول السيد بيرين perrine: ((... أن الصحراء الواسعة لم تكن قادرة على إعالة سوى بضع قبائل من الرحل ، ونفر من العبيد السود الذين يعتنون بحالة

---

[1] M.Steeg, Op.Cit, p306

[2] المبشر ، المصدر نفسه.

[3] G.Rolland, **Rapport: états statistiques des oasis du Sahara Algérien** , Imprimerie Nationale, Paris,1895 , p323.

[4] دوني بيلي ، المرجع السابق ، ص ص:22-26

الواحات لتحسين وضعها ، كان يتعين توفير قدر أكبر من الماء،... وقد توجب انتظار قيام العلم والتقنية الفرنسيين ،باكتشاف طبقات مائية جديدة ذات عمق أكبر ، والتي لا يمكن استغلالها إلا بوسائل حفر قوية ، وذلك بعد أبحاث مضينة...)).[1]

وفي عام 1891م تم انجاز آبار ارتوازية جديدة تسمح بتوسيع غراسة النخيل والقطن، ووصلت محاولات الحفر سنة 1892م حوالي 54 محاولة بمنسوب إجمالي من الماء قدره7440لتر/د.[2]وعلى الرغم من أن عدد الآبار الارتوازية وصل سنة 1901م إلى 160 بئر إلا أن الطبقة الارتوازية عرفت انخفاضا في منسوب المياه ،وهذا بسبب الجفاف الذي ضرب المنطقة،ولتجنب مثل هذه العراقيل الطبيعية عملت الهندسة العسكرية على البحث عن طبقات مائية أكثر عمقا من "الميوبليئوسين" التي قل ماؤها وتم سنة 1911م انجاز أول بئر بعمق 120م.وفي سنة 1904م عرفت الآبار الارتوازية تطورا من ناحية الاستخدام، حيث تم استثمار 37 بئر في إنشاء مزارع بمنطقة بني تور.[3]

جدول رقم (17): تطور عدد الآبار الارتوازية بورقلة خلال (1883–1946)[4]

التعيين	1883	1946	الزيادة
عدد الآبار التقليدية للأهالي	395	350	45
عدد الآبار الفرنسية	4	249	250

5– **السيطرة على الأراضي الزراعية واحتكار الإنتاج** :منذ دخول الجيش الفرنسي إلى الصحراء في الخمسينات من القرن التاسع عشر أدرك الفرنسيون من الصعب خلق

---

[1] J.J. Perennes , **Structures Agraires et Décolonisation Les Oasis de l'Oued Righ (Algérie)** , Alger , O.P.U ,1979, p305

[2] دوني بيلي ، المرجع السابق ، ص30.

[3] المرجع نفسه ، ص30.

[4] G.Rolland , Op.Cit. p 324.

استعمار استيطاني بالواحات الصحراوية، مما دفع بهم إلى خلق استعمار زراعي عن طريق الاستيلاء على الأراضي الزراعية، وإنشاء مزارع حديثة رأسمالية غايتها إنتاج سلعة للتصدير، مع الاستفادة من اليد العاملة المحلية، والآبار الارتوازية، وهذا بناءً على القانون المتعلق بالملكية في الجزائر في 16 جوان1851م، الذي ينص على حصر الأراضي و تحديدها. وتعززت سياسة الاستيلاء على الأراضي بعد نهاية مقاومة الشريف بوشوشة سنة 1871م ضد القوات الفرنسية بورقلة، إذ استغلوا هجرة الأهالي نحو تونس والمشرق العربي، ليقرضوهم المال لتحرير أنفسهم بفائدة ربوية 200 % في السنة، بعد أن رهن الورقليون نخيلهم عند دائنيهم، وبما أنهم غالبا ما يعجزون عن تسديد ديونهم تصبح أراضيهم المرهونة ملكا للدائن في ظرف زمني قصير.[1] وعليه فقد العديد من الأهالي أراضيهم و ممتلكاتهم مقابل غناء الربويين ، مما دفع بالسلطة الاستعمارية دعوة بعض البنوك للاستثمار في ورقلة عن طريق القروض ذات الفوائد الخفيفة، لكن هذه الدعوة لم تلق صدى لدى هذه البنوك إلا 1 % ،مما جعل الاحتكـــار الربوي يزيد من حين إلى آخر، مما أدى بدوره إلى إضعاف كاهل الأهالي.

ومنذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي توافد المعمرون الأوروبيون على ورقلة مستخدمين وسائل التكتل والابتزاز لاستغلال مواردها المائية ، واستعمار أراضيها البكر، وتسخير طاقة سكانها في تنشيط الاستثمار الاستعماري ،إذ تحولت أراضي الأهالي إلى مزارع استعمارية وتحول مالكوها إلى " خماسين [2]"، وأنشؤا شركات فلاحية، مثل" الشركة الفلاحية للاحتياط والإغاثة والقروض التعاونية" التي تم إنشاؤها سنة 1903م، ووصل عدد المشركين فيها حوالي 5050 مشترك لينخفض سنة 1927م إلى 2829 مشترك.[3]وهدف مثل هذه الشركات هو احتكار الإنتاج وتوجيهه للتصدير، واهم هذه المحاصيل: القمح والشعير والتمور، هذا بالإضافة إلى

---

[1] V. Largeau , Op.Cit.p 181

[2] الخماسين أو الخماسة هو نظام فلاحي قديم ، ويعني السماح للفلاح الجزائري العمل في الأرض لفائدة الدولة مقابل خمس الإنتاج بعد أن توفر له الأرض والمحراث والحيوانات والبذور.

[3] دوني بيلي ، المرجع السابق ، ص37

محاصيل ثانوية مثل القطن الذي كان يزرع على حواف مزارع الشعير، وقد وصل طول النبتة الواحدة حوالي 1.20م ، أما التبغ على الرغم من نجاح زراعته إلا أن الفلاحون تركوه لأسباب اقتصادية واجتماعية.

جدول رقم (18): تطور إنتاج محصول القمح والشعير بورقلة خلال (1918– 1921)[1]

المنطقة	المحصول بالقنطار					
	الموسم الفلاحي		الموسم الفلاحي		الموسم الفلاحي	
	1918	1919	1919	1920	1920	1921
	قمح	شعير	قمح	شعير	قمح	شعير
ورقلة	282	378	306	405	330	427

أما فيما يخص إنتاج التمور عمل المعمرون على توسيع غراسة النخيل قصد التصدير بعدما كان سكان ورقلة يملكون سنة 1877م حوالي221.035 نخلة[2]، وأدخلوا عليها التقنيات الحديثة العلمية ، وعملوا على توفير الري وتنظيم عملية السقي ، حيث تم تعميم استعمال النواعير في السقي ، والتي وصل عددها إلى حوالي 200 ناعورة ،كما حصروا إنتاج التمور في نوع واحد وهو " دقلة نور"،بعدما كانت هناك أنواع أخرى مثل الغرس والعولة، وقد شرع الفرنسيون في عملية التصدير نحو فرنسا منذ سنة 1925م، وذلك في صناديق صغيرة عن طريق النقل بالسيارات.[3]وقد وصل معدل إنتاج ثمرة" دقلة نور" سنة 1946 إلى 21810 كلغ أي ما يساوي 6 %،وهي نسبة ضعيفة مقارنة مع إنتاج ثمرة الغرس التي وصلت الى225200 كلغ، أي ما يساوي 63%.[4]

---

[1] M.Steeg, Op.Cit, p209

[2] دوني بيلي ، المرجع السابق ، ص16

[3] المرجع نفسه ، ص52

[4] M.R.Brigol , Op.Cit. p 212

وعلى ما يبدوا لنا من خلال هذه المفارقة العددية أن الإدارة الاستعمارية عجزت تطوير إنتاج دقلة نور لعدة أسباب طبيعية، ولذلك نجد أنها كانت تقوم بدورات شهرية لمراقبة نخيل منطقة ورقلة ،وذلك لمكافحة الأمراض التي تصيب النخلة مثل (الدودة البراقية)، وتطهير الخنادق لتصريف المياه الزائدة،حيث اشرف الملازم ميل Mele النائب الثاني لحاكم ملحقة ورقلة خلال صائفة 1949م على عملية إحصاء نخيل بني ثور، وتطير خنادقها من الأوساخ والأعشاب الضارة.[1]

جدول رقم (19): تطور عدد النخيل بورقلة خلال (1877–1921)[2]

الوحدة الإدارية	1877	1883	1914[3]	1920	1921
ورقلة	221.035	454.306	917.200	961.418	965.470

ثانيا/ السياسة الاجتماعية:

1– الهجرة الورقلية واتجاهاتها:

عقب استقرار الفرنسيين بورقلة عملت السلطة الاستعمارية دراسة السكان والمكان وجمع مختلف المعلومات عن المنطقة خدمة للسياسة الاستعمارية التي انتهجتها فرنسا في ذلك الحين ،وذلك تطبيقا للمقولة الشهيرة « يجب معرفة الناس للسيطرة عليهم وقيادتهم »،وعليه فإن دراسة السكان قد استهدفت التغلغل إلى أعماق مجتمع المنطقة لمعرفة مكوناته ونقاط ضعفه ،حتى يسهل للفرنسيين التحكم في هذا المجتمع من الداخل ولإبعاد أية مقاومة شعبية من شأنها أن تعرقل المشاريع الاستعمارية الفرنسية بالمنطقة. وفي نفس الوقت تظاهر بملمح المهتم بظروفهم الاجتماعيـــة والصحية.

[1] Rapport mensuel , Tournées Administratives, C.D.A.W.O, B410
[2] A.O.M. 10H18. Op.Cit.
[3] Ch.Lutaud ,Op.Cit , p81

غير أن السياسة الاقتصادية التي فرضتها الإدارة الاستعمارية على أهالي المنطقة أثرت عليهم اجتماعيا، مما دفع بالكثير من الورقليين على التفكير في الهجرة نحو تونس والشمال الجزائري منذ سنة 1883م، حيث كانت تمثل شكلا من أشكال المقاومة التي اتخذها الجزائريون لكنها في حقيقة الأمر هي مقاومة سلبية.غير أن ظاهرة الهجرة في ورقلة نحو مناطق الشمال أو إلى تونس لم تبدأ مع التواجد الاستعماري بالمنطقة، وإنما هي ظاهرة قديمة تعود إلى التواجد الحفصي بالمنطقة من القرن الثالث عشر إلى الخامس عشر ميلادي في إطار النشاط التجاري المتعلق بتجارة الذهب والعبيد،وخلال العهد التركي تحولت الهجرة الورقلية نحو الجزائر العاصمة خاصة السكان الذين أصولهم من العبيد، حيث كانون يعملون في نظافة شوارع المدينة.[1]

وفي الفترة الاستعمارية توسع نشاط الهجرة الورقلية، رغم محاولات فرنسا لتعطيل رخص الهجرة[2].ويعتقد العقيد لوشاتليle chatelier أن الثلث من رجال ورقلة هاجروا إلى تونس للبحث عن العمل ومنهم 1500 من سكان القصر، و80 من سكان الشط، و14 من سكان لعجاجة، و5 من سكان سيدي خويلد[3]،وفي عام 1921م شهدت ورقلة هجرة جماعية كبيرة نحو الجزائر العاصمة وتونس.[4]

ولعل أسباب هذه الهجرة يمكن إرجاعها إلى الشعور بالمهانة والمذّلة التي أصبح يعيشها الأهالي جراء الفقر والفاقة، والتي أضحت هاجسا يؤرق كل جزائري، فكانت الدول المجاورة بلدان هجرة لكونها تقع على الحدود، وبالتالي تسهل عملية التنقل خفية دون وجود عراقيل من طرف السلطة الاستعمارية ، هذا بالإضافة إلى الهروب من البطش والتنكيل، والهروب من القوانين الجائرة مثل : الهروب من الخدمة العسكرية،

---

[1] M.R.Brigol , Op.Cit. p 54

[2] عمار هلال ، «أصداء الهجرة الجزائرية نحو الشرق في بعض التقارير الرسمية الفرنسية»، **مجلة الثقافة**، العدد 88، الجزائر، يوليو – أغسطس 1985، ص 165.

[3] دوني بيلي، المرجع السابق ، ص22.

[4] المرجع نفسه، ص49

ومحاولة الأهالي التملص منها،زيادة على ذلك واقع الممارسة الاضطهادية ضد الأهالي انطلاقا من سلب الأراضي ومنحها إلى المعمرين نتيجة الضرائب التي أثقلت كاهلهم، أو سياسة الإعانة بالقروض المستعملة بطريقة ربوية مما يجعل الأهالي يفقدون ممتلكاتهم، بالإضافة إلى الأزمات الاقتصادية والكوارث الطبيعية.[1]

وعليه فإن هذه السياسة التي دأبت فرنسا على انتهاجها في الجزائر منذ 1871م، قد حققت أهدافها إلى درجة أن الجزائريين أصبحوا يعيشون في شبه مجاعة ، فعلى سبيل المثال فيما يخص الهجرة الثانية التي شهدتها ورقلة أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، فقد كانت بسبب عدة أمراض مزمنة منها: وباء "حمى المستنقعات" الذي انتشر في الفترة ما بين منتصف سبتمبر ومنتصف أكتوبر مما تسبب في وفاة أكثر من 400 شخص اغلبهم من النساء والأطفال، هذا بالإضافة إلى وباء الجدري الذي تسبب هو الآخر في وفاة حوالي 200 شخص.[2]وفي سنة 1909م وقع بؤس وقحط حيث قل محصول التمور،وارتفعت أسعار القمح.

وفيما يخص الهجرة الثالثة التي شهدتها ورقلة سنة 1920م كانت بسب تسلط الحكام المحليين ونوابهم من القياد الذين يخضعون لسلطتهم مباشرة، الذين اضطهدوا الأهالي وطبقوا عليهم الإجراءات التعسفية من خلال فرض الغرامات المباشرة لأسباب تافهة خاصة فيما يتعلق بالحصول على رخص التنقل، ولقد سُجلت حالتين بورقلة سنة 1914م[3]، وقد زادت هذه الغرامات القياد والحكام المحليين ثراءً.

هذا بالإضافة إلى الأزمة الاقتصادية التي حدثت سنة 1920م، والتي أدت إلى حدوث مجاعة أخرى نتجت عن الجفاف الذي أصاب المنطقة ونقص مياه الآبار

[1] عبد الحميد زوزو ،**الهجرة و دورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين (1919 –1939)**، الجزائر، م.و.ك ، ط2، 1985، ص ص: 35 – 46.

[2] دوني بيلي، المرجع السابق ، ص ص:24-26.

[3] Ch.Lutaud, Op.Cit, p162

الارتوازية، والارتفاع الفاحش في أسعار الحبوب، وتقلص عدد المواشي بسبب موتها من العطش، زيادة على انتشار الأوبئة ومنها " وباء التيفس" الذي تسبب في هلاك عدة أشخاص.[1] ولقد اتخذت الهجرة بورقلة ثلاثة اتجاهات أساسية وهي :

أ- الهجرة نحو الشمال : تستقطب الهجرة للمناطق التلية شمال الجزائر سواء كانت الموسمية أو المؤقتة أو الدائمة نسبة معتبرة من مهاجري ورقلة خارج المنطقة خاصة في المواسم التي تصبح فيها المداخيل غير كافية لحاجيات السكان،ويكون ذلك نحو المناطق الساحلية أو الداخلية بالشمال وقد أصبحت الهجرة إلى المدن الجزائرية أكثر أهمية منذ 1930م[2]،وعرفت ورقلة خلال السبعينات من القرن التاسع عشر الميلادي هجرة موسمية لقبائل البدو الرحل نحو المناطق التلية بسب الكوارث الطبيعية التي أصابت المنطقة ، مثل هجوم الجراد على محاصيل التمور سنة 1877م ، وبسب النزاعات العرقية القائمة بين الاعراش الثلاثة (بني سيسين، بني ابراهيم، بني واقين).وفي العشرينات من القرن العشرين تطورت الهجرة الورقلية وشملت فئات أخرى من الحضريين، وقد تركزت خصوصا في الجزائر العاصمة.

ب- الهجرة نحو تونس : تعتبر تونس وجهة هامة لسكان ورقلة وذلك بحكم القرب الجغرافي والمحاذاة الحدودية لإقليم الجريد بالجنوب التونسي، وسهولة التنقل ، وعدم اكتراث السلطات التونسية لهذه الهجرات، ورغم محاولات فرنسا التحكم في حركة تنقل الجزائريين عبر الحدود لتونس من خلال قرارها الصادر في7فيفري1898[3]، إلا أن هذا لم يمنع سكان ورقلة من الهجرة نحو تونس من البحث عن العمل،وقد شملت أربعة أعراش وهم : (بني سسين ، وبني ابراهيم، وبني واقين ، وبني تماسين) وكانت نسبتهم حوالي 4.7 % من مجموع الجزائريين المتواجدين بتونس ، وكان تنقلهم مشيا على الأقدام تارة،

---

[1] دوني بيلي، المرجع السابق ، ص49.

[2] سعد الله، « تدهور التنظيم القبيلي »، **أبحاث وآراء**....، المرجع السابق، ص 9

[3] يوسف جفالي ، **الجالية الجزائرية بجهة الكاف (1881-1929)**، رسالة الكفاءة في البحث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، السنة الجامعية (92-93)، ص ص: 33-50.

وركوبا على الحيوانات أهمها الجمال، وتدوم الرحلة من 20 إلى 25 يوما ، ويتخذون طريق متلوي ثم قفصة، ثم صفاقس وصولاً إلى تونس[1].ومن المهن التي اشتغلوها، عمال في بيوت الأغنياء، وعمال في الحمامات والمطاعم،حراس، ونوادل في المقاهي.[2]وكان استقرارهم وتمركزهم بتونس العاصمة وبالتحديد في سوق العطارين ، وسوق الكبابجية، وتشير التقارير التونسية أن عدد المهاجرين الورقليين سنة 1921م وصل إلى 1127 أي ما يعادل 27%، وفي سنة 1926م ارتفع العدد إلى 1343 أي ما يعادل 34%، ليصل سنة 1939م إلى 2000 شخص أي ما يعادل 39.5 % وهي اكبر نسبة عرفتها الهجرة الورقلية.[3]

وتجدر الإشارة هنا إلى الصراع الذي كان قائما بين الاعراش الثلاثة هاجر وانتقل معهم إلى تونس، حيث شهدت هذه الأخيرة طيلة تواجد الورقليين صراعات حول تمثيل الورقليين لدى السلطات التونسية،فقد جاء في رسالة مؤرخة في 12 شعبان 1302هـ/1881م من الشاوش الحاج محمد كاتب ديوان الورقلية إلى القنصل الفرنسي طالبا منه تفويض بتعين عبد القادر مقدما اكبر على عروش الورقلية.[4]وفي رسالة أخرى بتاريخ جمادى الثانية 1306هـ/1885م تتضمن اتفاق أعراش ورقلة بالحاضرة التونسية على تعيين محمد بن قدور بن صالح السسيني مقدما على أعراش ورقلة.[5]هذا بالإضافة إلى أن فئة من الورقلين كانوا يعيشون حياة بؤس وشقاء من جراء البطالة، مما دفع بهم إلى ارتكاب عدة مخالفات كالسرقة، فقد ذكرت إحدى الرسائل الموجهة من الحاكم العام بتونس بيرج Berge إلى احمد بن قدور شيخ الورقلية والمؤرخة في 22

---

[1] Haggui Jamel : **les Algériens originaires du sud dans la ville de Tunis pendent l'époque coloniale (1881-1956),(mozabite, Soufis, Ouarglias)**, mémoire de DEA Université de monouba, Tunis, Année Universitaire 2003-2004 ,p 25
[2] A.N.T .B 278.Document73, N° 5
[3] Haggui Jamel,Op.Cit , p55
[4] A.N.T .B 278.Document 73, N°14
[5] A.N.T .B 278.Document 73, N°15

أفريل 1900، أن المصالح القضائية قد حكمت على المدعو محمد بلحاج احمد بثلاثة أشهر سجنا وذلك بسبب سرقته (قندورة) من السوق.[1]

ج – الهجرة نحو ليبيا : شملت فئة قليلة من الشباب، وكانت أسباب هذه الهجرة اضطرارية بسبب المجاعة والفاقة، حيث هاجر 260 شعانبي في الفترة ما بين فيفري وديسمبر سنة 1924م إلى طرابلس بهدف العمل، وتجندوا في صفوف الجيش الايطالي ، لكن سرعان ما لوحظ رجوعهم يتحقق ابتداء من شهر فيفري 1925م،وفي طريق عودهم إلى ورقلة توفي حوالي 49 مهاجر عطشا في الطريق، منهم 32 في حاسي الطويل، و17 في حاسي لاروك على بعد 100كلم من حاسي مسعود.[2]

د – الهجرة نحو المشرق العربي :بحكم أن ورقلة منطقة عسكرية، فقد شهدت شان المناطق الجزائرية الأخرى هجرات جماعية للأهالي إلى المشرق العربي، وتذكر الإدارة الاستعمارية أن هذه الهجرات كانت بسبب تحريض أهلهم وذويهم لهم الذين هاجروا إلى سوريا قبلهم واستقروا بها[3]، غير انه يمكن القول إن الهجرة إلى المشرق العربي ارتبطت بقوافل الحجيج، وبحكم منطقة ورقلة منطقة عبور، فقد استغل الأهالي هذه القوافل تحت غطاء أداء مناسك الحج للتوجه نحو بلاد الحجاز ،وفي هذا السياق لما علمت السلطة الاستعمارية باستغلال قوافل الحج للهجرة، فرضت إجراءات قمعية واستبدادية تفتيشية ضد الحجاج في الجنوب على غرار مناطق الشمال ، حيث ذكرت صحيفة "وادي ميزاب" سنة 1927م أن الولاية العامة بالجزائر رخصت للحج، بينما في دوائر الحكومة بالجنوب الجزائري نجد الظلم والحيف والاستبداد في هذا الأمر، حيث أخذت الإدارة الاستعمارية في الجنوب تتماطل في إعطاء جوازات السفر، مما يدل على أنها غير راضية بما أصدرته الولاية العامة وذلك بعدما قدم الأهالي الضمانات اللازمة المشروطة.[4]

---

[1] A.N.T .B 278.Document 73, N°26

[2] دوني بيلي، المرجع السابق ، ص:ص 52 ،56.

[3] عمار هلال ، **الهجرة الجزائرية نحو بلا الشام (1847– 1918)**،الجزائر، دار هومة، 2007، ص 126.

[4] وادي ميزاب ،ع33،س1، 27 ماي 1927م/1345هـ

وهناك درسوا وتعلموا الشريعة والسياسة والتاريخ وتعرفوا على بعض رجالات الفكر والإصلاح، وابرز الشخصيات المهاجرة نجد: الشهيد ميلودي الطاهر بن عمار، والشهيد شنين قدور، وعمار خيراني، وتخصيص هذه الأسماء جاء على أساس أنهم بعد عودتهم في الخمسينات من القرن العشرين حاولوا تأسيس جمعية إسلامية تهدف إلى محاربة سياسة التنصير.

2- المستوى المعيشي:

عرف المستوى المعيشي بمنطقة ورقلة حالة من البؤس والفقر، أصابت سكان ورقلة طيلة التواجد الاستعماري بالمنطقة ، وذلك من جراء السياسة القمعية التي كان تتبعها السلطة المحلية ونوابهم من القياد والتي تعتمد على التحكم في الناس وفي ممتلكاتهم ، وخاصة الأرض التي تعبر المورد الأساسي الذي يسترزق منه الفلاح، زيادة على الجفاف والأمراض المنتشرة في المنطقة، ولمواجهة هذا البؤس نظمت جمعيات الإغاثة الغذائية الاحتياطية شربات شعبية بالمجان، وقللت من فرض الضرائب،، كما أعطت الشركة المحلية قروضا للفلاحين بهدف استصلاح الأراضي الزراعية.[1]

وفي نظرنا أن هذه الجمعيات جاءت لتقضي على العادات والتقاليد الجزائرية الداعية إلى التكافل الاجتماعي عندما تقع الأزمات الاقتصادية أو الاجتماعية، ويعتبر لويس تيرمان هو من أمر سنة 1884م بإنشاء هذه الجمعيات الاحتياطية في كل بلدية مختلطة على أن تكون مهمتها جمع كميات محددة من حصاد القمح والشعير، ووضعه في مخازن احتياطية لمواجهة سنوات العجاف، وفي عهد جول كامبون تم تقنين هذه الجمعيات، بحيث أصبح في إمكان الفرد أن ينخرط بحرية سواء كان من الفلاحين أو الخماسة أو العمال الزراعيين، شريطة أن يتعهد بدفع حصة حصاده في الحبوب سنويا.[2]

---

[1] دوني بيلي، المرجع السابق ، ص57.

[2] سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954**، المرجع السابق، ج5، ص ص: 204- 205.

ويعود تأسيس جمعيات الإغاثة الاحتياطية بالجنوب إلى أول جانفي 1904م بمعدل ستة جمعيات عبر أقاليم الجنوب،ولقد بلغ عدد المشركين في هذه الجمعيات بورقلة بين سنة 1904م حوالي5050 مشترك، وبلغ رأس مالها من جانفي إلى غاية شهر سبتمبر 589,658 فرنك، لينخفض عدد المشتركين سنة 1921 الى3058 مشرك ، بينما رأس مالها ازداد وارتفع إلى 11,260,810 فرنك.[1]

3- المستوى الصحي والبيئي:

من الجانب الصحي عرفت ورقلة أمراض مزمنة وأوبئة خطيرة نتيجة الكوارث الطبيعية سواء بسبب تهاطل سقوط الأمطار، أو بسبب تلوث مياه الآبار الارتوازية أو بسبب المجاعات التي أصابت ورقلة، واهم هذه الأمراض نجد أمراض العيون (التراكوم، والتهاب الملتحمة الحبيبي) وأمراض الجهاز الهضمي كالإسهال خاصة الطفولي القاتل بسبب الجفاف الذي يحدثه للأطفال والحمى الغديرية،وأمراض الجهاز التناسلي، وحمى المستنقعات ، ووباء الجدري، ووباء السعال الديكي ،وكذا لسعات العقارب، حيث تم تسجيل سنة 1905م هلاك نحو 10 أفراد في ظرف 24 ساعة.

هذا بالإضافة إلى مرض السّل حيث بلغت نسبة الإصابات الإجمالية حوالي 29 عند الأطفال من سنة واحدة إلى 15 سنة، و52.6 بين الأطفال ما فوق سنة 15.ولقد وصل عدد المصابين بهذه الأمراض عام 1915م حوالي 180 حالة مرضية.[2]

جدول رقم (20): حالات المرضى الأهالي والأمراض المعالجة في المستشفيات بورقلة سنة 1915.[3]

التعين		العدد
عدد الأسرة		20
عدد المرضى في المستشفى	الرجال	29

[1] M.Steeg,Op.Cit. p161
[2] Ch.Lutaud, Op.Cit, p37
[3] Ibid , p37

خلال السنة	النساء	4
	الأطفال	24
عدد أيام المرضى في المستشفى		582
الأمراض المعالجة	الأوبئة	16
	الأمراض المعدية	10
	الأمراض الجلدية	10
	أمراض العينين	38
	أمراض المجاري التنفسية	4
	أمراض الجهاز الهضمي	8
	العمليات الجراحية	7
	أمراض أخرى	10
عدد الفحص المجاني		6.357
نفقات عمل الممرضين والمستشفيات		3.24050

ولمواجهة هذه الحالة الصحية ، بدلت السلطة الاستعمارية مجهودات كبيرة من اجل تطوير الصحة والحفاظ على البيئة ، حيث خصص الحكام العامون زيارات إلى مستشفيات ورقلة وزيارة المرضى والممرضين[1]،وفتح عدة مستشفيات، إذ تم في أول ماي 1889م فتح المستشفى العسكري في بني تور، وفي عام 1900م تم فتح مستوصف مجاني لمعالجة السكان المحليين بساحة القصبة(ساحة فلاترس)،وحسب مرسوم رئاسي صادر في 15 فيفري 1918م يخص أقاليم الجنوب ، ينص على تقديم المساعدات الطبية للسكان المحليين وانجاز مصحات ومستشفيات كبيرة نسبيا داخل الثكنات، كما أمر الحاكم العام باتخاذ الإجراءات التالية [2]:

- تقديم فحوصات مجانية يومية من طرف الأطباء العسكريين
- معالجة الأهالي في المستوصفات والمستشفيات العسكرية

[1] Le Gouverneur Général Châtel visite le Sud Algérien , **LA CROIX,** Op.Cit,p5

[2] M.Steeg, Op.Cit, p138

- إقامة دورات في القبائل البدوية من اجل التطعيم، والقيام بمراقبة عامة للحالات الصحية للوقاية ومعالجة الأوبئة.
- مراقبة طبية في المدارس.[1]
- مكافحة أمراض العيون والزهرية (الجنسية)[2]

زيادة على ذلك القيام بتجارب علمية قصد توفير الدواء للأمراض المنتشرة في المنطقة، حيث تم بين سنتي 1935 و1936م اكتشاف السيروم المضاد لسّم العقارب ، وجرب لأول مرة بمبادرة من معهد باستور، واكتشاف أن ماء المنيعة أكثر جودة من ماء ورقلة ،إذ ساهم في مكافحة وفيات الأطفال التي ترتفع في فصل الصيف ، أضف إلى ذلك استجلبت سنة 1941م من مدينة المنيعة أعداد كبيرة من اسماك صغيرة تعرف "بالقامبوز" وهي مبيدة للناموس واكلة للدعاميص، ووضعت في قنوات صرف المياه من اجل محاربة حمى المستنقعات.[3]

جدول رقم (21): تطور عدد الفحوصات المجانية بورقلة خلال (1919–1921)[4]

السنوات	عدد الفحوصات المقدمة
1919	7.436
1920	8.910
1921	10.576

وفي قراءة تحليلية لهذا الجدول نلاحظ تطور في عدد الفحوصات بنسبة 3 % ، وهذا يعود طبعا إلى الزيادة في نسبة الأمراض رغم الإجراءات المتخذة من طرف السلطة الاستعمارية ، فقد كان عدد المرضى سنة 1919م حوالي 42 مريض، ليرتفع سنة 1920م إلى 54 حالة، ويرتفع العدد مرة أخرى سنة 1921م إلى 72 حالة،وقد نفسر

[1] G.Soubiron ,Op.Cit , p 162.
[2] Ibid, p 162

[3] دوني بيلي، المرجع السابق ، ص65.

[4] M.Steeg, Op.Cit, p151

سرعة الزيادة في الحالات المرضية إلى الأمراض المعدية سريعة الانتشار، مثل مرض السّل الذي وصلت نسبة انتشاره إلى 40.8%[1]، وفي سنة 1949م كلفت السلطة الاستعمارية الطبيب النقيب فالي Vallhe والملازم البرتيني Albertini بالقيام بمراقبات طبية أسبوعية في الرويسات، ونصف شهرية بالشط ولعجاجة ، وشهرية بانقوسة.[2]

أما على المستوى البيئي اتخذت السلطة الاستعمارية في 25 فيفري 1949م الإجراءات التالية:

- مكافحة مكثفة للحشرات في جميع المباني عن طريق رشد المبيدات على الجدران والسقوف.
- تجديد قنوات صرف المياه بجعل حواشيها عمودية وليست مائلة لأن الحواشي المائلة تترك المجال للأعشاب الطفيلية ، وحفر 20 كلم^2 من القنوات الجديدة لصرف المياه وخمسة قنوات رئيسة لجمع المياه من 1200 إلى 2600م.
- وقاية كمائية جماعية مطبقة على كل أهالي ورقلة من يوم 10 جوان إلى غاية 30 ديسمبر 1949م.[3]

ولقد أعطت هذه الإجراءات نتائج ايجابية على الأهالي إذ انخفض عدد المرضى،وقضي على عدة أمراض.

المبحث الثالث :السياسة التنصيرية (التبشيرية)

أولاً/ التنصير ومظاهره بورقلة:

في البداية تجدر الإشارة إلى التنبيه لنقطة مهمة في تاريخ الحركة التنصيرية، والتي اعتبرها مغالطة تاريخية ،وتزييف للحقيقة اللغوية والتاريخية، لكون أن جل المستشرقين الذين كتبوا عن " التبشير المسيحي" يتعمّدون ذكر مصطلح " التبشير أو الحركة التبشيرية" بدلا من " التنصير أو الحركة التنصيرية" ، وهذا بهدف إعطاء صورة حسنة

[1] Ibid, p151

[2] Rapport mensuel , Tournées Médicales, C.D.A.W.O, B 410

[3] دوني بيلي ، المرجع السابق ، ص73

وايجابية عن الدين المسيحي ، وحتى يخلق قابلية لدى المجتمعات الغير النصرانية– بالخصوص المسلمين– دون مقاومة تذكر من جهة، وإبعادهم بقدر الإمكان عن المرجعية الدينية القرآنية والمحمدية من جهة أخرى ، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ [1]، وبالتالي فإن التبشير جاء تحت غطاء المسحية التي انتهى دورها كدين بعد ظهور الإسلام، و لم يبقى إلا هذا الأخير كمرجعية عالمية للدعوة والتبشير،لقوله تعالى: ﴿ ومن يبتغي غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾[2] ، وعليه فإن دور المسيحية كدين انتهى و لم يبقى منه إلا النصرانية كمذهب وكأنصار لدينهم.

وفيما يخص التنصير بالجزائر فقد ركزت السلطة الاستعمارية في سياستها الدينية على محاربة الإسلام وتنصير الجزائريين ،والحديث عن الحركة التنصيرية في الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية، يعود إلى البدايات الأولى للاحتلال بعد سقوط مدينة الجزائر في يد القوات الفرنسية يوم 5 جويلية 1830م بقيادة الجنرال دي برمون، الذي صرح بعدها للقساوسة الذين رافقوه قائلا: " إنكم أعدتم معنا فتح الباب للمسيحية في إفريقيا، ولنأمل أن تنيع قريبا الحضارة التي انطفأت في هذه الربوع ".[3]

وفي هذا السياق ذكرت الكتابات الاستعمارية أنه في بداية الاحتلال حدث صراع وخلاف بين نوايا وأهداف رجال الدين والإدارة العسكرية الفرنسية، فهذه الأخيرة كانت لا تريد إطلاق العنان لرجال الدين ينفذون مخططاتهم بين المسلمين، والحكومة الفرنسية من جهتها أعلنت على لسان وسائلها الإعلامية أن الهدف من إنشاء الكنيسة هو خدمة المستوطنين الأوروبيين، وليس التبشير واستعادة المسيحية القديمة وإثارة مشاعر المسلمين. فحسب هذا التصريح قد ننصف الإدارة الاستعمارية، لكنه في حقيقة الأمر تضليل ،الغرض منه تشجيع الهجرة الأوروبية إلى الجزائر وطمس المقومات الإسلامية

[1] سورة البقرة، الآية 120

[2] سورة. آل عمران، الآية 85.

[3] شاوش حباسي، **الحركة التبشيرية في الجزائر**، ص12

للشعب الجزائر، بدليل أن الجيش الفرنسي داس على بنود اتفاق 5جويلية 1830م، الذي ينص على احترام الدين الإسلامي ومعابده، فهدموا المساجد، وحولوها إلى كنائس ومستشفيات ومخازن وإسطبلات للحيوانات، وصادروا الأوقاف وقطعوا عن الكتاتيب القرآنية مواردها المالية. وبالتالي فإن الحقيقة بيّنت أن رجال الدّين أرادوا مواجهة وتحدي المسلمين وجها لوجه تحت غطاء الجيش والسلطة، أما الإدارة العسكرية والمدنية فضّلت عدم المواجهة المباشرة واتخاذ أسلوب التوغل الهادئ والتسرب البطيء للوصول إلى السيطرة وبسط النفوذ وهذا ما حدث في الصحراء الجزائرية.

وفي إطار إرسال بعثات تنصيرية إلى الصحراء، أكدت صحيفة " وادي ميزاب " أن القائمون على شؤون الكنيسة كانوا يعقدون جماعات فيبعثونها إلى أنحاء العالم، وكثيرا ما يقصدوا أولئك المنصرون (المبشرون) بلاد الصحراء، حيث يتحملون مشاق الانتقال المستمر وأتعاب الأبعاد ومحنة التغرب، يبذلون في سبيل ذلك جهودا عظيمة، ومصاريف باهظة لأجل دعايتهم الناس إلى اعتناق الديانة المسيحية، وإخضاع سكان الصحراء للسيطرة الغربية النصرانية والتحكـــم في خيراتها ومدخراتها.[1]

ولقد ارتبط التنصير بمناطق الصحراء الجزائرية بمجيء الكاردينال شارل لافيجري Ch.Lavigerie[2] إلى الجزائر عام 1860م[3] قادما من سوريا، وقد تساءل مند البداية:

---

[1] وادي ميزاب ، ع57،س2، 17 نوفمبر 1927م.

[2] هو شارل أنطوان مارسيل لافيجري من مواليد 1825م بمدينة وير قرب بايوان، درس بمعهد الدعاية التبشيرية بسان لويس دوقوزاني، ثم بالمدرسة الاكليرية الصغرى للدراسات الأسقفية بلاروسور، ثم بالمدرســة الاكليريــة الكبرى بباريسن تحصل على الليسانس عام 1847،متخصصا في علم اللهوت،في عام 1876 عين مطرانا علـــى أسقفية الجزائر، ليبدأ نشاطه التبشيري، وقد توفي عام 1892م بالجزائر.

[3] قد شهد مطلع القرن التاسع عشر بداية التدفق الاستعماري للقارة وهو نفس التــاريخ الــذي شـــهد تـــدفق الإرساليات التنصيرية إلى القارة، ومن هذه البعثات التنصيرية جمعية الآباء البيض white fathers التي تأسست في كل من نيجيريا والجزائر سنة 1868م ثم امتدت إلى منطقة البحيرات 1878م وإلى غــرب إفريقيــا 1885 وكذلك الجمعيات الآتية:جمعية شهودة يهوه: Jehouas Witnesses وجمعية برلين التنصيرية: The Brlin Missonary وجمعية لندن التنصيرية The london Missonary Society وجمعية آبــاء الكنيـــسة

كيف تظل فرنسا في الجزائر أربعين سنة دون أن تنجح في تنصير المسلمين؟ ومن هذا السؤال انطلق لافيجري في تحقيق مشروعه التنصيري الاستعماري بتأسيسه مؤسسة القديس أوغسطين لبعث الدين المسيحي سنة 1870م.

لقد قيل عن لافيجري أنه كان يؤمن بفتح الصحراء في وجه فرنسا، ولذلك كون الإرساليات التنصيرية التي كان هدفها نشر المسحية، وتسهيل مهمة فرنسا في الاستيلاء على المناطق الصحراوية، ومن هنا بدأت تظهر له فكرة إنشاء جمعية الآباء البيض للصحراء، انطلاقا من منطقة ورقلة، حيث تأسست أول مركزية لجمعية الآباء البيض الصحراويين سنة 1873م وبقيت إلى غاية 1881م، ثم تقلص نشاطها التنصيري لمدة عشر سنوات خاصة في الجنوب الغربي بسب تأثيرات مقاومة الشيخ بوعمامة، لتعود إلى النشاط من جديد سنة 1891م، بعد دخول الشيخ بوعمامة في مرحلة التراجع والتقهقر أمام الجيش الفرنسي. وهذا ما أكده دوني بيلي[1]، وذكره صاحب غصن البان" في مجئ الآباء البيض إلى ورقلة بقيادة الأب ريتشاردRichard ، إذ يقول:" إنه قدم من بسكرة.. وفي نيته التمهيد لمشروعهم التبشيري فمكث بورجلان (ورقلة) أياما قلائل ثم رجع لبسكرة وفي سنة 1875م رجع كذلك ومعه اثنان فمكثوا في البلاد ثلاثة أعوام وسكنوا بناحية بني واكين في جهة باب أبي الربيع وبعد مدة ذهبوا إلى غدامس وفي سنة 1892م قدم الأب(كارمبون) ومعه رفيقان فمكثوا هنا عاما كاملا ثم سافر المذكور وآخر معه إلى السودان وبقي الثالث وهو الأب (أقنو) فسكن في المحل الذي كانت فيه المدرسة الفرنسوية مقابل باب القصبة الآن، وفي أثناء مكثه اشترى دارا بناحية بني إبراهيم بالسوق القديم ثم شرع يبني في المحل الذي هم فيه الآن"[2]. غير أن الأب ريتشاردRichard تم قتلة من طرف شعانبة ورقلة بسبب نشاطه التنصيري، وهذا ما أكدته الرســالة المتعلقة بمقتل

الإنجليزية: Anglican Presbyterian.ويلاحظ أن الجمعيات البروتستانتية التنصيرية قد بدأت عملها مــع نهاية القرن الثامن عشر وارتبطت بحركة الإصلاح الاجتماعي في بريطانيا.

[1] دوني بيلي ، المرجع السابق ، ص19

[2] أعزام، المصدر السابق، ص52

الأب ريتشادRichard والمرسلة من "الجنرال لويسال" قائد مقاطعة الجزائر إلى الجنرال قائد مقاطعة المدية ، والمؤرخة في 14 فيفري 1882م، ونصها كالتالي :

((سيدي الجنرال:

البرقية بتاريخ 8 فيفري الجاري .علمتمونا بأنه نظرا للمعلومات المتاحة لكم، فإن الدرك لم يكن يعلم بحادثة اغتيال الأب ريتشارد وكذا المبعوثين، وإنما كان ذلك مجرد إشاعات عمومية.يشرفنا انتباهكم إلى أن التقرير المنجز من طرف الدرك ما هو إلا نسخة طبق الأصل للتقرير الذي أرسلتموه، وكان من الواجب على آغا ورقلة القيام بنفس الشيء، ونشير إلى أن الأحداث كانت بنفس الطريقة والشكل، وفي نفس الأوقات.وعليه نرجو منكم الأخذ بمعلومات ومعطيات جديدة وصحيحة بخصوص هذا الموضوع وبإعطاء تعليمات صارمة من اجل تجنب مثل هذه الالتباسات.)).[1]

وفي إطار التحقيق حول مقتل الأب ريتشاردRichard راسل الأب كار مابون Kermabon من غدامس بليبيا رسالة إلى أعيان الشعانبة بورقلة وهم : قايد بن البساطي، احمد بن احمد، محمد بن المنصور،أحميدة بن بلخير، علي بن عمر، جاء فيها ما يلي[2] :

((يشرفني أن أعلمكم بان الخليفة بن سعد قد التقى السايح ورفاقه، وكذا رفاق السيد ريتشارد ثلاثة أيام بعد الأحداث، وأثناء اللقاء قام أهالي غدامس بمسائلة الخليفة وذلك لمعرفة فيما إذا كان السايح له علاقة بالهجوم المنفذ بأوامر أولاد يونس، وللتأكد أيضا من شخصية السايح.وبالرغم من تأكيد الخليفة على عدم وجود أية صلة بهذا الهجوم فإن التوراق وصلوا مساءلتهم لسي السايح ومرافقيه، وعدم الاتفاق بين التوارق وأهالي غدامس حول مصير الأهالي المحليين، وبفضل وجود الخليفة استطاعوا الفرار من الموت، وهم حاليا يعيشون في آمان ، أما بالنسبة للشعانبة فلن يجدوا أبدا الأمن والسلام عندنا في غدامس وناس التوارق.إن الخليفة هو دائما بجانبكم لمساعدتكم، ولكنكم لا تريدون

[1] Ou sujet de la assassinat du père Richard, C.D.A.W.O, B 320, N°14

[2] ينظر الملحق رقم 8.

الاعتراف بالجميل، أما في حالة عدم وجوده لم تكونوا لتعرفو سي السايح ولا الآخرين ، وهذا الكلام الأخير ما هو إلا تصريحات للشعانبة من طرف آباء غدامس.

غدامس:31 ديسمبر 1881.إمضاء: كار مابون.....................)).[1]

ولقد كان لمركزية ورقلة أربعة قساوسة، كما كانت تملك دارا للأيتام، ومدرسة يتردد عليها حوالي 70 تلميذا وعدد من الكبار، وكان لها أيضا مصحة استشفائية وورشة للنسيج وأخرى للنجارة، ومنشأة للاسمنت، وقد تطورت المركزية مع الأيام فأصبح لها ندوات أسبوعية وسينمائية للتعليم والتوجيه والترفيه، وكان القساوسة يملكون في الناحية النخيل والغابات،وقد حفروا بوسائلهم بئرا ارتوازية تمد منطقة ورقلة بالماء الصالح للشرب، واخذوا يتوسعون فحصلوا على امتياز في بامنديل لغراسة النخيل وحفر الآبار، وقد كانت الإدارة الفرنسية تحميهم وتمدهم بالمساعدات مقابل تقديم معلومات استخباراتية عن القوافل التجارية والزوار وغير ذلك من التحركات في المنطقة ،ومعرفة أنماط تفكيرهم وعلاقاتهم الاجتماعية حتى تسهل السيطرة عليهم.[2]

أما الأخوات البيض فقد أنشأن في ورقلة أيضا مشاريع لجلب النساء والتغلغل في المجتمع الصحراوي، وحيث أنشان سنة 1923م ورشة تأوي 200 تلميذة لنسيج الزرابي والبرانس والمخدات من الصوف والوبر[3]، وكانت لهذه الزرابي سمعة تجارية رائجة في خارج الحدود الجزائرية.وفي عام 1931م كان رئيس المركز الكاثوليكي في ورقلة" الأب روبان"[4]ولم يترك المنصّرون وسيلة مهما كانت إلا واستغلوها أحسن استغلال لتحقيق أغراضهم، وتراوحت أساليبهم بين الإغراء والشدة، واللّين والقسوة، فمن الأساليب الرومانسية الساحرة إلى الأساليب التدميرية الجهنمية، حيث سخرت القوى

[1] C.D.A.W.O, B 320 ,N° 06

[2] سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**،المرجع السابق،ج6،ص130

[3] J.C.Humbert, L’œuvre…,Op.Cit,p38

[4] سعد الله،المرجع نفسه، ص131

الاستعمارية للتنصير الطلاب والمدرِّسين والأساتذة الجامعيين ورجال الدين والرحالة والمكتشفين والنساء الجميلات والمهنيين والمهنيات، ولم تدع أحداً يقدر على خدمة أغراضها إلا واستخدمته أو حاولت استخدامه.

ثانيا/ وسائل وأساليب التنصير:يمكننا حصر أهم الوسائل التي استخدمها المنصّرون لتنصير في ورقلة فيما يلي:

أ – إقامة المصحات والمستشفيات: استغل المنصرون العمل الطبي لتحقيق غاياتهم الدنيئة والخسيسة بالتقرب من المرضى خاصة وأنهم في حالة ضعف لا يقدرون على التفطن لهذه السياسة الخبيثة، ولا أدل على ذلك قولهم " حيث تجد البشر تجد آلاما، وحيث يكون الألم تكون الحاجة إلى طبيب، وهناك تكون الفرصة للتنصير".ففي سنة1895م قدم الآباء البيض بورقلة حوالي 12000 علاج للمرض الأهالي.[1]

ب – التعـــليم : يعتقد النصارى أن المدارس والكليات التي تشرف عليها الإرساليات في جميع البلدان تهدف إلى تمرير رسالة المسيح،وبالتالي لابد من غرس هذا الفكر النصراني في الأطفال الصغار قبل بلوغهم حتى يسهل التحكم فيهم.فضلا عن تأليف الكتب والمجلات، والنوادي الثقافية والترفيهية. ففي احتفالية من الاحتفالات الدينية المسيحية بورقلة سنة 1938م علقت الصلبان في رقاب أبناء وبنات المسلمين من طرف القائمين على الكنيسة بالمدارس الحكومية وجعلهم يتنقلون في مسيرة احتفالية أمام مرأى عامة الناس مما جعل البعض يتعض من الحادثة دون اتخاذ أي موقف إزاء هذه الظاهرة.[2]

ج – المساعدات الاجتماعية: لقد استغل المنصّرون الاستعماريون الظروف الاجتماعية الصعبة التي مر بها الشعب الجزائري لتمرير عملهم التنصيري كالفقر والجوع والأمراض

---

[1] دوني بيلي ، المرجع السابق ، ص32

[2] جريدة الوفاق، ع3، س1، وهران يوم الثلاثاء 5 أفريل 1938م

والحروب ، زيادة على المناسبات الدينية الخاصة بالفرنسيين مثل أعياد الميلاد حيث يقدمون الهدايا والمساعدات بسخاء،ففي عام 1931م قامت الأخوات البيض بانجاز بئر لشرب المياه وخزان طاقته 20م ، وفي سنة 1946م أنشا الآباء البيض مركز للتكوين الفلاحي والصناعات التقليدية.[1]

ثالثا / ردود الفعل الشعبية على سياسة التنصير: لقد عارض الجزائريون حركة التنصيرية منذ البداية ،ورأوها خطرا على هويتهم ودينهم، فقد تحصنوا أولا في بيوتهم فلم يرسلوا أولادهم إلى مدارس الإدارة الفرنسية خوفا عليهم من التنصير والفرنّسة المتلازمين واحتجوا على تحويل المساجد إلى كنائس، وربما كل الثورات الشعبية التي جاءت بعد سنة 1870 ابرز دوافعها نشاط الحركة التنصيرية وتحديها المباشر لمشاعر المسلمين.كما لعبت الزوايا والطرق الصوفية دورا بارزا في محاربة التنصير،وذلك عن طريق تنبيه الغافلين ووعظ وإرشاد الناس، بل وصل الأمر إلى حد استخدام العنف ضد القساوسة، والتخلص من بعضهم جسديا مثلما حدث في الصحراء عندما قتل شارل دو فوكو Charles de foucouldt [2]، وحينما ظهرت جمعية العلماء المسلمين سخرت كل وسائلها المتاحة لمحاربة التنصير من تأسيس المدارس الحرة للتعليم العربي والكتابة في الصحف وإقامة الدروس في المساجد، و المحاضرات في النوادي الثقافية لكشف مخططات المنصيرين، ومن المواقف التي سجلها التاريخ لجمعية العلماء مهاجمة جريدة الشريعة، لما قام به الآباء البيض يوم 23 ماي 1933م حين استعرضوا المتنصرين الجزائريين بلباسهم المحلي وسط العاصمة ومعظمهم كانوا من أطفال العائلات الفقيرة.[3]

---

[1] دوني بيلي ، المرجع السابق ، ص68

[2] شارل دو فوكو من مواليد 1858م بستراسبورغ، دخل الجيش الفرنسي الإفريقي وترقى إلى رتبة ملازم أول بالمدرسة العسكرية سان سير، عمل في عدة أنحاء من الجزائر كتلمسان وعنابة وسطيف، ودرس اللغة العربية، وتعرف على مسالك الصحراء الجزائرية وسكانها مبكرا، ومنذ سنة 1897م بدأ ينسق نشاطه التنصيري مع رجال لافيجري في الصحراء، وكان هذا سببا كافيا وراء قتله من طرف احد مرابطي الحركة السنوسية سنة 1916م

[3] سعد الله،**تاريخ الجزائر الثقافي**،ج6، المرجع السابق، ص140..

وعلى مستوى منطقة ورقلة فنلاحظ أن الحركة التنصيرية قد أثرت كثيرا على بعض الشباب ، بدليل أن الشيخ محمد خيرالدين ذكر بأنه في أواخر 1934م تلقى دعوة مستعجلة من الشيخ عبد الحميد بن باديس عن طريق رسالة، قائلاً : " ..سلمني رسالة وصلت إليه من رئيس شعبة جمعية العلماء بورقلة السيد إبراهيم بعرة يستغيث بالجمعية ويحثه على الإسراع قبل فوات الأوان للدفاع عن الإسلام وحماية المصلحين وأبنائهم يقول فيها: إن الحاكم قد خول السلطة لقساوسة الآباء البيض في منع المسلمين من الصلاة في المسجد، ونقل التلاميذ من المدارس القرآنية إلى مراكز التبشير بإشراف رجل جزائري يدعى يوسف صالح كان يعلّم أبناء المسلمين في الكتاتيب القرآنية حسب العادة المتبعة ، ثم تنصّر وصار يدعى(جوزيف الأعور)،وكلفه القساوسة بتنشئة التلاميذ على الدين المسيحي ، وتلقينهم الأناشيد الدينية المسحية.. طلب مني الرئيس ابن باديس السفر فورا إلى ورقلة، والاتصال بالشعبة هناك وكتابة تقرير مفصل عن الأوضاع كما هي، حتى يتسنى للجمعية أن تقوم بواجبها في الاتصال بالمسؤولين في العاصمة وخارجها، وبالصحافة الوطنية والأجنبية لكي تقاوم هذه الظاهرة الخطيرة بكل ما تستطيع من وسائل وتحول دون انتشارها.

قلت له: إنك تعلم بالقرار الذي أصدره الوالي العام في الجزائر منذ سنة الذي يقضي بمنع أعضاء جمعية العلماء من الدخول إلى الصحراء.

فأجابني: يجب أن تصل إلى عين المكان، ودعهم يردونك تحت الحراسة مقيدا بالأغلال.ـــ ثم يقول بعد تفاصيل الرحلة ـــ وبعد مغادرتي السيارة.. سألني الشرطي: من أين أتيت؟قلت من بسكرة فقال: اتبعني لمقابلة الحاكم فقلت له: إنني جئت لزيارة صديقي (الأب جوزيف) رئيس الآباء البيض "شارل دوفوكو" فقال لي: أصديقك (الأب جوزيف) قلت نعم. (ولم يوضح الشيخ إن كان جوزيف المقصود هو أب أم هو معلم القرآن المزعوم).

قال: اسمح لي إذن يا سيدي وامض إلى مقصدك، فحمدت الله الذي ألهمني إلى هذه الحيلة ودخلت المدينة، واتصلت برئيس الشعبة فيها، وتجولنا سوية في المدينة فرأيت

المساجد خالية من المصلين والكتاتيب معطلة، ومر بي على مركز المبشرين وكنائسهم لنرى ونسمع كيف يلقنون المئات من أبناء المسلمين مبادئ الدين المسيحي في فضاء واسع يلتفون وقوفا حول رجل أسود يلقي عليهم الكلمة فيرددونها بأصوات شجية في حماس،وكان هذا الرجل هو الذي ذكرته آنفا استغله المبشرون للطعن في الإسلام بإيهام البسطاء: إن هذا الرجل الذي كان يعلم أبناءهم في الكتاتيب القرآنية قد اختار المسيحية وترك دين المسلمين.

وبعد كلام يقول: طلبت من رئيس الشعبة بتلك الناحية أن يهيئ لي اجتماعا مع أعضاء الشعبة في داره ليلا وتم الاجتماع، وحصلت معهم على ما أحتاجه من المعلومات وأعدت تنظيم صفوفهم.. ثم يقول بعد تقديم تقريره للرئيس ابن باديس: فبادر رحمه الله إلى رفع الاحتجاجات إلى الدوائر الرسمية في الجزائر وفرنسا والصحافة المحلية والأجنبية، وكان لهذا العمل صدى عميقا في شتى الأوساط، وتحققت نتائج إيجابية، حيث توقف المد الصليبي في هذه الجهة وعاد المسلمون إلى صلواتهم في مساجدهم، وعاد أبناؤهم إلى الكتاتيب القرآنية يلهجون بالقرآن ترتفع حناجرهم بترديد آيات الله.."[1].

المبحث الرابع: السياسة التعليمية والقضائية

أولا/ السياسة التعليمية:

1- التعليم العربي :

من المتعارف عليه تاريخيا أنه بعد احتلال فرنسا للجزائر سنة 1830م عملت السلطة الاستعمارية على مصادرة الأوقاف وتحويل المساجد إلى كنائس، ومحاربة الزوايا والطرق الصوفية ، بهدف القضاء على التعليم القرآني وتعويضيه تدرجيا بالتعليم الفرنسي الأكثر علمية، وذلك بإنشاء تعليم مزدوج خاص بالجزائريين تدرس فيه اللغة العربية على أن تكون اللغة الفرنسية هي اللغة الأساسية ابتداءً من عام 1850م.

---

[1] محمد خير الدين ، **مذكرات**، الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتاب، ج1، بدون طبعة، ص272.

وعليه عملت السلطة الاستعمارية كل ما في وسعها لإهمال التعليم العربي الإسلامي وتطوير التعليم الفرنسي في الجزائر، وكل هذا يدخل في إطار سياسة دمنجة وفرنسة الشعب الجزائري، لذلك عملت على إدخال أملاك الأوقاف في أملاك الدولة الفرنسية، حتى لا تصرف منها رواتب المعلمين والمؤدبين، زيادة على تهجير العلماء ، وتشتيت شمل المعلمين والمتعلمين.

وعلى الرغم من ذلك فإن بعض الزوايا في مناطق الجنوب استمرت في دورها التعليمي الذي اقتصر على تحفيظ القران الكريم، وبعض الدروس في العلوم الشرعية والفقهية.وتعتبر منطقة ورقلة من المناطق الجنوبية التي شهدت نشاط الزوايا التعليمي ، وفي مقدمتها فرع الزاوية التجانية بتماسين، وفرع الزاوية القادرية بالرويسات،وزاوية سيدي خويلد، وزاوية سيدي بلخير بالشط.

فالزاوية التجانية بتماسين قد مارست التعليم على خلاف التعليم بالطريقة التي سارت عليها الزوايا الأخرى ، إذ أنها تبنت تعليما خاصا بأبناء الزاوية أنفسهم بدلا من التعليم الشعبي المفتوح.[1] وبطبعة الحال هذا لا يعني أنها لم تقدم شيئا للتعليم الجزائري ، بل كان لها دور عظيم في بناء الثقافة الجزائرية والمحافظة على القيم الإسلامية والروح العربية وتوطيد الصلة الثقافة بين علماء تونس وأهل واحات تقرت[2].أما زاوية سيدي خويلد التي كان يقصدها الغني والفقير والقوي والضعيف، فقد كان بها مدرسة للتعليم القرآني وعلوم الدين ، بمجموع 30 طالبا.[3]

كما تجدر الإشارة هنا أن التعليم لم يقتصر على الزوايا، بل حتى المساجد لعبت دورا كبيرا في تنوير العقول بكلام الله وتحفيظه للصبيان،فقد ذكر دوماس Daumas أنه

---

[1] سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 3،المرجع السابق ، ص 226

[2] العوامر ، المصدر السابق ، 32

[3] بن يوسف تلمساني ،المرجع السابق،ص292

سنة 1842م احتوت ورقلة على ثلاثة مساجد[1] ، بينما تقرير فرنسي لسنة 1842م ذكر أن عدد المساجد بلغ 13 مسجدا، منها 12 مالكي، ومسجد واحد إباضي[2]، ليرتفع عددها أواخر القرن التاسع عشر الميلادي إلى 31 مسجد بين مالكي وإباضي، والجدول التالي يبن ذلك[3] :

جدول رقم (22): عدد المساجد بورقلة خلال القرن 19م

	مساجد الإباضية	مساجد المالكية
	مسجد أبي حضور	مسجد المالكية الكبير
	المسجد الكبير (لآلة عزة)	مسجد سيدي صالح بن أبي يعقوب
	مسجد أبي سعيد	مسجد سيدي منصور
	مسجد أبي سهل	مسجد سيدي بعافو
	مسجد أبي ربيع	مسجد السنوسي
	مسجد أبي يزير	مسجد علي موكة
	مسجد مولاي براهيم	مسجد بهداج
	مسجد السيخ الصالح	مسجد ابي الشاب
	مسجد أبي يعقوب	مسجد الزاوية القادرية
	مسجد أبي عزيز	مسجد سيدي عبد القادر
	مسجد أبي إسحاق	مسجد الخواص
	مسجد سدراتة	مسجد عزي
	مسجد سيدي الناس	مسجد عمار
	مسجد التوبة	مسجد سيدي الحفيان

[1] Daumas, Op.Cit,pp 72-80

[2] بن يوسف تلمساني، المرجع السابق،ص ص: 287-288

[3] أعزام ، المصدر السابق ، ص ص: 117-133.

	مسجد أبي عزاب	مسجد الشيخ بن عانو
	/	مسجد لالة باهية
المجموع	15	16

وإذا كان عدد المساجد واحد وثلاثون ، فان عدد المدارس القرآنية سكون حتما واحد وثلاثون مدرسة قرآنية ، غير أننا لا يمكن معرفة عدد الطلبة في كل مسجد ، وهذا طبعا مرتبط بعدد سكان الحي الذي يتواجد فيه المسجد ، وفيما يخص طريقة التعليم القرآني في المدارس القرآنية بالمساجد تقليدية مثلها المتبعة في المساجد أخرى من مناطق الجنوب ،ففي ورقلة لم يبلغ الطفل أربعة سنوات من عمره يتم ادخلاه إلى المدرسة القرآنية التابعة للمساجد أو لمنزل احد معلمي القران الكريم في القرية، وفي بعض الحالات نجد العائلات الثرية تستدعي معلم القران إلى ديارها لتعليم أبنائها.[1]

كما أنه كان هناك تقليد خاص بالطلبة النجباء، حيث يتم إرسالهم إلى جامع لآلا ملكية لاستكمال دراستهم ولتدريبهم على عملية التدريس ليتخرجوا فيما بعد معلمي قرآن، وفي ذات السياق كان الطالب الجديد لما يدخل إلى جامع لآلا ملكية يرمون فوق رأسه حزمة من أقلام القصب التي تستخدم للكتابة على الألواح،وبعدها يتسابق الطلبة الآخرين عليها لأخذها واستخدامها في الكتابة.[2]

وكان تأثيث هذه المدارس القرآنية محليا بسيطا،حيث يجلس الأطفال على حصائر مصنوعة من نبات "السمار" أو أفرشة مصنوعة من بقايا القماش، ولكل طالب لوح من الخشب[3]، هذا بالإضافة إلى الطين الذي يمحى به اللوح بعد حفظ ما به من آيات قرآنية

[1] P.Passager, Op.Cit, p126

[2] Ibid, p126

[3] Ahmed Nadjah , **Le Souf des Oasis**, Edition de La maison des Livres, Alger, 1971, p108.

، أما أدوات الكتابة فتشمل دواة السّمق[1] وقلما مبريا من قصب الدّيس،كما يفرض على كل طالب امتلاك نسخة من المصحف تحفظ في " مخلاة " صغيرة الحجم مصنوعة من الصوف أو الكتان ، أما المؤدب أو المعلم فيسمى " الطالب" أو " أنعم سيدي" أو " عريفي" ، وهو شخص متطوع ، تكون أجرته من أموال الناس[2]،أو مما يقدمه الأطفال عند مناسبات مرتبطة بالتعليم ومراحله مثل " الفتوح[3]" أو "الختمة[4]". وكان تحفيظ القران في المدارس لا يتم إلاّ برخص يمنحها لهم الحاكم العسكري للمنطقة.[5]

2- التعليم الفرنسي :

لقد حضي التعليم الفرنسي في ورقلة باهتمام السلطة الاستعمارية في العقد الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي عقب زيارة لجنة مجلس الشيوخ الفرنسي للجزائر برئاسة جول فيري، حيث استمعت هذه اللجنة لشكاوي الجزائريين وطالبوا بإلحاح كبير على تعليم أبنائهم لغتهم العربية ودينهم الإسلامي.وعليه عملت السلطة الاستعمارية على تنفيذ توصيات اللجنة، حيث رصدت أموال كبيرة لنناء مدارس ابتدائية في الجزائر.وشهدت ورقلة سنة 1891م أول تجربة بناء مدرسة عمومية حينما حاول عسكري فرنسي بناء مدرسة ومسكن للمعلم في الجهة الجنوبية لقصبة ورقلة، غير أن البداية الفعلية لتأسيس أول مدرسة رسمية كان سنة 1898م، والتي سجل فيها حوالي 50 تلميذا.[6]

[1] هي علبة يوضع فيها الصمغ المحروق مع طحنه ثم توضع كمية منه في قاع دواة مع شيء من الصوف والماء، فيصير مدادا للكتابة

[2] سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي** ،ج3 ، المرجع السابق ، ص 224

[3] " الفتوح " عادة يكون من التمر أو الطعام الذي يحمل إلى الكتّاب عند دخول الطفل أول مرة للكتاب.

[4] " الختمة " وهي ختمة جزء من القرآن أو حزب منه وجعلت لها صورة ثابتة

[5] سعد الله ،المرجع نفسه ، ص 51

[6] دوني بيلي ، المرجع السابق ، ص29

وفي سنة 1900م لجاء الفرنسيون إلى إنشاء ما سموه بالمدارس الخاصة يعمل على تأطيرها الآباء البيض، حيث تم إنشاء مدرسة خاصة بورقلة، تضمنت 30 تلميذا، وفي هذا الصدد يمكن القول إنه بدل من أن تنشر السلطة الاستعمارية التعليم بين الجزائرين كما طالب به الأهالي، تركت الجزائريين لعبث الآباء البيض لتمرير مشروعهم التنصيري (التبشيري) ، وزيادة على ذلك أن الهدف من إنشاء هذه المدارس هو القضاء على اللغة العربية وفرنسة الجزائريين، وإبقائهم على جهلهم، وهذا ما صرح به الفرنسيون :" أن الهدف كان محو التعصب الديني والكراهية عن طريق التعليم بالفرنسية والحضارة والتقدم وذلك لا يكون إلا بإحداث لغة مشتركة في الجيل الصاعد، وتقريبه من الفرنسيين بتبنيه نفس الأفكار ونفس المصالح".[1]

وفي عام 1903م أصبحت المدرسة الخاصة بالآباء البيض تعطي دروسا لعدد من الراشدين بمعدل خمس مرات في الأسبوع، وكان عدد الطلبة يتراوح ما بين 40 إلى 50 تلميذ.[2]وفي عهد شارل جونار(1903-1913م) شهد التعليم في الجنوب تحسنا وتطورا ملحوظا، حيث ازداد عدد المدارس العمومية، وعدد التلاميذ، ففي سنة 1903م وصل عدد المدارس بالجنوب 29 مدرسة ابتدائية أهلية، ومدرستين خاصتين، بمجموع 47 قسم موزع بين البنين والبنات.[3]وقد شهدت ورقلة هذا التطور حيث تم ما بين 1908 و1909م افتتاح أول قسم حرفي للبنات،وفي عام 1910م تحصل الطالب صالح بوبكر على أول شهادة ابتدائية.[4]

وخلال الحرب العالمية الأولى شهد التعليم توقفا مؤقتا بسبب الحرب ولم يتم افتتاح أي قسم جديد، غير أنه عقب نهاية الحرب ، يذكر السيد رواد Rouède في تقريره حول

---

[1] سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي** ،ج3 ، المرجع السابق ، ص 330

[2] دوني بيلي ، المرجع السابق ، ص 33.

[3] G.Soubiron, Op.Cit, p151

[4] دوني بيلي ، المرجع نفسه، ص 41.

حالة التعليم في ورقلة ، أن التعليم بصفة عامة كان متقدم بالرغم من العطل الطويلة والحرارة الشديدة، وحضور الطلبة إلى المدارس كان دائما منتظم باستثناء مدرسة واحدة في قرية تبسبست خلال سنة 1920م بسبب لامبالاة أستاذ المدرسة[1].ويذكر التقرير أيضا أن المدارس الحضرية بالرويسات ونقوسة كانت بتعداد جيد، وهذا بفضل عمل السيد ريسكنيار Rescanières،وفيما يخص التجهيزات المدرسية فهي في حالة جيدة باستثناء مدرسة واحدة في تقرت، ومدرسة للبنات بورقلة، وبناء على هذه الوضعية سيتم استحداث مستقبلا مدرسة في الشط بورقلة[2].وفي عام 1930م زار الحاكم العام بالجزائر السيد بوردس Bourdes ورقلة، وقام بتدشين المجموعة المدرسية الجديدة، حيث افتتح بها قسم ثالث للذكور، وقسم ثاني للبنات، كما زار مساكن للمعلمين.[3]

بعد هذه الزيارة الحكومية لم يتم فتح أية مدرسة جديدة بسبب الحرب العالمية الثانية، إلى غاية سنة 1947م عندما صدر قانون 20 سبتمبر أو ما يعرف بالقانون الأساسي الذي ينص على ضرورة التعليم بالعربية، وجعل اللغة العربية لغة رسمية، وفي هذا الإطار تم افتتاح ما بين 1947و 1951م أربعة أقسام للذكور،ليصل عدد التلاميذ إلى 351 تلميذ ،من بينهم 291 جزائري موزعين على سبعة أقسام، بمعدل 50 تلميذ في القسم الواحد، باستثناء قسم في الرويسات بـــ 43 تلميذ، وقسم في انقوسة بـــ53 تلميذ.[4]

[1] M.Rouède, **Rapport sur la situation de l'enseignement primaire dans le département de Constantine**, imprimeur-Libraire-Editeur, Constantine, 1922, p26

[2] M.Rouède, Op.Cit, p26.

[3] دوني بيلي، المرجع السابق، ص 56

[4] المرجع نفسه، ص 77.

جدول رقم(23): تطور حركة التعليم في المدارس العمومية بورقلة (1898–1951م)[1]

السنوات	عدد التلاميذ	عدد الأقسام
1898	50	1
1924	75	2
1951	351	9
المجموع	476	12

جدول رقم(24): تطور حركة التعليم في المدارس الخاصة بالآباء البيض بورقلة (1900–1951م)[2]

السنوات	عدد التلاميذ	عدد الاقسام
1900	30	1
1903	50	1
1950	137	4
1951	203	6
المجموع	420	12

ثانيا / السياسة القضائية :

في إطار السياسة التعسفية المسلطة على الجزائريين من طرف الحكام والقياد والمتصرفين الإداريين، حاولت السلطة الاستعمارية إنهاء العمل بالقوانين الجزائرية وفقا للشريعة الإسلامية ، والعمل بالقوانين الفرنسية لتحقيق العدالة الاجتماعية، على الرغم

---

[1] المرجع نفسه ، ص ص: 29-79

[2] دوني بيلي، المرجع السابق،ص ص: 29- 79.

من رفض الجزائريين التخلي عن القوانين الإسلامية، هذا فيما يخص المناطق التلية (الشمال)، أما الجنوب فقد بقي القضاء على طبيعته التقليدية الذي يعتمد على الفقهاء وأهل العلم يفصلون في القضايا الهامة والنزعات المختلفة ، هذا بالإضافة لدور شيوخ القبائل والاعراش في فض النزاعات والخصومات، وذلك بعدما يتم تشكيل مجلس قضائي متكون من شخصيات مشهود لها بالورع والتقوى والكفاءة في الحكم بالعدل.ومع بداية القرن العشرين شهد القضاء بالجنوب تغيرا وتطورا، وذلك في إطار تنظيم أقاليم الجنوب وفق مرسوم 24 ديسمبر 1902م، حيث شهد إنشاء محاكم مدنية خاصة بالفرنسيين والأجانب ومحاكم عسكرية خاصة بالأهالي.[1]

وفيما يخص ورقلة قبل تنظيم الشؤون القضائية من طرف السلطة الفرنسية، كان القضاء يعتمد على السلطان الذي يمتثل مختلف أعراش ورقلة، وهي التي تختار السلطان في إطار مجلس جماعي يتكون من إثنة عشر عضو، ويعتبر هذا المجلس السلطان بمثابة القاضي الأساسي في استصدار الأحكام،ويتعين على كل الاعراش احترام أحكامه وتطبيقها وفقا لعادات وتقاليد المنطقة، ومن الأمثلة على بعض القضايا القضائية، نجد يتم الحكم على السارق بتعليقة في عمود،مع الجلد في مكان عام،وفي ما يخص قضايا الخيانة الزوجية بالنسبة للمرأة، فإنها تتعرض لأقصى عقوبة بحكم العادات، ويتم نبذها من طرف زوجها، ومن أشهر قضاة ورقلة خلال القرن التاسع عشر الشيخ "محمد وليد سيدي عطاالله" ، الذي عرف بعدله وحكمته في تصريف الأحكام.[2]

وخلال الثمانيات حينما استقر الفرنسيون نهائيا بورقلة، أنشأت السلطة الاستعمارية في 8 مارس 1888م أول محكمة عسكرية تنظر في قضايا الأهالي، وكانت هذه المحكمة تتكون من قاضي عسكري الذي هو رئيس المركز أو الإقليم، وباش عدل، وعدلين (مفردها عدل) بمثابة الشهود على إجراءات وأعمال القاضي

[1] M.Steeg, Op.Cit, p408
[2] Daumas ,Op.Cit, p 76- 77.

سواء في الأحكام أو توثيق العقود بين الناس، هذا بالإضافة إلى أعوان مساعدين من مثل (شاوس) يسهر على الانضباط في قاعة المحكمة ، والوكيل (ممثل الدفاع)، زيادة على محضر قضائي (اللّوسي) يسهر على تبليغ أحكام القاضي إلى الأشخاص المعنيين بجلسات المحاكمة[1]. وتجدر الإشارة إلى أن تكاليف إجراءات المحاكمة في القضايا البسيطة لا تتعدى 300 فرنك، أما تكاليف القضايا الصعبة والمعقدة فهي تصل إلى 600فرنك.[2]

وعقب تأسيس ملحقة ورقلة سنة 1902م تم إنشاء محكمتين بورقلة واحدة مالكية والأخرى إباضية، وأصبح الأوربيون القاطنين بالجنوب بما فيها ورقلة يخضعون للمحاكم العادية، بينما الأهالي يحاكمون عن طريق المجالس العسكرية بقسنطينة وباتنة، وفي حالة ارتكاب مخالفات تصنف في خانة الجنح البسيطة، فإن عرضها يتم أمام لجان تأديبية محلية، لا تنفذ قراراتها إلا بعد مصادقة الحاكم العام عليها. ويعتبر رئيس الملحقة بمثابة القاضي الذي يرتبط أساسا بمحكمة باتنة بمقتضى قرار جويلية 1887م، وكذلك الشأن بالنسبة لضباط الشؤون الأهلية بالملحقة الذين لهم دور المساعدين لوكيل الجمهورية بباتنة.

وحسب إحصائيات سنة 1915م بورقلة فقد تم رفع ثلاث حالات جنحة إلى المجلس العسكري بباتنة، الأوليتين تمثلا في القتل بالضرب والجرح، والثانية تمثلت في توزيع المخدرات على الشباب[3]،كما تم إحالة سبعة جنح إلى اللجنة التأديبية بتهمة الاختلاس ، وجنحة واحدة بتهمة التمرد والعصيان.[4]

[1] M.Steeg, Op.Cit, pp410-411
[2] Ibid, p 407
[3] Ch.Lutaud, Op.Cit, p160
[4] Ibid, p161

جدول رقم (25): الجنح والغرامات بأحكام مباشرة من السلطة المحلية بورقلة[1]

الملحقة	الأخطار	الشتم من أعوان القياد	تشرد	فضائح	احتجاجات كاذبة	السرقة
ورقلة	36	2	14	3	3	121

وللإشارة فإن المجالس التأديبية المحلية تتكون من الحاكم الأعلى أو قائد الملحقة رئيسا، والقاضي ، وضابط غالبا ما يكون برتبة نقيب[2]،وبعد صدور الأحكام المتمثلة اغلبها في شهرين حبسا مع دفع غرامة مالية مقدرة بـــ200 فرنك، يوضع المحكوم عليهم في السجن البلدي بورقلة، والأحكام المتعلقة بالمجالس العسكرية فيوضع أصحابها بسجن الكدية بقسنطينة أو سجن لومباز بباتنة ، وحسب تقرير النقيب هايس Hays رئيس ملحقة ورقلة ، فقد تم رفع حالتين إلى وكيل الجمهورية بباتنة سنة 1949م، الحالة الأولى بسبب سرقة مجموعة من الإبل، والحالة الثانية بسبب الضرب والجرح[3]،ويذكر تقرير فرنسي حول معدل الجرائم والمخالفات الأهلية في الجنوب سنة 1913م، أنه تم إحالة 82 قضية على المجلس العسكري، و136 قضية على المجالس التأديبية، و4371 قضية حول الغرامات المالية التي دفعت بسبب المخالفات مباشرة إلى حاكم الملحقة.[4]

وفيما يخص وضعية المساجين في مختلف سجون مناطق الجنوب (ورقلة، الوادي، تقرت، بسكرة، الاغواط) فهم يعانون معاناة كبيرة متشابهة، يعاملون باحتقار

---

[1] Ibid, p162
[2] M.Steeg, Op.Cit, p 416
[3] Rapport mensuel , Dossiers de P.J. transmis au procureur de Batna, C.D.A.W.O, B 410
[4] M.Steeg, Op.Cit, p 418

وازدراء، ويشغلون صباحا ومساءا ، فالبعض يشغل في بساتين العساكر والحكام، والبعض الآخر يدير الآلات التي تخرج الماء من الآبار، وفي منتصف النهار يرجعون إلى السجن ويتسلم كل منهم قوته الذي يتألف من رطل ونصف من خبز الفرينة الرديئة ورطل من تمر تقرت والجزء العشرين من ليترة الزيت كل هذا للغذاء والعشاء. وبعد الغذاء يخرجون عند الساعة الأولى بعد الزوال إلى عملهم كالعادة حتى الساعة السادسة فيعودون للسجن وتغلق خلفهم الأبواب ويجلسون للاستراحة. وبعد أكلهم العشاء وأدائهم العشاء، وهكذا دواليك .[1]

جدول رقم (26): بعض المحبوسين بالسجن البلدي بورقلة سنة 1949[2]

الاسم واللقب	التهمة	تاريخ الاعتقال
لعور بشير	السرقة	1949/3/10
قدوري احمد	السرقة	1949/3/10
بن منصور احمد	السرقة	1949/5/12
ماضوي علي	السرقة	1949/5/18
بن تسليب براهيم	السرقة	1949/6/6

خلاصة الفصل:

ما من شك في نهاية هذا الفصل نخلص إلى أن السياسة الاستعمارية بورقلة قد أفرزت جملة من التحولات الإدارية والاقتصادية والاجتماعية ، والتي كان لها الأثر البالغ على المجتمع الورقلي، وهذا تطبيقا للسياسة الاستعمارية المفروضة على المناطق

[1] البصائر، ع 167، السنة الرابعة، الجمعة 26 ماي 1939 م

[2] Rapport mensuel , Etat des musulmans détenus à la geôle municipale, C.D.A.W.O, B 410

الصحراوية ، والتي لخصها الدكتور جمال قنان في قوله التالي :"إحكام القيد على هذه المنطقة، والعمل على إماتتها ببطئ، مستخدمة في ذلك سياستها المفضلة التي اختبرت فعاليتها في الجزء الشمالي من البلاد وبشكل أكثر قوة وعنف، والمتمثل في الإرهاب والقهر والطغيان بجميع أشكاله وصوره".[1]

ويمكننا القول إداريا أن السلطة الاستعمارية فرضت سياسية إدارية تضمن بها الاستقرار للفرنسيين في المنطقة، والتحكم والسيطرة في افردها بتعين قياد وباشاغوات يقمعون الأهالي بدون وازع ولا رقابة من أي كان، إلى جانب ما يمارسونه من قمع بوليسي، كما أن قانون 24 ديسمبر 1902م جعل ورقلة ثكنة عسكرية يخضع من بداخلها إلى قوانين عسكرية صارمة مثلها مثل بقية المناطق الصحراوية الأخرى، فكل حركة تنقل تخضع لترخيص أو تصريح.

واقتصاديا تراجعت التجارة الصحراوية بسبب تغير مسارات القوافل التجارية إلى مسارات أخرى بعيدا عن أعين الفرنسيين وقطاع الطرق، مما افقد ورقلة مكانتها التجارية، وفقدها لمتوجاتها التقليدية (كالتمور والمنسوجات) أسواقها التجارية لصالح المنتوجات الأوروبية، أضف إلى ذلك أن فقدان ورقلة لمكانتها الاقتصادية بين الحواضر الصحراوية أدي بها إلى قطع الروابط التجارية بينها وبين بلاد السودان الغربي وبلاد جنوب الصحراء، زيادة على هذا نرى أن السلطة الاستعمارية كبلت وقيدت الأهالي بأنواع مختلفة من الضرائب المجحفة، بحيث لم تترك لأهالي ورقلة أية فرصة لتكوين أي شكل من أشكال الثروة الشخصية، هذا ناهيك عن اغتصاب الأراضي الزراعية، والاستيلاء على الآبار الارتوازية، خاصة بعدما أصدرت الولاية العامة في جويلية

---

[1] جمال قنان ،**قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**،الجزائر،منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1994،ص 151

1915م قانون ينص على عدم حفر أية بئر بالأراضي التي يمتلكها الأهالي إلا بعد الحصول على رخصة من الإدارة الاستعمارية.

أما اجتماعيا فقد انتشرت مظاهر البؤس والحرمان ولمجاعة نتيجة سنوات القحط والجفاف،وهجومات الجراد على المحاصيل الزراعية، مما نتج عنه تراجع كبير في إنتاج الحبوب، الأمر الذي دفع بالكثير من الورقليين خاصة البدو الرحل إلى الهجرة بحثا عن العمل والقوت لأنفسهم ولحيواناتهم،كما أن تدهور المستوى المعيشي قد أدى هو الآخر إلى التدهور في الحالة الصحية للفرد الورقلي بسب النمط الغذائي السيئ،وانتشار الأمراض المعدية والتي أدت بدورها إلى هلاك الكثير من الأشخاص،ويبدوا لنا أن تدهور الحالة الاجتماعية لسكان الصحراء بصفة هامة هو قصور المبادرة لدى السلطة الاستعمارية التي اتبعت في سياسة الأهالي سياسة الإهمال واللامبالاة وغض الطرف عنهم دون الاكتراث بتحسين مستواهم الاجتماعي والاقتصادي.وفي مجال التعليم نرى أن الإدارة الاستعمارية مارست نوعا من التميز العنصري بين أبناء الأوروبيين وأبناء الأهالي، وهي سياسة مقصودة الغرض منها القضاء على الهوية الوطنية، والحرص على عدم نشوء نخبة وطنية قد تهدد التواجد الفرنسي بالمنطقة، وهذا ما سنلاحظه في الفصل الآتي الذي يبن أن إرادة المجتمع الورقلي في الدفاع عن هويته ووطنيه أقوى بكثير من إرادة القمع والتسلط الاستعماريين.

الفصل الخامس
الثورة التحريرية في ورقلة 1954ـ 1962م

المبحث الأول:
الإرهاصات السياسية والعسكرية بورقلة قبل الثورة التحريرية

المبحث الثاني:
موقف سكان منطقة ورقلة من اندلاع الثورة التحريرية

المبحث الثالث:
مخابر التعذيب والاستنطاق الاستعمارية بورقلة

المبحث الأول:الإرهاصات السياسية والعسكرية بورقلة قبل الثورة التحريرية 1954م:

أولا/ مظاهر المقاومة الجزائرية ضد الاستعمار قبل اندلاع الثورة التحريرية:

لقد كان اندلاع الثورة التحريرية سنة 1954م نتيجة ترسبات تاريخية لنضال الشعب الجزائري مند 1830م،حيث هبّ الشعب الجزائري مند البدايات الأولى لعملية الغزو الفرنسي للجزائر منتفضا ورافعا لواء المقاومة مدافعا عن حريته وأرضه ومقدساته،رافضا كل أنواع الغطرسة والفرنَّسة والنصرنَّة والدمنَّجة، فكانت البداية مع الدَّاي حسين[1] لصد العدوان وعدم سقوط مدينة الجزائر في يد قوات الاحتلال الفرنسي، ثم انتشر مدٌّ المقاومة نحو الغرب حيث قاد الأمير عبد القادرة مقاومة شرسة ضد التوسع الفرنسي في هذه المنطقة، وفي الشرق ظهرت مقاومة الحاج أحمد باي، ليتسارع مدُّ المقاومات الشعبية في مختلف أرجاء القطر الجزائري يذودون عن دويهم ووطنهم مستبسلين في وجه الطغاة ،فظهر الشريف بوبغلة ولآلا فاطمة نسومر في منطقة القبائل، والشريف محمد بن عبد الله والشريف بشوشة وناصر بن شهرة في الجنوب الشرقي، والشيخ بوعمامة في الجنوب الغربي، ومقاومة أولاد سيدي الشيخ بنواحي البيض، ومقاومة المقراني والحداد بنواحي الشرق والهضاب العليا، ومقاومة الشيخ آمود بأقصى الجنوب الجزائري، واستمرت هذه المقاومات الشعبية إلى بداية القرن العشرين، غير أن هذه المقاومات فشلت بفعل تفاعل عدة عوامل،أهمها عدم التخطيط المحكم في مواجهة الاستعمار الفرنسي، وارتباط هذا المقـــاومات بزعمائها، زيادة على ذلك عدم توحـــدّها وعدم التنسيق فيما بينها جعلها

---

[1] هو حسين بن الحسن آخر دايات الجزائر،ولد في مدينة أزمير التركية حوالي عام 1773م،تلقى تكوينا خاصا ،وبعدها أرسل إلى القسطنطينية لمزاولة دراسته في مدرسة خاصة كجندي بسيط،بعدها تدرج في العسكرية من درجة جندي بسيط إلى متخصص في المدفعية ،وقد كان على دراية كبيرة بفنون الحرب كما اشتهر منذ صغره بميولاته الدينية فكان على قدر كبير من الثقافة الإسلامية كحفظه للقرآن والتزامه بأحكام الشريعة المحمدية، تولى الحكم في الجزائر بناء على وصية من الحاكم السابق عمر باشا قبل وفاته ، فتمت مبايعته من طرف الوزراء و الأعيان والعلماء والأشراف في 1 مارس 1818م،ليبقى في الحكم إلى غية احتلال الجزائر عام 1830م،من طرق الاستعمار الفرنسي،بعدها نفي إلى ايطاليا ومكث فيها مدة ثلاث سنوات مابين 1830م و1833م،وبعدها استقر نهائيا في الإسكندرية إلى أن وافته المنية عام 1838م.

سهلة القضاء عليها من طرف القوات الفرنسية،بالإضافة إلى وجود بعض الخيانات الداخلية في صفوف رجال المقاومة،دون أن ننسى الخلافات الشخصية بين المقاومين والتي كانت تغذيها الإدارة الاستعمارية بطرقها الخاصة.

وفي العقد الثاني من القرن العشرين ظهرت المقاومة الجزائرية بأسلوب جديد يختلف عن المرحلة الســـابقة[1]،عرف بأسلوب المقـــاومة السياسية[2] أو ما أطلق على تسميته في هذه الفترة بالحركة الوطنية الجزائرية والتي شملت مختلف الأحزاب السياسية والجمعيات الإصـــلاحية،حيث أخذت على عاتقها استرجـــاع السيادة الوطنية وتحقيق الاستقـــلال

---

[1] يمكننا حصر ظروف الانتقال من أسلوب المقاومة الشعبية إلى أسلوب المقاومة السياسية في النقاط التالية:

أولا /الداخلية: بروز نهضة فكرية وإعلامية بقيادة جماعة من المثقفين الجزائريين وكان من نتائجها بداية تبلور الوعي الوطني والقومي عن طريق الصحافة الوطنية المناضلة باللغتين العربية والفرنسية، بالإضافة إلى بروز النوادي والجمعيات الثقافية والتي شكلت المنابع الفكرية والنواة السياسية للحركة الوطنية.

ثانيا/ الخارجية: ظهور في العالم العربي والإسلامي بوادر نهضة إسلامية تحررية على يد كوكبة من المفكرين والعلماء المسلمين مثل: جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ومحمد رشيد رضا، وعبد العزيز الثعالبي،حيث كانوا يدعون إلى التحرير السياسي والتصدي للاستبداد والاستعمار، بالإضافة إلى احتكاك الجزائريين وخاصة المثقفين منهم بالعالمين العربي والإسلامي وبالعالم الأوروبي، وتأثرهم بالأحداث والتطورات، مما جعلهم يتعرفون على أنواع جديدة من الكفاح لم يستعملوها من قبل أو استعملوها في حدود ضيقة، مثل الثورة المهدية بالسودان سنة 1899م، والانقلاب العثماني سنة1908م، واحتلال ليبيا سنة 1911م، وفرض الحماية على المغرب سنة 1912م، زيادة على عامل الهجرة نحو أوروبا،خصوصا خلال الحرب العالمية الأولى،حيث جند الفرنسيون أعدادا كبيرة من الجزائريين وفتحوا لهم أبواب العمل في المصانع الحربية، ولقد شاهد هؤلاء المهاجرون نمط الحياة الفرنسية الرغيدة مما دفع بهم إلى محاولة تغيير لغة الخطاب مع الفرنسيين.

[2] أول من استعمل الأسلوب السياسي كشخص بعد أن سقطت العاصمة في أيدي القوات الفرنسية هو حمدان بن عثمان خوجة حيث تولى الدفاع عن المعاهدة المعقودة بين الدَّاي والفرنسيين، خاصة ما كان متعلقا باحترام الممتلكات والأعراض والشعائر الدينية، حيث دافع بلسانه وقلمه وماله واتصالاته المتعددة،وهو الذي تولى تقديم مذكرة بعنوان : "المـــرآة" إلى السلطات الفرنسية ،ينظر: حمدان بن عثمان خوجة ، **المرآة** ،تر: محمد العربي الزبيري، الجزائر،ش.و.ن.ت، 1975

بوسائل جديدة أكثر نجاعة،فكانت البداية مع حركة الشبان الجزائريين التي تأسست سنة 1892م،ثم حركة الأمير خالد[1] السياسية الإصلاحية سنة 1924م،ثم نجم شمال إفريقيا سنة 1926م بقيادة مصالي الحاج[2]،ثم ظهرت جمعية العلماء المسلمين سنة1931م برئاسة شيخها عبد الحميد بن باديس[3]، وفي سنة 1935م ظهر الحزب الشيوعي الجزائري،وما بين الحربين ظهر حزب الشعب الجزائري سنة 1937م،بعدما تم حل نجم شمال إفريقيا من

---

[1]ولد خالد الهاشمي بن عبد القادر (الأمير) يوم 20 فيفري 1875م بدمشق ،تلقّى تعليمه الأول بمسقط رأسه ودرس اللغتين العربية والفرنسية، واصل دراسته الثانوية بباريس بثانوية لويس الأكبر بعد أن عادت عائلته إلى الجزائر سنة.1892م،انضم إلى الكلية الحربية الفرنسية المعروفة بسان سير التي تخرّج منها عام.1897م،شارك مع الفرنسيين في حملات عسكرية ضد المغرب سنة 1907م ،وفي الحرب العالمية الأولى سن 1914م،بعدها انسحب من الجيش الفرنسي سنة 1919م واستقر بالجزائر، ليبدأ نشاطه السياسي ضد الفرنسيين على جبهتين الأولى: التصدّي لدعاة الإدماج والداعين إلى التجنّس بالجنسية الفرنسية، والثانية ضد غلاة المعمرين والنوّاب الفرنسيين، غير أن السلطة الاستعمارية وبسب نشاطه السياسي قامت بنفيه إلى القاهرة سنة 1923م،ثم انتقل إلى سوريا سنة 1926م ،وعلى الرغم محاولاته المتكررة للعودة إلى الجزائر إلاّ أن السلطات الفرنسية وقفت له بالمرصاد إلى غاية وفاته بدمشق بتاريخ 09 جانفي 1936م،

[2] هو أحمد بن مصالي الحاج ولد بمدينة تلمسان في 16 مايو 1898م،يعتبر احد زعماء السياسيين للحركة الوطنية الجزائرية ،بدا نشاطه السياسي سنة 1926م بتأسيس حزب نجم شمال إفريقيا الذي تحول إلى حزب الشعب الجزائري سنة 1937م،ثم إلى حركة انتصار الحريات الديمقراطية سنة 1946م وأخيرا حزب الحركة الوطنية الجزائرية،وبسب نشاطه السياسي وطالبته باستقلال الجزائر سجن مرات عديدة في فرنسا والجزائر، وتم نفيه إلى برازافيل عام 1945م،وعند اندلاع الثورة المسلحة في 1 نوفمبر 1954م كان موقف مصالي الحاج معارضا للكفاح المسلح متمسكا بالعمل السياسي،وفي هذا الإطار أسس عام 1954م حزب الحركة الوطنية الجزائرية الذي كان الحزب الوحيد الذي لم ينخرط في الثورة،وقد وضع مصالي الحاج في تلك الفترة تحت الإقامة الجبرية بأنغولا،ثم شارنت بفرنسا، وهناك توفي بالعاصمة الفرنسية باريس في 3 جوان 1974م، ودفن بمقبرة الشيخ السنوسي بمسقط رأسه.ينظر:

Benjamin Stora , **Messali Hadj (1898-1974),** L'Harmattan, Paris, 1986

[3] هو الإمام عبد الحميد بن باديس من مواليد 1889م بقسنطينة، يعتبر من رجالات الإصلاح في الوطن العربي ورائد النهضة الإسلامية في الجزائر، ومؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931م،حارب السياسة الاستعمارية الداعية إلى القضاء على الشخصية الإسلامية والهوية الوطنية، وظل على ذلك إلى أن وافته المنية في 16 أفريل 1940م، ترك العديد من المؤلفات الفكرية منها: مبادئ الأصول، العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية، مجالس التذكير،...وغيرها.

طرف الإدارة الاستعمارية،ولقد مثلث مختلف هذه التشكيلات ثلاثة اتجاهات وهم: الاتجاه الاستقلالي، والاتجاه الإدماجي، والاتجاه الإصلاحي.

وعلى الرغم من المجهودات النضالية التي بدلتها الحركة الوطنية الجزائرية لمواجهة السياسة الفرنسية، إلا أنها فشلت هي الأخرى في تحقيق طموحات الشعب الجزائري، خصوصا بعدما ارتكبت السلطة الاستعمارية مجازر دموية في 8 ماي 1945م،والتي راح ضحيتها أزيد من 45 ألف شهيد ، وبذلك اقتنع الشعب الجزائري أن أسلوب المقاومة السياسية لم يعد يجدي نفعا،وان السبيل الوحيد لاسترجاع السيادة الوطنية هو العمل العسكري المسلح،وعليه اخذ يتم التحضير للثورة المسلحة ضد الجيش الفرنسي، حيث تم تأسيس منضمة عسكرية خاصة سنة 1947م مهمتها التحضير والإعداد للثورة المسلحة.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك عوامل خارجية ساعدت على الإعداد لتفجير الثورة الجزائرية، ومنها ظهور حركات تحررية على المستوى الإفريقي والأسيوي،وظهور منظمات دولية تطالب الدول الاستعمارية بإعطاء حق تقرير مصير الشعوب المستعمرة، من خلال مبادئ ويلسون الأربعة عشر، وميثاق سان فرانسيسكو الداعي إلى تصفية الاستعمار 1945م، زيادة على انعكاسات الحرب العالمية الثانية ودورها في تغيير الفكر الوطني والقومي، بالإضافة إلى سقوط أسطورة الرجل الأوربي الذي لا يقهر بعدما تكبدت فرنسا هزيمة نكراء في معركة " ديان بيان فو" بالفيتنام سنة 1954م.

إذن كانت هذه الأسباب كفيلة باندلاع الثورة التحريرية في الفاتح من نوفمبر 1954م،والتي عمت مختلف أنحاء الوطن واحتضنها الشعب الجزائري ودعمها، بكل ما أوتي من قوة مادية ومعنوية بدافع الغيرة على الدين والعرض والوطن والاستماتة من أجلهم،على الرغم من الظروف الصعبة التي كانوا يعيشونها تحت السيطرة الاستعمارية، خاصة المناطق الجنوبية التي كانت تعيش تحت قمع الحكم العسكري.

لقد نقلت الثورة عملها السياسي و العسكري إلى الصحراء الجزائرية منذ غرّة نوفمبر 1954م حسب شهادات بعض المجاهدين[1]،وإذا خصصنا منطقة ورقلة،فإن أغلب المراجع والمصادر خاصة شهادات المجاهدين الذين لازالوا على قيد الحياة، تتفق على أن النشاط الفعلي للثورة في المنطقة،كان ابتداءً من سنة1955م،وبرز أكثر ابتداءً من سنة1956م،لاسيما بعد إضافة منطقة الصحراء كولاية سادسة طبقا لمقررات مؤتمر الصومام،وهذا لا يختلف تقريبا مع الوثائق الأرشيفية التي اطلعنا عليها، والتي أكدت أن التنظيم الثوري لجبهة التحرير الوطني بمناطق الجنوب الجزائري كان منتشرا بقوة بين 1956م و1959م.[2]

ثانيا/الإرهاصات السياسية :

على الرغم من وجود منطقة ورقلة تحت الحكم العسكري الجائر طيلة العهد الاستعماري تقريبا، ورغم موقعها الجغرافي البعيد ، ومناخها الصحراوي القاسي، إلا أنّها لم تكن معزولة عن تطور الأحداث السياسية في الجزائر، وقد كانت حاضرة بقوة في الحراك السياسي في العقد الثاني من القرن العشرين ، ويمكننا حصر هذه الإرهاصات في النقاط الآتية:

1- **التجنيد الإجباري**: بعد إصدار السلطات الفرنسية لمرسوم 03 فيفري 1912م، الخاص بتجنيد الأهالي الجزائريين في الجيش الفرنسي، تعالت أصوات المعارضة والاحتجاج من مختلف المدن الجزائرية، فبعض الأهالي سلكوا مسلك التظاهر إلى حد الشغب والبعض الآخر بعث بالوفود، وبعضهم لجأ إلى الجبال والمناطق النائية، وآخرون هاجروا البلاد كلية هروباً من نير التجنيد. وما كان من السلطات الفرنسية إلا أن استعملت القوة والقسر لاقتياد الشبان الجزائريين المعنيين بقانون التجنيد (أي البالغين سن الثامنة عشرة سنة) إلى الثكنات العسكرية.أما فيما يخص منطقة ورقلة فقد استغل شبان

[1] يوسف مناصريه،«بعض الوثائق الفرنسية حول نشاط الثورة التحريرية في الجنوب الجزائري»،**مجلة المصادر** ، م.و.د.ب.ح.و.ث.ا.ن،ع5، 2006، ص 121.

[2] Rapport mensuel , , les Territoires du Sud 1957 ,A.O.M , OA4.

ورقلة سنة 1916م التجنيد الإجباري في صفوف الفرنسيين إلى أبعد الحدود، حيث مكّنهم من اكتساب خبرة عسكرية في استخدام السلاح، وإستراتيجية الدفاع والمواجهة ،هؤلاء الشبان كان لهم الفضل الكبير في بعث الفكر السياسي والثوري بين الأهالي.

2- **تأثّر الورقلية بالأحداث العربية والإسلامية في إطار الهجرة:** هاجر بعض الورقليين سنة1922م إلى تونس، وليبيا وصولا إلى المشرق العربي تحت غطاء أداء مناسك الحج، وهناك درسوا وتعلّموا الشريعة والسياسة والتاريخ، وتعرفوا على بعض رجالات الفكر والإصلاح، وعايشوا بعض التطورات السياسية التي شهدها العالم الإسلامي مثل سقوط الخلافة الإسلامية سنة 1924م، ومن أمثال هؤلاء: الشهيد شنين قدور[1] الذي حاول في نهاية الثلاثينات من القرن العشرين إنشاء فرع لجمعية العلماء المسلمين بورقلة، وذلك انه صادف نشاطاتها بقسنطينة أثناء تواجده هناك، فاتفق مع صديق له أن يهيئ له الأجواء وتعبئة سكان ورقلة لتقبل مشروع تأسيس فرع الجمعية، وهذا ما حدث فعلا،حيث تم الاتفاق مع القاضي بالعلمي،وعمار خيراني،والصيد برجال، وبحضور وفد عن جمعية العلماء المسلمين بقسنطينة عقد الاجتماع بمسجد المالكية ، غير أن هذا الاجتماع فشل بسب اكتشاف السلطة الاستعمارية بمكان وزمان عقد الاجتماع، بعدما علمت بالأمر من احد أعوانها المخبرين والمندسين، وروجّت لدعاية مفادها أن هؤلاء المجتمعين ينتمون

---

[1] من مواليد 1909م بقرية بامنديل بورقة،نشا وترعرع في وسط عائلي متواضع، ولما شب امتهن حرفة التجارة ومع بداية الأربعينيات وسع في نشاطه التجاري ليشمل تجارة السلاح، وبسببها اعتقل سنة 1944م من طرف القوات الفرنسية لمدة ثلاثة أشهر في سجون الاحتلال بورقلة،وغرداية،والبرواقية،والحراش ،وعقب اندلاع الثورة التحريرية التحق بصفوف المنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني بورقلة سنة 1956م، وعمل إلى جانب إخوانه بكل تفاني إلى أن تفطنت له السلطة الاستعمارية فاعتقلته مرة أخرى رفقة بعض المجاهدين وذلك في18 دسمبر 1957م جو بارد جدا إلى محتشد عين البيضاء بورقلة وعذب ونكل به، وتم رميه في بئر عميقة رفقة بعض المجاهدين، وتم إغلاقها بالاسمنت المسلح.ينظر: عبد الحميد نجاح،**منطقة ورقلة وتقرت وضواحيهما من مقاومة الاحتلال إلى الاستقلال**،الوادي،منشورات جمعية الوفاء للشهيد تقرت،الآمال للطباعة،2003،ص ص:47-48

إلى الحركة الوهابية[1]، وقد جاؤوا من اجل محاربة الطرق الصوفية والزوايا، ومحاربة بعض عادات وتقاليد السكان، فاجتمع بعض الناس الطرقيين لرفض هذه الجمعية ، مرددين القول الشائع آنذاك ((إبليس ولا بن باديس)).[2]

هذا بالإضافة إلى أشخاص آخرين كان لهم دور في الحياة السياسية والاجتماعية ، ونخص بالذكر كلا من :ميلودي الطاهر بن عمار[3]،والشهيد عمار خيراني، الذين حاولوا في سنة 1951م تأسيس جمعية إسلامية[4]، تهدف إلى محاربة سياسة التنصير، والتي كانت قد بلغت ذروتها بورقلة سنة 1923م، أضف إلى ذلك الشهيد الحاج سيد روحو الحاج، وسيد روحو محمد الصالح، ولعلام عبد القادر،وبن محسن محمد، وعيساوي عبد القادر الذين ،جلول بن جلول بن مبارك[5]،كلهم درسوا بتونس بدءً بالمدرسة الخلدونية،ثم جامع الزيتونة إلى أن تخرجوا منه.بالإضافة إلى عبد القادر الأخضر السائحي الذي درس المرحلتين الابتدائية والثانوية بجامع الزيتونة وفروعه، وكذا المجاهد البشيري البشير الذي كان طالبا بالمدرسة الخلدونية وتوقف عن الدراسة سنة 1957م، تلبية لنداء الواجب الوطني.[6]

---

[1] نسبة إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب،وهي حركة دينية إصلاحية شاملة ظهرت في الجزيرة العربية خلال القرن الثامن عشر.

[2] شهادة شنين الحاج (شقيق الشهيد شنين قدور)،مخطوطة، دون تاريخ

[3] كان من الطلبة الذين درسوا بالزيتونة بتونس،حيث تأثر بأحداث الحركة الوطنية التونسية آنذاك،ومن آثاره انه اشتهر بمقولة تاريخية حين شاهد الكتابات الحائطية التي تندد بالسياسة الفرنسية في تونس،والمطالبة بخروجها من الأراضي التونسية، حيث قال:" والله لو علمنا أن الكتابة على الجدران تخرج فرنسا،لكنا قد كتبنا بالشواقير، واعلموا أن فرنسا لن تغادر أرضينا سوى بالاتحاد وقوة السلاح".ينظر: عبد الحميد نجاح، المرجع السابق،ص47

[4] المرجع نفسه.ص 47.

[5] جلول بن جلول بن مبارك من الطلبة الذين درسوا بجامع الزيتونة(الجامع الأعظم)، حيث استفاد من الإعانة المالية من الحكومة التونسية بسبب انقطاع المدد عنهم نتيجة ظروف الحرب العالمية الثانية سنة 1942م. ينظر:
A.N.T, sérier E, Boit35,dossier28, n°(106.107.108)

[6] شهادة مصورة ومسجلة للمجاهد البشيري البشير، بتاريخ 2005/06/06،متحف المجاهد بتقرت

وفيما يخص عدد الطلبة الزيتونيين ليس هناك إحصائيات عددية ثابتة،غير أن الوثائق الأرشيفية التونسية أكدت أنّه بعد الحرب العالمية الثانية كان عدد الطلبة الجزائريين القادمين من الجنوب الجزائري قليل مقارنة بطلبة الشمال، دون تحديد الانتماء الجغرافي لهم، وهنا يمكن طرح التساؤل: ما أسباب قلة التعداد الطلابي الورقلي الزيتوني؟،في نظريا قد يعود ذلك أربعة أسباب رئيسية وهي كالآتي:

- طبيعة الحكم العسكري القمعي في الجنوب الجزائري، وانعكاساته على الأهالي.
- انعكاسات الحرب العالمية الثانية على الطلبة الجزائريين الزيتونيين، حيث توقف المدد المالي للطلبة من طرف أهاليهم، وعدم قدرتهم على العودة إلى دويهم، الأمر الذي دفع بهم طلب المساعدة من الحكومة التونسية، ومن بعض الجمعيات الخيرية التونسية.وهذا ما أكدته المراسلة الآتية:

« الحمد لله نسخة مكتوب وزيري لجمعية الأوقاف في 14 محرم 1362هـــ وفي 20 جانفي 1943م

وبعد:بناء على ما حل بتلامذة الجامع الأعظم وغيرهم من تلامذة المعاهد الأخرى الذين أصلهم من الآفاق من انقطاع المدد عنهم بسبب الظروف الراهنة، فقد اقتضى الأمر أن تمدهم الدولة بالإعانة،لتمكينهم من الاستمرار على مزاولة التعليم، وحيث انه يحسن أن تتولى الجمعية توزيع الإعانة المذكورة(بحساب خمسة عشر فرنكا في اليوم الواحد لكل واحد منهم) على مستحقيها مثلما وقع إشعاركم بذلك شفهيا بالمراد أن تستمر الجمعية على توزيع ما ذكر إلى أن يصدر لها الإذن بما يخالف ذلك وتقيم ما يقع إنفاقه في الغرض بحساب خاص ليعطي لها من مال الدولة فيما بعد، بعدما أعلمناكم بذلك ودمتم. 1942/12/30».[1]

- الإجراءات التعسفية الصادرة عن المكاتب العربية ومصالح الإدارة الاستعمارية بخصوص إعطاء رخصة التنقل،وفي ذلك يذكر الدكتور خيرالدين شترة :«أن الطلبة

[1] A.N.T, sérier E, B35 , dossier28,doc n°19

الجزائريين الذين يرغبون في إتمام دراستهم بتونس يكونون عرضة لإجراءات معينة من قبل سلطات الأشراف عن طريق المصالح الإدارية والمهنية، و لم تكتف السلطات الفرنسية بهذه الإجراءات،بل طلبت من القيَّاد وأعوانهم القيام بتحقيق سري يتضمن معلومات حول كل طالب يرغب في الحصول على ترخيص السفر للتثبت من سيرته وانتمائه السياسي وولائه لفرنسا ومد إدارة الأمن بتقرير في الموضوع».[1]

- عدم وجود جمعية علمية أو معهد ديني في ورقلة في مستوى جمعية العلماء المسلمين، أو مستوى معهد ابن باديس بقسنطينة،يسهر على إرسال بعثات طلابية إلى تونس للدراسة ، وهذا بالرغم من جود مناطق مجاورة لها كان لها فضل كبير في إرسال طلبتها إلى تونس، مثل معهد الحياة[2]بوادي ميزاب، وجمعية الفلاح بتقرت.[3]

---

[1] خيرالدين شترة،المرجع السابق، ص ص:974-975

[2] تأسس هذا المعهد سنة 1925م،وقد أسسه العلامة الشيخ ابراهيم بيوض،في إطار حملته الإصلاحية ،و أطلق عليه في أول عهده اسم : معهد الشباب ، شعاره الخلق و الدين قبل الثقافة،ومصلحة المجتمع قبل مصلحة الفرد،وكان طلبته يصدرون مجلة أسبوعية بخط اليد سميت مجلة الشباب،ثم أطلق عليه معهد الحياة سنة1937م بعد تأسيس جمعية الحياة من طرف الشيخ بيوض و التي كانت تشرف عليه، و تدرس فيه المراحل المتوسطة أو الاكمالية، و الثانوية،ومرحلة التعليم العالي في الشريعة الإسلامية.

[3] يعود الفضل في تأسيس جمعية الفلاح إلى الشيخ الحشاني العمري،والشيخ احمد بن العربي جاري،والشيخ بشير بكالة ،وقد كانت هذه الجمعية الإصلاحية تشرف على البعثات العلمية إلى جامع الزيتونية بتونس،وقد ترأس احمد جاري أول دفعة أرسلتها هذه الجمعية والتي كانت تتكون من:" علي كافي، محمد كافي، محمد بورقعة ، المولدي بن أحميدة، عبد الحميد عقال " ، ثم تحولت الى مدرسة حرة عام 1940م، إلا أن الإدارة الاستعمارية قامت بغلقها سنة 1958م بأمر من الحاكم، ومما يروى عن الذين عاصروا فترة الحركة الوطنية بالمنطقة ، انه عندما رفض الحاكم العام إعطاء رخصة فتح أبواب مدرسة الفلاح من جديد ،فما كان من الشيخ احمد العربي جاري إلا أن هدد الحاكم العسكري بمقابلة الوالي العام بالعاصمة وهدده بهذه العبارات :(إن لم تسلمنا الرخصة وهي من حقنا كأمة فسأعلن انضمامي إلى الحزب الشيوعي وسأكون من أعضائه وستفتح أبواب المدرسة رغم أنوفكم)، مع العلم أن الحزب الشيوعي بالمنطقة كان له نفوذ قوي وله القدرة الكافية على مواجهة الحاكم العسكري.ينظر: **شهادة المجاهد علي كـــافي مصورة ومسجلة** ، دسمبر2004، بمتحف الـــمجاهد تقرت.

3- **تطور الوعي السياسي** : لم تكد الحرب العالمية الثانية تضع أوزارها حتى تطور الوعي السياسي أكثر مما كان عليه في السابق، وذلك بسب النشاط القوي الذي فرضته الحركة الإصلاحية والحركة الكشفية داخل وخارج حدود المنطقة ،فداخليا كان للكشافة الإسلامية في تقرت بقيادة الشهيد بحري عظامو[1]دور كبير في تأسيس فرع كشفي بورقلة،وهو ما أكده دوني بيلي قائلا: «أنه في سنة 1951م تأسست الحركة الكشفية للفتيات بورقلة»[2]،زيادة على بروز مختلف التشكيلات السياسية والإصلاحية على مسرح الأحداث خاصة في سنة 1943م بقيادة احمد خليل ومحمد الصيد برجال.

أما خارج حدود المنطقة فقد كان لبعض الورقليين المقيمين بتونس دور فعال في الحركة السياسية والتعبئة الثورية بالمنطقة، فحسب شهادة المجاهد حجاج عبد القادر الذي كان مقيما وعاملا بتونس،انه كان عضوا نشطا في التنظيم النقابي برئاسة فرحات حشاد[3]،غير أن السلطة الاستعمارية ألقت عليه القبض رفقة بعض المناضلين التونسيين، واعتقلته لمدة يومين على ذمة التحقيق، ليصدر في حقه الطرد والنفي إلى بلده الجزائر عائدا إلى ورقلة سنة 1954م، وآنذاك بدأ ينشط ضمن الخلايا المدنية الثورية التي بدأت

[1] ولد عظامو محمد البحري خلال سنة 1924م بتقرت، درس مبادئ اللغة العربية في الكتّاب ثم كما التحق بالمدرسة الفرنسية، يعود له الفضل في تأسيس أول فوج كشفي بتقرت سنة 1945م، انتقل رفقة عائلته إلى الجزائر وعمل بالإذاعة، وبعد اندلاع الثورة انخرط في صفوف المنظمة المدنية بالعاصمة وظل ينشط إلى أن اغتالته عناصر اليد الحمراء سنة 1961م.

[2] دوني بيلي ، المرجع السابق، ص79

[3] فرحات حشاد من مواليد 2 فيفري 1914م بالعباسية،وهو زعيم سياسي ونقابي تونسي.لمع نجمه بعد تأسيسه للاتحاد العام التونسي للشغل عام 1946م،واكتسب شعبية عارمة بين الطبقة العاملة وكل مكوّنات الشعب التونسي، اغتيل على يد عصابة من الفرنسيين المقيمين بتونس (اليد الحمراء) برادس الضاحية الجنوبية للعاصمة تونس يوم 5 ديسمبر 1952م،كما يعتبر أحد أهم رجالات الحركة الاستقلالية في تونس إلى جانب الحبيب بورقيبة وصالح بن يوسف.

تتشكل في المنطقة[1]،هذا بالإضافة إلى أن الدكتور خيرالدين شترة،وبناء على تقرير حاكم الجزائر العام إلى المقيم العام تونس في نهاية 1920م ذكر :« أن بعض الجزائريين كانوا ملتفين حول جمعية دينية تعمل على الدعاية لاستقلال القطرين التونسي والجزائري معا، وهم كلهم ثقة بان كل المستعمرات الفرنسية ستنال استقلالها عن طريق هذه الجمعية»، وبخصوص الورقلية فمن بين الشخصيات التي كانت تنشط في هذه الجمعية الدينية السيد بكير بن الحاج عيسى بن بكير بن يعقوب.[2]

4- تبلور النشاط السياسي تحت غطاءات ثقافية ورياضية: أفادت بعض التقارير الفرنسية أنه لم يكن هناك وجود لأحزاب سياسية مثلما هو موجود في مناطق الشمال، غير أنه بعد الحرب العالمية الثانية، ظهرت هناك بعض النشاطات السياسية لا تأثير لها على السيادة الفرنسية بالمنطقة.[3]

قد تكون هذه الإفادة صحيحة،لأنه في نظرنا تكون فرنسا في تلك الفترة منشغلة بالحرب من جهة،بالإضافة إلى غطرسة الحكم العسكري المسلّط على الأهالي من خلال فرض الرقابة الشديدة على أية حركة تمس الأمن والاستقرار الفرنسي من جهة ثانية،غير أن شهادات بعض المجاهدين تكذّب هذه الإفادة على أساس أن نشاطاتهم السياسية لم يصرحوا بها وكانوا يقومون بها في السّر تحت غطاءات ثقافية ورياضية، مثل الفرقة

---

[1] شهادة المجاهد حجاج عبد القادر مصورة ومسجلة،جويلية 2005،كما يذكر نفس المجاهد أن أول خلية نشط معها بورقلة شملت كلا من السادة:زوبيدي عبد القادر،شنين قدور،صفراني عبد القادر،حروز محمد، محمد الصيد برجال.

[2] خيرالدين شترة، المرجع السابق،ص361

[3] Rapport Mensuel sur la Situation des Territoires du Sud 1942 , C.D.A.W.O, B21 .voir aussi :
Rapport Mensuel du sud Algérien , mois de juin1929,A.N .T, sérier E, dossier 63.
Rapport Mensuel du Sud Algérien , mois de Décembre1932 , ,A.N .T sérier E , dossier 49

الاولمبية الورقلية التي تأسست سنة 1948م.[1] زيادة على وصول بعض الجرائد بطرق سرية ممنوعة إعلاميا من طرف الإدارة الفرنسية مثل جريدتي "الدفاع" و" البصائر".[2]

ويذكر دوني بيلي *D.Pillet* أن تبلور النشاط السياسي في المنطقة بعد الحرب العالمية الثانية يعود إلى اللقاءات التي كانت تعقد في الجزائر العاصمة بين طلبة من العاصمة ومجموعة من الطلبة الورقليين في الفترة ما بين 1942م و1943م، وعند رجوعهم إلى ورقـــلة سنة1946م،كوّنوا خلية حزب انتصار الحريات الديمقراطية والتي كانت مرتبطة بخلية تقرت وجامعة.[3]

ولعل المظهر السياسي الوحيد الذي أشارت إليه التقارير الفرنسية هو مشاركة فرع حركة انتصار الحريات الديمقراطية بورقلة في الانتخابات الخاصة بإنشاء أول مجلس جزائري يوم 4 أفريل 1948م[4]،حيث رشحت الحركة ممثلا عن ورقلة(ووادي سوف أيضا) السيد ميلودي احمد[5]،بينما السلطة الفرنسية اختارت شخصيات موالية لها ورشحتهم على أساس أنهم مستقلون وهم السادة التالية أسماؤهم: ابراهيم غريب من الوادي، تجاني احمد من تقرت،وسنوسي علي من جامعة، وبن قانة من بسكرة، بالإضافة

[1] دوني بيلي ، المرجع السابق، ص 72.

[2] Rapport Mensuel sur la Situation Economique et Politique des Territoires du Sud pendant le mois de avril 1938 ,A.N .T , sérier E dossier 80.

[3] دوني بيلي ، المرجع السابق، ص81

[4] في إطار المواد التي جاءت في القانون الأساسي بتاريخ 20 سبتمبر1947م، ومنها على الخصوص إلغاء الحكم العسكري بالجنوب، والزيادة في التمثيل النيابي للمسلمين في البرلمان الفرنسي،وخوفا من تحول الممثلين الفرنسيين من أغلبية إلى أقلية في البرلمان الجزائري أو البرلمان الفرنسي، عمل الحاكم العام الجديد نايجلان على تزوير الانتخابات،وغلق الطريق أمام أي فوز تحققه حركة انتصار الحريات الديمقراطية ،مع إتباع سياسة الاعتقال والقمع في حق المناضلين المسلمين. للمزيد ينظر: عمار بوحوش، **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م**، بيروت، دار الغرب الإسلامي،ط2، 2005، ص ص:315-317.

[5] أصله من وادي سوف،ويعتبر مؤسس حركة الانتصار الحريات الديمقراطية بوادي سوف.ينظر:عمارعوادي ،محمد كشو،**مذكرات الحاج احفوظة**،الوادي، مطبعة مزوار،2008،ص72

إلى المرشح والممثل الوحيد عن الإدارة الفرنسية بالمنطقة السيد اكسي Axi [1]،واستطاع مرشح منطقة ورقلة أن يفوز على مرشحي الإدارة الاستعمارية، مما دفع بالسلطة الاستعمارية إلى إلغاء الانتخابات بحجة الغش والتزوير،وعملت على اعتقال مجموعة من مناضلي الحزب بالمنطقة الذين قادوا الحملة الانتخابية ومنهم: طواهير الحاج عمر،قريشي احمد ناجي، شنين قدور،ومحمد الصيد برجال،وعلي الصديق...وغيرهم.وبعدها أعادت الإدارة الاستعمارية الانتخابات مرة أخرى يوم 11 أفريل ،ورشحت فيها السيد احمد التجاني من تقرت بدلا من مرشحها الأول السيد اكسي Axi [2]،وقد أكد لنا هذا القول المجاهد الحاج عمر بن بلخير طوهير قائلا:« ...كان سبب اعتقالنا أن مرشح حزبنا نجح بنسبة عالية على حساب مرشح الاستعمار، وأثناء قراءة النتائج التي كان يقوم بها الأخ بلخضير، كان باديا نجاح المرشح احمد ميلودي، ولكن بعد انتهاء الانتخابات اعتقلنا، وقامت فرنسا بإعادة انتخابات أخرى،والتي جرت تحت تهديد المدافع التي نصبتها القوات الاستعمارية بالقرب من القرى...ولقد كانت تهمتنا هي الانتماء إلى حزب مصالي الحاج المحظور آنذاك...».[3]

كما عملت مجموعة من الطلبة الورقليين على تكوين خلايا شبانية تابعة لحركة انتصار الحريات الديمقراطية،والتي كانت تنشط تحت ستار النشاط الاجتماعي، وتقديم دروس دعم ليلية للطلبة والشباب،وممارسة النشاطات الثقافية، هذا فضلا عن نشاط اتحاد شباب ورقلة الذي تأسس سنة 1951م بالجزائر العاصمة ،تحت غطاء النشاط الرياضي والاجتماعي، حيث كان يقدم إعانة للورقليين النازحين إلى الجزائر العاصمة،والذين يعيشون اغلبهم عزابا،ويعملون في مصلحة الطرق بالبلدية[4].ومع بداية 1953م تحول هذا

[1] Rapport Mensuel, les Territoires du Sud 1948 , C.D.A.W.O, B22.

[2] شهادة شنين الحاج،المصدر السابق.شهادة الحاج عمر طواهير بتاريخ 17 فيفري 2002.

[3] شهادة الحاج عمر طواهير ،المصدر السابق.

[4] دوني بيلي ، المرجع السابق، ص81

التنظيم إلى "اتحاد الشباب الصحراوي" يضم كلا من بسكرة ووادي سوف ووادي ريغ، وورقلة.[1]

5- البحث عن العلم في مؤسسات تعليمية عريقة خارج المنطقة: إن أوضاع ورقلة التعليمية جعلت الكثير من أبنائها لا يكتفون ولا يقتنعون بما يتزودون به من علوم، بل يتوقون إلى الاستزادة في التحصيل بالتفكير في السفر إلى البلدان المجاورة ذات الحظائر العلمية الزاهية لأجل الاستفادة من علومها، والجلوس إلى حلق علمائها. وتمثل ذلك خاصة في جامع الزيتونة وفروعه بتونس.فقد كان لجمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين الصحراويين[2] بتونس دور كبير في تكوين أبناء الصحراء تكوينا سياسيا وفكريا ، ومنهم : محمد بن ثابت ،وحميد بن حمودة الورقلي[3] الشهيد محمد الأخضر السائحي المعروف ثوريا باسم" الكبتان سي المختار".[4]

والجدير بالذكر أن جامع الزيتونة وفروعه عرف العديد من الجمعيات التي تمثل الطلبة الدارسين به،فتنوعت حسب الفئات التي تمثلها، وحسب الأهداف التي أنشأت من أجلها، وعليه فإن هذا التنوع جعل الطلبة الصحراويين يؤسسون جمعية خاصة بهم، بالإضافة إلى أنهم تعرضوا لمضايقات من بعض الطلبة الجزائريين.[5]

---

[1] عبد الحميد نجاح ، المرجع السابق ، ص 41

[2] A.N.T, sérier E,B35 , dossier28.

[3] A.N.T, sérier historical,B63, dossier758

[4] حوار مع ابن عم الشهيد الشاعر عبد القادر محمد الأخضر السائحي بمتحف المجاهد بتقرت، ديسمبر 2007.ينظر أيضا: A.N.T, sérier E,B35 , dossier28

[5] من ابرز الجمعيات التي ظهرت في تلك الفترة: جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين 1933م، المجمع العام لجميع الطلبة 1936م،جمعية الشباب السوفي الزيتوني ،شبيبة شمال إفريقيا الموحدة 1938م،جمعية إعانة الضعفاء الطلبة، وهناك عدد آخر من الوداديات التي كانت موجودة بالعاصمة وتضم طلبة الجامع الأعظم حسب المناطق التي ينتمون لها ومنها: الرابطة الثقافية لطلبة الجريد، الجمعية الزيتونية بالكاف، الأمل الزيتوني السوسي ...وغيرهم. ينظر: محمد السعيد عقيب، «جمعية الشباب السوفي الزيتوني»، **مجلة البحوث والدراسات**،ع3، المركز الجامعي بالوادي، جوان 2006.(ينظر أيضا الملحق رقم 13)

ولعل اختيار الطلبة الصحراويين تونس يعود إلى قربها الجغرافي وسهولة تكاليف السفر إليها، حيث يقول محمد صالح الجابري: « قرب مدينة تونس من الحواضر الجزائرية الشرقية... هو الذي اختصر كلفة الرحلة إليها، فتعدد المقبلون على جامع الزيتونة وعلى المدارس الأخرى التي تكاثر عددها خلال هذه الفترة. وقد نبغ في رحاب هذا الجامع الأعظم مئات العلماء الجزائريين، وأسهموا في حركته العلمية إسهاما مرموقا، فكانوا من تلاميذه النبغاء، ثم أصبحوا من علمائه ومدرسيه وفقهائه وخطباء منابره».[1]

6- وجود عدة جمعيات محلية ذات طابع ثقافي تعليمي واجتماعي: ساهمت هي الأخرى في التعبئة السياسية والعسكرية لسكان المنطقة تحت غطاء الرياضة والتعليم ومنها[2]:

- جمعية الوفاق والتي أسسها الشيخ أعزام سنة 1930م.
- جمعية الإصلاح التي أسسها الحاج بكير بن أحمد بومعقل سنة 1934م
- جمعية صوت المسجد التي أسسها مجموعة من الأيمة الإباضية سنة 1949م، وكانت لها مجلة تسمى " صوت المسجد".
- الجمعية الخيرية التي أسسها الشيخ قريشي الحاج بنقوسة، والتي عمل من خلالها على إنشاء العديد من المدارس القرآنية والمساجد في كل من قرى البور،ونقوسة، وفران،زيادة على مساعدة الفقراء والمساكين.

7- **اشتراك بعض الأهالي في الجرائد الوطنية التي كانت تصدر آنذاك** :إن النشاط الصحفي خصوصا في ورقلة يكاد يكون منعدما باستثناء ما يصلهم من المناطق المجاورة

[1] محمد صالح الجابري،**النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس**، الدار العربية للكتاب، 1983، ص52

[2] حوار مع السيد، سليمان حكوم بمنزله، (مهتم بجمع تاريخ وتراث المنطقة).جوان 2010.

مثل منطقة وادي ميزاب ووادي سوف[1]، واكتفى سكان ورقلة بمطالعة بعض الجرائد التي كانت تصلهم مثل: البصائر،صدى الصحراء، وادي ميزاب،الوفاق،ميزاب،الأمة، الفرقان،الزهراء ،السنة ،الشريعة ،الصراط ،الشهاب ،المنتقد ،النهضة،ولقد كان العدد الواحد منها ينتقل من شخص إلى آخر حتى يتسنى للجميع قراءاتها، ومما لاشك فيه أن جل هذه الصحف كانت تدعوا إلى التربية والتعليم ومحاربة الاستعمار الفرنسي، والحفاظ على الهوية الوطنية، فمثلا جاء في "جريدة صدى الصحراء"[2] قصيدة موجهة الى ابناء الصحراء لشاعر مجهول يشجع فيه على تعليم النشئ وتربيته مع الدعوة الى الاصلاح، ومن الابيات مايلي[3] :

أجلو رجال العلم بين ربوعكم	فقدرهم وافي الرجاجة عالي
ولا تقبلوا فيهم وشاية خــــائن	ونفثة مغتاب وبغضة قــــالي
فتلك عراقيل يعانون وعـــرها	على أنهم لا ينثنــــون بحــــال
ولا تغفلوا شان الصغار فانهم	لمستقبل الأيام خير رجــــال
وأشبه شيء بالمرايا عقـــولهم	فصوغوا لها منكم اجل مثال
ابنوا لهم طيب الفعال ليقتدوا	بكم فحياة المرء طيب فعال
وهبوا إلى الإصلاح فالله كافل	لمن هب للإصلاح حسن منال

بالإضافة إلى صدور جريدتين سنة 1953م، اهتمتا بالأوضاع الاجتماعية لسكان الصحراء، فالأولى باللغة الفرنسية باسم " الصحراوي"، تصدر مرتين في الشهر،حيث

---

[1]Rapport Mensuel sur la Situation Economique et Politique des Territoires du Sud pendant le mois d’avril 1938 ,A.N .T, sérier E , Dossier 80.

[2] نشرية إسلامية علمية أدبية اجتماعية إصلاحية انتقادية، شعارها " العمل على درا المفسدة قبل جلب المصلحة"، صدرت سنة 1925م،وتصدر كل يوم اثنين من أيام الأسبوع، رئيس تحريرها الشيخ احمد بن عابد العقبي.

[3] صدى الصحراء (جريدة)، ع 1،11/23/ 1925،ص 3.

جاء في عددها الأول الصادر في شهر أفريل مقال يدافع على جزائرية الصحراء بعنوان " إن الصحراء يجب أن تبقى جزائرية"، وفي العدد السادس (ماي-جوان) من سنة 1954م تناولت الجريدة مقال في شكل تساؤل:" هناك مقياسان !هل سيبقى الصحراويون دائما مغبونين ؟"ثم توضح الجريدة: " في الأبحاث النفطية الحالية لا يتقاضى عامل الواحات إلا 32 فرنكا في الساعة، بينما يتقاضى عامل من منطقة تقرت،أو منطقة الاغواط أو من ولاية من ولايات الشمال 72فرنكا في الساعة، إنما هي رواتب لا مبرر لها تفرضها السلطة العسكرية المحلية".[1]

طبعا هذا المقال يدل دلالة واضحة على مدى غطرسة الحكم العسكري في الجنوب حتى في أبسط الأشياء مثل أجر العامل خاصة الورقلي، ويبقى هذا التساؤل مطروحا: لماذا العامل الورقلي؟؟، وقد وصل عدد نسخ هذه الجريدة إلى 1500 نسخة ، أما الثانية كانت تصدر باللغة العربية باسم "شمال وجنوب"، ووصل عدد نسخها إلى 2000 نسخة، واستمر صدور هاتين الجريدتين إلى نوفمبر 1954م[2]، ومن غير المستبعد أن الإدارة الاستعمارية كانت وراء توقفهما.هذا ناهيك على أن السلطة الاستعمارية فرضت رقابة صارمة،وأعطت أوامر سرية على عدم وصول الصحف العربية إلى المثقفين في الجنوب،أو التماطل في توزيعها على أصحابها فمثلا كانت بعض الجرائد تصل إلى مكاتب البريد، فيتعمد مسيروها إهمالها وإبقائها في إدارالهم، وإذا سألهم المشترك الذي له الحق في قبضها ، يقابلونهم بالغطرسة.[3]

ومما يتوجب ذكره أيضا هو أن النشاط المسرحي قد حضي باهتمام كبير في منتصف القرن العشرين في سبيل إذكاء الروح الوطنية،حيث تذكر إحدى الروايات أن

---

[1] دوني بيلي ، المرجع السابق، ص83

[2] المرجع نفسه، ص81

[3] صدى الصحراء (جريدة)، ع7،25 جانفي 1925، ص 3.

مجموعة من الشباب الكشفي بمدينة بسكرة قاموا بتجسيد مسرحية بعنوان " في سبيل التاج " كانت من أشهر المسرحيات التي أحدثت صدى ووقع في أوساط الجماهير الشعبية، وقد أسند دور البطولة فيها إلى الشهيد محمد العربي بن مهيدي[1] الذي وجد ضالته النفسية والمعنوية في هذا الدور لما كان يحمله كغيره من الجزائريين الأحرار من مقت وكره وعداء للاستعمار.وكان فريق المسرحية يتنقل بين العديد من مدن الجنوب الجزائري ،وعندما أتى الدور على مدينة تقرت منعهم الحاكم الفرنسي من عرضها كما منعهم حتى من اقتناء الحافلة التي أتوا على متنها، بل عملت السلطة الفرنسية أكثر من ذلك، حيث أصدرت قانونا يمنع منعا باتا عرض هذه المسرحية في الجنوب الجزائري، غير أن الروح الوطنية المتأججة في نفوس أعضاء هذا الفريق المسرحي جعلتهم لا يتوانون عن تحقيق هدفهم و انتقلوا لتجسيده في مدن الشمال وكان ذلك حوالي سنة 1946[2] .

8- دور الزوايا الدينية: التي كان لها دور كبير في الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية للأهالي ، وكيان الأمّة الجزائرية ،مثل الزاوية القادرية بالرويسات التي تغيّر موقفها خاصة بعد انضمام أحد ابرز أقطابها بفرع وادي سوف إلى جمعية العلماء المسلمين سنة1937م

[1] ولد الشهيد العربي بن مهيدي في عام 1923م بدوار الكواهي (عين مليلة)،دخل المدرسة الابتدائية الفرنسية إلى باتنة لمواصلة التعليم الابتدائي،ولما تحصل على الشهادة الابتدائية بمسقط رأسه،وبعد سنة دراسية واحدة انتقل عاد لأسرته التي انتقلت هي الأخرى إلى مدينة بسكرة وفيها تابع دراسته، وقبل في قسم الإعداد للالتحاق بمدرسة قسنطينة،وفي سنة 1942م انضم إلى حزب الشعب الجزائري،وعند تكوين اللجنة الثورية للوحدة والعمل في بن مهيدي جماعة 22 التاريخية،ولعب مارس 1954م أصبح الشهيد من بين عناصرها البارزين ،ثم عضوا فعالا في دورا كبيرا في التحضير للثورة المسلحة، حيث أصبح أول قائد للمنطقة الخامسة (وهران)،وفي سنة 1956م عيّن سنة 1956م ونهاية 1957م إلى غاية الجزائرية ، قاد معركة الجزائر بداية عضوا بلجنة التنسيق والتنفيذ للثورة تحت التعذيب ليلة الثالث إلى الرابع من مارس 1957م. اعتقاله في نهاية شهر فيفري 1957م، وأستشهد

[2] المتحف الوطني للمجاهد ، **الشهيد محمد العربي بن مهيدي** ، د.ط، الجزائر : دار هومة ، 2002 ، ص 39 .

وهو الشيخ عبد العزيز الشريف[1] الذي لعب دورا كبير في نشر التعليم العصري وفق مناهج الجمعية،مع محاولته تصحيح مسار الزاوية من المساندة إلى معارضة الاستعمار الفرنسي، بالإضافة إلى الدور الذي قدمته زاوية سيدي بلخير الشطي[2].

ثالثا/ الإرهاصات العسكرية:

لقد ارتبطت منطقة ورقلة بروابط تاريخية أبدية بالوطن الجزائري منذ عقود خلت، فلما وقع الاحتلال تحولت هذه المنطقة إلى قاعدة خلفية للمقاومة الشعبية، وبالتالي فإن الأهالي كانوا على أتم الاستعداد للعمل العسكري في البدايات الأولى لاندلاع الثورة التحريرية،لكون أن هذه القابلية هي امتداد تاريخي للمقاومة الشعبية منذ 1854م بقيادة الشريف محمد بن عبد الله في محاولته التصدي للفرنسيين في احتلالهم لورقلة،بالإضافة إلى مقاومة كلا من الشريف بوشوشة وناصر بن شهرة خلال محاولة تحرير ورقلة من الفرنسيين سنة1871م،وقد خلدت هذه الملاحم في أبيات من الشعر الملحون للشاعر سالم بن تيمة يقول فيها :

نحن أهل الصحراء خيالة وفرسان	وبجـــودنا العـــربان راهي تتكـــلم
أبدعـــنا الشعر ونظمـــنا الأوزان	ومنا الأبطـــــال الشجـــاعة تتعـــلم
احكي يا تـــاريخ على ذاك الزمان	ما خليـــنا المستعمر في بـــلادنا يتنعم
وبن عبد الله حـــرّك الـــوديـــان	ميزاب ووادي ريغ في صفوف تتنظم
سقسي بوشوشة يعطيكم البرهان	وشحـــال من معـــارك التاريخ رسم

[1] هو ابن الشيخ محمد الهاشمي بن ابراهيم بن أحمد الشريف، ولد بزاوية والده بقرية البياضة بوادي سوف سنة 1898م،و كان توأما لأختهن كما أنه الابن الثالث للشيخ محمد الهاشمي، يتصف بالفطنة وسرعة البداهة،حيث حفظ القران الكريم في سن مبكرة ،ثم غادر الوادي ليلتحق بجامع الزيتونة عام 1913م وكان أول الناجحين من بين أقرانه، إذ تحصل على شهادة التطويع بامتياز،وعاد إلى الوادي عام 1923م،فاستخلف أخاه بعد وفاته وصار شيخا للطريقة القادرية بوادي سوف مع ملحقاتها في كل من تقرت،وبسكرة،وسكيكدة،والجزائر العاصمة.ينظر:عاشوري قمعون، المرجع السابق، ص80.

[2] نسبة إلى قرية الشط بورقلة.

وتجدر الإشارة هنا إلى وجود سؤال قد طرحه كثير من الناس وبعض الباحثين وهو: هل غيّبت أم غابت الصحراء في التقسيم الأول للمناطق قبيل اندلاع الثورة التحريرية ؟ وهذا السؤال منطلق من أن جبهة التحرير الوطني اكتشفت أهمية الصحراء إلا بعد مؤتمر الصومام سنة 1956م.

يبدوا لنا أن هذا السؤال في طرحه هو مغالطة تاريخية لا يستند إلى أدلة تاريخية ، ويفتقر إلى الموضوعية ، والحقيقة التاريخية هي أن الصحراء الجزائرية كانت حاضرة في أذهان القادة الستة خلال اجتماع 24 أكتوبر 1954م، وهي إستراتيجية اتبعها مفجروا الثورة تجنبا لعدة عراقيل قد تعترض تفجير الثورة، ويذكر عمار قليل في كتابه "ملحمة الجزائر الجديدة":« أن التقسيم الذي اعتمده القادة الستة أملته ظروف الثورة التحريرية في مرحلتها الأولى،والتي لم تستدعي التفكير في جعل الصحراء منطقة مستقلة،بل وعمدت إلى تقسيمها على مختلف المناطق المتاخمة للصحراء، وبالتالي فقد كان هذا الأمر متعمّدا تبعا لعدة عوامل أهمها قلة الكثافة السكانية والإمكانيات،وفي المقابل حتى تكون قاعدة خلفية للكفاح العسكري مثلما كانت خلفية للمقاومة الشعبية من جهة،وحتى تكون مكانا لتامين الثوريين في حالة فشل الثورة».[1]

وإذا خصصنا منطقة ورقلة فإن هذه الأخيرة كانت تمثل محطة هامة للقوافل التجارية القادمة من الشمال نحو الجنوب ثم نحو تونس وليبيا وصولا إلى أواسط إفريقيا، وبحكم موقعها القريب من الحدود فقد كانت مكانا لتخزين السلاح الذي كان يأتي من تونس وليبيا ومصر حسب شهادة الكثير من المجاهدين،ثم يتم نقله فوق الجمال والبغال في أكياس التمر إلى تقرت لينقل بعدها عبر القطار الرابط بين تقرت وبسكرة إلى منطقتي مشونش والأوراس بـــواسطة "لخضر بن موسى،وعقبة العقبي" اللذين كانا يعمـــلان في

[1] عمار قليل، **ملحمة الجزائر الجديدة** ، الجزائر،ج2،1993،ص

القطار[1]،وما يؤكد هذا الطرح هو شهادة المجاهد بومادة محمد بن محمد يذكر قائلا:" في فترة عمل اللجنة الثورية للوحدة والعمل[2] كنت رفقة شنين قدور وحجاج الحاج الخير نعمل على نقل السلاح إلى السيد لهلالي الساكن بالحوش ببسكرة، وكانت كلمة السر في تسليم الأسلحة هي إخراج ورقة 20 فرنك (أي ربعة دورو) لتأكد من أننا مجاهدين".[3]

وعقب انتهاء الحرب العالمية الثانية تركت الجيوش الإيطالية والألمانية المنهزمة مخلفات أسلحتها في صحاري ليبيا وتونس، فكانت قوافل تهريب السلاح في مد وجزر عبر ورقلة وادي سوف ووادي ريغ وبسكرة، تزعمتها قبائل البدو الرحل، مما جعل هذه الفترة تعرف رواجا كبيرا لتجارة السلاح،أو ما يعرف بالسوق السوداء، وفي المقابل كانت السلطة الفرنسية تسعى لشل تلك الحركة التجارية، وهو ما يفسر حدوث الكثير من الاشتباكات المسلحة بينها وبين تلك القوافل[4].

إن الوثائق الأرشيفية التي اطلعنا عليها تقر بأن الأوضاع بمنطقة ورقلة والمناطق المجاورة في حالة جيدة، وليس هناك ما يقلق القوات الفرنسية خاصة في أواخر الأربعينات وبداية الخمسينات من القرن العشرين[5]،غير أنه حسب شهادة شقيق الشهيد شنين قدور ذكر أن

---

[1] قام الشهيد لزهاري التونسي بتهريب لخضر بن موسى وعقبة العقبي المشرفين على نقل المئونة من تقرت نحـــو الجبال بعدما علم من أحد أصدقائه كان يعمل بجهاز الشرطة اسمه محمد نواري من بريكة، وفي نفس الوقت يعمل لصالح الثورة داخل صفوف العدو.

[2] اللجنة الثورية للوحدة والعمل:منظمة جزائرية تأسست يوم 23 مارس 1954م من طرف أعضاء المنظمة الخاصة والمركزيين وتولى رئاستها محمد بوضياف.

[3] شهادة المجاهد بومادة محمد بن محمد مصورة ومسجلة، بتاريخ 2005/09/25،متحف المجاهد بتقرت

[4] عمار حشية، **في الأطلس الصحراوي** ،الجزائر، دار إفريقيا للنشر،2001،ص11.

[5] Rapport Mensuel sur la Situation des Territoires Militaire des Oasis ,période du 5juin au 5 juillet 1949 , C.D.A.W.O, B410 .voir aussi : Rapport Mensuel sur la Situation des Territoires Militaire de Touggourt ,mois de septembre 1952 , A.O.M , OA19.

أخاه الشهيد كان خلال الأربعينات يتاجر في بيع السلاح الذي يحضر من ليبيا وتونس وفي صائفة 1944م ألقت السلطة الاستعمارية بغرداية القبض على المرحوم سي الطيب شريف من متليلي ومعه 16 بندقية من ننوع ستايتي صنع ألماني، وآخر يسمى زرباني بوبكر بن مرزوق،واعترفا تحت التعذيب بمن يعمل معهما، فالقي القبض بورقلة على كل من الأشخاص التالية أسماؤهم: المش محمد، عواريب بوجمعة، شنين قدور،وحكم عليهم بالسجن ما بين سنة إلى سنتين تنقلوا خلالها مابين سجون الحراش،والبرواقية،ولامبيز بباتنة.[1]

المبحث الثاني: موقف سكان منطقة ورقلة من اندلاع الثورة التحريرية:

كان لاندلاع ثورة أول نوفمبر 1954م وقعٌ على سكان ورقلة وضواحيها،إذ لم يكن عامة الناس على علم بالحقائق الجارية في الشمال،إلا قلة قليلة حيث كانت تراقب الوضع من بعيد،يستفسرون عما يجري هنا وهناك،ويسألون المسافرين القادمين من الشمـــــال،و تجار التمور والناقلين للبضائع والسلع من وإلى مدن و قرى التل خصوصا القادمين من بسكرة و باتنة و قسنطينة الجلفة و المدية و الاغواط،فينقلون لهم ما يجري ،ويصفون لهم الأحداث و العمليات التي تستهدف مقرات الشرطة و الدرك و المراكز الحيوية،ونقل الأخبار عن تصفيات الخونة و العملاء ،وتنفيذ الإعدام في غلاة المستعمرين،بالإضافة إلى الإعلام العربي الذي لعب دورا كبيرا في التعريف بالقضية الوطنية في أوساط الشعوب وذلك عن طريق إذاعة صوت العرب [2]،ومن ثم بدأت التعبئة الثورية تتم بين الناس ،لتبليغ أصداء الثورة و الأسباب الحقيقية التي دفعت بالوطنيين لتفجيرها و خوض غمارها،وشرح أهدافها،وكان ذلك عن طريق توزيع المناشير الثورية ،أو عن طريق الأفراد الذين كانت لهم علاقات أسرية أو اجتماعية،و معاملات تجارية

[1] شهادة شنين الحاج ،المصدر السابق.

[2] شهادة المجاهد مولاي محمد بن قويدر مصورة ومسجلة،بتاريخ 2005/09/25، متحف المجاهد بتقرت.

بالمنطقة،هذا زيادة عن دور الشعانبة في نشر أصداء الثورة وتثبيتها عبر مختلف مناطق الجنوب الشرقي، بحكم معرفتهم للمناطق كأدلاء.[1]وقد شهدت الفترة الأولى للثورة التحريرية بالمنطقة (54-56) مرحلتين وهما :

أولا/ مرحلة الاتصالات وتشكيل الخلايا المدنية الثورية :

إن الأحداث الثورية التي عرفتها منطقة الأوراس دفعت بمناضلي الحركة الوطنية عن طريق الاتصالات ببعض القادة إلى تهيئة الجو المناسب وتبليغ أصداء الثورة ، وتوفير الأرضية الصلبة للعمل المسلح،وهو ما أكده المجاهد سليمان فراجي سليمان قائلا: "أن القائد سي الحواس كان قد قدم إلى مناطق الجنوب الشرقي في إحدى جولاته المتعددة التي شملت تقرت، ورقلة، غرداية...، وكان ذلك سنة 1953م،وهي فترة التحضير للثورة المسلحة، وقام بالاتصال ببعض الشخصيات الفاعلة في الحركة الوطنية بهدف التحسيس والدعاية "[2]،واعتبرت هذه الاتصالات الأولية بمثابة عملية جس نبض لمعرفة مدى استعداد المواطنين لخوض الكفاح المسلح.[3]

وتجدر الإشارة إلى أن الصحراء كانت بصفة عامة تابعة للمنطقة الأولى ويتقاسم قيادتها قائدين هما:

- زيان عاشور (المدعو سي زيان) [4]وكان يبسط نفوذه على المنطقة الغربية الواقعة بين أولاد جلال والبيض، وكان مساعده المباشر عمر إدريس.[5]

---

[1] EL Moudjahid (quotidien) ,n° 40, 24 avril 1959, vol 2,p 233

[2] شهادة المجاهد سلمان فراجي مصورة ومسجلة ،بتاريخ 200/04/09، متحف المجاهد بتقرت.

[3] الهادي درواز، **الولاية السادسة التاريخية تنظيم ووقائع 1954– 1962**، الجزائر، دار هومة، 2002، ص126

[4] من مواليد أولاد جلال ببسكرة، كان مناضلا ناشطا في حزب الشعب ،وعند اندلاع الثورة كان في السجن أطلق سراحه سنة 1955 التحق بصفوف جيش التحرير، ثم بدأ في تنظيم المقاومة في جهته حيث كون جيشا يضم حوالي 1000 مجاهد مزودا بأسلحة عسكرية ينشط بين أولاد جلال والبيض ،وكان بن بولعيد يعول عليه كثيرا ولا يتوقف الثناء عليه، استشهد عاشور زيان يوم 09 نوفمبر 1965 في بوكحيل ناحية بوسعادة. أنظر: عمار حشية، مصدر سابق، ص28 .

[5] كان مناضلا نشيطا في سلك الحركة الوطنية ،التحق بالثورة في بداياتها وكلف من طرف بن بولعيد بتنظيم الثورة في جبال أولاد نايل بالاشتراك مع عاشور زيان ،وبعد استشهاد هذا الأخير أصبحت المنطقة تحت قيادته بعد

- حسين بن عبد الباقي (المدعو سي الحسين) وكان يبسط قيادته على المنطقة الشرقية من الصحراء، ويساعده في القيادة أحمد بن عبد الرزاق (المدعو سي الحواس) [1]هذا الأخير الذي كان بحكم مهمته السياسية يتنقل ويقوم بالاتصالات خاصة في نطاق المنطقة الرابعة التي تشمل مناطق الزيبان وامدوكال وورقلة ووادي ريغ بهدف التعبئة والتجنيد،ونتيجة لهذه الاتصالات تشكلت اللجان الأولى عبر مختلف أنحاء ورقلة.[2]وللعلم فان المنطقة الرابعة تنقسم إلى ثلاثة نواحي هي[3]:

أ- الناحية الأولى: بقيادة الملازم الثاني الشهيد سي ابراهيم سعادة، والملازم الأول العسكري الشهيد محمد شعبان،والملازم الأول السياسي سي المسعود اونيسي، والملازم الأول للاتصال والأخبار سي محمد الشريف عبد السلام.

ب-الناحية الثانية: بقيادة الملازم الثاني سي بلقاسم مشيش، والملازم الأول العسكري الشهيد سي دحمان عسوس، والملازم الأول السياسي الشهيد سي احمد اوريجع.

ج- الناحية الثالثة : بقيادة الشهيد احمد طالب، والملازم الأول العسكري الشهيد محمد السبع، والملازم الأول للاتصال والأخبار الشهيد سي احمد طشايشي.

وفي لقاء مع السيد "قويدر أولاد مسعود قومار" بمقر الزاوية القادرية ، قصد معرفة موقف الطريقة القادرية من الثورة الجزائرية صرح لنا قائلا:" أنه في سنة 1955م حل بمدينة ورقلة سي الحواس وبشير شحاني والجيلالي بالحوتية، حيث زاروا شيخ الزاوية حمّ.

التمكن من القضاء على جماعة بلونيس، كان يلقبه المجاهدون بعمر لا ليجو للونه الأشقر ولباسه المشابه للباس الفرنسيين، عين كتائب أول لقائد الولاية السادسة سي الحواس ،ألقي عليه القبض يوم 28 مارس 1959م وتم إعدامه.أنظر:عمار حشية ،مصدر سابق ،ص28.

[1] سي الحواس: هو أحمد بن عبد الرزاق، من مواليد 1923م، كان أول قائد للمنطقة الثالثة للولاية الأولى ثم أصبح قائدا للولاية السادسة،كان يتميز بذكاء خارق وبعد في النظر، يعود له الفضل الكبير في تنظيم إطارات وهياكل جبهة وجيش التحرير في الولاية السادسة، قاد جيشا من الأبطال لحماية الصحراء من براثين الاستعمار واستمر نضاله إلى غاية استشهاده برفقة العقيد عميروش في 28 مارس 1959م.

[2] عمار حشية، مصدر سابق، ص 20-21.

[3] المنظمة الوطنية للمجاهدين،**التقرير الجهوي الثاني لكتابة تاريخ ثورة أول نوفمبر 1954م**، المرجع السابق.

باهي(المدعو أبي الصحور نورالدين)[1] بالرويسات ،وعقدوا معه اجتماع بهدف الدعاية للثورة في أوساط أتباع الطريقة، والتنسيق معه لتوسيع انتشار ثورة التحرير بالمناطق الصحراوية"[2]،يبقى هذا القول مجرد كلام يحتاج إلى أدلة واضحة، لكون أن معظم شهادات مجاهدي ورقلة أشاروا إلى الدور الكبير الذي قام به حمّ باهي شيخ القادرية في العمل الثوري بالمنطقة خاصة بين 1957م و1962م ،غير أنهم لم يشيروا إلى هذه الزيارة السالفة الذكر.

وحسب تحلينا وتمحيصنا لشهادات بعض المجاهدين ، وجدنا أن طريقة الاتصال بالأهالي لتجنيدهم كانت تتم في الأعراس والمناسبات الدينية ، ومن خلالها جندوا المئات من الشباب، وبدأت السلطة الاستعمارية التي كانت تحكم الجنوب تشتم رائحة الثورة قد قربت منها،خصوصا بعدما علمت وبعد فوات الأوان قدوم مسؤوليين من المقاومة

---

[1] هو الشيخ "حساني محمد بن إبراهيم الشريف، من مواليد خلال 1923م بمنطقة الرويسات (ورقلة)،تربى في أحضان الطريقة القادرية وشرب منها، ثم تلقى تعليمه القرآني والديني وحفظ المتون والفقه ودروس التوحيد برعاية والده وأجداده، وتتلمذ على يد شيوخه الطالب "علال قريشي"، "أحمد برغده" وغيرهم، تزوج أربع نساء من أسر معروفة، ترك العشرات من الأحفاد وعدد من الأبناء والبنات في مستويات تعليمية مختلفة، وبدا نشاطه السياسي بالتحاقه بصفوف حركة الانتصار للحريات الديمقراطية،وبقي يواصل نضاله رفقة رجالها سرا عبر مناطق بسكرة والوادي وتبسة والعاصمة،انطلاقا من مقرات الزوايا المنتشرة عبر الوطن، وعقب اندلاع الثورة التحق بصفوف المنظمة المدنية لجبهة التحري الوطني بورقلة عام 1956م، وكلف بعملية الاتصال، حيث كون له اتصالات كبيرة وسرية في تمويل الثورة بالسلاح والذخيرة والتنسيق مع الولاية الخامسة، واستمر جهاده إلى أن اعتقل، ثم فر من سجنه وحكم عليه بالإعدام غيابيا في جانفي سنة 1962م وبقي مختبئا في حماية المناضلين بضواحي المدينة إلى غاية الإعلان عن الاستقلال، بعدها عين كأول رئيس بلدية ورقلة إلى سنة 1964م،وبعدها تفرغ لأعمال الزاوية القادرية إلى أن وافته المنية يوم الجمعة الموافق ل11 أفريل 2008م عن عمر يناهز85،ودفن بمسقط رأسه.ينظر: حكيم عزي،« الفقيد محمد بن إبراهيم الشريف" شيخ الطريقة القادرية بالجزائر وعموم إفريقيا»،**الشروق اليومي**،2008/04/12، العدد 2273.

[2] حوار مع السيد قويدر أولاد مسعود قومار بمقر الزاوية القادرية بورقلة،بتاريخ 2011/09/09،بالإضافة إلى أن التصريح منشور في كتاب مخطوط بعنوان"**الشعانبة وحركاتهم الثورية**".(السيد قويدر: احد مريدي الطريقة القادرية بورقلة)

المسلحة، وإقامتهما بتقرت والحجيرة لدراسة الكيفية التي بواسطتها يمكن لجيش التحرير الوطني الانتشار بالمنطقة واتخاذها مقرا متأخرا لقيادة عمليات فدائية[1]

ثانيا/ مرحلة تجميع السلاح والعمليات الفدائية:

على الرغم من الفترة الأولى لحرب التحرير في المنطقة لم تشهد تأسيس فرق لجيش التحرير مثلما كانت في شمال البلاد ، والتي طبع عليها العمل تكوين خلايا للاتصالات، إلاّ أن المسؤولين عملوا على تشكيل خلايا مدنية شعبية هدفها جمع الاشتراكات والسلاح والتموين،على الرغم من سكان ورقلة كانوا فقراء لكونهم يعتمدون على الزراعة المعاشية المحلية،غير أنهم كانوا أغنياء بالروح الوطنية،فهم يثيرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.والجدير بالذكر أن مجاهدي ورقلة فيهم من ناضل في المنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني، وفيهم من ناضل في صفوف جيش التحرير الوطني خارج المنطقة ،وعليه فان العمل الثوري بورقلة يمكن تقسيمه إلى أربعة جبهات،من خلال شهادات المجاهدين، وبعض رسائلهم:

1- جبهة وسط ورقلة
2- جبهة ورقلة- غرداية
3- جبهة ورقلة – الحدود الجزائرية التونسية
4- جبهة ورقلة- الحدود الجزائرية الليبية

فيما يخص الجبهة الثانية والثالثة والرابعة، فإن معظم المجاهدين دفعتهم عدة ظروف عسكرية واجتماعية وعلمية للهجرة، فجبهة غرداية كانت ملاذا للكثير من المجاهدين الملاحقين من طرف السلطة الاستعمارية، مما دفع بهم إلى الاستقرار بالمنطقة والنضال مع أهلها، أما جبهتي الحدود الجزائرية التونسية،والحدود الجزائرية الليبية، فتعتبران الوجه المشرف للكثير من مجاهدي ورقلة الذين لم يتسنى لهم العمل الثوري في منطقتهم،ففي تونس وجدوا أنفسهم وهم يزاولون دراستهم بجامع الزيتونة أو المدرسة الخلدونية

---

[1] عبد الحميد نجاح، المرجع السابق، ص42

مناضلين في جيش التحرير الوطني على الحدود بعفوية،حيث توقفوا عن الدراسة ولبّوا نداء الواجب الوطني، أما في ليبيا فعملية جلب السلاح هي التي دفعتم إلى التواجد هناك على الحدود،وفي هذا الصدد سنأخذ أربعة نماذج لشهادات حية عايشت العمل الثوري على مستوى كل جبهة.وللإشارة فإن مقياس اختيارنا لهذه النماذج الأربعة من الشهادات الحية،هو مدى قوة ذاكرة المجاهدين في استرجاع الأحداث بتسلسلها الزمني،على غرار بعض الشهادات الأخرى التي غلب عليها الخلط في ذكر الأحداث،وتناقض الروايات في بعض الحالات.

1- **جبهة وسط ورقلة: شهادة المجاهد الشنين الشيخ بن محمد:** من مواليد 1918م بورقلة، التحق بصفوف المنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني سنة 1956م،وعن ذلك يقول: « انضممت إلى الثورة عن طريق المولدي السوفي (كاتب بالبلدية)،سي احمد بن الصغير، وذلك كنا نجلس كل جمعة في حانوت أحميدة بالسوق،اطهي لهم الشاي ونتجاذب أطراف الحديث عن الثورة والفرنسيين،وفي نفس الوقت ادفع لهم مبلغ الاشتراك كل شهر،وكان المولدي السوفي يبعثها بدوره إلى وادي سوف، وفي مرة من المرات اكتشفت دورية للجيش الفرنسي وصولات الاشتراك، فألقت عليه القبض، ووضعته في السجن بقسنطينة إلى غاية الاستقلال، وفيما يخص إدخال السلاح، فكان يأتي به رفقاء الشهيد شنين قدور من ليبيا، وكانوا يمرون على دوريات الجيش الفرنسي دون أن يكتشف أمرهم، حيت كانوا يخبئون الأسلحة في أسفل صناديق محملة بالتمر، فلما تستوقفهم دورية الجيش الفرنسي للتفتيش، فيطلب الإخوة من الجنود الفرنسيين أخد القليل من التمر، لاستغفالهم وإبعاد الشك والخطر عنهم، فتتركهم الدورية يمرون بسلام....».[1]

2- **جبهة ورقلة– غرداية: شهادة المجاهد بلقاسم بن احمد بن براهيم بوخطة:** من مواليد 1934م بورقلة،بدأ عمله الثوري بغرداية سنة1955م،وعن ذلك يقول:«

---

[1] شهادة المجاهد شنين الشيخ مصورة ومسجلة، بتاريخ 2006/05/01،متحف المجاهد بتقرت

التحقت بالثورة وأنا صغير السن، و لم أكن اعرف ما هي الثورة؟،كنت آنذاك قد كلفت بمهمة الاتصال بالتعاون مع عمر زهواني، محمد جغابة[1]، هذا الأخير الذي قام بعملية فدائية تمثلت في مقتل مترجم عسكري فرنسي، على اثر هذه العملية، انسحبا نحو منطقة العطف وبقينا فيها إلى غاية 1957م،حيث أصبحت مسؤول مركز،واثر وشاية من طرف أحد العملاء، طلب والدي وأعمامي مني الهروب نحو المنيعة أو ورقلة، فقلت لهم أعطوني رسالة أسلمها إلى مسؤولي المنطقة التي سأذهب إليها، فاختارت ورقلة للذهاب عند عمي،بعدما سُلمت إليَّ رسالة ثورية لكي أعطيها للمجاهد محمد الصيد برجال، وصلت إلى ورقلة وسالت عن دار محمد الصيد برجال،فذهبت إليها ودقدقت الباب، ففتح لي وسلمته الرسالة، فقرأها، ثم طلب مني العودة غدا قُدّام الدار من بعيد،وهذا ما حدث،فجئت في اليوم الموالي وذهبنا إلى مقبرة بني ميزاب،وعقدنا جلسة تباحثنا في محتوى الرسالة،بعدها كلفني بتكوين مناضلين بالمخادمة،وكان هذا في أواخر سنة1957م،فكونا قسمة مكونة من: حبيرش محمد،طمار،حمدات احمد، وكلفت في هذه القسمة بفرع المسبلين، مع جمع الاشتراكات واللباس والسلاح،ثم إرسالها إلى بريّان، واستمرينا في هذا العمل إلى غاية الستينات،حيث بدأت السلطة الاستعمارية تكتشف أمرنا، مما دفعني الهروب نحو منطقة ايليزي... ».[2]

3- جبهة ورقلة- الحدود الجزائرية التونسية: شهادة المجاهد كنوش احمد بن ميلود :

هو من مواليد 4 جوان 1935م بورقلة، هاجر إلى تونس سنة 1949م في البحث عن العمل،واستطاع أن يعمل عند الوزير الأكبر آنـذاك محمد شنيق[3]،ولما اندلعت الثـورة

---

[1] محمد جغابة:من مواليد 05 نوفمبر 1935 بالقنطرة ببسكرة،التحق بصفوف الثورة في بدايتها، سنة1955 ،تم أسره من طرف الجيش الفرنسي ليطلق سراحه أشهر من بعد، هذا لم يمنعه من مواصلة الكفاح في صفوف جيش التحرير الوطني إلى غاية الاستقلال ،في سنة 1986 عين وزيرا للمجاهدين ،وبعدها في سنة1991م عين كسفير للجزائر ببولونيا، من آثاره كتابين وهما :"وما خطر على بال البشر" سنة 1997،و" بيان أول نوفمبر، دعوة إلى الحب، رسالة للسلام" سنة 1995م.

[2] شهادة المجاهد بوخطة بلقاسم مصورة ومسجلة،2008، متحف المجاهد بتقرت

[3] محمد شنيق هو مَحمد بن محمد بن حسن شنيق، ولد بتونس العاصمة عام 1889م، وتوفي يوم 20 نوفمبر 1976م، سياسي تونسي تولى الوزارة الكبرى مرتين أولاهما عام 1943م والثانية في مطلع الخمسينات.

التحريرية عاد إلى ورقلة لمعرفة أحوال أهله وبلده،وكانت بدايته الأولى في العمل الثوري بدفع الاشتراكات وعقد الاجتماعات مع مسؤولي الخلايا المدنية بورقلة،وكانت الاشتراكات حسب قدرة كل فرد على العطاء دون إلزامه بمبلغ معين،وكانت مبالغ الاشتراكات محصورة بين 5 دنانير و10 دنانير.

وعن التحاقه بصفوف جيش التحرير الوطني بالحدود الجزائرية التونسية(القاعدة الشرقية[1]) يقول:« التحقت بالثورة في 12 أكتوبر 1960م بمركز الزيتون للتدريب العسكري عن طريق المجاهد عبد القادر مريقة المكلف بجمع الاشتراكات، حيث أعطاني استدعاء من رئيس مكتب التجنيد ببني ورقلا، رفقة زملائي:زروق احمد، لكحل محمد،وكان مكتب التجنيد بقيادة كلا من السادة: ناجي دباغين،عفو محمد الشريف"،فذهبنا إلى مكتب التجنيد على الساعة الحادية عشر صباحا،حيث استقبلنا عفو محمد الشريف، وطلب منا أن نحضر غدا على الساعة الثانية عشر،فرجعنا يوم غد بالتوقيت المحدد لنا، فوجدنا سيارة متوقفة أمام مكتب التجنيد، فعلمنا أن في الأمر شيء، دخلنا المكتب، وبعدها اخذ سي عفو محمد الشريف يمدحنا وينصحنا ويشرح لنا المهمة الوطنية التي كلفنا بها،ثم أخذنا سائق السيارة التي كانت متوقفة أمام مكتب التجنيد إلى

---

[1] يذكر الأستاذ جمال بلفردي أن سوق أهراس كانت مقرا للقاعدة الشرقية والتي يمتد موقعها الجغرافي – القاعدة الجغرافية- داخل التراب الجزائري: من العيون والقالة إلى مدينة عنابة شمالا، أما شرقا فإنها تمتد من الشمال إلى الجنوب عبر المدن الآتية: العيون –الزيتونة – عين الكرمة- الونزة- المريج- نقرين ملامسة للحدود التونسية. أما القواعد الخلفية للثورة الجزائرية والموجودة بالتراب التونسي والمنتشرة عبر القطر فإن مقر الجيش للتحرير الوطني كان بمدينة الكاف القريبة من العاصمة تونس، وأمام اتساع نشاط جيش التحرير الوطني على الحدود خاصة سنة 1957م، لإدخال قوافل الرجال والسلاح أرتأ للقيادة أن تنقله إلى غاردماو في أفريل 1957م.ولما أصبحت القاعدة الشرقية تحت مظلة لجنة العمليات العسكرية في أفريل 1958م اتخذت هذه الأخيرة غاردماو مقرا للقيادة العامة، وفي سنة 1960م أصبحت القاعدة الشرقية تحت سلطة هيئة الأركان العامة مكلفة بالعمليات العسكرية في القطاع الشمالي، وعرفت بمنطقة العمليات الشمالية، وحددت مهامها: مثل القيام بعمليات عسكرية خاصة على مستوى خطي شال وموريس لترك قوات العدو حالة استنفار قصوى، وتمكين القوافل الخاصة بالسلاح والرجال بالمرور بسلام.ينظر: جمال بلفردي، **هيكلة وتنظيم جيش التحرير الجزائري على الحدود الشرقية والغربية**، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر(مخطوطة)،المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم،بوزريعة، 2005/2004،ص 31

مركز التدريب بمنطقة الزيتون(غار ديماو)[1]، وتدربنا هناك لمدة ستة أشهر،فعلمنا كيفية استخدام السلاح الخفيف الثقيل،مثل سلاح خماسي، وبندقية الموزيط(فرنسية الصنع)، وبعد انتهاء فترة التدريب إستجمعونا في ليلة من الليالي،وقسمونا إلى مجموعة فيالق وكتائب،وكنت أنا ضمن فيلق 72 ،والكتيبة الرابعة المتخصصة في السلاح الثقيل بقيادة خالدي الطاهر،وجاء احد القادة وخطب فينا خطبة وطنية قائلا بالعامية:" إخواني الجيش راكوم رايحين إلى مكان ناقصوا الحطب.."، ففهمنا المغزى والمقصود من الخطاب، ومن ثم ركبنا الشاحنات،وكنت برفقة حسن السعيد، وذهبنا إلى دوار ماء الابيض على حدود تبسة،وخضنا عدة اشتباكات مع العدو، وبقينا هناك إلى غاية وقف إطلاق النار،الذي سمعناه عن طريق المذياع بصوت عيسى مسعودي،وفي منتصف نهار 19 مارس 1962م، توقف القتال،وفرح افرد الجيش، وبدؤا يمرحون ويرقصون لفرحة الانتصار...».[2]

4- جبهة ورقلة– الحدود الجزائرية الليبية :شهادة المجاهد مولاي محمد بن قويدر: هو من مواليد 1933م بورقلة، تعرف عن الثورة عن طريق مصطفى بالخادم الذي نزل ضيفا عنده لمدة أربعة أيام،وكان يحمل قنابل(غراناد) ووثائق ومنشورات ثورية تركها عنده في المنزل وسافر بنية العودة إلى ورقلة،وبعد مدة سمع انه القي عليه القبض فقام بتسليم الوثائق إلى مجموعة من المناضلين بورقلة :ومنهم الزيغمي سي بلقاسم،حسيني محمد،غزال سي محمد بلحسن.[3]

---

[1] مع تعاظم نطاق المعارك ، وتماشيا مع الوضعية الحربية اتخذت لجنة التنسيق والتنفيذ في أواخر سنة 1957م قرارا يسمح بتمركز وحدات جيش التحرير الوطني على الحدود التونسية– الجزائرية، منها: *مراكز زيتون 1، زيتون2، زيتون3 للتدريب العسكري، وكانت قريبة من مركز القيادة العامة بغار دماو ، بالإضافة إلى مركز واد ميلق الذي يعتبر من أهم مراكز جيش التحرير الوطني في تونس، ويقوم بالتدريب العسكري ، وتخزين الأسلحة وتموين الجنود، وجمع المساعدات التي يتحصل عليها الجيش من الدول الصديقة والشقيقة،وكان الهدف من هذه المراكز هو تكيف التدريبات ، وتطوير أسلوب المواجهة مع القوات الفرنسية ،والتدريب على كيفية شن الهجومات ، وبدون انقطاع على مراكز العدو على طول خط الجبهة الشرقية .ينظر: جمال بلفردي،المرجع السابق، ص34

[2] شهادة المجاهد كنوش احمد مصورة ومسجلة، بتاريخ2006/05/01، متحف المجاهد بتقرت

[3] شهادة المجاهد مولاي محمد بن قويدر مصورة ومسجلة، بتاريخ2005/09/25، متحف المجاهد بتقرت

وعن التحاقه بالثورة في الحدود الليبية يقول:« في سنة 1957م كنت في تارات (قرب غات) حيث التقيت بالإخوة المجاهدين وهم: السيد عابدين، وبلحاج احمادو مساعد الضابط صوايعية، وهناك عملت معهم في إطار التموين وجمع الملابس العسكرية الرسمية لضرورة التخفي، وجمع بعض الأدوية والخرطوش التي كنت أجمعها من الثوار،أو تُشترى من بعض الأشخاص العاملين بالكتائب الصحراوية المهاريست(فرق المهاري الصحراوية)[1]، بالإضافة إلى رشوة بعض الجنود الفرنسيين بالغزال،أو ببعض المصنوعات التقليدية، فيعطوننا ما نحتاج من خراطيش ولا يحاسبون عليه أفراد المهاريست...وفي نفس السنة تقرر القيام بعمليات عسكرية لإثبات وجود جيش التحرير في تلك المناطق،وتم اختيار شاحنات النقل للمعمر الفرنسي دي فيك *Dific*،وكان دوري هو نقل مخطط سير الشاحنات الحاملة للبنزين والمواد،وكان قد كلفا كلا من بلحاج احمادو والسيد عابدين .بمعرفة الطرق التي تمر منها الشاحنات،والوقت الذي تأتي فيه، وهكذا تمت العملية بنجاح حيث تم إحراق الشاحنات مع سائقيها في طريق الحدود قبل وصولها إلى تارات،...وما بين 1958م و1962م كنت كثير التردد بين ورقلة والحدود الليبية ومنطقة غدامس،فكانت لي فرصة للقيام ببعض المهام مثل إرسال الأسلحة والعتاد والذخيرة إلى منطقة متليلي حسب الأوامر الصادر من قيادة الولاية السادسة...».[2]

من خلال هذه الشهادات يمكن القول إن المنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني بورقلة استطاعت أن توفر أموالا وألبسة وأسلحة من التبرعات وعطاءات السكان[3]،مثلما كان يفعله الشهيد احمد تمام رفقة زملائه لاسيما أموال الزكاة التي كان يجمعها من تجار المنطقة، بالإضافة إلى استخدام إبله في تهريب الأسلحة والذخيرة على طول الخط الرابط

---

[1] تأسست بمرسوم 1افريل1902م في عهد العقيد لابرين Laperrine، وذلك بهدف إقرار الأمن بالمناطق الصحراوية،وهي تتكون غالبا من البدو المتواجدين بعين المكان.للمزيد ينظر:

Gouverneur général de l'Algérie, Direction du Territoire du sud, **Historique des Compagnies Méharistes 1902-1952**, Alger, impr.Officielle,1955,p127.

[2] شهادة المجاهد مولاي محمد بن قويدر،المصدر السابق.

[3] شهادة المجاهد كنوش احمد، المصدر السابق.

بين ورقلة والبيض،والتي كان يتم جلبها من مناطق غدامس وفزان بليبيا والجريد التونسي، ومما يُروى عنه: "أنّه طلب منه ذات مرة تحضير أسلحة على جناح السرعة،فقام بتحضيرها ووضعها داخل أكياس التمر،ثم سافر بها من ورقلة إلى غرداية، على متن حافلة للنقل العمومي،متحديا الحواجز الأمنية التي غرسها الجيش الفرنسي على طول الطريق، إلى أن أوصلها إلى المكان المتفق عليه دون اكتشاف أمره من طرف السلطات الاستعمارية".[1]وحسب شهادة المجاهد الحاج عمر طواهير فقد تم اعتقاله سنة 1956م بتهمة إيواء كلا من محمد بن بيتور، ومحمد بن معمر، وإعطائهما الحقن الطبية، مع مصادرة 16 بندقية من نوع ستايتي و200 حقنة بنسلين[2].هذا بالإضافة إلى القيام بعمليات فدائية إن سنحت الفرصة، فقد استمر العمل النضالي تحت غطاءات سرية، مثلما فعل المجاهد احمد خليل خاصة بعد إطلاق سراحه، حيث استمر ينشط تحت غطاء التعاونية الغذائية لاتحاد الشباب الصحراوي.[3]

وما بين 1956م و1958م شهدت المنطقة تطورا عسكريا كبيرا نتيجة لثلاثة متغيرات عسكرية وهما:

أ- تزايد عدد المنخرطين في صفوف المنظمة المدنية لجبهة التحرير بورقلة ، واتساع نطاق العمل الثوري خارج حدود منطقة ورقلة وصولا إلى غرداية ومتليلي والأوراس، وجبال القعدة، وجبال لعمور ناحية آفلو والبيض.[4]

ب- انتعاش الاشتراكات والتبرعات المالية ،وحركة إدخال السلاح عبر الحدود الشرقية مع تونس وليبيا، وهذا ما أكده تقرير فرنسي مؤرخ في 19 ماي 1960م، في إطار إعادة التحقيق من طرق قاضي التحقيق بالمحكمة الدائمة للقوات المسلحة بمنطقة شمال

---

[1] عبد الحميد نجاح، المرجع السابق، ص57

[2] شهادة المجاهد الحاج عمر طواهير، بتاريخ 17 فيفري 2002 بالرويسات،(مخطوطة)

[3] دوني بيلي ، المرجع السابق، ص81

[4] تقرير مكتب منظمة المجاهدين حول وقائع ثورة التحرير بولاية غرداية للفترة ما بين 1959-1962.(غير مرقم)، بالإضافة إلى مجموعة من الشهادات الحية لمجاهدين التحقوا بالثورة في هذه المناطق مثل: بخديجة عدة،بوخريص عمر،بخديجة مسعود، بن التاج الحاج القرادي (الولاية الخامسة- آفلو)،حاتية سعد (الولاية الخامسة- القعدة)،بشيري بشير، دقناتي الطيبب، توشن مسعود(الولاية الأولى- الأوراس)،بوخطة ابراهيم، بوخطة بلقاسم(الولاية السادسة- متليلي)،....وغيرهم.

الجزائر مع مجموعة من المناضلين بورقلة تم اعتقالهم وهم:(مداني الطيب، مخرمش معمر،مخرمش محمد، الشطي عبد القادر، دغموش علي، الداوي احمد)،وكانت تهمة الاعتقال التي نسبت إليهم حسب ما جاء في محضر التحقيق، هي المساس بالأمن الخارجي للدولة والسلطة خلال 1958م و1959م،وذلك من خلال الدعم بنشاطهم السري للنشاط المعادي لفرنسا(تهريب السلاح، وجمع المال)، وهي مخالفة منصوص عليها في المواد 80،83 من القانون الجزائي، والقرار رقم 55503 المؤرخ في 7 أفريل 1959م[1]، وفي ذات السياق يذكر مولاي محمد بن قويدر أنه في سنة 1958م تم فتح خط اتصال بين ورقلة وبوسعادة، وكانوا يبعثون الخراطيش والأسلحة بأوامر من حسيني محمد بن لحسن عن طريق شاحنات تحمل أكياس التمور، يملكها تجار من ورقلة مثل: بوعكة الشيخ ،ومهيري رحمون، ومن الأمثلة على كميات السلاح التي كانت تصل إلى بوسعادة تحت إشراف حساني حم باهي(المدعو أبي صحور نورالدين) مايلي[2]:

- 2000 خرطوشة جاء بها من ليبيا شخص يدعى (طويل) وسلمها للأخ حسيني محمد بن لحسن.
- 6000 خرطوشة مختلفة الأنواع.
- 400 قطعة سلاح.
- ملابس، تمر...الخ .

ج- التقسيم الجديد الذي خرج به مؤتمر الصومام في 20 أوت 1956م، وإضافة الولاية التاريخية السادسة، وكانت منطقة ورقلة تمثل الناحية الرابعة ،المنطقة الرابعة ،من الولاية السادسة، والتي تعاقب على قيادتها برتبة ملازم ثاني الإطارات الآتية : محمد شنوفي، وله قسمة يشرف عليها احمد بن يحي (شعبان)، حشاني نصرات، عثمان

[1] Tribunal Permanent des Forces Armées de la Zone Nord-Algéroise, Ordonnance de Renvoi, C.D.A.W.O, B 294.

[2] شهادة المجاهد مولاي محمد بن قويدر،المصدر السابق

حامدي، بورقعة الطاهر. وبرتبة عريف القسمة: النعيمي مويسى (النعمي)[1]،وقد كانت هذه الفترة أكثر شراسة وبطولية من خلال المعارك والعمليات الفدائية التي خاضوها ضد العدو،وخاصة بعد اكتشاف البترول بمنطقة حاسي مسعود[2]سنة 1956م،سواء كأعضاء في خلايا مدنية ثورية متنقلة،أو كجنود يعملون في صفوف الجيش الفرنسي في إطار سياسة التجنيد الإجباري، مثلما حدث مع الشهيد سيد روحو الحاج الذي القي عليه القبض بتهمة التهرب من أداء الخدمة العسكرية،والتي أُجبر على أدائها،ولكنه لم يترك الفرصة تمر حيث استغلها وعمل على خدمة الثورة الجزائرية بكل ما أوتي من قوة ،ودون أن تنتبه السلطة العسكرية التي طلبت منه في إحدى المرات المشاركة في عملية عسكرية فرنسية ضد الأهداف الجزائرية فأبدى اعتراضه ورفضه لتنفيذ الأوامر،مما أدى معاقبته بنقله إلى الجزائر العاصمة ووضعه تحت المراقبة الشديدة[3]،هذا بالإضافة إلى الشهيد روابح عبد الرحمان الذي قدم مع فصيلة عسكرية فرنسية من غدامس بليبيا واستقرت بغرداية، وآنذاك أخد يتصل بالخلايا الثورية بالمنطقة ويعمل على تزويدهم بالسلاح والذخيرة والألبسة العسكرية التمويهية، إلى أن فرّ من الجيش الفرنسي ملتحقا فيما بعد بإخوانه بالثوار[4]،زيادة على القيام بعمليات فدائية على مستوى المنطقة،مثل العملية التي وقعت في شهر أكتوبر 1956م،حيث تم قطع أعمدة الهاتف بورقلة.[5]

والجدير بالذكر أن هذه العمليات كانت تتم بالتنسيق مع قيادة الولاية السادسة التاريخية، وهو ما يؤكده لنا المجاهد مولاي محمد بن قويدر قائلا:«...في سنة 1961 التقيت بالضابط صف مسعودي الشيخ بن علي(حاليا مدير المجاهدين بسطيف)، رفقة

---

[1] المنظمة الوطنية للمجاهدين، **تقرير الملتقى الجهوي الثاني لكتابة تاريخ ثورة نوفمبر 1954 للولاية السادسة،** المنعقد يومي 5-6 فيفري 1985، ص 1- 14.

[2] حاسـي مسعود:نسبة إلى مسعود روابح أحد العرب الرحل من قبيلة الشعانبة والذي حفر بها بئر ماء أو " الحاسي " في بدايات القرن العشرون (حوالي سنة 1917م)، وهي مدينة تابعة لولاية ورقلة،وتعتبر مـن أهـم المناطق في الجزائر من حيث الثروات الطبيعية.

[3] عبد الحميد نجاح، المرجع السابق، ص51

[4] المرجع نفسه، ص52-54

[5] تقرير الملتقى الجهوي الثاني لكتابة...،المرجع السابق،ص170

ضابط صف علي بن تافنة (من المنيعة) في الحدود الليبية ما بين حاسي مسعود والدبداب، والذين كانا تحت قيادة كلا من الضابط الطيب فرحات[1]، والضابط علي بوغزالة[2]، وطلب مني تقديم مخطط أنابيب البترول الممتدة ما بين عين امناس وتونس، لكي يتم تدميرها من طرف قوت جيش التحرير الوطني،غير أن العملية الفدائية فشلت بسب تأخر المكلفين بتفجير الأنبوب البترولي،وعلى الرغم من ذلك فقد عوضت ذلك الفشل بحرق سيارة، وتعليق العلم الجزائري فوق (قارة الهامل) وهي علامة حدودية بين الجزائر وليبيا...».[3]

وفي تصريح لأحد ضباط الولاية السادسة التاريخية يقول: « إذا كان الفضل في سرعة انتشار الثورة وتعمقها واشتدادها بتلك النواحي يعود إلى ثورية القادة، وتفانيهم في العمل وبعد نظرهم، فهو يعود كذلك وأساسا إلى مناضلي تلك الجهات الذين كانوا كثيرا ما يبحثون عن النظام الثوري ويذهبون إليه قبل أن يصل إليهم هذا من جهة، ومن جهة أخرى وفي نفس الوقت امتد العمل الثوري بفضل العديد من البعثات التي أرست قواعد التنظيم الثوري في غرداية ووادي ريغ وورقلة ».[4]وهو ما أكده لنا المجاهد سعيد عبادو قائلا:" أن هاته المناطق لعبت دورا كبيرا في التموين والإمداد بالسلاح، على الرغم من أنها لم تشهد عمليات عسكرية كثيرة نتيجة لعدة أسباب أهمها الطبيعة الصحراوية القاسية".[5]

ثالثا/ موقف سكان ورقلة من إضراب ثمانية أيام سنة 1957م :

من بين أهم الأحداث الهامة في مسيرة الثورة التحريرية الجزائرية، والتي أعطت صدى وبعدا جديدا للثورة المسلحة هو إضراب ثمانية أيام من 28 جانفي إلى 04 فيفري

---

[1] سفير سابق متقاعد.

[2] حاليا عضو الأمانة الوطنية للجاهدين.

[3] شهادة المجاهد مولاي محمد بن قويدر،المصدر السابق.

[4] المنظمة الوطنية للمجاهدين،تقرير الملتقى الجهوي الثاني...،المرجع السابق،ص

[5] شهادة المجاهد السعيد عبادو، بتاريخ 27 فيفري 2012، دار الثقافة مفدي زكرياء بورقلة.

1957م الذي شنه الشعب الجزائري تلبية لنداء جبهة التحرير الوطني،و كان الهدف الأساسي من هذا الإضراب هو إسماع صوت الجزائريين في العالم عشية انعقاد الجمعية العامة للأمم المتحدة لمناقشة القضية الجزائرية، ولتنفيذ هذا الهدف النبيل وجهت جبهة التحرير الوطني بيانا تدعو فيه إلى الإضراب في 27 جانفي 1957م،ومما جاء في البيان ما يلي :﴿ يا أيها الشعب الجزائري المجاهد، أيها المواطنون من تجار وعمال وموظفين وفلاحين ومحترفين إنكم تستعدون لأسبوع الإضراب العظيم أسبوع الكفاح السلمي للأمة التي فاتها شرف الكفاح المسلح، أمضوا مصممين، اصبروا للمحنة والبطش وأنواع العذاب التي يسلطها عليكم العدو ،فالله معكم وجبهة التحرير وجيشها العتيد من ورائكم تشد أزركم وتأخذ بأيديكم إلى النصر إلى الحرية، إلى الاستقلال ﴾.[1]

من خلال هذا البيان لبى سكان ورقلة النداء،فوزعوا المناشير الداعية إلى الإضراب على التجار والعمال والفلاحين ، فشُلّت حركة التجارة والنقل والفلاحة طيلة أسبوع وهي المدة المحددة للإضراب، وهذا ما تؤكده الرسائل المتبادلة بين مدير القرض المالي الجزائري- التونسي بقسنطينة ومدير فرع القرض بإقليم الواحات وتقرت ،فالرسالة الأولى كانت بتاريخ 24 جانفي1957م،وجاء فيها كما يلي: ﴿ سيدي المدير..لنا عظيم الشرف بإخباركم بأن منطقتنا أصبحت جد خطيرة بسبب الحركات الاحتجاجية بتاريخ 22 جانفي كانت محاولات إرهابية ﴾.[2]

والرسالة الثانية من مدير القرض المالي الجزائري التونسي بقسنطينة إلى مدير فرع القرض بإقليم الواحات وتقرت بتاريخ30 جانفي 1957م، وجاء فيها كما يلي:﴿سيدي المدير..عليكم بموافاتي في نهاية الأسبوع بتقرير عن الوضعية السارية بمنطقتكم نظرا لحركة الاحتجاجات المندلعة بتاريخ 28 جانفي الجاري، وعليه نطلب

[1] Mouvement de Grève ,27 Janvier 1957, C.D.A.W.O, B134.
[2] Mouvement de Grève , 24 Janvier 1957, C.D.A.W.O, B134.

منكم تأكيد رد فعل موظفيكم أثناء هذه الحركة خصوصا الموظفين بما فيها عاملات النظافة ».[1]

أما الرسالة الثالثة فهي كانت ردا على الرسالة السابقة من مدير فرع القرض بإقليم الواحات وتقرت،والمؤرخة في 8 فيفري 1957م، حيث جاء فيها :« سيدي المدير..لي عظيم الشرف بتلقي وصل استلامكم لرسالتكم بتاريخ 30 جانفي المتعلقة بحركة الإضرابات، لقد كان هذا الإضراب شبه عام في منطقتنا لان معظم التجار لم تفتح محلاتها إلا بعد تدخل القوات العمومية، ويمكن القول بأنه في هذه الفترة كانت التجارة مشلولة تماما قبل تدخل قوات الجيش.، وعليه أغلبية المواطنين لم تتمكن من التسوق.وفيما يخص التحصيل الضريبي لنهاية الشهر لم يتم إلا بتاريخ 5 فيفري، ومن جهة أخرى قدمت إلينا مجموعة من زبائننا التجار وطلبت منا الوثائق حتى نهاية الإضراب وذلك لتسوية المستحقات، باستثناء بعض الجهات الجزائرية الأخرى فلقد قامت بدفع مستحقاتها. ولتلبية حاجيات زبائننا، تقدما بأنفسنا إلى التجار وتسليمهم الأوامر بالدفع وبعدها إمضاءاتهم.وعليه فلقد تم تحصيل 28 من مجموع363» [2].

وفي ذات السياق يذكر لنا المجاهد احمد حقيقة عن مظـــــاهر الإضراب بورقلة قائلا: « ...في إضراب 27 جانفي شاركنا،وفي الصباح وجد الذين شاركوا من التجار علامة على حوانيتهم(محلاتهم) ومنهم:

- محل خياطة كنت أعمل به في سوق الرويسات
- محل نجارة للسيد فلقط أحمد
- دار لتعليم قران للطالب قريشي قدور

هذا الأخير جاءني وقال لي: لقد وجدت علامات على محلك ومحل فلقط ومحلي، ولما كان المساء حضر رجال الدرك الفرنسي إلى السوق(اليوم الموالي) وسألونا عن عدم فتح محلاتنا بالأمس؟ أما انأ فقلت لهم: أنا خياط ولا يوجد لدي ما أخيطه، فوجدت عملا

[1] Mouvement de Grève , 30 Janvier 1957, C.D.A.W.O, B134.
[2] Mouvement de Grève ,8 février 1957, C.D.A.W.O, B134.

آخر يدّر علي دخلا فعملته، وأما فلقط فتحجج بأنه ذهب إلى ورقلة لإحضار بضائع، وأما معلم القران فقال لهم: نحن لا ندرّس يوم الخميس... ».[1]

رابعا/ ردود فعل السلطة الاستعمارية ضد نشاط الخلايا المدنية بورقلة:

إن انتشار سرعة العمل العسكري بالصحراء عموما، ومنطقة ورقلة خصوصا، دفعت بالكثير من السياسيين في البرلمان الفرنسي إلى المطالبة باتخاذ تدابير وإجراءات عسكرية حاسمة، بهدف حماية المصالح الفرنسية،وضمان أمن وسلامة المستوطنين الفرنسيين،هذا بالإضافة إلى أن كبار القادة العسكريين المرابطين بالصحراء الجزائرية كانوا جد متخوفين من أي عمل يقوم به المجاهدون لتخريب المنشات البترولية قبل انطلاق الضّخ نحو مدينة سكيكدة[2]،وهذا باعتراف الجنرال شال *Chall* القائد العام للقوات الاستعمارية في الجزائر، وقائد أركانه الحربية العقيد بواسيو *Boisyou* في تقريره إلى الوزير الأول أن جبهة التحرير الوطني تهدد المصالح الفرنسية بقوة في الصحراء[3]،وهو ما أكده لنا أيضا السعيد عبادو من خلال التحضير رفقة زملائه لتفجير بعض الأنابيب البترولية بحاسي مسعود.[4]

وأمام هذه الضغوطات السياسية والتهديدات العسكرية، عُقدت لقاءات على مستوى الاتحاد الفرنسي في 10 سبتمبر1957م، لمناقشة الإجراءات والتدابير الأمنية التي يجب أن تتخذ لحماية المصالح الفرنسية في الصحراء الجزائرية[5]،وذلك كالآتي:

1- تعزيز القوات الفرنسية من تواجدها بالمنطقة وإعادة هيكلتها، وتتبع المجاهدين في أي مكان .بمساعدة بعض المخبرين من المنطقة،حيث استطاعت القوات الفرنسية توجيه ضربة قاسية لمجاهدي المنطقة في 7ديسمبر1957م اثر اشتباكات وقعت بالمغير، بعد تدخل

[1] شهادة المجاهد الحاج احمد حقيقة (مخطوطة)، بتاريخ2002/02/16، الرويسات (سلمت لنا من طرف السيد سليمان حكوم)

[2] يوسف مناصرية ، المرجع السابق، ص56

[3] المرجع نفسه، ص54

[4] شهادة المجاهد السعيد عبادو، المصدر السابق.

[5] J.O.R.F, 28 novembre 1957. Annexe N° 58, pp 72-74

كتائب العقيد جان بيار *jean piere* والقوا القبض على نحو 20 أو 30 شخص في الأوساط المختلفة لورقلة،وقتل شخص وثلاثة أفراد ماتوا تحت التعذيب، واعتقل الآخرون في عين البيضاء ثم البرج الأحمر، ثم تقرت ثم بوسيوة قرب سيدي بلعباس، ثم بسيدي الشحمي[1].وقد وصف هذه العملية العسكرية احد الضباط العسكريين قائلا :« العقيد جان بيار *jean piere* يعين الطريقة والأسلوب، قرية بما فيها من صحراء تطوّق وتحاصر من الجو والبر، يحصد الذكور ويستخلص من بينهم الأفراد الملاحقين والذين يجري عليهم البحث واستنطاقهم،يسمح بفرز المتمردين والثوار والتطلع على مخابئ الأسلحة وهكذا تتسلسل الأمور ».[2]وهو نفس الطرح حسب شهادة المجاهد الحاج عمر طواهير في قوله: «لقد كانت حملة اعتقالات كبيرة وموسعة طالت جميع المشبوهين ممن كان لهم نشاط سياسي زمن الأحزاب السياسية».[3]

2- في إطار حماية المصالح الفرنسية الحيوية والحساسة بالمنطقة أصدرت تعليمات مؤرخة في 16 جويلية1957م،وممضاة من طرف العقيد كاتز *Katz*، فرضت من خلالها مجموعة من الإجراءات العسكرية ،كزيادة عدد الجنود لحراسة الشركات الفرنسية لتأمين وصول البترول إلى السواحل الجزائرية،وتشديد الرقابة على مداخل ومخارج المدن والقرى المجاورة لورقلة[4]،وهو ما يؤكده العقيد جان بيار *jean piere* قائلا أنه : « في 24 جانفي أوكل سلان *Salain* للكتيبة الأولى للوحدات الخاصة مهمة تبدوا بالنسبة للفيف المحمول جوا جوهرية، القضاء على الخلايا الإرهابية بالصحراء،وتتبع شبكات الدعاية، الكشف والقضاء على المدنيين المنتمين للعصابات إن وجدت،المساهمة في الحماية ذاتها لحاسي مسعود »[5].وفي هذا الإطار وزعت السلطة الاستعمارية قوات عسكرية كبيرة على طول

---

[1] دوني بيلي ، المرجع السابق، ص88

[2] Jean piere , Ne Regrette rien, La Foiguant histoire des Légionnaires-Parachutistes du 1er R.E.P, paris,1972,p 261

[3] شهادة المجاهد الحاج عمر طواهير،المصدر السابق.

[4] Protection des Points Sensibles,1957,C.D.A.W.O, B134.voir l'annexe n°15.

[5] Jean piere , Op.Cit,p 259

مسافة بلغت أكثر من 300 كلم من حاسي مسعود وورقلة بالجنوب إلى المغير بالشمال[1]، هذا بالإضافة إلى تعليمات أخرى مؤرخة في 8 افريل1957م، تتضمن وضع خطة إستراتيجية للقضاء على الثورة والثوار بالمناطق الصحراوية،وذلك بالعمل على جمع عدد أكبر من المعلومات من خلال التعبئة الشعبية،وتوظيف أكبر عدد من العملاء الموالين للدارة الاستعمارية.[2]

3- محاصرة الخلايا الثورية المدنية بجميع الوسائل،وتضييق الخناق على تحركاتها ونشاطاتها،وذلك في إطار إنشاء المناطق المحرمة بالصحراء.[3]فحسب أوامر القيادة العسكرية المرابطة بين ورقلة وحاسي مسعود: "ينبغي أن يكون الجميع في حالة تأهب وحركة،وعليهم أن يضعوا مقر القيادة في القرية التي يتم التعامل معها ولا عودة، وترك مناوبة في النقطة التي ينطلق منها إلا إذا المعلومات تطلبت ذلك"[4]،واستطاعت القوت الفرنسية في هذه الفترة القضاء على 36 فلاق (شهيد)، واسترجاع 66 سلاح.[5]

4- قامت السلطة الاستعمارية بتنظيم حركة التنقل، حيث تم استصدار عدة قوانين تلزم الأشخاص المتنقلين مابين الجنوب والشمال بضرورة الحصول على رخصة السفر من طرف حاكم العمالة،على أن يلتزم صاحب الرخصة بمسار الرحلة المحددة في الرخصة[6]،ولقد ذكر الباحث محمد بن داره، في بحثه حول السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية مابين 1952-1962م:« إن هذا الإجراء ترك آثارا سلبية على مختلف النشاطات العامة والخاصة، خاصة بالنسبة للشركات البترولية، التي كان عمالها يحتاجون

[1] Ibid , p 259
[2] Orientation de L'activité Opérationnelle des Unités à partir du 1er Juillet 1957. C.D.A.W.O, B134 .
[3] Conditions d'Ouverture du Feu aérien en Zones Interdites, Arrêté N° 13 du 7 Octobre 1958 , C.D.A.W.O, B134.
[4] Jean piere , Op.Cit,p 262
[5] Ibid,p 262
[6] Arrêté du 28 Février 1957,Réglementant la Circulation dans la Commune d'EL Oued, Touggourt et Ouargla, J.O.A , du 12/03/1957, p775

دوريا للتنقل نحو الشمال لقضاء عطلهم التعويضية، ذلك أن عملية الحصول على رخصة السفر هذه كانت تستغرق أياما في بعض الأحيان، كما اثر هذا الإجراء سلبا على نشاط التجار وسائقي شاحنات التموين الذين كانوا في حركة دائمة نحو الشمال لتموين الشركات البترولية والسكان ».[1]

وفيما يخص إضراب 27 جانفي1957م،شرعت السلطة الاستعمارية في قمع المضربين بكل عنف، ولجأت إلى اختطاف الكثير من المضربين من منازلهم واصطحبتهم لفتح محلاتهم تحت طائلة التخويف والتهديد والضرب المبرح ،كما حطمت محلات أخرى بعدما اقتحمتها بالقوة.[2]

خامسا/ موقف الخلايا الثورية المدنية بورقلة من ردود الفعل الاستعمارية:

نتيجة لهذه الإجراءات والاعتقالات،تفككت العديد من اللجان والخلايا المدنية العاملة، وشهد النشاط الثوري نوعا من الركود[3]،إلا أن هذا الأمر لم يستمر طويلا، إذ سرعان ما أعيد بلورة النشاط من جديد، لاسيما وأن هذا الأمر قد تزامن مع إعادة هيكلة الولاية السادسة ورسم حدودها مرة أخرى في أفريل 1958م[4]، فتم إرسال عدة بعثات جابت

[1] محمد بن داره، المرجع السابق، ص 203. ينظر أيضا لمجموعة من الرخص للسفر لبعض الأشخاص:
Circulation des personnes et véhicules. C.D.A.W.O, B176.

[2] Mouvement de Grève ,8 février 1957, C.D.A.W.O, B134.

[3] شهادة المجاهد سليمان فراجي، المصدر سابق.

[4] تعرضت الولاية السادسة منذ نشأتها إلى تحديات صعبة وعلى أكثر من صعيد تمثلت وبشكل أخص في حركة الخيانة المصالية (بلونيس والشريف السعدي)، ونتيجة لهذه التحديات قررت لجنة التنسيق والتنفيذ حل الولاية= =السادسة خاصة عندما أقدم الشريف بن السعدي على قتل قائدها علي ملاح في سنة 1957م، وعلى الرغم من ذلك إلا أن العمل الثوري تواصل نشيطا في الصحراء الجزائرية حيث دأب على إلحاق الضربات الموجعة بالعدو وعملائه، وقد ازداد الأمر ضراوة لاسيما عندما وصل التنظيم العسكري والفدائي للثورة إلى أقصى الجنوب شاملا كلا من ورقلة وغرداية وعين صالح وتمنراست، وأمام هذا الوضع سافر العقيد السي الحواس إلى تونس أواخر سنة1957م، أين التقى بأعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ، وتم ضبط حدود الولاية السادسة وأخذت شكلها النهائي مع مطلع سنة 1958م،وعين على رأسها العقيد السي الحواس.

أنحاء الجنوب الشرقي بهدف إعادة تشكيل المجالس القسمات وخلايا الفدائيين ومراكز الاتصال بعد الهزة العنيفة التي عصفت بها. وكان كل مجلس يتكون من العناصر التالية[1]:

- العريف الأول خاص بالاتصال والأخبار ويشمل على: مكتب تجاري، خلايا الاستعلامات، مراكز الاتصال،مستشفيات، مراكز العدو، بريد.
- العريف الأول خاص بالتموين ويشمل:أفواج عمل(خياطين، اسكافيين،حدادين)،المخابئ، مؤونة،لباس،سلاح وذخيرة، آلات ومعدات، أدوية، مواشي.

وعلى مستوى منطقة ورقلة فقد تم تأسيس أربعة مجلس عبر مختلف قراها، نذكر البعض منها كالآتي [2]:

- مجلس بني ثور بقيادة صديقي محمد البشير.
- مجلس المخادمة بقيادة حمدات احمد بن حامد.
- مجلس سعيد عتبة بقيادة مسعود بخديجة.
- مجلس الرويسات بقيادة عباسي العيد.
- مجلس عين البيضا بقيادة علي بن الصغير.
- مجلس الشقة بقيادة الحاج احمد.
- مجلس سيدي خويلد بقيادة دكار الطالب بلخير.
- مجلس الشط بقيادة لعروسي مداني.
- مجلس سيدي بوغفالة بقيادة حسيني محمد.

كما اتبعت قيادة المنطقة نظاما جديدا يتلاءم مع تطورات التواجد الفرنسي بالمنطقة يختلف عن مناطق الشمال، فعلى مستوى الميدان اعتمدت مايلي :

---

[1] الهادي درواز،المرجع السابق، ص61

[2] شهادة المجاهد بومادة محمد بن محمد،المصدر السابق.

1-أن تتم حركة الجنود و تنقلهم بالفوج ،و نصف الفوج ،و دعم الجنود بجيش من المسبلين و الفدائيين .
2-أن يكون تواجد جيش التحرير تواجدا تعبويا و تحسيسيا وفسح المجال للضباط السياسيين .

3- أن يسود العمل الفدائي بدل العمل العسكري و ذلك لاستشعار القوات الاستعمارية بشمولية الثورة و هيمنتها على كامل التراب الوطني .
4- بث الرعب في صفوف العدو ، وإبطال مفعول الحرب النفسية التي كانت تنفذها مكاتب و مراكز الاستنطاق و التعذيب .
5- تعبئة الجماهير و الدفع بهم للخروج في مظاهرات عامة ضد السياسة الفرنسية، وتكذيب وتسفيه أجهزة الاستخبارات التي كانت تروج لسياسة الانفصال .

وفي ما يخص حركة وتنقل خلايا جيش التحرير، فقد ربطوا بين مناطق الولاية السادسة بمسالك طولية وعرضية مسالك بعيدة عن مراكز العدو، بعد أن زودوا نقاط العبور بحواسي وخزانات مائية، وقد تمثلت فيما يلي[1]:

أ- المسالك الطولية:

- مسلك يمتد من بسكرة إلى القرارة مرورا بوادي إئتل ،فزريق، فوادي الرمث ،فوادي الأخضر ،فوادي، الرتم، فالمراراة، فدزيوة، فالعالية ،فالقراراة.

- مسلك يمتد من بسكرة إلى ورقلة مرورا بالسعدة، ثم قرى وادي ريغ ،فالعالية، فوادي النسا ،فنقوسة، فورقلة.

ب- المسالك العرضية:

- مسلك يمتد من وادي سوف إلى أولاد نايل مرورا بتقديدين ،فجامعة ،فالمراراة ،فمسعد، فالجلفة.

[1] هذه المسالك استقيناها من شهادات المجاهدين السالفة الذكر.

– مسلك يمتد من وادي سوف إلى ورقلة مرورا بالطيبات ،فبلدة عمر ،فشقة الفتايت فالعالية ،فورقلة.

– مسلك يمتد من وادي سوف إلى أولاد جلال مرورا بسيدي خليل ،فالمغير، فوادي ازريق، فأولاد جلال.

– مسلك يمتد من الحدود الليبية إلى أولاد جلال مرورا بالدبداب، فالبرمة ،فوادي ريغ، فالبعاج، فأولاد جلال.

– مسلك يمتد من ورقلة إلى جبال أولاد نايل مرورا بنقوسة، فوادي النسا ،فالعالية فالقرارة، فالأغواط، فالجلفة،ويتفرع إلى مسلك آخر في العالية ويتجه نحو مسعد، فجبال أولاد نايل[1].

ومما لاشك فيه إن مثل هذه المظاهر العسكرية تؤكد دلالة قاطعة على أن سكان ورقلة والقرى المجاورة لها ساهمت بشكل كبير في مقاومة التواجد الاستعماري بالمنطقة، بل إنها أكدت على لحمة أبناء الصحراء في الدفاع عن أرضهم ومقدساتهم،وهو نفس الطرح الذي يؤكده المجاهد السعيد عبادو[2]، والعقيد محمد شعباني[3] في قوله :" ولقد عبر أبناء الصحراء للاستعمار،أكثر من مرة، بنفس الطريقة التي عبر عنها إخوانهم في الشمال، بوسائل عملية فعالة عن عدم المساومة على عروبتهم وجزائريتهم واستقلالهم، التي لن

[1] جمعية الوفاء للشهيد، المرجع سابق، ص ص: 467،466.

[2] شهادة المجاهد السعيد عبادو، المصدر السابق.

[3] محمد شعباني: من مواليد 4 سبتمبر 1934م في أوماش ببسكرة ،كان عسكري ومجاهد أثناء الثورة الجزائرية برتبة عقيد،تلقى تعليمه الابتدائي في بسكرة ثم انتقل إلى قسنطينة عام 1952م للدراسة في معهد الشيخ بن باديس. وهناك اكتشف الالتزام السياسي وأهمية الكفاح المسلح من خلال صحف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.شارك في أولى العمليات عند اندلاع الثورة ثم أصبح كاتبا مساعدا لسي الحواس في منطقة الصحراء.ترقى إلى رتبة ملازم، وفي أفريل 1958م أصبح ضابط أول سياسي، وسنة 1959م عين على رأس المنطقة الثالثة من الولاية السادسة.،بعد استشهاد العقيد سي الحواس خلفه على رأس الولاية السادسة. اشتهر بكونه أصغر عقيد في العالم،في 3 سبتمبر 1964م تم إعدامه بأمر من الرئيس السابق أحمد بن بلة بتهمة محاولة التمرد على السلطة وزرع الفتنة في صفوف الجيش الجزائري.

يرضوا عنها بديلا، فمنذ اندلاع ثورة 1954م المباركة،ووحدات جيش التحرير الوطني بالصحراء،تعبر بلغة الحديد والنار،وحصدت نيران بنادقها مئات ومئات من جنود فرنسا، وغلاة الاستعمار،وذلك في كل من غرداية والقرارة والمنيعة وبريان وعين صالح وورقلة وتيميمون وبشار والهقار ووادي سوف وتقرت والمغير،وجميع القرى والمدن الصحراوية،كما عبر شعب الصحراء دائما على تأييده المطلق لجيشه الوطني وجبهته المناضلة وحكومته المؤقتة بالإضرابات، ورفض المشاركة في الانتخابات... إلخ".[1]

ولقد خلد الكثير من شعراء الشعر الشعبي بالمنطقة ملاحم وبطولات شهداء ورقلة ومنها قصيدة للشاعر مسعودي بوعمامة بعنوان" ثوار الواحات"، يقول في بعض أبياتها مايلي:

هيا ندرس تاريـــخ واحتنـــــا	وفي بـــــلادي نعرف ما صار
هجم عنا جيش داخل تربتنـــا	سبب لينـــا ياسر لضــــرار
يقتل في النســـاء سبت كترثنا	يهدم في القرى يضرب بالاشرار
يعذب في الشباب يقصد دولتنا	تولي ليه أوطان تسكنها لشرار
الشعب العظيـــم يعرف عزتنا	ما نخضع محـــال لهذا الجـــبار

وفي مقطع آخر يقول:

ورقلـــة فيـــها تدرس خطـــتنا	تقرت الطاهرة ماتوا فيها لحـــرار
أخينا سرحـــان مـــول ثـــورتنا	ينقل في السلاح ما هموا حصـــار
وياحصـــراه منين كان بصحبتنا	وكحب الإله في تجرونة تمت لعمار
وبن عـــامر بلخير صانع فرحتنا	وفي بريان صحيح ولى من لخـــيار
صفراني معروف غزال في صحرتنا	سائح في الرمال غايب عن لنـــظار

[1] محمد شعباني(العقيد)، «مهزلة المهازل»، **صدى الجبال**، ع2، 1961،ص1

المبحث الثالث: مخابر التعذيب والاستنطاق الاستعمارية بورقلة:

إن عمليات التعذيب والتنكيل التي مارستها السلطة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر لم تبدأ في الجزائر مع مجازر الثامن ماي 1945م، ولا مع ثورة أول نوفمبر 1954م، ولا مع بداية الاحتلال،وإنما هي طبيعة متأصلة في ذات الفرنسيين بوجه خاص والأوروبيين بوجه عام في ثقافتهم،إذ تجعلهم يحتقرون الشعوب التي لا تشاركها في جنسها وثقافاتها ودينها ولذلك تهينهم وتذلهم،إن لفرنسا في مستعمراتها تاريخ متعدد الحلقات يخلد جرائمها ضد الإنسانية سواء في الجزائر،أو في مستعمراتها ما وراء البحار،وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى تعطش الاستعمار الفرنسي للدم،وقد شهد شاهد من أهلها عندما قال الكاتب الفرنسي فرانسيس جانسون :" إن كلمة استعمار قبل أن تكون جريمة بشعة في حق الشعب الجزائري فهي في حد ذاتها جريمة ضد الإنسانية "[1]،وهو ما أكده المؤرخ احمد رضوان شرف الدين نقلا عن جريدة المجاهد في قوله:" إن الممارسات الوحشية حقا التي برزت منذ الفاتح نوفمبر 1954م تثير الدهشة لما صارت عليه من التعتيم أكثر من أي اعتبار...في الحقيقة، يجد سلوك الجيش الفرنسي في الجزائر مكانه ضمن بنية السيطرة البوليسية والعنصرية الشاملة ونزع إنسانية الإنسان بصورة عقلانية،فالتعذيب جزء من الكل الاستعماري...والاستعمار الذي لا يجيز التعذيب والاغتصاب والإبادة هو استعمار غير قابل للفهم".[2]

أولاً/ مراكز التعذيب ووسائله:

لقد أنشأت السلطة الفرنسية عبر مناطق الوطن مراكز للسجون والمعتقلات الاستعمارية ومخابر للتعذيب والاستنطاق والإعدام،وكانت هذه المراكز في مجملها تهدف إلى خلق الرعب في نفوس الجزائريين،والإبقاء عليه بصفة دائمة من جهة ومحاولة إخماد ثورة التحرير الوطني وذلك بضرب تنظيماتها وعناصرها من جهة أخرى،وعلى سبيل

[1] سعدي بزيان، **جرائم فرنسا في الجزائر**، الجزائر. دار هومة،2002، ص13

[2] احمد رضوان شرف الدين،« التعذيب: قراءة في جريدة المجاهد 1957- 1962م»،**مجلة المصادر**، ع8،ماي2003، ص26

المثال أنشأت فرنسا في أواخر 1956م ضمن وحدات جيشها مصلحة عسكرية للاستخبارات أطلقت عليها اسم " المفرزة العملية للوقاية " ومع مطلع العام الموالي صارت هذه المصلحة عملية في الميدان،وتتمثل مهمتها في تفكيك شبكات جبهة التحرير الوطني بكل الوسائل المتاحة وخاصة منها التعذيب بأبشع أساليبه القديمة.وفي خريف 1959م عرفت المصلحة إعادة تنظيم فسميت بـــ" كتائب المدفعية" وهي تسمية وهمية الهدف منها تضليلي بحت لإبعاد الاشتباه بحقيقة مهمتها الخاصة،ويمكن القول أنه بإنشاء هذه المصلحة انتقل التعذيب إلى مرحلة عقلانية وفعالة وفنية وصناعية.

وقد جاء في مقال منشور بجريدة "الخبر اليومية" بتاريخ 1 نوفمبر 2004، مترجم عن جريدة" لونوفيل اوبسيرفاتور" تعريفا مختصرا عن هذه المصلحة العسكرية :

« إن مخبر الـــ (DOP) يتشكل من ضابط في غالب الأحيان برتبة نقيب وضابطين أو ثلاثة معاونين له، ومن أربعة أو خمسة ضباط صف،ومن خمسة عشر فردا من جنود الاحتياط ، وفي كل مفرزة ترجمان أو أكثر،وغالبا ما يكون هؤلاء من الأقدام السوداء أو من جنود الخدمة العسكرية المنتمين إلى نفس الفئة أو من الخونة والحركة،كان لأفراد المصلحة حرية اختيار الانتماء إليها خاصة بالنسبة للمستدعيين لأداء الخدمة العسكرية،كما كان نظام العمل بها يمتاز بالمرونة والحرية الواسعة،فالزي النظامي لم يكن إجباريا فضلا عن الامتيازات الطبيعية التي توفرها الصناديق الخاصة والهدايا بمناسبة رأس السنة الميلادية، وإطعام أفضل من غيره في الوحدات،وغياب مصالح الحراسة والخضوع،ونادٍ مجهز بحيث لا يشكو من أي نقص، كما كانت إقامات عناصر الـــ (DOP) مكيفة مع طبيعة المهمة المسندة لهم،فهي في الغالب عبارة عن فيلات واسعة بعيدة عن أي مجمع عسكري...،وكان أفراد هذه المصلحة من الضباط وضباط صف يحوزون "تكليفا بمهمة" دائما عليه الصورة وشريط ثلاثي الألوان،وينص التكليف على التسريح لحـــامله بنقل أشخـــاص من الجنسين في أي نوع كان من العـــربات،مع عدم

إلـــزامية الكشف عن هويتهم وكذا تبرير تواجدهم أو جهتهم للمراقبة العسكرية...[1]»، وكان محتوى تعليمات المهمة في ظاهرها ينص على أنه يجب أن تتم الاستنطاقات بكيفية تكون فيها الكرامة الإنسانية مصونة،أما في باطنها يجب أن تتم الاستنطاقات بالكيّ بالسيجارة والتعذيب بالكهرباء ، والغطس في الماء.وأهم مراكز التعذيب بورقلة مايلي:

- **محتشد عين البيضاء أو (دار الدوب** DOP): أنشأت السلطة الاستعمارية الفرنسية هذا الموقع العام 1957م لغرض يتم فيه تجميع الأشخاص المعتقلين من أبطال الثورة فدائيين ومسبلين وكل مواطن مشتبه فيه،حيث يتم استنطاقهم مع استعمال مختلف أساليب التعذيب،هذا المحتشد في شكل ساحة نصبت فيها مجموعة من الخيم الصغيرة مخصصة لإقامة الضباط المكلفين بالاستنطاق وخيمة كبيرة تتسع لحوالي 400 شخص خصصت للمعتقلين،وبعد سنة 1958م أزيل هذا المحتشد ومنذ ذلك التاريخ بقي المكان خاليا باستثناء بعض الأجزاء التي بنيت عليها مباني عمومية.

– **مركز برج شانديز**: يعرف أيضا باسم البرج الأحمر،ويقع في وسط ثكنة عسكرية بمدينة ورقلة في الجهة الجنوبية، تم بناؤه سنة 1885م، ويضم طابقين بهما قاعات للتعذيب والاستنطاق.[2]

وبناءً على شهادات بعض المجاهدين التي اطلعنا عليها، والذين تعرضوا للتعذيب ،وعايشوا تعذيب البعض من رفاقهم، فإن أهم أصناف التعذيب تمثلت فيما يلي :

– التكبيل بسلاسل حديدية من الرجلين واليدين بخلاف (الرجل اليمنى مع اليد اليسرى،والرجل اليسرى مع اليد اليمنى).

– التعذيب بالحرق وذلك باستعمال شواظ قارورة غاز الخاص بالتلحيم ويستعمل حتى الموت وحتى يفصل اللحم عن العظم.

[1] (مجهـــول)،« المفرزة العملية للوقاية DOP »،**الخبر اليومي**،1 نوفمبر 2004.

[2] سبق التعريف به في الفصل الرابع من خلال استعرض السياسة العسكرية بالمنطقة

- التعذيب بالماء : وذلك في حالتين،الأولى: يكون الماء عكر وملوثا في حوض صغير يغطس فيه المعتقل لساعات طويلة لاستنطاقه،والثانية: عن طريق تمرير الماء بمضخة المياه عبر أنبوب حديدي يوضع في فم المعذب (بفتح الذال)حتى ينتفخ بطنه،وفي حالات ينفجر من شدة الضخ (ولكم أن تتصور الصورة البشعة).

- التعذيب بالتجريح وبتر الأعضاء وتكسير العظام.

- التعذيب بالضرب المبرح بحيث يتم وضع المعذب (بفتح الذال) بين لوحتين ويتم إطباقهما عليه لمدة طويلة بعد ذلك يسكب عليه الماء البارد وبعدها يضرب ضربا مبرحا على رجليه،وتتم عادة في فصل الشتاء.

- التعذيب بالطابوري: وهو حلقة حديدية يعلق المعذب(بفتح الذال) داخلها في السقف فيدخل الحديد في ظهره.

- التعذيب بالكلاب المدربة وذلك بتحريشها على السجين وهو عاري الجسد.

- التعذيب بالكهرباء حيث يطرح المعذب(بفتح الذال)أرضا مسلسلا من الرجلين واليدين وتلصق به أسلاك كهربائية في الإصبعين الكبيرين من القدمين،واليدين،والأذنين ، وذكر الرجل ،كلها توصل بآلة تشبه الرحى لها ذراع يديرها المعذب (بكسر الذال)، إذا أدارها ببطء تحدث صدمات كهربائية قوية للجسم ،وإذا أدارها بسرعة غاب المعذَّب عن وعيه.

وللحقيقة التاريخية فإن الجلادون بمركز الدوب(DOP) حاولوا استحداث أساليب جديدة أكثر فعالية،ويروي أحدهم أنه تم بذل مجهودات جبارة لعب الخيال فيها دور المساعد إلى أن تم إتقان هذا الفن، فلقد تم التنبه إلى أن المولد الكهربائي ذا المدواس ينشئ تيارا اشد من الذي يتولد من جهاز اللاسلكي المنقول،لم يكن الدوب (DOP) يتوفر على مثل هذا الجهاز،لكن عناصره كانوا يلجؤون إلى استعارته من مصالح الاتصالات الأقرب.

ثانيا/ نماذج من شهادات عن التعذيب في مراكز الاعتقال بورقلة:

ارتأينا أن نضيف إلى ما ذكرناه سالفا بعض الشهادات لمجاهدين لازالوا على قيد الحياة منهم من مورس عليه التعذيب،ومنهم شاهد رفقاه يعذبون حتى الاستشهاد، وفي نظرنا تعتبر هذه الشهادات ذات أهمية لكونها تسلط الضوء على جوانب من المعاناة التي كان يعيشها هؤلاء المعتقلون وغيرهم في هذه المراكز:

1**– الشهادة المجاهد الحاج عمر بن بلخير طواهير**[1]: هذا المجاهد اعتقل ثلاثة مرات كان أولها سنة 1948م بعد فوز مرشح حركة انتصار الحريات الديمقراطية بورقلة في انتخابات المجلس الجزائري،والثانية في أواخر ماي 1956م بتهمة إيواء بعض المجاهدين المطلوبين من طرف السلطة الاستعمارية،والثالثة في 9ديسمبر1957م بمحتشد عين البيضا، الذي بقي فيه إلى أوائل 1958م،ثم نقلوه رفقة 75 معتقلا إلى البرج الأحمر، وعن ظروف هذا الاعتقال ومجرياته،يروي قائلا:« لقد كانت حملة اعتقالات طالت جميع المشبوهين ممن كان لهم نشاط سياسي زمن الأحزاب، وفي هذا اليوم تم اعتقالنا نحن الخمسة من الرويسات وهم: أنا المتحدث ،وقريشي محمد ناجي،وعباس عباس،وقريشي احمد،وقريشي محمد بن قاسم، في ليلة باردة جملتنا السيارة العسكرية إلى خيام نصبت غرب عين البيضا وسط العروق،وفي هذا المعتقل شاهدنا هولا وعذابا لم نعرفه من قبل واليكم بعض صور التعذيب لرفقائي:

– في احد الأيام أيقضني احد رفاقي في السجن وقالو لي بأنهم ينادونك، فخرجت فأخذوني مباشرة إلى سيارة جيب(كات كات) وربطوني وابطحوني، فعلمت أنهم يريدون سحبي على الأرض،وقبل البدا في عملية السحب،جاء ضابط عسكري قدم من حاسي مسعود وسالهم عني؟، فأجابوه: هذا الذي حكمتم عليه بالسحب على وجهه، ولما سال عن اسمي: قلت طواهير عمر، فقال: لا لا، نحن أمرناكم بسحب محمد بن عمارة(من بسكرة)، فأطلقوني ثم جاؤوا بالمعني الذي مات تحت تعذيب الجر بالسيارة.

[1] شهادة المجاهد الحاج عمر طواهير،المصدر السابق.

- "استشهد زبيدي عبد القادر بعدما اعتقله الجنود السكارى ليلة الميلاد، واستغل هؤلاء الجنود خلو المعتقل من المسؤولين المحتفلين بحاسي مسعود، فاخذوا يرفعونه فوق رؤوسهم ويتركونه يسقط ثم يسحبونه على وجهه، وقد فعلوا به ذلك عدة مرات وهم يتضاحكون حتى انقطع صوته، فعلم رفاقه في الخيمة انه استشهد.

- في نفس اليوم حملوا المجاهد شنين قدور وربطوه بالسلك الشائك إلى جدع النخلة وبقوا ليلة كاملة يضربونه بلوحة خشب ويعذبونه بأنواع العذاب،وعندما خرج احد رفاقه في الصباح للاستخلاء،وشاهده، فقال لزملائه: بأنه استشهد بعلامة انه رأى الدماء تسيل من رأسه،وأن أسنانه الذهبية تلمع من بعيد.

- في ليلة أخرى حفروا خمسة قبور ثم جاؤونا وسألونا إن كنا نريد الذهاب للمرحاض؟، فأجابهم مصطفى حفيان:بأنه لم يأكل منذ ثلاثة أيام، وأجبت انأ كذلك والحاج الأسمر أيضا،ولما وصلوا إلى العيد بن حروز(من متليلي)،خرج معهم فأطلقوا القيد(جمع قيود) من رجليه وبقيت يداه مقيدتين،وأوقفوه عند إحدى الحفر،وأمروه بالنزول لقضاء الحاجة، وآنذاك رموه بالرصاص على ظهره،ثم دفنوه في الحفرة.

- باحريز(كذا) (اباضي) كانوا يعذبونه بالضرب والصعق بالكهرباء، وكلما أوقفوا تعذيبه يقول لهم مهددا: والله والله ستخرجون من الجزائر مهزومين مدحورين، واستمر على ذلك لا هم تركوه، ولا هو توقف عن الكلام حتى قلنا لهم انه مجنون،فتركوه.

2 – شهادة حول المرحوم المجاهد بن مالك محمد الحسان: في إطار البحث عن الدور النضالي الذي قام به هذا المجاهد خلال الثورة التحريرية بمنطقة ورقلة،سلم لنا السيد حكوم سليمان مخطوطة حول حياة المجاهد بن مالك محمد الحسان،نقلها شفويا من بعض رفاقه، ومن ابن أخته الشيخ احمد بلعالم، وابنه محمد الحبيب سنة2001م،وعن ظروف اعتقالاته وتعذيبه يقول:« في سنة 1948م تم اعتقاله للتحقيق معه على خلفية نجاح ميلودي احمد بن عمار مرشح حركة انتصار الحريات الديمقراطية في انتخابات المجلس الجزائري،وفي سنة 1959م اعتقل مرة أخرى بتهمة المساس بأمن الدولة الفرنسية،

وحكم علية بأربعة أشهر سجنا بمعتقل الدوب(DOP)،حيث نال ألوانا من العذب، بعدها نقل إلى المحكمة العسكرية بباتنة لمحاكمته،وأثناء المحاكمة تعمد نزع كل ملابسه في حركة سريعة أمام القضاة بحجة اطلاعهم على ثار التعذيب في أماكن حساسة من جسده، فاضطرب القضاة وأمروا بإخراجه ومن معه من قاعة المحكمة،فعجَّلوا بالحكم عليه وعلى رفاقه بأربعة سنوات سجنا مع وقف التنفيد...ومن آثار التعذيب عليه: سقوط جميع أسنانه،جروح بليغة في ذراعيه،حفرة في بطنه وظهره لازمته الفراش مدة طويلة إلى أن وافته المنية بتاريخ 30 افريل1964م». [1]

خلاصة الفصل :

ما يمكن قوله من خلال ما سبق إن قانون الحكم العسكري المفروض على الجنوب مند 1902م وقانون الأهـــالي (الانديجينا) الذي لا يعطي الحق للسكان الأصليين في التعليم والتوظيف والملكية وحرية الرأي والتعبير جعل الأجهزة الاستعمارية وعملائها على يقظة دائمة بكل ما يحدث في أي منطقة بالجنوب، ولذلك فإنها لم تكن على غفلة من الإرهاصات والتفاعلات السياسية والفكرية التي كانت تحدث في منطقة ورقلة، فدخلت في مواجهة مع مختلف التشكيلات السياسية على عدة جبهات بغية القضاء على أي تمرد سياسي في نظرهم يهين السلطة الفرنسية،ومن الإجراءات التي اتخذتها شن حملات اعتقال في صفوف التنظيمات السياسية، وفرض رقابة صارمة على كل الجمعيات الخيرية والرياضية ،كما أطلقوا العنان لحكام المنطقة للتصدّي لكل من تسول له نفسه الإساءة للسلطة الفرنسية.

زيادة على ذلك أن السلطة الاستعمارية استطاعت أن تحكم قبضتها على منطقة ورقلة لتعرف هذه الأخيرة نفس المصير الذي عرفته المناطق الأخرى من الوطن بعد الاحتلال وهو الخراب والفقر والحرمان والجوع والاضطهاد إلى غير ذلك من الحالات المكروهة من طرف الإنسانية جمعاء والتي كان يسميها الفرنسيون(التعمير أو الاستعمار)

---

[1] مخطوطة حول حياة المجاهد بن مالك محمد الحسان، نقلها السيد سليمان حكوم شفويا من بعض رفاقه، ومن ابن أخته الشيخ احمد بلعالم، وإبنه محمد الحبيب سنة 2001

،بالإضافة إلى السياسة التعسفية الاستعمارية التي دفعتهم إلى محاولة البحث عن خيار آخر يكون أكثر قوة من أسلوب المهادنة مع الاستعمار لأنه لا فائدة من ذلك ، وبالتالي فقد كان لبعض العناصر الدين أفرز تهم الحركة الوطنية بالمنطقة الفضل في اختيار الأسلوب العسكري الذي بدأ التحضير له بعد إلغاء الحكم العسكري بالجنوب سنة 1947م.

كما تجدر الإشارة أيضا أنه على الرغم ما فعله الطغاة المستعمرون في حق الجزائريين إلا أن إرادة الله كانت أقوى،وإرادة التضحية والفداء كانت أجلى وأبهى، وأبى هؤلاء الأحرار الذين قال فيهم الله عز وجل ﴿ بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ إلا أن يمتطوا مذبح البطولة معراجا،ولا يهم من الشهادة إلا أن تحيا الجزائر حرة مستقلة،كما أن صفحات التاريخ لن تلغي ما فعله الاستعمار الفرنسي في الجزائر وما لحق بشعبه من جراء أساليبه الجهنمية في التعذيب والتنكيل والاغتصاب والإعدام،ولن تلغي كذلك صفحات التاريخ مراكز الاستنطاق والتعذيب، ولن ينسى المجاهدون الذين لازالت آثار التعذيب على أجسادهم كشواهد على جرائم بشعة ارتكبت في حقهم.

وزيادة على ما تمت الإشارة إليه في سياق الحديث عن التعذيب والقمع البوليسي ،هو أن السلطة الاستعمارية لم تكتفي بذلك،بل راحت تواصل سياستها القمعية ومشاريعها الاستعمارية في المنطقة، وخصوصا لمّا اشتدّ عود الثورة في المناطق الصحراوية، واكتشاف النفط فيها،غير انه في المقابل كان أهالي ورقلة بالمرصاد لهذه المشاريع الاستعمارية ، ولم يفوتوا الفرصة لتخليد موقفهم،واخص بالذكر مشروع فصل الصحراء عن الجزائر، وهذا ما سنتناوله في الفصل الموالي.

الفصل السادس
موقف سكان ورقلة من المشاريع الاستعمارية بالصحراء الجزائرية

المبحث الأول:
المشاريع الاستعمارية بالصحراء الجزائرية (**1947-1962**م)

المبحث الثاني:
موقف مجلس عمالة الواحات وسكان ورقلة من مشروع الانفصال

سبق وأن أشرنا في الفصل الأول من الدراسة أنه من بين الدوافع الأساسية لاحتلال ورقلة هو محاولة اكتشاف الصحراء، وهذا ما يؤكد لنا قطعا أن الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية كان مع البدايات الأولى للغزو الفرنسي سنة 1830م،وما الدراسات العلمية الفرنسية والمخطوطات العربية المترجمة والمشاريع الاستعمارية الصحراوية كمشاريع خطوط السكك الحديدية للنقل الصحراوي،ومشروع البحر الداخلي الصحراوي الإفريقي،لأقوى دليل على أقدمية الاهتمام الفرنسي بالصحراء،وعليه يبدوا في نظرنا أن هذه الدراسات والمشاريع الاستعمارية ساهمت مساهمة فعالة في إدخال وتغلغل الاستعمار الفرنسي في الصحراء الجزائرية.

ولقد حدد الساسة والمؤرخون الفرنسيون أن سنة 1844م هي البداية الفعلية للاهتمام الرسمي الفرنسي بالصحراء الجزائرية، وذلك حين أصدر البرلمان الفرنسي قانوناً ينص على تمديد منطقة الاحتلال باتجاه الجنوب،وتكوين عملاء موالين لفرنسا يمهدون ويسهلون لفرنسا احتلال الصحراء، وهذا ما حدث مع الخليفة احمد بن سالم الذي عينته فرنسا خليفة على الاغواط بمرسوم ملكي صادر بتاريخ 16 أوت 1844م، ونفس الشيء مع حمزة ولد بوبكر الذي عينوه خليفة على مناطق واسعة من الصحراء امتدت من البيض إلى ورقلة،وقد لعب دورا كبيرا في تقويض مقاومة الشريف محمد بن عبد الله وناصر بن شهرة في الاغواط و ورقلة.

وتواصل الاهتمام الفرنسي بالصحراء كلما ظهرت ظروف جديدة تخدم المصالح الفرنسية،حيث ازدادت حدة هذا الاهتمام في منتصف الستينات من القرن التاسع عشر(19م) حين تم اقتراح بجعل الصحراء عمالة رابعة في الحكومة العامة الفرنسية بالجزائر،وأن تكون الاغواط مركز القيادة العسكرية،غير أنه خلال بداية القرن العشرين تراجع هذا الاهتمام تدريجيا بسب ظهور مسؤوليين معارضين لهذا الاهتمام الكبير بالصحراء، ولتقليل من نفقاتها المالية،ومنهم اوقستان برنار*Augustin Bernard* الذي

قال:" أنه بكل تأكيد أن الصحراء لا تستحق التضحية بكثير من الرجال،ولا بالكثير من الأموال من أجلها فهي ذات أهمية ضئيلة إن لم تكن منعدمة،سواء باعتبار قيمتها الذاتية نفسها،أو على اعتبار كونها منفذاً نحو السودان"[1].

لكن في المقابل ظهر خلال الحرب العالمية الثانية دعاة فرنسيون بعثوا الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية من جديد، وطالبوا باستغلال الصحراء الجزائرية ، خاصة بعد صدور القانون الأساسي الخاص بنظام الجزائر، والذي نص على إلغاء النظام العسكري في المناطق الصحراوية وجعلها مثل عمالات الجزائر، وعليه عملت الإدارة الاستعمارية على إقامة قواعد عسكرية ومؤسسات اقتصادية تحمي فرنسا وظهر أوروبا الغربية من ناحية الجنوب[2]،وهذا ما سنستعرضه في المبحث الآتي.

المبحث الأول: المشاريع الاستعمارية بالصحراء الجزائرية (1947-1962م)

أولا/ أسباب عودة الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية بعد الحرب العالمية الثانية:

بطبيعة الحال فقد اقترح العديد من الخبراء والسياسيين الفرنسيين عدة مقترحات بهدف استغلال المناطق الصحراوية الجزائرية،ولكن يبقى السؤال مطروحا في هذا السياق: لماذا كل هذا الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية؟ هل هو لمصلحة اقتصادية تحاول فرنسا من خلاله تعويض التدهور الاقتصادي نتيجة الحرب العالمية الثانية؟ أم لمصلحة إستراتيجية وعسكرية تحاول فرنسا من خلاله رد الاعتبار لجيشها الذي مُنِيّ بخسارة كبيرة أمام القوات الألمانية سنة 1940م من جهة، ولتغير موازين القوى العسكرية من جهة أخرى؟

---

[1] Augustin Bernard et N.Lacroix ,Op.Cit, pp 149-150

[2] المجاهد،« الخفايا العسكرية لتشبث الفرنسيين بالصحراء أخطر من البترول »، ع 102، 14 أوت 1961،(ج4، طبعة خاصة 2007)،ص6.

طبعا الأكيد أن التطورات العسكرية والسياسية والاقتصادية والجغرافية التي غيرت الخريطة العالمية بعد الحرب العالمية الثانية كانت وراء ازدياد حدة الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية، ويمكننا أن نحصر أسباب عودة الاهتمام من جديد في النقاط التالية:

1- ظهور دعاة ينادون باستغلال المناطق الصحراوية، منهم على الخصوص اريك لابون[1] *Erik Labonne* الذي اقترح مشروعا اقتصاديا وعسكريا للاستفادة من الثروات الطبيعية والطاقوية الصحراوية الجزائرية،وفي ذلك يقول:" إن إنشاء صناعات ثقيلة وخفيفة لغايات مزدوجة إستراتيجية واقتصادية لا يمكن مباشرته من مراكز متفرقة ومتباعدة على الخصوص،وحتى لو تم التنسيق بين إمكانياتنا، فإن هذه الأخيرة تبقى ضعيفة ومحدودة أمام عظم هذه المهمة،كما أن منهجية توزيع الجهد على عدة نقاط هي غير مقبولة تقنيا، ومضرة عمليا،وتقود حيثما كانت إلى النقص في الموارد والفشل،لذلك فمن الأنسب تركيز الجهود والإمكانيات في نقاط محددة بما يسمح جملة باستعمال معقول للموارد الطبيعية والاستجابة للمتطلبات الإستراتيجية".[2]

2- العمليات العسكرية التي وقعت بصحراء شمال إفريقيا خلال الحرب العالمية الثانية كشفت مدى الأهمية الإستراتيجية والحيوية التي تمثلها هذه الصحراء خاصة على الصعيدين الأمني والسلمي بالنسبة لأوروبا،وتم التوصل إلى قناعة عسكرية أن المسيطر على هذه المنطقة ستكون له الكلمة الأولى في استخدام هذه المنطقة اقتصاديا وعسكريا، خاصة في ظل الحرب الباردة بين المعسكر الشرقي والمعسكر الغربي،إذ أصبحت أوروبا تشعر بالضيق والاختناق عسكريا وصناعيا،فمكانتها العسكرية ومنشاتها الصناعية تتموقع في مساحات ضيقة آهلة بالسكان،على عكس ما يتمتع به الاتحاد السوفياتي من مساحات

---

[1] سفير فرنسا والمقيم العام الفرنسي السابق بكل من المغرب وتونس، والرئيس بالنيابة للجنة الدراسات لمناطق التنظيم الصناعي بإفريقيا

[2] محمد بن دارة، **السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية ما بين 1952– 1962**، رسالة ماجستير في تاريخ الثورة(مخطوط)،جامعة الجزائر،1998/1999،ص ص :22-23

واسعة، ومن هذا المنطلق اكتشفت الدول الأوروبية أنه لا مفر من استغلال فضاءات شمال إفريقيا وامتداداته الصحراوية للتخلص من الضيق والاختناق الجغرافي.[1]

وفي نظر أحد الباحثين أن اندلاع الحرب الباردة،وظهور الحركات التحررية في المغرب العربي أدى إلى إسناد دور آخر اكبر وأوسع للصحراء مما يخدم هدفين استراتجيين وهما[2]:

أ- جعل من عملية تثمين واستغلال المناطق الصحراوية حاجزا يقف أمام المد الشيوعي والعربي الذي يحاول التغلغل في قلب القارة الإفريقية عن طريق مصر الناصرية حليفة موسكو.

ب- جعل من عملية تثمين واستغلال هذه المناطق أيضا مفتاحا لتحقيق دمج كامل لشمال إفريقيا في فرنسا ثم في أوروبا في إطار المشروع الاستراتيجي الجديد المعروف بـــ" الأوروافريك".

3- محاولة التخلص من التبعية الطاقوية التي كانت تعاني منها فرنسا،مما أصبحت لديها قناعة راسخة أنه لا يمكن تحقيق أي استقلالية طاقوية إلا باستغلال الموارد الطبيعية المخزونة بالصحراء الجزائرية،وهذا ما جعل ماكس لوجان ***Max lejeune*** يتساءل في حالة ضياع الصحراء الجزائرية من أيديهم قائلا:" إذا ضاعت الصحراء من أيدينا وأصبحت بأيدي الآخرين فماذا ستصير فرنسا أمام منافسة الدول الجديدة؟وكيف تُوازن واردها الضرورية في المواد الأولية؟ وماذا يحدث للرخاء الفرنسي وللعمل الفرنسي ولمستوى المعيشة لدى الفرنسيين؟..إن الصحراء تعتبر بما تضمنه لنا من استقلال اقتصادي نجاحا رائعا لعبقرية وشجاعة الشعب الفرنسي".[3]

---

[1] محمد الميلي، **المغرب العربي بين حسابات الدول ومصالح الشعوب**،بيروت، دار الثورة للنشر،1983، ص75

[2] محمد بن دارة، المرجع السابق،ص21

[3] المجاهد،« الصحراء من ماكس لوجون إلى دي غول»، ع93،بتاريخ 10 أفريل 1961،(ج4، طبعة خاصة 2007)، ص10.

4- إن القيادة العسكرية الاستعمارية أصبحت لديها قناعة في أن اتساع الرقعة الجغرافية للصحراء الجزائرية يصلح كميدان عسكري لاختبار التجارب النووية والجرثومية، لكون أن مثل هذه الأسلحة تحتاج إلى ميادين خالية وشاسعة، ويمكن في نفس الوقت استحداث قاعدة عسكرية لفرنسا لتكون منطلقا لعمليات عسكرية في إفريقيا وأوروبا، وهو ما يؤكده أحد الجنرالات في قوله: "طيران استراتيجي، صواريخ توجه عن بعد،مراكز قيادة، مخازن حربية لمختلف الأسلحة...يمكن أن تجد لها كلها في الصحراء وبلا صعوبة، أماكن متفرقة تضمن حمايتها وأمنها،مما يجعل من هذه الصحراء اكبر قاعدة إستراتيجية في العالم...كما أن توفرها على ثروات باطنية هائلة يسمح لنا بإقامة صناعة ثقيلة لا حاجة لتدليل على أهميتها الحيوية في حالة حرب عالمية، فتمركز الصناعات وتكدسها بأوروبا الغربية يجعل منها أهدافا سهلة لبضعة قنابل نووية".[1]وبالفعل استطاعت فرنسا سنة 1947م أن تنشئ محافظتين متعلقتين بالنشاط النووي،وعملت من خلالهما على القيام بتجارب نووية في الصحراء الجزائرية باستخدام الجزائريين دروعا بشرية لهذه التجارب دون احترام ادني شروط الإنسانية.زيادة على ذلك أنشأت السلطة الاستعمارية في 24 أفريل 1947م بمنطقة كولمب بشار قاعدة حربية ضخمة تجري فيها كل تجارب الحرب العصرية من القنبلة الذرية إلى الصواريخ، وأخذت هذه القاعدة اسم" المركز العسكري للتجارب الصاروخية الخاصة".[2]

5- تعتقد السلطة الاستعمارية أن الصحراء الجزائرية أداة وصل بين شمال إفريقيا وجنوبها، وعليه فبهذه الخاصية ستلعب دورا كبيرا في مستقبل العلاقات التضامن بالقارة الإفريقية، ويعدها هذا الدور وضعها الجغرافي وإمكانياها الاقتصادية،ومن هنا فهي تشكل في نظرها خطرا يجب إبطال مفعوله، وذلك بفصل الجنوب عن الشمال حتى تفقد الجزائر حدودها المشتركة مع الدول المجاورة، مع إقامة قواعد عسكرية في إفريقيا تكون مصدر قمديد دائم لكل محاولات التحرر والانعتاق الحقيقي.[3]

---

[1] محمد بن دارة، المرجع السابق،ص21

[2] المجاهد،« الخفايا العسكرية...»، المصدر السابق ، ص6.

[3] المجاهد،« أهداف الاستعمار في الصحراء »، ع98، 19جوان 1961،(ج4، طبعة خاصة 2007)، ص4

إذن كانت هذه الأسباب كافية لعودة الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية بقوة كبيرة، وشرعت بعد الحرب العالمية الثانية في استغلال هذه المناطق،عن طريق استحداث مجموعة من المشاريع الاستعمارية تمثلت في استصدار عدة قوانين وتنظيمات إدارية واقتصادية تضمن السيطرة والاستغلال الكلي للصحراء الجزائرية.

ثانيا/ أهم هذه المشاريع الاستعمارية :

1- إنشاء مجموعة من المؤسسات والمجمعات الصناعية: وهي مجهزة بإمكانيات بشرية ومالية هامة تابعة لرئاسة الوزارة الفرنسية ومنها:

أ- مكتب البحوث البترولية:تم إنشاؤه عام 1945م، وكلف بمراقبة جميع البرامج والتصميمات المالية والفنية،وبمراقبة جميع الشركات القائمة بمختلف البحوث والتنقيبات.[1]

ب- الشركة القومية للبحث عن البترول في الجزائر(S.N.REPAL): أنشئت عام 1946م، لعبت دورا كبيرا في استنزاف خيرات وثروات الصحراء الجزائرية.[2]

ج- مكتب البحوث المنجمية:تم إنشاؤه سنة 1948م ليضمن مواصلة التفتيش عن الموارد الطبيعية الموجودة في الجزائر وضمان استغلالها.

د- لجنة دراسة مناطق التنظيم الصناعي للاتحاد الفرنسي: وقد تم تأسيسها في 24 جوان 1950م بهدف التنسيق الصناعي بين مختلف أجزاء الاتحاد الفرنسي،والنظر في إمكانية تحقيق برامج اقتصادية وصناعية واسعة تراعى فيها المنابع الطبيعية الموجودة والمصالح الفرنسية السياسية والفنية والعسكرية،هذا بالإضافة إلى تحديد أماكن معينة يركز فيها التجهيز الصناعي.[3]

---

[1] المجاهد،« الصحراء من ماكس لوجون...»،المصدر السابق، ص8.

[2] المصدر نفسه، ص8

[3] "**فرنسا وثروات الصحراء الجزائرية**"، ملتقى وطني حول فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية، م.و.د.ب.ح.و.ث.ا.ن، 1998، ص ص: 44-45

هـــ- شركة البحث واستغلال بترول الصحراء(C.R.E.P.S)،: أنشئت عام 1951م،و يتألف رأس مالها من 65 % مساهمة الدولة،و35 %مساهمة شركة شال وشركة بترول الجزائر.[1]

و- المكتب الصناعي الإفريقي:تم إنشاؤه سنة 1951م،ويعمل على تنفيذ القرارات الاقتصادية والصناعية المتعلقة بإفريقيا،وفي توسيع المنظمات الصناعية واستثمار الموارد الطبيعية المختلفة،وتشجيع كل محاولة لاستغلال الصحراء.هذا بالإضافة إلى وجود منظمات خاصة شبيهة بالعامة تعمل بتوجيه الحكومة الفرنسية،مثل شركة الدراسات للتجهيز المنجمي والصناعي، والجمعية الأوروبية الإفريقية المنجمية والصناعية[2]،والعنوان الرسمي الذي اخفت وراؤه فرنسا الهدف الحقيقي من وراء هذه القواعد لمخادعة الأفارقة هو "تطوير الصناعات في البلدان الإفريقية".[3]

وعليه استطاعت فرنسا عن طريق هذه المؤسسات الصناعية أن تكتشف الكثير من الثروات الطبيعية بالصحراء الجزائرية،وفي مقدمتها الغاز حيث تم اكتشافه سنة 1954م لأول مرة في جبل برغة قرب عين صالح،وفي 12 جوان 1956م توجت الأبحاث الجارية في حاسي مسعود على بعد100 كلم شرق ورقلة بالنجاح حيث اكتشف على عمق 3300م حقل هام للبترول تبلغ كثافته 140م[4]،الأمر الذي دفع بالإدارة الفرنسية إلى التشبث بفكرة تثمين واستغلال الصحراء الجزائرية من أي وقت مضى،مختلقين عدة ذرائع وحجج لتبرير التواجد الفرنسي بالمناطق الصحراوية.

وعلى إثر النتائج الأولية للاكتشافات البترولية جندت فرنسا منذ سنة 1955م ثلث نفقاتها في كل مستعمراتها ومحمياتها للأبحاث التمهيدية والحفر في الصحراء[5]،غير أن ما

---

[1] المجاهد،« الصحراء من ماكس لوجون...»،المصدر السابق، ص8.

[2] "**فرنسا وثروات الصحراء الجزائرية**"،المرجع السابق،ص45

[3] المجاهد،« الخفايا العسكرية...»، المصدر السابق ، ص6.

[4] المصدر نفسه.

[5] الحاج عمر موسى بن عمر، **بترول الصحراء بين حسابات الثروة في فرنسا ورهانات الثورة في الجزائر**،2008،ص88

تجدر الإشارة إليه هو أن فرنسا كانت قد فتحت باب الاستثمار البترولي لبعض الشركات الأجنبية لدعم الاقتصاد الفرنسي ولكن بشروط للحصول على رخصة الحفر والتنقيب والاستغلال،ولعل الدافع من وراء وضع هذه الشروط هو ضمان عدم تدخل حكومات الشركات الأجنبية في شؤون فرنسا مع مستعمراتها،وبحلول سنة 1959م بلغت الرخص الموزعة على الشركات البترولية الأجنبية المستثمرة في الصحراء الجزائرية 54 رخصة.[1]

2- إنشاء المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية OCRS:

فيما يبدوا لنا أن التطورات المتزايدة في الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية كانت بسبب اشتعال الثورة الجزائرية التي كانت إحدى العوامل الأساسية في التصدي للسياسة الفرنسية بالصحراء الجزائرية،غير انه في المقابل استغل بعض الفرنسيين الثورة الجزائرية وحاولوا إطالة عمرها بغية الحفاظ على أن تبقى الصحراء الجزائرية فرنسية، وبل دعمت ذلك بإصدار قانون رقم 27-57 المؤرخ في 10 جانفي 1957م،الذي ينص على إنشاء المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية،وهو مشروع يسعى إلى تحقيق تنظيم اقتصادي للصحراء،ويحتوي القانون على ثلاثة عشرة مادة،وما يهمنا في هذه الدراسة يمكن استعراضه كالآتي[2]:

المادة رقم01: تنشا منظمة مشتركة للمناطق الصحراوية،تهدف إلى العمل على التطوير الاقتصادي والرقي الاجتماعي للمناطق الصحراوية التابعة للجمهورية الفرنسية والتي تساهم في تسييرها الجزائر،موريتانيا، السودان الفرنسي، النيجر ،التشاد.

المادة رقم02: تضم المنظمة المشركة للمناطق الصحراوية أساسا المناطق الآتية والكائنة بين الجزائر والسودان الفرنسي والنيجر والتشاد وهي:

ا- البلدية المختلطة والأجزاء الملحقة بكولومب بشار، والجزء الملحق بجيري فيل(البيض) الواقع جنوب جبال القصور، وكذا البلديات المحلية وملحقات الساورة،وقورارة،وتوات وتندوف،والآجر،والهقار،والقسم الصحراوي لدائرة قندام وتمبوكتو وقاو.

---

[1] الحاج عمر موسى بن عمر ،المرجع السابق،ص88

[2] J.O.R.F, du 11 Janvier 1957,p578

ب- الأقسام الصحراوية من البلديات المختلطة للاغواط والجلفة والبلديات المحلية وملحقات غرداية،والمنيعة،وورقلة،والبلديات المختلطة لتقرت ووادي سوف،وملحقات تيديكلت،والآجر،والهقار، والقسم الشمالي لدوائر طاوي واقاديس، والمتضمنة لمجموع فرع بيلمة،ومنطقة بيركو انيدي تيبستي.

المادة رقم05/الفقرة الثانية: يمثل المنظمة مندوب عام يعين بمرسوم في مجلس الوزراء وهو المسؤول الأول على تطبيق البرامج المخططة ومراقبتها.

المادة رقم08:تتمتع المنظمة المشركة للمناطق الصحراوية بالشخصية المعنوية وبالاستقلال المالي ولها ميزانية للتسيير تحت إشراف رئاسة المجلس.

المادة رقم12: المنظمة ملزمة بتقديم تقرير سنوي عن نشاطها إلى البرلمان،يتم إلحاقه بمشروع الميزانية للمنظمة مع كل سنة مالية.

طبعا مشروع المنظمة المشركة للمناطق الصحراوية جاء باقتراح السيد هوفوي بوانيي *Hauphouet Boigny*[1]،الذي قدمه بدوره إلى مجلس الوزراء بعدما تم عرضه على المجلس الوطني ومجلس الجمهورية،تمت المصادقة عليه في 10 جانفي 1957م[2]،وللإشارة فإن مقترح السيد هوفوي بوانيي*Hauphouet Boigny* كان قد سبقته عدة مقترحات من طرف بعض السياسيين،ونخص بالذكر كلا من السادة بيار كورني*Pierre Corneille* ،وبواسدون *Boisdon*،وجولي بيار*Jolly Pierre* ...وغيرهم،غير أن جل مقترحاتهم لقيت معارضة قوية من طرف بعض أعضاء البرلمان الفرنسي،ومن طرف ممثلي الجزائر في المجلس الوطني،على الرغم من أن مشروع المنظمة المشركة الصحراوية كان سيلقى هو الآخر معارضة مثل الاقتراحات السابقة لولا تحايل الحكومة الفرنسية،وذلك بتمرير المصادقة على المشروع دون موافقة المجالس الإقليمية للمناطق الصحراوية.زيادة على ذلك ونتيجة لمجموعة انتقادات وجهت لهذا المشروع، فإن قانون إنشاء المنظمة المشركة للمناطق الصحراوية كان قد تعرض إلى عدة تعديلات جوهرية نتيجة للأوضاع المستجدة

---

[1] هوفوي بوانيي*Hauphouet Boigny* : الوزير المنتدب لدى رئاسة مجلس الوزراء في حكومة قي موليه، ورئيس جمهورية ساحل العاج فيما بعد.

[2] J.O.R.F, du 11 Janvier 1957,p578

على كافة الأصعدة[1]،وعلى الرغم مما جاء به قانون 10 جانفي 1957م من مواد ،هل استطاعت هذه المنظمة أن تحقق أهدافها التي سطرها هذا القانون؟

يبدوا انه من خلال قراءتنا لما أنجزته هذه المنظمة على مستوى منطقة ورقلة ما بين 1958و1962م،يمكن القول أنها استطاعت أن تحقق تنمية اقتصادية في إطار ما يخدم المصالح الفرنسية بهذه المناطق خاصة في مجال البنى التحتية والمشاءات القاعدية كالري والتعمير والسكن،وهذا يتجلى من خلال قوة الاعتمادات المخصصة للتمويل والتجهيز،حيث وصل مجموع رصيد المدفوعات لميزانيتي التجهيز والتسيير ما بين 1958م و1959م إلى21،291 مليون فرنك جديد، أي حوالي16%[2]،ويمكننا استعراض انجازات المنظمة بمنطقة ورقلة في هذه الفترة كما يلي:

أ- التنمية الاقتصادية:

1- في مجال الاستثمار والصناعة البترولية والكيماوية: لم يكن الاستثمار في الصحراء من الاهتمامات الأولية للإدارة الفرنسية،غير انه بعد اكتشاف البترول والغاز في الخمسينات سارعت السلطة الاستعمارية إلى إعطاء أهمية قصوى لمجال الاستثمار في الصناعة البترولية، حيث سخرت كل الوسائل اللازمة،وقدمت مجموعة من التسهيلات المالية والجمركية لتحقيق ذلك،حيث أصدرت في شان ذلك مجموعة من القوانين[3] ترمي إلى تشجيع وإنشاء المؤسسات الصناعية بالمناطق الصحراوية،فعلى مستوى منطقة ورقلة،وفي إطار التقسيمات الإدارية الجديدة،وبموجب قانون رقم 58-866،الصادر في 20 ديسمبر 1958م والمتعلق بالتنظيم البلدي بعمالتي الواحات والساورة،إنشاء ثلاث بلديات جديدة كاملة الصلاحيات وهي ورقلة، الشعانبة مع بني ثور، سعيد عتبة مع

---

[1] محمد بن دارة، المرجع السابق،ص 76

[2] المرجع نفسه، ص89

[3] مثل: قانون رقم 58-1248 المؤرخ في 18 ديسمبر1958م والمتعلق بتنظيم الشركات الصحراوية للتنمية

- قانون 7 جانفي 1959م متعلق بالمساهمة المالية للمنظمة المشركة للمناطق الصحراوية

- قانون11 سبتمبر 1959م يتعلق بالإجراءات ذات الطابع الضريبي

المخادمة[1]، وباعتبار هذه البلديات جديدة،فقد كانت بداية التمنية فيها ضعيفة،لكونها تحتاج إلى ميزانية مالية ضخمة للتنمية المحلية، وعليه في هذا السياق صدر قانون تحت رقم 59-1589 المؤرخ في 31 ديسمبر 1959م،يتعلق بإنشاء الصندوق الصحراوي للتضامن(CSS)الذي يشرف على توزيع العائدات البترولية على العمالات والبلديات بهدف تنميتها،ويكون ذلك وفقا لتوزيع التالي[2]:

- 13 فرنك للساكن الواحد تدفع لبلديات العمالة.
- 6 فرنك للساكن الواحد تدفع للعمالة.
- إلغاء ضريبة الزكاة على المواشي وضريبة اللَّزمة على النخيل.
- يستعاد العمل بنظام المساهمة الفردية من الوجهة النظرية.

إضافة إلى ما ذكرناه سابقا،وفي إطار تحويل البترول نحو ارضي الشمال،واستخدام الطاقة الشمسية في الصحراء ، أشرفت المنظمة في 19 نوفمبر 1959م على تدشين أول أنبوب لحمل البترول من حوض الحمراء إلى بجاية يبلغ قطره 60سم، وطوله662كلم²، به أربع محطات للضّخ بطاقة تبلغ 15،3مليون من الأطنان في السنة، وفي شهر أوت 1961م تم إنشاء محطة للطاقة الشمسية تابعة لمعهد الطاقة الشمسية بجامعة الجزائر في ثلاث أماكن،إحداهما في المنطقة الصناعية، واثنان في قطاع التطور الريفي لبلدية المخادمة في إطار انجاز جملة من المشاريع الصناعية مثل:تجارب على مواد معاكسة مختلفة، إنتاج هواء ساخن بواسطة الطاقة الشمسية،تصنيع بعض مواد البناء في الفرن الشمسي،إعادة تصنيع الزجاج المكسر،صنع مبيدات للحشرات،تصنيع بعض الأسمدة الفلاحية الخاصة بمزروعات الكلاء والخضر.[3]

2- في مجال النقل البري: سبقت الإشارة إلى أن السلطة الاستعمارية بعد استقرارها بورقلة اهتمت اهتماما كبيرا بصيانة وتشييد طرق المواصلات قصد

---

[1] J.O.R.F, du 23 Septembre 1958,p 8738

[2] Rapport sur la politique du crédit de la Caisse Saharienne de Solidarité 1959, C.D.A.W.O, B574

[3] Nouvelles du Sahara , bulletin périodique d'information économique et financiers ,N°48, 26 /08 / 1961

الربط بين ورقلة والمناطق المجاورة لها، وقد تجسد هذا الاهتمام سنة 1915م حينما أنشأت السلطة الاستعمارية أول طريق بين ورقلة وعين صالح ، بعد ظهور أول سيارة عسكرية متحركة ذاتية[1]،لتتوالى بعدها إنجاز العديد من الطرق بخطى متباطئة نتيجة عدة عراقيل طبيعية وعسكرية،ومع تجدد الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية واكتشاف البترول سنة 1956م،سارعت السلطة الاستعمارية إلى وضع برنامج لانجاز شبكة جديدة للطرق والمواصلات والنقل الحضري سنة 1958م بإشراف المنظمة المشركة للمناطق الصحراوية بهدف تخفيف تكاليف النقل،وتسريع وتيرة البحث والتنقيب عن البترول في المناطق الصحراوية،ولهذا استطاعت المنظمة انجاز ما يلي:

- انجاز الطريق المزفت يربط بين ورقلة وحاسي مسعود.
- انجاز الطريق المزفت يربط بين ورقلة وغرداية.
- إنشاء محطة للنقل البري بمساحة 4 هكتارات،والمنطقة الصناعية بمساحة 60 هكتار.[2]
- انطلاق أول شبكة للنقل الحضري.[3]
- ربط الشبكة الحضارية لورقلة بمحطة حوض الحمراء بحاسي مسعود.[4]

أما فيما يخص النقل الجوي فقد سارعت السلطة الاستعمارية إلى إنشاء العديد من المطارات نظرا لمتطلبات البحث والتنقيب عن البترول، فقد صدر مرسوم بتاريخ 20 نوفمبر 1958م متعلق بتهيئة البنية التحتية لإنشاء مطارات في المناطق الصحراوية، حيث تم لذلك تخصيص قطعة أرضية في ورقلة بمساحة قدرت بـــ 114300م^2، وقسمت إلى قطعتين الأولى بمساحة 113180م^2 خصصت كأرضية للمطار، والثانية بمساحة 1120م^2 خصصت لبناء سكنات للمهندسين الطيارين، ورئيس المطار، وبعض المكاتب

---

[1] دوني بيلي ، المرجع السابق ، ص43

[2] S.E.L.I.S, Etude Générale d'aménagement de Ouargla ,Rapport préliminaire, paris,1960 ,p158

[3] Ibid,p160

[4] Ibid,p158

لعمال المطار[1]،وفي أول سبتمبر 1959م تم استكمال تهنئة المطار،حيث دشنت حظيرة للطائرات قرب برج المراقبة،وشهدت هذه الحظيرة نشاطا حيويا بسبب ذهاب وإياب عمال البترول القادمين من الشمال،فحسب إحصائيات المنظمة لسنة 1960م فقد وصل عدد الركاب الواصلين الى6003 راكب،و5710 مغادر،كما قامت المنظمة من جانبها في نفس السنة من تهيئة مدرج الحظيرة،كما دلت إحصائيات أخرى للمنظمة لسنة 1962م أن قيمة الاستثمار في مجال النقل الجوي وصلت الى6،5 مليار فرنك قديم.[2]

3 – في مجال الاتصالات:في إطار تحسين خدمة الاتصالات بالمناطق الصحراوية عمدت المنظمة إلى إنشاء شبكة اتصالات هيرتزية تربط بين مختلف جهات الوطن بشماله وجنوبه وشرقه وغربه، وذلك وفقا لثلاثة محاور رئيسية وهي كالتالي[3]:

- المحور الأول: يشمل الجزائر، الاغواط، غرداية، ورقلة.
- المحور الثاني: يشمل قسنطينة، بسكرة،تقرت،ورقلة، حاسي مسعود،عين امناس.
- المحور الثالث: يشمل وهران، بشار،تميمون،ادرار، عين صالح،تمنراست.

وفي ذات السياق قامت المنظمة في أول سبتمبر 1959م بافتتاح الاتصال اللاسلكي والهاتفي المباشر بين ورقلة وباريس[4]،وإنشاء شبكة هاتفية أخرى على مستوى حاسي مسعود[5]،كما قامت المنظمة ابتداءً من شهر جانفي1960م إلى وضع الشبكة الهيرتزية تربط بين الجزائر العاصمة وورقلة مجهزة بهوائيات مقعرة قطرها حوالي10م[6]،وفي17

[1] Bulletin officiel de l'Organisation de Coopération dans des Régions Sahariennes, N°11,p183. C.D.A.W.O, B 62
[2] 0.C.R.S ,dossier établi par le S.R.P.I , op.cit
[3] Ibid
[4] المجاهد،« الصحراء من ماكس لوجون...»،المصدر السابق، ص9.
[5] Bulletin d'Information de l'Organisation des Régions Sahariennes, 8 Octobre 1959.
[6] Bulletin d'Information de l'Organisation des Régions Sahariennes, 1 Janvier1960

نوفمبر 1960م تم تدشين الاتصال الهيرتزي الاغواط- غرداية- ورقلة مع 24 مكالمة في نفس الوقت.[1]

4- في مجال الري: في إطار استكمال المنظمة لبرنامجها الاقتصادي،عمل فرع الري والتجهيز الريفي التابع للمنظمة، بالتنسيق مع مكتب البحث والتنقيب عن البترول على القيام بمجموعة من الأبحاث العلمية على مستوى الطبقات الأرضية بورقلة،وذلك لمعرفة كميات الثروة المائية الجوفية من اجل استغلالها واستخدامها فيما يخدم المصالح الاستعمارية،وفي هذا الصدد شرعت المنظمة ما بين 1959م و1960م في حملة لحفر 13 بئر على طبقة ميوبليوسان مجهزة بمضخات[2]، بالإضافة إلى انه تم في شهر ماي 1961م انجاز بئرين: الأول كان على مستوى منطقة الحدب على طبقة الابيان عمقه1340م وضغطه لدى الخروج 21كلغ/سم^2،وطاقة إنتاجه 4000ل/ث،أما الثاني فكان على مستوى حاسي بن عبد الله على عمق 1380م وبضغط 21كلغ/سم^2، وبطاقة إنتاجيه تصل إلى 400ل/ث[3]،زيادة على تشييد خزان لمياه الالبيان بقدرة تخزين 1500م.[4]

5- في مجال الفلاحة والزراعة:بناءا على المادة الأولى من قانون إنشاء المنظمة،والتي تهدف إلى العمل على تطوير الاقتصاد بالمناطق الصحراوية،اتخذت المنظمة عدة إجراءات بغية تطوير وتنمية الفلاحة والزراعة الصحراوية،وذلك باستصلاح الأراضي الزراعية، وتهئتها ليتم توزيعها على الفلاحين ،وهذا تكملة للدور الذي يقوم به صندوق التمليك والاستثمار الريفي(CAPER) منذ إنشائه سنة 1956م[5]، ولتحقيق هذه السياسة الزراعية تم إسناد المهمة إلى قطاع التطور الريفي(SAR) الذي أنشئ سنة 1958م،

---

[1] Nouvelles du Sahara, N°39, 26 Décembre 1960
[2] M.R.Brigol, Op.Cit. pp 149-150
[3] Ibid, p 131
[4] Ibid, p 149
[5] J.J.Perennes , **Structures Agraires et Décolonisation Les Oasis de l’ Oued R’hir (Algérie)** Alger, O.P.U,1979,pp 128-133

والذي كان مقرة بسعيد عتبة[1]، وأول ما قام به هذا القطاع بذل مجهودا لإعادة إنعاش غابات النخيل بمنطقة بني ثور والمخادمة ، كما صدر مرسوم في 20 نوفمبر1958م ينص على تقديم خدمات هيدرولية وتوزيع تجهيزات فلاحية لصالح فلاحي منطقة المخادمة[2]،وفي إطار القيام بأبحاث علمية لمختلف مشاكل الفلاحة الصحراوية، وخصوصا مشكل ملوحة مياه السقي، قام قطاع التطور الريفي سنة 1959م بتجاربه الأولى للسقي النخيل بمياه الالبيان،غير أن هذه التجارب الأولية أعطت نتائج سلبية.[3]

وفيما يخص استفادة فلاحي منطقة ورقلة من مشروع استصلاح الأراضي عن طريق تقديم قروض مالية من صندوق التمليك والاستثمار الزراعي، فقد استفاد عدد كبير منهم بقطعة فلاحية بمساحة0,75 هكتار بها ما بين90 إلى 100 نخلة(جبارة)، حيث وصل عددهم سنة 1960م إلى 3190 فلاح[4]،وعلى الرغم من استفادة الفلاحين من قطع فلاحية، إلا أنهم واجهوا عدة صعوبات، أهمها عدم توفر منابع المياه للسقي، حتى وان وجدت فقد تكون بعيدة عن المساحات الزراعية، فمثلا في شهر أفريل 1960م استفادت المخادمة وسعيد عتبة بمساحة زراعية تقدر بــ51،5 هكتار،غير انه لم يستصلح منها 13 هكتار.[5]

---

[1] دوني بيلي، المرجع السابق، ص91

[2] Bulletin Officiel de l'Organisation de Coopération dans des Régions Sahariennes, N°11,p181.

[3] M.R.Brigol, Op.Cit. p164

[4] Nouvelles du Sahara, N°6, Décember1963-Janvier 1964

[5] دوني بيلي، المرجع السابق، ص99

وتجدر الإشارة إلى أن الفلاحين المستفيدين من صندوق التمليك والاستثمار الزراعي، يسددون ديونهم بعد ثماني سنوات من الإنتاج على شكل أقساط لمدة تتراوح ما بين 25 إلى 30 سنة، وفقا للتوزيع الآتي:

- مستحقات تكاليف حفر البئر 750000 ف.ق
- مستحقات قنوات السقي وصرف المياه 370000 ف.ق
- مستحقات الفسائل وتكاليف المتابعة التقنية لمدة ثماني سنوات 580000 ف.ق
- مستحقات المسكن 600000 ف.ق

للمزيد حول السياسة الاستعمارية الزراعية بالجنوب ينظر: J.J.Perennes, Op.Cit ,pp 128-133

ب – التنمية الاجتماعية:

1– في مجال السكن والتعمير: في إطار المخطط العمراني التنموي بالمناطق الصحراوية وبناء على مرسوم صدر في 19 فيفري 1958م أوكلت المنظمة مهمة تطبيق هذا المخطط إلى شركة معدات البنية التحتية الصحراوية (S.E.L..I.S)،والشركة القومية للبحث واستغلال البترول في الجزائر (S.N.Repal) ، وعليه شرعت هذه الشركات منذ 1958م بناء العديد من السكنات الاجتماعية والوظيفية وتهيئتها بتقرت وغرداية وبسكرة وادي مية [1]،فبورقلة ابتدأت في شهر ماي 1958م أشغال بناء السكنات ذو الكراء المعتدل والتي بلغ عددها 48 مسكن مقسمة إلى عمارتين كل واحدة مقسمة إلى ثلاثة طوابق، وما يلاحظ على هذه السكنات أنها تختلف من حيث عدد الغرف، وهي موزعة كالآتي[2]:

- 8 مساكن مكونة من غرفتين+ مطبخ
- 18 مسكن مكون من ثلاثة غرف+ مطبخ
- 18 مسكن مكون من أربعة غرف+ مطبخ
- أربعة مساكن مكونة من خمسة غرف + مطبخ

زيادة على بناء السكنات تم إنشاء شبكة لصرف المياه القذرة ،وفي إطار إيجاد حلول لمشكل ارتفاع درجة الحرارة داخل السكنات الاجتماعية القديمة،قامت المنظمة في سنة 1959م بمجموعة من الأبحاث والدراسات العلمية حول نوعية مادة البناء وتطويرها بهدف الحفاظ على درجة معتدلة للحرارة داخل البيوت[3]، وفي سنة 1960م تم بناء 200 سكن من طرف شركة سيليس (SELIS)[4]،كما تم في نفس السنة انجاز عدة مشاريع عمرانية على مستوى بلدية ورقلة تمثلت في فندق ترانزاتلانتيك، والملعب البلدي، والمعبد البروتستنتي،ومقر جديد لبلدية ورقلة في شكل بيضوي،والسوق المغطاة بشكل

---

[1] Bulletin officiel de l'Organisation de Coopération dans des Régions Sahariennes1958, N°2,p13.
A.W.O , Boit 62

[2] (SELIS), Op.Cit, pp119-120.

[3] J.Dubief **, le climat du sahara**,alger,T1,1959,PP 113-114

[4] (SELIS), Op.Cit, p158

دائري بالقصر،والمسبح البلدي وبجواره دار للشباب،بالإضافة إلى بناء 70 وحدة سكنية عسكرية بحي كاريبي، مع اقتراح زيادة بناء 24 وحدة إضافية مستقبلا.[1]

2- في مجال الصحة: من اجل تحسين المستوى الصحي وترقية الحياة الاجتماعية بالمناطق الصحراوية أصدرت السلطة الاستعمار في 27 ماي 1961م قانونا خاص بالتنمية الاجتماعية بعمالتي الواحات والساورة ،حيث خصصت لقطاع الصحة ما يقارب 34500000 ف.ق[2]،فخلال سنة1961م تم بورقلة فتح مستشفي لطب العيون، حيث استطاع في ظرف شهرين منذ افتتاحه القيام بـــ1800 فحص، و120 عملية جراحية، ليرتفع العدد في نهاية السنة الى7610 فحص و820 عملية جراحية.[3]

وإذا ما تمت المقارنة بين ما كان عليه المستوي الصحي في بداية الخمسينات، وما أصبح عليه في بداية الستينات فإننا نلاحظ تطور كبير في الفحوصات والرعاية الطبية،حيث وصل عدد الفحوصات الطبية في سنة 1952م إلى 3676 فحص، لينخفض سنة 1956م إلى 1609 فحص[4]، وليرتفع مرة أخرى سنة 1961م إلى 7610 فحص طبي، وهذا يعود إلى تطور الإمكانيات الطبية التي وفرتها السلطة الاستعمارية،كزيادة عدد الأطباء وبناء العديد من المستشفيات،وتسخير فرق طبية متنقلة إلى البدو الرحل.[5]

أمام هذه الانجازات يبدوا لنا أن المنظمة المشركة للمناطق الصحراوية جاءت فعلا للتنمية الاقتصادية والترقية الاجتماعية للصحراء الجزائرية،بل في نظر السلطة الاستعمارية امتداد للمشاريع الاقتصادية والاجتماعية في الشمال مثل مصانع عنابة وارزيو، ومشروع

---

[1] دوني بيلي، المرجع السابق، ص102

[2] Loi de programme N° 61-515 du 27mai 1961,J.O.R.F, du 28 mai 1961,p4829

[3] Bulletin de Liaison Sahariennes, N°42, juin 1961,p186

[4] P.Passager,Op.Cit, p161

[5]Bulletin de Liaison Sahariennes, N°42, Op.Cit ,p186

قسنطينة[1]، غير أن الشيء المؤكد والعارف بخفايا السياسة الاستعمارية بالمناطق الصحراوية يرى أن هذه الانجازات ما هي إلا مناورة استعمارية[2] غير مباشرة تخدم الاقتصاد والمجتمع الفرنسي على حساب سكان المجتمع الصحراوي،وهو ما أكدته جبهة التحرير الوطني في جريدة المجاهد على أن هذه المنظمة ما هي إلا وكالة دولية لنهب الصحراء واستغلالها.[3]

وفي ذات السياق سعت جبهة التحرير الوطني إلى فضح سياسة هذه المنظمة المتنكرة في ثوب اقتصادي هدفها الأساسي ليس التنمية الاقتصادية والاجتماعية،وإنما هدفها الجوهري التمهيد لمشروع فصل المناطق الصحراوية عن الشمال، وعليه أكدت القيادة الثورية أن هذه المنظمة لن تكون وصية على ثرواتهم الصحراوية، وهذا ما ذكرته في جريدة المجاهد:" إن الجزائر لن تقبل أبدا وبأي شكل من الأشكال وصاية اقتصادية من أية قوة عالمية، وبالنسبة للجزائر الصحراوية فنحن نعتزم اختيار شركائنا بحرية، للحصول على الأموال والتقنيين، عن طريق عقد اتفاقيات متبادلة يتم إبرامها وفقا لمصلحة شعبنا".[4]

وفيما يخص سياسة هذه المنظمة بورقلة فقد وجه مجلس عمالة الواحات انتقاد شديد اللهجة حول السياسة الاستغلالية المتبعة من طرف المنظمة في جلستهم المنعقدة بتاريخ 23 ماي 1960م،خاصة فيما يتعلق بانجاز شبكة الطرقات؟[5]، زيادة على ذلك ما يلاحظ أيضا وما يلفت النظر هو أن كثرة بناء المستشفيات المتخصصة في طب العيون على مستوى المنطقة، ظاهريا كان بهدف القضاء على مرض الرمد الحبيبي الذي كان منتشرا بكثرة وبقوة في الصحراء ، أما باطنيا فكان الخوف من انتقال العدوى إلى السكان الأوروبيين المستوطنين والعاملين بورقلة .

---

[1] المجاهد،" أهداف الاستعمار في الصحراء"ع19،98جوان 1961،(ج4، طبعة خاصة 2007)،ص4.

[2] EL-Moujahid, « L'O.C.R.S , Dernière Base de Manœuvre du Colonialisme Français» , n° 66, 20 Juin 1960, vol 3,p 133.

[3] EL-Moujahid , n° 86, 1 November 1961, vol 3,p 608.

[4] Ibid.

[5] Conseil général des oasis, procès verbal de la session extraordinaire du 23 mai 1960, C.D.A.W.O , B298.

وإذا خصصنا الحديث أيضا عن المطار الذي تم انجازه بعين البيضا بورقلة،فقد كان لفائدة العمال الفرنسيين والأجانب العاملين في الشركات البترولية الفرنسية والأجنبية بمنطقة حاسي مسعود،وإلا يا ترى فيما خدم هذا المطار سكان ورقلة؟ غير انه يمكننا أن نستثني برنامج القطاع الفلاحي الذي استفاد منه سكان ورقلة ولو نسبيا من حيث حفر وتجديد آبار السقي،وتنظيم زراعة النخيل،واستصلاح بعض الأراضي الزراعية،وهذه الاستفادة راجعة بحكم غالبية سكان ورقلة يمتهنون فلاحة الأرض، لكونها مصدر رزقهم وعيشهم.

ومن جهة أخرى لا نغفل النشاط الثوري على مستوى المنطقة، فالقيام بمثل هذه الانجازات الاقتصادية والاجتماعية بورقلة قد يمتص أية حركة شعبية ثورية تهدد بتقويض دعائم الاستعمار بالمنطقة،ولا ترضى بالإصلاحات السطحية التي يبدلها كل استعمار لإنقاذ مصالحه الأساسية.

3- إنشاء وزارة خاصة بالصحراء وتقسيم الصحراء إلى عمالتين:

نظرا لعدم وجود إطار ادري يسير المناطق الصحراوية نتيجة لقرار إلغاء نظام الأقاليم في الجنوب أصدرت السلطة الاستعمارية قرار في 10 جوان 1957م يتعلق بإنشاء وزارة خاصة بالصحراء، بهدف استمرارية الحفاظ على الصحراء الفرنسية، وقد تم تعين السيد ماكس لوجون *Max lejeune* وزيرا على رأس هذه الوزارة الصحراوية.[1]

أما فيما يخص تقسيم الصحراء إلى عمالتين فقد تم تقسيمها وفقا للمرسوم رقم57-903 المؤرخ في 7 أوت 1957م[2]، فالعمالة الأولى هي الواحات وعاصمتها الاغواط ثم ورقلة (الجنوب الشرقي) بمساحة تقدر بـــ1302000 كلم²،و348000 نسمة، والعمالة الثانية هي الساورة وعاصمتها بشار(الجنوب الغربي) بمساحة

[1] J.O.R.F. du 14 Juin 1957 ,p 5923
[2] Décret n° 57-903. du 31 décembre 1959, J.O.R.F, du 12 Janvier 1960 ,p 339.

تقدربـــ780000كلم^2،و152000 نسمة، خلفا لما كان يعرف سابقا بأقاليم الجنوب الجزائرية، وقد تضمن هذا المرسوم ثمانية مواد وهي كالآتي[1]:

المادة الأولى: إن منطقة أراضي الجنوب الجزائري التابعة للمنظمـــة المـــشتركة لمنـــاطق الصحراء تقسم إلى عمالتين الواحات والساورة.

المادة الثانية: تضم عمالة الواحات التي يوجد مقرها بمدينة الأغواط منـــاطق غردايـــة ، تقرت التابعة للمنظمة المشتركة لمناطق الصحراء ومناطق الواحات،وتضم إلى جانب ذلك منطقة البلدية المختلطة للبيض(بجيري فيل سابقا) والكائنة شرق وادي أزفون حتى الحدود الغابة الكحلة وهي مقسمة إلى ثلاث دوائر :

- دائرة الأغواط التي تشتمل على قسم منطقة غرداية التابع للمنظمة المـــشتركة لمنـــاطق الصحراء، وقسم منطقة بلدية البيض (جيري فيل سابقا).
- دائرة ورقلة التي تشتمل على منطقة الواحات وقسما من البلديات المختلطة للـــوادي والواقعة جنوب خط التوازي.
- دائرة تقرت التي تشمل على قسم من منطقة تقرت التابعة للمنظمة المشتركة لمنـــاطق الصحراء والموجودة شمال خط التوازي 32.

المادة الثالثة: عمالة الساورة، مقرها كولومب بشار،وتضم قسما من منطقة عين الصفراء التابعة للمنظمة المشتركة لمناطق الصحراء وهي مقسمة إلى دائرتين :

- دائرة كولومب بشار التي تشمل على البلديات المختلطة كولومب بشار وهي بوزينـــة الأبيض الساورة وتندوف .
- دائرة أدرار التي تشمل بلديات توات،وقورارة.

المادة الرابعة: يمكن في هاتين العاملتين أن تخول وظيفة رئيس العمالة وبصفة استثنائية إلى ضباط برتبة لواء.

المادة الخامسة: ينصب على رأس كل دائرة إمّا ضباط الشؤون الصحراوية، وإما موظفين مدنيين من هيئة خاصة.

المادة السادسة: تحدد مراسيم مجلس الدولة تكوين وعدد المجالس العامة والتنظيم البلدي

---

[1] J.O.R.F. du 12 Janvier 1960 ,p 339

للعاملتين .

المادة السابعة: رغم أحكام الأمر الصادر بتاريخ 02 نوفمبر 1945م تحدد التعـــديلات التي يمكن إجراؤها في المستقبل بحدود تراب العاملتين المدروستين أعلاه، والـــتي ســـوف تتخذ طبقا لترتيبات المادة من المرسوم رقم 64-56 المـــؤرخ في 28 جـــوان 1956م والنصوص الملحقة به.

المادة الثامنة: تحدد قرارات وزير الصحراء، وكيفية تطبيق هذا المرسوم.

وبحكم دارستنا لمنطقة ورقلة في هذا البحث سنخص عمالة الواحات بشي من التفصيل على أساس أن ورقلة كانت مقر عمالة الواحات،وقد احتوت هذه الأخيرة على ثلاثة دوائر،وفي عام 1960م ارتفع عددها إلى تسعة وفقا لمرسوم 3 ديسمبر 1960م،كما تضمنت أيضا ثلاثة وخمسون بلدية.[1]

وقد أجريت أول انتخابات لمجلس عمالة الواحات في26 أفريل 1959م، وأسفرت عن انتخاب 24 عضو بالمجلس العام للعمالة،وقد تم توزيع هؤلاء الأعضاء على خمسة لجان أساسية كالآتي[2]:

- رئيس مجلس العمالة: السيد حمزة بوبكر
- رئيس لجنة المالية: احمد تجاني
- رئيس لجنة الإدارة العامة: السيد هاربيلان *Harbillain*
- رئيس لجنة النقل والأشغال العمومية:(لم يتم ذكر اسمه؟)
- رئيس لجنة القضايا الاجتماعية والاقتصادية والثقافية:السيد بونور شارل*Ch.Bonheur*
- رئيس لجنة التعمير والسكنات الاجتماعية: السيد رابحي عبد القادر

[1] Décision 1958-1959, Code Officiel géographique des commune du Sahara , C.D.A.W.O, (Boit sans numéro)

[2] Conseil général des oasis, procès verbal de la session extraordinaire 1961 C.D.A.W.O, B298

المبحث الثاني: موقف مجلس عمالة الواحات وسكان ورقلة من مشروع الانفصال

يبدوا أن إنشاء عمالتين صحراويتين كان ضمن المخطط العام لسياسة فصل المناطق الصحراوية عن الوطن الأم،وذلك من اجل تكوين لوبي محلي موالي للإدارة الاستعمارية يسهر على تسهيل مهمة الاحتفاظ بالصحراء،وعليه كان أول دور قام به اللوبي المحلي بعد مجيء الجنرال ديغول هو التعبئة الجماهيرية للتصويت على دستور 4 أكتوبر 1958م.وهذا ما سنتعرض إليه في العنصر التالي.

أولا/ موقف سكان ورقلة من استفتاء 28 سيبتمبر1958م بالصحراء[1]:

في محاولة لجس النبض في أوساط سكان الصحراء وفي إطار التحضير للاستفتاء حول الدستور الجديد الذي جاءت به حكومة الجنرال ديغول، سخرت الإدارة الاستعمارية كل الوسائل المادية والمعنوية لإنجاح الاستفتاء المزمع إجراءه في 28 سيبتمبر1958م،لكون أن نجاح هذا الاستفتاء في الصحراء سيكون طريقا معبدا ومسهلا لمشروع فصل الصحراء عن الجزائر، وضربة قاضية لنشاط جبهة وجيش التحرير الوطني بالصحراء الجزائرية،وهو ما حرص عليه وزير الصحراء الفرنسي ماكس لوجون *Max lejeune* في مراسلة إلى والي عمالة الواحات قائلا:" يجب أن تثبت هذه النتائج بأنه وبالرغم من معارضة الثوار لهذا الاستفتاء،فقد حرصت الغالبية من السكان المسلمين على المشاركة في هذا الاستفتاء، وبأنهم قد عبروا من خلال تصويتهم بالأغلبية الساحقة على الدستور الجديد، وعلى ثقتهم في حكومة الجمهورية...".[2]

وفي هذا الإطار أنشأت الإدارة الاستعمارية ما يسمى بلجان "الإنقاذ العمومي" لإنجاح عملية الاستفتاء،ولبث الدعاية في أوساط سكان الصحراء عن طريق توزيع المناشير التوعية وتعليق الشعارات مع ممارسة الدعاية المضادة ضد خلايا جبهة التحرير الوطني في الصحراء،فمن الأمثلة على الشعارات نجد : "الانتخاب بنعم معناه دوام

[1] Décision relative à la constitution de la commission administrative d’arrondissement pour la préparation du référendum, C.D.A.W.O,B134.

[2] Préparation du Référendum, 4aout 1958 C.D.A.W.O,b134,

الحضور الفرنسي بالجزائر والصحراء"،" الانتخاب بنعم معناه العمل والأجر للجميع"، وفيما يخص المناشير نذكر مثلا المنشور الذي يخاطب سكان الاغواط وورقلة للمشاركة بقوة في استفتاء 28 سبتمبر1958م[1]:

((ياسكان الاغواط وورقلة رجال ونساء إن لجنة الاتقاد العمومي تطلبكم يوم 13 ماي للاجتماع معها من اجل:

- لإظهار إرادتكم للاتحاد والعافية والخير والسعادة
- لتدعوا لجنة الإنقاذ العمومي تحت رئاسة الجنرال ديغول
- لإشراك طبقات الشعب كلها في تسيير الشؤون العمومية
- لتبرهنوا أن جميع الناس في هذه البلاد هم فرنسيين بصحة كاملة
- لتطلبوا إصلاحا دستوريا يسير في فائدة الديمقراطية،فبفضلكم وبفضل الجيش الفرنسي وبفضل الجنرال ديغول نجحنا.
- واليوم قدّما إلينا هذا الدستور الجديد.
- لجنة الإنقاذ العمومي بورقلة تطلب منكم أن تصححوا هذا الدستور يعني تصوتوا بنعم في تصويت يوم 28 من الشهر الجاري، لتبرهنوا هذه الإرادة للاتحاد والعافية والأخوة الفرنسية المسلمة، هذه الأخوة التي يكون فيها تجديد الجزائر والصحراء الفرنسية.
- ياسكان ورقلة صوّتوا بنعم يوم الأحد 28 سبتمبر، عني ضعوا التذكرة البيضاء المكتوب فيها بالحروف الفرنسية OUI
- تحيا فرنسا والجزائر والصحراء الفرنسية ..يحي الجنرال ديغول))

وفي إطار التحضير دائما لعملية الاستفتاء شرعت الإدارة الاستعمارية في تجديد القوائم الانتخابية،وضبطها قبل الاستفتاء بثلاثة أشهر،حتى تضمن اكبر نسبة في المشاركة،وهذا ما جرى بورقلة في15 سبتمبر 1958م أي قبل الاستفتاء بثلاثة عشرة يوم،والجدول التالي يبن ذلك:

[1] Comite de salut public de Laghouat et Ouargla 1958 , C.D.A.W.O,b134

الجدول رقم (27)التعداد الرقمي للمسجلين في القوائم الانتخابية لسنة 1958م بمنطقة ورقلة[1]

منطقة ورقلة	فئات السكان					
	المستقرين		الرحل		العسكريين	
	رجال	نساء	رجال	نساء	رجال	نساء
	1837	1926	5580	5178	2486	/
المجموع	3763		10758		2486	

وعليه فبهذه الاستعدادات والإجراءات التنظيمية والدعائية استطاعت الإدارة الاستعمارية أن تحقق نجاحا كبيرا من خلال نسبة المشاركة التي بلغت 83،7%، والتصويت بنعم بنسبة بلغت 98،9%، وفيما يخص مشاركة سكان ورقلة، فالجدول التالي يبن ذلك:

الجدول رقم (28):النتائج النهائية لاستفتاء 28 سبتمبر 1958 بورقلة[2]

المنطقة	عدد المسجلين	عدد المصوتين	عدد الأصوات المعبر عنها	المصوتون بـــ(نعم)	المصوتون بـــ(لا)
ورقلة	20597	17507	17444	17103	341

طبعا يبدوا لنا من خلال نتائج هذا الاستفتاء أن فرنسا نجحت فعلا في دفع سكان ورقلة للمشاركة بقوة،وإن دل هذا على شيء،فإنما يدل على قبول المجتمع الورقلي لبرنامج الحكومة الذي جاء به الجنرال ديغول، وهذا غير منطقي مقارنة بالتضحيات التي قدمها ثوار هذه المنطقة،وفي هذا السياق يمكننا التساؤل: ما هي الوسائل التي استخدمتها السلطة الاستعمارية لإنجاح العملية الانتخابية؟

[1] Etat numérique par commune des électeurs et électrices inscrite dans le département des oasis au 15 septembre 1958 ,C.D.A.W.O,B134

[2] Arrondissement d'Ouargla ;résultats définitifs du referendum 1958 , C.D.A.W.O,B134.

بقراءة تحليلية للأوضاع العامة للمنطقة آنذاك يمكن الاعتقاد والاحتمال بأن الإدارة الاستعمارية، استخدمت مجموعة من الأساليب لإنجاح الاستفتاء يمكن حصرها فيما يلي:

1- قد تكون الإدارة الاستعمارية قامت بعملية تزوير محاضر النتائج النهائية لعملية الاستفتاء،مع تضخيم نسبة المشاركة بهدف إعطاء مصداقية اكبر لعملية الاستفتاء،وهذا ما تأكد لنا من خلال الاطلاع على بعض محاضر نتائج الاستفتاء، حيث لاحظنا وجود اختلاف في عدد المسجلين في القوائم الانتخابية، فقد جاء في احد المحاضر أن عدد المسجلين في القوائم الانتخابية على مستوى منطقة ورقلة هو 37979 شخص[1]، بينما في محضر آخر نجد عدد مخالف وهو 20597 شخص[2]، حيث نجد هناك فارق عجيب بين العددين يصل إلى 17382 شخص،وعليه فالشيء المؤكد والأكيد هنا هو وجود تضخيم وتزوير في الأرقام، ومما لاشك أن نية فرنسا كانت مبيتة لإنجاح الاستفتاء في الصحراء بالتزوير،بالإضافة إلى ما يؤكد هذا الطرح ما ذكرته جريدة المجاهد حول مهزلة استفتاء 1958م في قولها :" فقد اعترف ديغول نفسه بما يعرفه العالم اجمع عن طريقة الانتخاب في الجزائر، هذه الطريقة التي سنها زميل ماكس لوجون ***Max lejeune*** في الاشتراكية الاستعمارية السيد نيجلان وبلغت أوج كمالها على يد الجيش الفرنسي منذ سنة 1958م"[3]،،هذا بالإضافة إلى اعتراف أحد الضباط الفرنسيين في رسالة كتبت قبل عمليات التصويت، ومما جاء فيها:" اقترح كثير من الضباط أن لا توضع في مكاتب التصويت إلا الأوراق التي تحمل عبارة "نعم"...واقترح بعضهم إحضار صناديق جاهزة، أي مملوءة ببطاقات"نعم" بنسبة 95 % وهذه الصناديق تعوض الصناديق الحقيقية عندما يحين وقت الإعلان عن النتائج".[4]

2- قد تكون الإدارة الاستعمارية استخدمت وسائل مختلفة للضغط والتهديد والترهيب والمساومات المادية والمعنوية ضد الأعيان والسكان، وذلك في حالة عدم المشاركة في

---

[1] Etat Numérique par commune des électeurs et électrices…,Op.Cit

[2] Recensement Général des Votes, Referendum 1958 , C.D.A.W.O,B134

[3] المجاهد،" الرد على مغالطات ماكس"، ع93،بتاريخ 10 أفريل 1961،(ج4، طبعة خاصة 2007)، ص10.

[4] المجاهد،" ضابط فرنسي يفضح نتائج الاستفتاء في رسالة كتبت قبل عمليات التصويت"، ع30،بتاريخ 10 أكتوبر 1958،(ج1،طبعة خاصة 2007)،ص4.

العملية الانتخابية ينجر عنها عقوبات مختلفة مثل دفع غرامة مالية أو السجن لعدة أشهر، أو التعرض لمتابعات قضائية.وما يؤكد هذا الطرح أيضا بلاغ الحكومة الجزائرية المؤقتة في بيانها القائل:" إن الأساليب التي استخدمها الجيش الفرنسي لتنظيم ومراقبة عمليات الاقتراع قد حكمت مسبقا بالبطلان على هذه النتائج وعدم شرعية العمليات نفسها"[1]، هذا بالإضافة إلى اعتراف احد الضباط الفرنسي السالف الذكر في قوله :" فقد جرى في بادئ الأمر حشد فاضح في القوائم الانتخابية، ولكن مع هذا لزم تأخير الآجال المحددة عدة مرات، بل ولزم أيضا التفتيش بالقوة على المنتخبين الذين أبوا تسجيل أسمائهم في قوائم الانتخابات...وقد بلغ الحمق بضابط سام أن صار يريد إجبار العربي على الانتخابات تحت تهديد المسدس".[2]

3- قد تكون الإدارة الاستعمارية استخدمت أسلوب الإغراء، مستغلة في ذلك ضعف مستواهم المعيشي، وجهلهم بما يحاك ضدهم، فتم الإغراء بالحصول على العمل، أو تقديم منح مالية، وهذا يتضح من خلال الحملات الإعلامية التي كانت تقوم بها مصالح الدعاية الفرنسية للتأثير على السكان، مثل الشعار القائل(الانتخاب "بنعم" معناه العمل والأجر للجميع).

تلك إذن هي أهم الاحتمالات الفرنسية التي استنتجتاها،والتي كانت تهدف إلى إنجاح الاستفتاء وهي إن كانت تنقصها الدلائل والقرائن،إلا أنها تقطع بما لاشك فيه أن سكان ورقلة كانوا ضد الاستفتاء100%.

ثانيا/دور ممثلي المنطقة بمجلس عمالة الواحات في إحباط مؤامرة الانفصال:

عندما شرعت فرنسا في تطبيق سياستها لفصل الصحراء ولإنجاح هذه السياسة سعت هذه الأخيرة وبشتى الوسائل الإقناع والضغط إلى جرهم للسير في هذا المشروع،واعية في كل ذلك بضرورة وأهمية انخراطهم في سياستها كشرط لابد منه لنجاح مشروعها

---

[1] المجاهد،" نتائج الاستفتاء الفرنسي مهزلة 98 في المائة لم يقتنع بها"، ع30،بتاريخ 10 أكتوبر 1958،(ج1،طبعة خاصة 2007)، ص4.

[2] المجاهد،" ضابط فرنسي يفضح نتائج الاستفتاء في رسالة كتبت قبل عمليات التصويت"،المصدر السابق، ص4.

المعروف بالجمهورية الصحراوية، ونظرا لأهمية المشروع لدى الحكومة الفرنسية قام نائب وزير مجلس الوزراء جاك سوستال *Jacques Soustelle* بزيارة إلى الاغواط وغرداية وتقرت وورقلة ، حيث حط رحاله في هذه الأخيرة في أول فيفري 1959م قادما من تمنراست، وقد زار برج فلاترس حيث التقى بمجموعة من الأهالي ،ثم انتقل إلى إحدى الثكنات العسكرية وقام فيها بتكريم بعض الضباط العسكريين بتسليمهم أوسمة شرف، مع إلقاء كلمة مقتضبة أكد من خلالها على استمرارية تواجد الفرنسيين بالصحراء،وبعد وجبة الغداء اجتمع في فندق المدينة بمختلف رؤساء المصالح الإدارية لمناقشة موضوع الجمهورية الصحراوية[1]،هذا بالإضافة إلى الزيارة التي قام بها رئيس الحكومة الفرنسية ميشال دوبري *Michel Debré* ، وأليفي قيشار*O.Guichar* المندوب العام للمنظمة المشركة للمناطق الصحراوية بزيارات متعددة إلى المناطق الصحراوية من اجل إعطاء المشروع دفعا جديدا،حيث اتصل بمجموعة من الشخصيات المحلية التي تتمتع بمكانة سلطوية واجتماعية في الواحات الصحراوية ومن بينهم السيد حمزة بوبكر، والشيخ ابراهيم بيوض وغيرهم،غير أن هذا الأخير رفض الاقتراحات الفرنسية المتعلقة بمشروع الفصل،بينما استطاعت السلطة الاستعمارية أن تستميل السيد حمزة بوكر إلى صفها،وكلفته للقيام بهذا الدور،حيث تمكن حمزة بوبكر من جمع عدد من الشخصيات الصحراوية في لقاءات بالاغواط وورقلة سنة 1960م، من اجل إدخال مشروع الفصل حيز التنفيذ، والواقع ان نشاط حمزة بوبكر في خدمة هذا المشروع يرجع الى سنة 1959م عندما وضعت بعض الاوساط الفرنسية مشروعها لبتر الجنوب تحت – الجمهورية الصحراوية المستقلة– وهو مشروع اقيم على نفس الاساس الذي اقام عليه الاستعمار البلجيكي مشروعه الذي ادى الى انفصال كاطنغا.[2]

بل وصل الأمر بحزر بوبكر الى تعين نفسه ممثلا لسكان الصحراء في زيارة إلى النيجر يوم 4 ديسمبر 1961م رفقة وزير الصحراء ماكس لوجان *Max lejeune* ، ووالي البوليس بايلو، والمحامي بياجي، بهدف تأسيس الجمهورية الصحراوية المستقلة، وحاول

[1] Voyage au Sahara de M. le Ministre délégué de M. le premier Ministre du 3 Février 1959, C.D.A.W.O, B62

[2] المجاهد،" مناورات في الصحراء" ع 113، 22 جانفي 1962،(ج4، طبعة خاصة 2007)،ص3

التحدث مع رئيس النيجر السيد حماني ديوري واستمالته لتاييد المشروع، لكن الرئيس النيجري واجهه برفض صارم، وقال فيما قال له" لناعين ابدا على خلق كاطنغا صحراوية". [1]

لكن الشيخ ابراهيم بيوض عضو مجلس عمالة الواحات حاول إجهاض العملية ،واتصل بالحكومة المؤقتة الجزائرية يحيطها علما بتفاصيل المشروع،ويستصدر الأوامر اللازمة لإفشال مساعي التقسيم،وبالفعل فإن جبهة التحرير الوطني قد وجهت إنذارا لجميع الشخصيات المعنية وجعلتها تبدي رفضها ومعارضتها لمحاولة التجزئة وذلك عندما انعقد الاجتماع الثاني في حي سانتوجان بالجزائر العاصمة سنة 1960م[2].وهو ما يؤكده المجاهد محمد شنوفي في قوله :" مند مجئ ديغول إلى الحكم كثفت الثورة وقيادة الولاية الثالثة من جهود خاصة ومعتبرة لتعبئة الشعب وتوعيته، خاصة توعية الشباب المغرر بهم في الإدارات المحلية،حيث استغلتهم فرنسا في إطار المخطط الذي يعرفه الإخوان(المجاهدين)، وهذا حتى يحتاطوا من التوجيه الجهنمي الاستعماري الذي قامت به فرنسا من اجل فصل الصحراء عن الجزائر"[3]،زيادة على ذلك عملت قيادة الولاية السادسة على توزيع مجموعة من المناشير دعائية لإفشال مؤامرة الفصل، بل تعدى الأمر إلى القيام بعمليات سياسية تمثلت في الاتصال بالجماهير وتوعيتهم بضرورة مقاطعة ونبذ أولئك الذين أرادت فرنسا أن تجعلهم إما قوة ثالثة،أو هيئة تتكفل بالصحراء.[4]

غير أن حمزة بوبكر لم تخيفه إنذارات ولا تعليمات جبهة التحرير الوطني،حيث تحرك مرة أخرى من اجل جمع 24 شخصية ذات أصول صحراوية ببيت والي عمالة الواحات

---

[1] المجاهد،" مناورات في الصحراء"ع 113، 22 جانفي 1962،(ج4، طبعة خاصة 2007)،ص5

[2] محمد العربي الزبيري،« **ديغو ل والصحراء** »، ملتقى فصل الصحراء...،ص 202

[3] شهادة المجاهد محمد شنوفي (ضابط بالولاية السادسة التاريخية)، أعمال الملتقى الوطني الأول بورقلة حول: "فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية"، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954،1998،ص327.

[4] شهادة المجاهد محمد شنوفي ،المصدر السابق، ص328

على هامش أشغال المجلس العام لعمالة الواحات في افريل1961م، مع فارق واحد هذه المرة وهو ان حمزة بوبكر اضطر لجمع هذه الشخصيات مستعينا بالبوليس الفرنسي لإلزامها على الحضور،فلقد كان يعلم انها لن تعود الى تلبية ندائه بعدما عرفت نواياه ،لكن هذا اللقاء انتهى بالفشل مثل سابقه.[1]

إذا كان حمزة بوبكر كان قد بين موقفة من مشروع فصل الصحراء عن الجزائر، فإن الكثيرين من أعضاء مجلس عمالة الواحات رفضوا جملة وتفصيلا هذا المشروع،ولعبوا دورا كبيرا في إحباط مؤامرة الفصل،إذ لا يمكننا أن ننسى الموقف التاريخي للحلف الثلاثي الذي ضمّ كلاًّ من: الشيخ أحمد التجاني كممثل عن وادي ريغ، والشيخ ابراهيم بيوض ممثلا عن وادي ميزاب والقايد العيد بوسعيد ممثلا عن ورقلة، في الاجتماع الذي عقده حمزة بوبكر بخصوص "قضية فصل الصحراء" في خريف 1960م ضمن أعمال دورة مجلس عمالة الواحات في ورقلة،حيث تم الرد عليه وبكل جرأة على لسان الشيخ ابراهيم بيوض قائلا: " سيدي الرئيس إن مجلسنا مجلس اقتصادي بحث ينظر في ميزانية العمالة فاختصاصنا لا يخرج عن دائرة المكاتب والمياه والطرقات والمواصلات وما أشبهها، ولا حق لنا مطلقا في التكلم باسم الأمة في أمر سياسي هام خطير، الحق فيه للأمة بأسرها،ثم من جهة أخرى سيدي الرئيس: إن فرنسا لم تستشرنا في سياستنا في هذه البلاد، فلم تستشرنا يوم قطعت الصحراء وجعلت لها نظام التراب الجنوبي، ولم تستشرنا يوم فصلت اجزاء من الشمال سمتها احوازا ممتزجة ، فهي تصل وتفصل وتتحكم كما تريد بل اكثر من هذا كنا نطلب اشياء من حقنا ونرفع اصواتنا بها ، فلا تسمعنا حتى في تطبيق قوانين سنتها هي، ولا يخفاكم مواقفنا في المجلس الجزائري في المطالبة بتطبيق دستوره...الخ،فإذا أرادت فرنسا اليوم أن تستشير فلتستشر صاحب الحق وهو الشعب الجزائري كله..."[2]، وعليه كانت هذه الضربة قاضية للفصل والانفصاليين.[3]

[1] المجاهد،" مناورات في الصحراء"ع 113، 22 جانفي 1962،(ج4، طبعة خاصة 2007)،ص3

[2] ابراهيم بن عمر بيوض، المصدر السابق ، ص ص 35-36.

[3] المصدر نفسه، ص ص 34-35.

هذا بالإضافة إلى أن أعضاء المجلس العام لعمالة الواحات وفي إطار المفاوضات الجزائرية الفرنسية كانوا يتابعون مجريات التفاوض بين الوفد الجزائري والوفد الفرنسي، وكانوا في حالة من الترقب والانتظار القلق لما ستسفر عنه هذه مفاوضات لوسارن التي جرت بسويسرا ما بين 20 فيفري إلى غاية مارس 1961م،والتي انتهت بالفشل نظرا لتشبث الوفد الجزائري بمبدأ السيادة الجزائرية على كامل التراب الوطني،حيث مباشرة بعد انتهاء هذه المفاوضات عقد أعضاء المجلس العام لعمالة الواحات جلسة استثنائية خلال يومي16و17 جوان 1961م،وقد خلص المجتمعون فيها إلى الالتزام بعدم إبداء أي موقف طالما بقيت الحكومة الفرنسية متمسكة بموقفها في الموضوع.[1]

وفي هذا الصدد يمكننا الإشادة بالدور الذي قام به الشيخ ابراهيم بيوض لإحباط مؤامرة الفصل، ويفوت بذلك الفرصة على المستعمر، فمن جملة ما قام به الشيخ هو القيام بجولة بين ورقلة وتقرت انطلاقا من وادي ميزاب، وفي ذلك يقول:" في ربيع وصيف 1960 كثرت الاجتماعات والحديث والتناجي عن فصل الصحراء بين الحكام الاداريين عسكريين ومدنيين وبين النواب والاعيان لكنها سرية متكتمة، فاشتد خوفي من جعلنا امام امر الواقع، فاكتريت سيارة من القرارة... وذهبت الى ورقلة ثم الى دار القائد العيد الاذي اثق بوطنيته فوصلت الدار الثانية بعد الزوال، فقيل لي انه نائم، فقلت ايقضوه فالامر مستعجل، فقام الي فحدثته عن خطورة الوضع في قضية فصل الصحرتء فعاهدني على انه معي وبجانبي ضد الفصل وقال: قل ما شئت واكتب ما شئت فاني امضيه بدون تردد،...فلويت عنان السيارة من ورقلة الى زاوية تماسين فكلمت الشيخ(حفظه الله)فاجاب بما اجابه القائد العيد وتعاهدنا ثلاثتنا على التصلب في موقفنا ولو كلفنا حياتنا وعلى افساد مناورات الانفصالين.."[2].

[1] Conseil Général des Oasis , procès verbal de la session extraordinaire 1961,seance des 16 et 17 Juin 1961, pp 5- 6, C.D.A.W.O , B298

[2] ابراهيم بن عمر بيوض، المصدر السابق، ص 34

أمام هذه المواقف الوطنية الرافضة للسياسة الفرنسة الداعية إلى تمزيق التراب الوطني وتشتيت وحدة الصف الوطني،وبرهنة سكان الصحراء على ولائهم وتأييدهم لجبهة التحرير الوطني عمدت السلطة الفرنسية إلى بث روح الفتنة والفرقة وإحياء النعرات الطائفية بين أبناء الشعب لتكريس وجودها الاستعماري، فمثلا في سيبتمبر 1960م حرضت السلطة الاستعمارية بعض الاشخاص بورقلة بالسطو على دكاكين الميزابين وومتلاكاتهم وبساتينهم، فاثاروا غوغاء العامة ممن لاخلاق لهم، فقتلوا وجرحوا ونهبوا واشعلوا النار، وافسدوا محاصيل النخيل، مما دفع بالسلطة الاستعمارية للظهور بمظهر النصح والتعاطف مع المزابين وذلك بتذكيرهم ان هذا ما سيفعله بهم العرب بعد حصولهم على استقلالهم في حالة اذا تخلوا عنهم.[1]

وفي5 سبتمبر1961م وجهت نفرا من جنود الحركة إلى مسجد من مساجد ورقلة،فداسوا حرمته ومزقوا المصاحف القرآنية والكتب الموجودة في مكتبته،ثم روّجوا لكون العملية من تدبير جمع من الميزابيين الاباضين، غير أن بعض العقلاء تفطنوا للمكيدة وأطفاؤا الفتنة في مهدها بعد أن كادت تأخذ حجما خطيرا،خصوصا وان الأمر يمس مقدسات الشعب الجزائري وحرمة دينه.[2]

كما لجأت السلطة الاستعمارية إلى القمع المباشر والتهديد عندما قامت بمحاولة للقبض على أحد رؤساء الزاوية التجانية[3].بالإضافة إلى نقل ما لا يقل عن 1500 عامل من العمال في قطاع البترول في منطقة ورقلة للمحتشدات بالشمال الجزائري، هذا بالإضافة إلى أن رئيس بلدية ورقلة عمل على سجن كل الشخصيات الصحراوية وانتزع منها أملاكها.[4]

---

[1] المصدر نفسه، ص45.

[2] المجاهد،" مناورات في الصحراء"ع 113، 22 جانفي 1962،(ج4، طبعة خاصة 2007)،ص3.

[3] مسعود كواتي ،«**محاولات فرنسا لفصل الصحراء عن الجزائر مناورة أم حقيقة؟**» ؛ ضمن أعمال الملتقى الوطني الأول بورقلة حول: "فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية"،منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954،1998،ص149.

[4] الحاج موسى بن عمر، **السياسة النفطية في الجزائر1952-1962**، جمعية التراث،ط1، غرداية، 2004، 190-189

ثالثا/ مظاهرات 27 فيفري 1962 بورقلة تنسف أحلام الجنرال ديغول :

لقد لعبت الثورة الجزائرية دورا كبيرا في الإطاحة بعدة حكومات فرنسية[1]، واستطاعت أن تفلس الاقتصاد الفرنسي ، مما جعل فرنسا في حالة حرجة تطلبت منها البحث عن حلول للخروج من هذا المأزق السياسي والاقتصادي والعسكري،فكان التمرد والعصيان العسكري من طرف بعض جنرالات فرنسا على الحكومة العامة في 13 ماي 1958م،وإسقاط الجمهورية الفرنسية الرابعة، والمجيء بالجنرال ديغول إلى الحكم بهدف إنقاذ فرنسا من الأزمة الناتجة عن الضربات الموجعة للثورة التحريرية قبل فوات الأوان، ولقد انتهج الجنرال ديغول في برنامجه الحكومي للقضاء على الثورة الجزائرية على سياسة عسكرية واقتصادية واجتماعية ارتكزت على ثلاثة مشاريع أساسية تمثلت في:

1- مشروع قسنطينة: جاء بناء على تصريح من ديغول في 03 أكتوبر 1958م،حيث حاول من خلال هذا المشروع أن يبعد الجزائريين عن الثورة على أساس اعتقاده أن هذه المشاريع و الإصلاحات ستمكنه من دفع جيش و جبهة التحرير إلى الاستسلام.

2- مشروع سلم الشجعان: حيث دعا الجنرال ديغول في 23 أكتوبر 1958م الثوار إلى وضع السلاح دون شرط، و بهذه العملية أراد أن يحدث الشقاق بين افراد جيش التحرير الوطني،وزرع الشك بينهم وعزل الداخل عن الخارج،وإرغام الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية (GPRA) على التفاوض مع فرنسا من موقع ضعف.

3- مشروع شال *Challe* العسكري: الذي بدأ تنفيذه منذ فيفري 1959م للقضاء على الثورة عن طريق العمليات العسكرية، فضلا عن محاولة فصل الثورة عن محيطها في الداخل بفرض المناطق المحرمة، والمعتقلات الجماعية، والسجون، ومحاولة فصلها عن الخارج بهدف عزل الوطن عن محيطه، وعزل الولايات التاريخية عن بعضها البعض.

---

[1] منديس فرانس1954م،إيدغار فور 1955م، غي موليه 1956م، بورجيس مونوري 1957م، فيليكس غايار 1958م،كما أسقطت سبع حكام عـــامين ومندوبين حكوميين وهم: روجي ليونار من 4 إلى 6فيفري 1954م، وجاك سوستال في 25جانفي 1955م، وجورج كاترو من 4الى 6 فيفري 1956م، وروبير لاكوست 1956م، ورؤول سالان كمندوب نوفمبر1958م، وبول دي لوفريي1958م، وجون موران 1960م.

غير أن جبهة التحرير الوطني حاربت هذه المشاريع وأصدرت تعليمات صارمة ضد كل من يقبل هذه المشاريع، أما فيما يخص العمليات العسكرية فقد حاولت قيادة جيش التحرير التصدي لهذه العمليات العسكرية، الأمر الذي دفع بالجنرال ديغول إلى البحث عن وسيلة أخرى لمراوغة جبهة التحرير الوطني،فسارع في خطابه بتاريخ 16 سبتمبر 1959م إلى الإعلان عن منح الجزائريين الحق في تقرير مصيرهم،مستثنيا العمالتين الصحراويتين الواحات والساورة لما فيهما من ثروات طبيعية وطاقوية، التي ستستغل من طرف فرنسا.وهذا الاستثناء نابع من قناعة الجنرال ديغول بالمحافظة على الصحراء خاصة بعد زيارته السرية إلى منطقة حاسي مسعود وبعض المدن الصحراوية سنة 1958م.[1]

بطبيعة الحال منح حق تقرير المصير للجزائريين هو خطوة مهمة نحو تحقيق الاستقلال واسترجاع السيادة الوطنية،إلا أن الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية قبلت به كمبدأ،غير أنها رفضت شروط تطبيقه[2]، مطالبة في ذلك بوحدة التراب الوطني.وكان الموقف الجزائري من الصحراء واضحا وصريحا قويا وهو أن الصحراء جزء لا يتجزأ من الجزائر ولا يمكن بحال من الأحوال أن ينفصل عنها سواء في المفاوضات أو في الواقع.[3]

---

[1] شهادة المجاهد عمر صخري (ضابط بالولاية السادسة التاريخية)، أعمال الملتقى الوطني الأول بورقلة حول: "فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية"، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 1998،ص346.

[2] حق تقرير المصير الذي تكلم عنه ديغول ضمنه الشروط التالية وهي:

1- أن فرنسا هي التي تمنحه وفقا لمصالحها، و لن يفرض عليها من أحد على اعتبارها منهزمة (يقصد أمام الثورة) و لن تخضع لأي ضغط خارجي أو مساع حميدة أو غير ذلك و حتى من الأمم المتحدة.

2- إن على الفرنسيين الراغبين في البقاء بالجزائري أن يقرروا ذلك و أن الجيش الفرنسي هو الذي يتكفل بأمنهم و سلامتهم.

3- وقف العمليات العسكرية من جانب الثورة

4- عدم الاعتراف بجبهة التحرير الوطني كممثل للشعب الجزائري

5- إنشاء معاهدات بين الطرفين تمنحها امتيازات متبادلة في مختلف الميادين الإستراتيجية.

6- بقاء الجزائر فرنسية من عدة أوجه بالحفاظ على الطابع الذي اكتسبه.

[3] المجاهد،" اهداف الاستعمار في الصحراء" ع98،19جوان 1961،(ج4، طبعة خاصة 2007)،ص4.

وفي هذه الأثناء بقي الجنرال ديغول متثبتا بمشروع فصل الصحراء عن الجزائر، حيث أرسل العديد من المسؤولين الحكوميين والبرلمانين في زيارات رسمية استطلاعية،من بينها الزيارة التي قام بها وزير الصحراء آنذاك إلى ورقلة وحاسي مسعود مابين7-9 نوفمبر 1961م،رفقة الجنرال ميرامبو *Mirambu* ، والعقيد باب *le colonel Babe*،ومندوب المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية هنري فور*Henry Forou* ،والمدير العام للاتصالات كروز*Krouz*، ومدير القضايا الإدارية والاجتماعية كاست*kast*،ومن أعضاء مجلس عمالة الواحات حمزة بوبكر، ودوفيك *Dufek*،وبودي*Boudy*، بالإضافة الى10 صحافيين من الجزائر وباريس[1]،كما قام رئيس الحكومة الفرنسية آنذاك ميشال دوبري *Michel Debré* بزيارة إلى هذه المناطق ما بين 23-25 فيفري 1961م رفقة كل من وزير الصحراء روبرت لوكور*Robert Locour* ، ومنذوب المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية اوليفي قيشار*O.Guichar* زاروا خلالها كل من مدينة ورقلة وغرداية وتمنراست وبشار، تم خلالها تقديم سلسلة من الخطب والتصريحات أمام السكان

وفي إطار هذه الزيارات الحكومية الرامية إلى الترويج والدعاية لمشروع فصل الصحراء عن الجزائر،أرسل الجنرال ديغول مرة أخرى وفد فرنسيا إلى مدينة ورقلة، بهدف جس نبض الأهالي وتهيئتهم على قبول فكرة تأسيس جمهورية صحراوية مستقلة[2]، وفي هذا

[1] Programme de la visite Ministérielle 7-9 Novembre 1960, C.D.A.W.O, B65

[2] حسب شهادة المجاهد مسعودي قويدر بن لخضر يذكر: " انه كان عاملا في مقر عمالة الواحات، بمصلحة البريد والاتصالات، حيث وصلهم تلغرام Télégramme يخبرهم بزيارة الحاكم إلى ورقلة في 27 فيفري على الساعة الثامنة صباحا ليجتمع بوالي العمالة حمزة بوبكر،قادما من النيجر بعد أن يزور منطقة جانت،ثم يأتي إلى ورقلة،فسالت احد الزملاء عن محتوى التلغرام،فاخبرني: إن فرنسا تريد أن تجعل من الجزائر دولة وحدها والصحراء دولة لوحدها، فقلت له: إن هذا الأمر لا يليق بالشعب الجزائري،نحن على مقربة من تحقيق الاستقلال، وبالتالي لا يمكننا أن نقبل بهذا الأمر،فطلبت من المرحوم الحاج عمر بن لخضر نسخة من التلغرام(كان يعمل على جهاز النسخ ستانسيل) وأخذتها إلى محمد شنّوفي في الرويسات وأخبرته بأمر الزيارة". **شهادة حية مصورة للمجاهد مسعودي قويدر بن لخضر**،متحف المجاهد بتقرت،2005/12/10.

الصدد يقول المجاهد محمد شنوفي:" إن الاستعمار الفرنسي أراد بهذه العملية كآخر ورقة يلعبها للضغط على المفاوضات التي جرت في 7 مارس حتى يضمن الصحراء".[1]

غير أن قيادة جبهة التحرير الوطني أرسلت إلى مسؤولي الولاية السادسة لاتخاذ التدابير اللازمة لإفشال اجتماع الوفد الفرنسي بحمزة بوبكر والي عمالة الواحات آنذاك،وعلية تم توجيه رسالة ثورية إلى من قيادة الناحية الرابعة- المنطقة الرابعة للولاية السادسة إلى مسؤولي منطقة ورقلة من اجل مقاطعة هذه الزيارة والخروج في مظاهرات شعبية تعبر عن رفض سكان الصحراء لسياسة الفصل، والتأكيد على وحدة التراب الوطني، فما كان من سكان ورقلة إلا تلبية نداء جبهة التحرير الوطني وخرجوا يوم 27 فيفري 1962م في مظاهرات شعبية عارمة، يعبرون فيها عن دعمهم المطلق للحكومة المؤقتة الجزائرية وجبهة التحرير الوطني الرافضة لمؤامرة الفصل، ويبقى السبب المباشر لهذه المظاهرات هو مقاطعة زيارة الوفد الفرنسي للمنطقة بهدف جمع إمضاءات تؤكد على تمسك سكان الصحراء بفكرة الانفصال تلبية لنداء جبهة التحرير الوطني.[2]

- مجريات سير المظاهرات:

كانت هذه المظاهرات امتثالا لأوامر وتوجيهات قيادة الثورة بالولاية السادسة حيث وصلت التعليمات في رسالة ممضاة من طرف الملازم الثاني محمد شنوفي بيوم واحد قبل المظاهرات، أي في 26 فيفري 1962م، ولأهمية الرسالة يمكن عرضها كالآتي:

« إلى الأخ سي المسعود بن خديجة بعد السلام الوطني ابعث إليكم هذه التعليمات يجب أن تعيروها اهتمامكم البالغ وهي أن تأمروا كافة المواطنين بان يقوموا بمظاهرات يوم 1962/2/27م عند الساعة 8 صباحا ليعبروا فيها على أن الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية هي الممثل الوحيد للشعب الجزائري،ويهتفوا بان الصحراء جزائرية ويرفعوا العلم

---

[1] شهادة المجاهد محمد شنوفي،المصدر السابق، ص328

[2] شهادة المجاهد محمد شنوفي،المصدر السابق، ص328

الجزائري،إن هذا الوقت هو الوقت المناسب والكيفية تكون كما يلي: تجنيد الشبان وتأمرهم بان يقوموا بالمبادرة ويأتي من وراء كافة المواطنين نساء ورجالا،لأن الأمة كلها تنتظر مبادرتكم بتضحياتكم ترفعون رأس بلادكم عاليا،وتزيلون عنها غبار جميع الشكوك وتفضحون المناورات الاستعمارية،وتزحزحون أركانهم. التنفيذ واجب وأكيد والسلام الملازم الثاني محمد»[1]

وحسب بعض الشهادات الحية لبعض المجاهدين فيما يخص التحضير للمظاهرات،فقد تكفل المناضل صديقي احمد بتوزيع نسخ من الرسائل إلى كافة شيوخ الخلايا الثورية الأربعة عشرة المتواجدة بالمنطقة،وهم كالتالي:

- خلية بني ثور: بشكي احمد وعاصم عامر
- خلية القصر العتيق: بابا حمو الحاج ابراهيم عزام ،عانو ابراهيم
- خلية بوعامر احميني احميني
- خلية الرويسات:عباسي العيد
- خلية عين البيضا: مسعود علي رفيق
- خلية لعجاجة: خذران الطالب حمزة
- خلية سيدي خويلد : جلول فقال
- خلية الرويسات الشعانبة: بوجمعة بالفردية
- خلية المخادمة: حمدات احمد
- خلية سعيد عتبة، بن خديجة مسعود
- خلية انقوسة: قريشي الحاج لاسمر
- خلية افران: عمال السعيد
- خلية البور: بن زيد لخضر بن زيد

ثم اتخذت التدابير اللازمة لضمان وتكثيف المشاركة الشعبية،وعمل المناضلون الورقليون بكل سرية على عقد اجتماعات للتنسيق وتوحيد خطة،واتفقوا على كتابة

---

[1] انظر النسخة الأصلية في الملحق رقم:

اللافتات وخياطة الأعلام، وتوزيعها على الموطنين في الليل،كما تم الاتفاق على انطلاق المظاهرات بوسط المدينة بسوق الأحد.

وفي صبيحة 27 فيفري 1962م وكما هو متفق عليه،بدأت الوفود تتجمع من مختلف الفئات في انتظار ساعة الانطلاق،وفي نفس الوقت ترقب وصول الوفد الفرنسي إلى مقر عمالة الواحات للانطلاق في المظاهرة،غير انه تم تأخير زيارة الوفد الفرنسي خوفا من حدوث إنزلاقات قد تؤدي إلى فقدان السيطرة على الوضع، وعلية تم تأخيرها إلى الساعة الواحدة زوالا وهي مناورة فرنسية كان الهدف منها إرهاق الأهالي بطول الانتظار خصوصا وأنهم في شهر الصيام،وهو ما يؤكده المجاهد محمد عبد القادر طوهير قائلا:" قبل بدا المظاهرات اتصلنا بمقر العمالة لتجسس على ما يدور هناك، فبلغنا أن الوفد لن يأتي إلى ورقلة صباحا،بل سيأتي بعد الزوال وذلك بغية إفشال المظاهرات، غير أن الحشود أخذت في تزايد مما جعل المكان مكتظا عن آخره، فطلبنا من الجماهير الانسحاب من المدينة خشية حدوث شيء من طرف الفرنسيين".[1]

ونظرا لتفطن المسؤولين الثوريين لحيلة التأخير، ولتمويه السلطات الفرنسية طلبوا من الشعب التزام الهدوء ، ومن التجار فتح محلاتهم ودكاكينهم والعمل على إبقاء الحركة في السوق عادية حتى لا يشعر العدو بأمرهم، وبالفعل تم ذلك في سرية تامة واستمرت الحركة عادية إلى غاية الواحدة زوالا، وما إن دقت الساعة الواحدة تهيأ الجميع بعدما راو تحليق طائرة الوفد الفرنسي تتجه نحو المطار،لتعطى بعدها إشارة انطلاق المظاهرات من نقطة الارتكاز بسوق الأحد، حيث رفعت الأعلام الوطنية، وانطلق عنان الهتفات والأناشيد الوطنية مثل " الله اكبر، تحيا الجزائر، تحيا جبهة وجيش التحرير الوطني"،ورفعت بعض الشعارات المندد للسياسة الاستعمارية منها:"لا للتفرقة"،"نعم

[1] شهادة حية مصورة للمجاهد طواهير محمد عبد القادر،متحف المجاهد بتقرت،2005

للوحدة"،"الصحراء جزائرية"،"الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية المثل الوحيد للشعب الجزائر"" لا لفصل الصحراء عن الجزائر".[1]

بعد لحظات من انطلاق المظاهرات حاصرت القوات الفرنسية من بوليس ورجال الدرك مختلف مداخل ومخارج وسط المدينة والمؤدية إلى مقر عمالة الواحات بالدبابات والأسلحة بأنواعها، ثم تدخلوا بعدها لتفريق المتظاهرين بالعصي والقنابل المسيلة للدموع، وبوصول المتظاهرين إلى سوق المدينة القديم (سوق القصر) اشتد الاشتباك مع القوات الفرنسية، حيث استعمل المتظاهرون ما عندهم من وسائل الدفاع الذاتي كالحجارة والعصي، مما أدى هذا الاشتباك إلى تشتت المتظاهرين بين مختلف الشوارع،وسقوط الشهيد الشطي الوكال في وسط السوق، حيث نقل جثمانه إلى المسجد العتيق، بالإضافة إلى شخص آخر مجهول،وعدد من الجرحى[2] الذين تم نقلهم إلى المنازل المجاورة لمكان المظاهرات وتمت هناك معالجتهم.[3]

أمام هذه المظاهرات ما كان على الوفد الفرنسي إلا التأكد من أن مشروع فصل الصحراء أصبح ضربا من الخيال، والرجوع من حيث أتى يجر أذيال الهزيمة، بعد أن كان يحلم بالعودة إلى المفاوضات حاملا ورقة ضغط[4].وعليه فإن هذه المظاهرات كانت منعرجا حاسما من خلال ثلاث نواح وهي:

---

[1] شهادة حية مصورة للمجاهد طواهير محمد عبد القادر،المصدر السابق.

[2] من الجرحى:فرحات بن احمد دقيش،بن هلال خميس بن طاهر، طواهير محمد عبد القادر،مزوار محمد، حجاج الطاهر بن الحاج صالح.

[3] شهادة المجاهد طواهير محمد عبد القادر،المصدر السابق.

ويروي المجاهد عن نفسه قائلا كما يلي:" عندما خرجنا دفعة واحدة أطلقوا علينا وابلا من الرصاص، فأصيبت برصاصة في أصبعي واخترقت صدري فلفت العلم علي يدي ودخلت تحت سيارة ثم اختبأت في القصر،بعدها تم نقلي إلى المستشفى، ولم استفق إلا في الصباح حيث قابلني المجاهد سي بلمير مبروك يقول لي إن العملية ناجحة = وقد تكلمت عنها جميع وسائل الإعلام منها إذاعة صوت العرب حيث حيّ عيسى مسعودي مدينة ورقلة على هذا العمل الثوري".

[4] شهادة المجاهد محمد شنوفي،المصدر السابق، ص329

- الناحية الأولى: سرعت من وتيرة التسوية للقضية الجزائرية، وجعلت الجنرال ديغول يعجل لإنهاء المفاوضات مع الجزائريين،وإنهاء الحرب مع جيش التحرير الوطني، لان هذه المظاهرات كانت قد صدمت السلطات الفرنسية التي كانت لا تزال متشبثة بالأوهام الاستعمارية في الجزائر،حيث اصدر الجنرال ديغول تعليمات صارمة لمفاوضيه، وعدم تعقيد الأمور المتعلقة بملف الصحراء، وعدم إطالة عمر المفاوضات مع المفاوضين الجزائريين.
- الناحية الثانية: إرغام الحكومة الفرنسية على التخلي عن حلم مشروع الانفصال، والمطالبة بالاستقلال في إطار وحدة الشعب والتراب الجزائريين،مع التأكيد على أن جبهة التحرير الوطني هي الممثل الوحيد للشعب الجزائري.
- الناحية الثالثة: تركت هذه المظاهرات صدى إعلامي كبير على الساحة الوطنية،وهذا ما عبّرت عنه جريدة المجاهد في عدد المنشور 116 والمؤرخ في 9 مارس 1962، قائلة : " نظّم سكان ورقلة في قلب صحرائنا المجاهدة مظاهرة صاخبة بعد حركة الإضراب الذي انتظم ونجح مائة بالمائة، و أثناء هذه المظاهرة الجبارة التي جرت في ساحة البلدية هتف الرجال والنساء والأطفال – وراء العلم الجزائري- بحياة الجبهة والجيش الوطني الجزائري".[1]

ونظرا لما حققته هذه المظاهرات من صدى كبير في الأوساط الشعبية المحلية والوطنية ، فقد خلدها الكثير من الشعراء ومنهم الشاعر الشعبي مسعوي لاخضر في قصيدة بعنوان " عشاق الوطن" يقول في أبيات منها:

بدات المظـــاهرة من فضل الجـــال	وتحزم كل شاب من طاح يهزوه
نذكر لك واش مات الشهيد الوكال	اخر للقايمة ياسر من جرحوه
معظم هاذاك النهـــار ماعندو مثـــال	وشكر سكان ورقلة واجب داروه
فتحو بيبـــــاهم نحو كل قفـــــال	لي هارب عيطو ليه ودسوه

[1] المجاهد،"نصف الشهر السياسي" ،ع 116، بتاريخ 9 مارس 1962،ص2.

وفي قصيدة أخرى للشاعر احمد الأمين بعنوان" يوم الرهان"، يقول في أبيات منها:

إن حل وفد الزائـــرين بأرضـــنا	ظنوا بان يستقبلوا ويكرموا
ظنوا بان الشعب سوف يروقهم	ظنـــوا كمـــا ظنوا به وتوهـــموا
لله وقت هــّز فيه كيــــانهم	الشعـــب ثـــار مغـــاضبا يتهـــجم
ياروعة لو نطقت سوق الأحد	أو ســـاحة الشهـــــداء لو تتكـــــلم
قد ثار شعب ورقلة المغوار لم	يرهبه إن قتل الطغـــــــــــاة

أمام هذه الانتصارات الشعبية وجد المفاوضون الفرنسيون أنفسهم مجبرين على إيجاد حل سريع لمؤامرة الفصل، كما وجدوا أنفسهم في وضع حرج، فإما أن يسلّموا بالنتيجة الحتمية وهي الاعتراف بوحدة الجزائر ترابيا وبسيادة الدولة الجزائرية على الصحراء، وإما أن يكشفوا عن نواياهم الحقيقية ويعترفوا أن موقفهم يعني تمسكهم بخيار الحرب، وعليه فقد اختار الفرنسيون عن مضض الخيار الأول خلال مفاوضات ايفيان الثانية والتي انطلقت من 7 إلى 18 مارس 1962م، وانتهت باتفاق نهائي على وقف إطلاق النار بين الطرفين وتسوية كل القضايا التي عطلت سير المفاوضات.

وفيما يخص فرحة الاستقلال[1] بورقلة فقد لخلص لنا العلامة الحاج محمد بن الحاج عيسى الشطي الورقلي[2] هذه الفرحة في قصيدة شعرية كتبها عشية الإعلان عن الاستقلال:

[1] انظر الملاحق(صورة لفرحة سكان ورقلة بالاستقلال)

[2] هو الحاج محمد بن الحاج عيسى بن علال مسروق، مفتي المالكية بمدينة ورقلة ، ولد من ابوين صالحين عام 1892م بقرية الشط في مدينة ورقلة،فحفظ القرءان على شيخ القرية انذاك ، الشيخ بلخير بن عمر وفي عمره تسع سنوات واخذ الفقه عنه أيضا،وقد تتلمذ على عبد القادر بن الحاج النعيمي في الرويسات ، وسي محمد السكوتي،والشيخ التولتي والزلوقي، فاخذ منهم متن ابن عاشر والرسالة وخليل والاجرومية وقطر الندى وغير ذلك......، وقد اخذ العلم أيضا من علماء يمنيين وفلسطينيين ومصريين كان يلتقي بهم أثناء رحلاته للحج وهي ثمانية،وكان أولها عام 1928م،كما يلتقي بعلماء الزيتونة بتونس،ولم يكن رحمه الله يتعلم فحسب،بل كان يتعلم ويعلم في سبيل الله،وكانت حرفته الفلاحة وخدمة النخيل،وقد عُرف بالزهد والتصوف،ومن شدة شغفه بالعلم

يا زهرة برزت أنوارها وزهت	إذ لاحت أعلامها في الكون وانتشرت
يا جبهة الأسد مدي الذراع إلى	نيل المواهب من مولاك إذ بسطت
يا جبهة الأسد يا جيش تحريرنا	ابشر ببشرى الرحمان قد ظهرت
تحقيق إيمـــاننا بنصر خـــالقنا	يا حبذا بـــجزيل نعمة عظمت
إذ هي في الروم بعد العنكبوت	أنوارها في جميع الأفق قد سطعت
حق على الله نصر المؤمنين ظهر	بشرى لنا بعظيم نعمة كملت
فطالع السعد في الآفاق قد ظهر	ونادى بالنصر والفتح المبين ثبت
جمعت شمـــلا لأمة بها لعبت	عراقيل الكفر والأنذال اذ جمعت
فخيب الله سعي الكافرين وكم	من امة هلكت اذ للشرور سعت
نحمد الله جل قدره وعــــــلا	فنحن من امة المختار اذ نصرت
إذ حقق الله نصر المـــؤمنين كما	قد جاء في الذكر والآيات قد ظهرت
يا جيشنا حمدت مسعاك أقطارنا	فاعشوشبت أرضنا من بعدما جدبت
فته دلالا على الأكوان جيش رضا	واشكر لنعمة مــــــولانا التي عظمت
وذلك فضـــلا من الرحمن يتبعه	رضوان ربي وبالإســـلام قد ختمت
وصل رب على المختار سيدنا	محمدا لهـــادي من أنـــواره سطعت
والآل والصحب قــــــــاطبة	ما نصرة الله للأعـــداء قد بهـــرت
فنحمد الله نصر الله جـــاء لنا	فقل لأعـــدائنا من شاء غيظا يمت

كان لا ينام من الليل إلا ساعتين، حيث كان يكتب في كل ليلة ثلاثمائة سطرا سواء كان نثرا أو نظما، وله في النظم ثلاثمائة قصيدة جمعت له في ديوان،وفي ليلة الجمعة الموافق لــ 29 جويلية 1976م انتقلت روح الشيخ إلى جوار ربها.

خلاصة الفصل:

مما سبق ذكره يمكن القول إن عودة الاهتمام الفرنسي بقوة بعد الحرب العالمية الثانية، وحرص السلطة الاستعمارية على إنشاء قواعد عسكرية واقتصادية في الصحراء الجزائرية كان بهدف وضع أسس ثابتة لصناعات حربية حديثة تكون الثروات الطبيعية الصحراوية هي حجرها الأساسي،مثل التجارب النووية والصاروخية، وكل ما يحتاجه جيش عصري يريد أن يجمع كل الإمكانيات التي تضمن له الوقوف أمام الأخطار العسكرية والاقتصادية.

كما يجب الانتباه إلى أن العلاقة بين اكتشاف البترول والغاز في سنة 1956م،وبين إنشاء وزارة خاصة بالصحراء وتأسيس المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية،ومشروع تأسيس جمهورية صحراوية مستقلة،وفصل الصحراء إداريا عن الجزائر بإنشاء عمالتين وهما الواحات والساورة وربطهما مباشرة بوزارة الصحراء في سنة 1957م، كان القصد من هذه التعزيزات السياسية والإدارية هو الاحتياط للمستقبل والتمهيد لفصل الصحراء نهائيا عن الشمال في حالة اضطرار الاستعمار الفرنسي الاعتراف باستقلال الجزائر.

زيادة على ذلك نلاحظ أيضا أن الإدارة الاستعمارية حاولت بكل طاقتها أن تشرك السكان في المؤامرة مع استعمال التهديد والرشوة والوعود،ويكفي أن نذكر هنا أن اغلب الشخصيات المعروفة في الصحراء وضعت في المعتقلات والسجون وان النواب الذين عينتهم فرنسا نفسها وفرضتهم في انتخاباتها المزيفة قد صرحوا في الكثير من الجلسات والمناسبات:" بأن الصحراء جزء لا يتجزأ من الجزائر وان أية محاولة لفصلها عن الجزائر ستبوء بالفشل الذريع،وذلك بالرغم من ضغط الإدارة الاستعمارية عليهم.

كما يمكن القول إن المواقف البطولية التي أبداها سكان ورقلة ضد مؤامرة الفصل كانت بسبب نضجهم ووعيهم السياسي طيلة سبع سنوات من النضال ضد الاستعمار الفرنسي، حيث أكسبتهم عدم الشعور بالخوف وعدم التأثر بما ينتج عن السياسة

الاستعمارية من قمع واعتقالات، لأنها أصبحت شيئا مألوفا في السياسة الفرنسية، ولأنهم آمنوا بأن قوة الشعوب المؤمنة بحقها هي التي تكتب لها الغلبة في النهاية.


الخاتمة

من خلال هذه الدراسة العلمية التي تمحورت حول الاستعمار الفرنسي في منطقة ورقلة مند سنة 1844م وإلى غاية استرجاع السيادة الوطنية سنة 1962م،مع استعراض أهم مظاهر المقاومة الشعبية لأهالي المنطقة،ومساهمتهم في الحركة الوطنية والثورة الجزائرية، مع استعراض أيضا لجوانب من السياسة الفرنسية المطبقة على سكان المنطقة في المجال العسكري والسياسي والإداري والاقتصادي والاجتماعي، واهم المشاريع الاستعمارية الفرنسية في الصحراء الجزائرية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، خلصنا إلى مجموعة من النتائج يمكن إيجازها فيما يلي:

- إن عدم الاستقرار السياسي بورقلة قبل سنة 1854م كان من أكبر العوامل التي سهلت عملية احتلال المنطقة من طرف الفرنسيين،وذلك بسبب الحروب والصراعات المحلية حول السلطة بين مختلف القبائل البدوية،خاصة بين تكتل قبائل الشعانبة والمخادمة وبني تور وبني سيسين،وتكتل قبائل سعيد عتبة وبني وقين، وفيما يخص الصراع بين الأسر الحاكمة، فقد كان بين أسرة علاّهم التي كانت تحكم سلطنة ورقلة، وأسرة بن بابية التي كانت تحكم مشيخة نقوسة، وما هو مؤكد أن طبيعة هذه الصراعات لا تخرج عن السؤال التالي: الولاء والطاعة لمن؟ هذا دون أن نغفل السلطة الاستعمارية التي كانت تراقب هذا الوضع عن كثب،بل بشهادة الكتابات الفرنسية تقر أن السلطة الاستعمارية استغلت هذه الصراعات لصالحها،وعملت على تأجيجها، حتى تضعف القوة المحلية التي ربما قد تواجهها مستقبلا في عملية احتلالها لمنطقة ورقلة وما جاورها.

- إن الرحالات الاستكشافية الأوربية والفرنسية خصوصا إلى منطقة ورقلة كانت رحالات استخبارتية تجسسيّة، حيث استفاد الضباط الفرنسيون من كتابات هؤلاء الرحالة في معرفة المجتمع الورقلي من خلال التعداد السكاني،ومدى قدرة الأهالي على حمل السلاح للتصدي للقوات الفرنسية هذا من جهة، والاستفادة أيضا من

بعض الدراسات الطبوغرافية والجيولوجية في معرفة تضاريس المنطقة،وطرق المواصلات من جهة أخرى، وعليه فأغلب هذه الرحلات كانت عبارة عن دراسات عسكرية أكثر منها اجتماعية أو جغرافية أو اقتصادية ،كان الهدف منها توظيفها في الخطط العسكرية والتي بدورها مهدت لاحتلال منطقة ورقلة.

- على الرغم من الرحالات الاستكشافية والأبحاث العلمية التي قام بها الفرنسيون في الصحراء الجزائرية، والاعتقاد الخاطئ لديهم بأن الصحراء الجزائرية خالية من البشر ولا تشكل خطرا على تواجد الفرنسيين بهذه المناطق،وسيتم احتلالها في ظرف وجيز، إلا أن هذا التصور الفرنسي قوبل بمقاومة شرسة من طرف سكان الصحراء، وخصوصا في منطقة ورقلة،هذه الأخيرة التي تم احتلالها في 27 جانفي 1854م، غير أن الفرنسيون لم يستقروا فيها ولم يذوقوا فيها طعم الأمان،وهذا بفضل مقاومة الشريف محمد بن عبد الله، والشريف بوشوشة، وناصر بن شهرة بورقلة،ومقاومة أولاد سيدي الشيخ،حيث يمكننا القول إن هذه المقاومات تعتبر من أقوي أسباب تأخر استقرار الفرنسيين بالمنطقة إلى غاية 1882م،هذا بالإضافة إلى أن فشل القياد والباشاغوات الذين عينتهم فرنسا في ورقلة في تأدية مهامهم لبسط الأمن،وفرض السيطرة الاستعمارية، يعتبر من الدوافع الأساسية التي كانت وراء استقرار الفرنسيين بالمنطقة،وتنصيب أول حامية عسكرية فيها،وهذا بهدف وضع حد لهجمات الشعانبة والتوارق على كتائب الجيش الفرنسي المتواجدة على مستوى الجنوب الشرقي الجزائري.

- لقد تضاربت و اختلفت الآراء حول موقف الطرق الصوفية من الاستعمار بين العمالة والمقاومة ضد الاستعمار الفرنسي، غير انه يبدوا لنا أن الطرق الصوفية التي كان لها تأثير كبير على مستوى منطقة ورقلة من خلال عدد أتباعها، وبناء على الوثائق الأرشيفية أن هذه الطرق كانت تنشط بين الولاء حينا وبين المعارضة أحيانا

أخرى،بسب المصالح والمتغيرات العسكرية والسياسية والاجتماعية التي كانت تحدث من حين إلى حين آخر،فمثلا الطريقة القادرية بورقلة أكدت بعض المراجع أنها احتضنت مقاومة الشريف محمد بن عبد الله في الصحراء الجزائرية في أوائل الخمسينات من القرن التاسع عشر الميلادي،وهذا قبل احتلال ورقلة سنة 1854م، بينما بعد احتلال هذه الأخيرة تغير موقفها مع نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، وذلك من خلال مساعدة شيخ الطريقة القادرية محمد الطيب للفرنسيين،وتسهيل لهم مهمة الاستكشافات الاستعلاماتية في عمق الصحراء الجزائرية،إلى أن قتل الشيخ محمد الطيب رفقة بعض الجنود الفرنسيين في معركة شروين في اشتباك مع المقاومين الجزائريين،وهو نفس الشيء نجده عند بعض الطرق التي سبقت الإشارة إليها في متن الدراسة.

- المتتبع للمسار العام للسياسة الفرنسية التي انتهجتها الإدارة الاستعمارية بورقلة منذ احتلالها سنة 1854م سيلاحظ ظاهريا ايجابياتها الخداعة الهادفة إلى تطوير الاقتصاد المحلي وترقية الحياة الاجتماعية، بينما المتأمل في الواقع المعاش بالمنطقة سيكتشف فضاعة واستبداد السياسة الاستعمارية تجاه السكان من خلال التفقير والتهجير القسري،والاضطهاد من الجيش الفرنسي،والحيف في كل ما يتعلق بهم في الحياة الاقتصادية والاجتماعية،وهذا بسبب مقاومتهم الشعبية ضد القوات الفرنسية،وما تجدر الإشارة إليه أيضا أن أهم ما ميز السياسة الفرنسية في ورقلة خلال طول مدة الاحتلال هو الاهتمام الكبير للفرنسيين بالجانب العسكري والاقتصادي لصالحهم أكثر من الجوانب الأخرى،حيث عملوا على تطويرهما وتحسينهما من اجل تسهيل عمليات تنقل القوات الاستعمارية، وتذليل ظروف استقرارها في المراكز العسكرية المختلفة التي أنشؤوها،وكذا ربط مستعمراتهم المختلفة ببعضها البعض في الشمال والغرب والوسط، زيادة على خدمة التجارة الفرنسية وفتح أبواب السبل لها في كل أسواق إفريقيا.

- على الرغم من وجود منطقة ورقلة تحت الحكم العسكري منذ 1902م، ورغم موقعها الجغرافي البعيد،ومناخها الصحراوي القاسي،وعلى الرغم من تدهور الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية بالمنطقة نتيجة السياسة الفرنسية التعسفية،إلا أنّها لم تكن منعزلة عن تطور الأحداث السياسية في الجزائر، وقد كانت حاضرة بقوة في المعترك السياسي في العقد الثاني من القرن العشرين،فقد استغل شبان ورقلة سنة 1916م التجنيد الإجباري في صفوف الفرنسيين إلى أبعد الحدود،حيث مكنهم من اكتساب خبرة عسكرية في استخدام السلاح، وإستراتيجية الدفاع والمواجهة ،هؤلاء الشبان كان لهم الفضل الكبير في بعث الفكر السياسي والثوري بين الأهالي،هذا فضلا عن هجرة بعض الورقليين خلال العشرينات من القرن العشرين إلى تونس، وليبيا والمشرق العربي،حيث تعرفوا على بعض رجال السياسة والفكر والإصلاح، وعايشوا بعض التطورات السياسية التي شهدها العالم الإسلامي آنذاك،ولم تكد الحرب العالمية الثانية تضع أوزارها حتى تطور الوعي السياسي أكثر مما كان عليه في السابق،وذلك بسبب النشاط القوي الذي فرضته خلايا شبانية تابعة لحزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية،والتي كانت تنشط تحت ستار تقديم دروس دعم ليلية للطلبة والشباب، وممارسة النشاطات الثقافية والرياضية.

- فيما يخص تبني سكان ورقلة لثورة نوفمبر 1954م،ومدى تفاعلهم معها يمكننا القول إن مشاركة أهالي ورقلة في الثورة التحريرية،وتكوين خلايا مدنية شعبية تابعة لجبهة التحرير الوطني لدليل قاطع على مشاركتهم الفعالة في الثورة، سواء من ناحية مجابهة وحدات الجيش الفرنسي في هذه المناطق، وإرغامه في كل مرة على التراجع والتقهقر، والاستنجاد بقوات عسكرية من الشمال لحماية المنشاءات العسكرية والاقتصادية الموجودة بالصحراء،أو من ناحية اتخاذ هذه المنطقة كمحطة للتزود والتموّن بالألبسة أو الأسلحة أو جمع الاشتراكات المالية،زيادة على دور المناضلين الورقليين الذي كانوا متواجدين على الحدود الجزائرية الليبية أو الحدود الجزائرية التونسية، حيث كان لهم

فضل كبير في دعم وتقوية جيش التحرير الوطني في هذه المناطق،والمساهمة معه في عدة عمليات عسكرية استهدفت بعض الأهداف العسكرية للجيش الفرنسي المتواجدة على الحدود،بل الشيء الأكيد والمؤكد هو أن هذه المواقف النضالية كانت وراء فشل معظم المشاريع الفرنسية والخطط العسكرية،مما كان يدفع في كل مرة السلطة الاستعمارية إلى البحث عن حلول عملية لتفادي هجمات الخلايا الثورية التابعة لجيش التحرير الوطني،كما يمكننا القول إن الخلايا الثورية على مستوى منطقة ورقلة كونت قناعة لدى الإدارة الاستعمارية باستحالة استغلال ثروات الصحراء، حيث خلقت جوا من الخوف والرعب في أوساط المعمرين والعاملين في الحقول النفطية،وهذا بشهادة الفرنسيين أنفسهم،حيث أصبحت مساكنهم ومؤسساهم عبارة عن ثكنات لا تخلوا من حراسة أمنية.

- إن موقف سكان منطقة ورقلة من المشاريع الاستعمارية في الصحراء الجزائرية وخصوصا مشروع فصل الصحراء عن الشمال،ومشروع تأسيس جمهورية صحراوية ،كان قد تأكد من خلال خروجهم إلى الشارع في مظاهرات شعبية يوم 27 فيفري 1962م،وبرهنوا من خلال هذه المظاهرات الشعبية على أهم واعون بما كان يحاك من مؤامرات دسيسة ضد الجزائر،كما أكدوا أهم لن تغريهم المغريات، ولن تنطلي عليهم حيّل الإدارة الاستعمارية، ولن ينساقوا وراء أي مشروع استعماري يسعى إلى سلخهم عن هويتهم الوطنية وحضارهم الإسلامية،ويقضي على خصوصيتهم الاجتماعية والثقافية،وأهم مع الثورة التحريرية التي شرفتهم ورفعت رؤوسهم أمام الأمم.

تلكم هي النتائج التي خلصت بها في دراستي، وإنني على يقين بأنه هناك جوانب لازالت لم تستوفي حقها من الدراسة والبحث خاصة ما يتعلق بفترة الحركة الوطنية والثورة التحريرية التي تبقى تطرح العديد من التساؤلات تحتاج إلى إجابات علمية موثقة مثل:لماذا اقتصر نشاط الحركة الوطنية في منطقة ورقلة على حزب حركة انتصار الحريات

الديمقراطية فقط دون التشكيلات السياسية الأخرى؟ولماذا لم تكن هناك مدارس للتربية والتعليم تابعة لجمعية العلماء المسلمين على رغم من وجود رجال تبنوا الفكر الإصلاحي من خلال معهد الحياة بالقرارة أو جامع الزيتونة بتونس؟ ولماذا لم تكن هناك عمليات عسكرية بمنطقة ورقلة على غرار المناطق المجاورة كغرداية وتقرت؟وما هي أهم الشخصيات التي كان لها دور في الترويج للمشاريع الاستعمارية بالمنطقة على غرار السيد حمزة بوبكر؟...إلى غير ذلك من الأسئلة والتي بدورها تفتح آفاقا للبحث فيها من خلال دراسات علمية أكاديمية مستقبلا.

وفي نهاية هذه الدراسة،وبعدما لاحظت الزخم الكبير من الوثائق الأرشيفية على مستوى مركز الوثائق والمحفوظات لولاية ورقلة، واعتقد أنه نفس الشيء موجود من وثائق على مستوى أرشيف ولاية قسنطينة،وولاية بشار،ودائرة تقرت،وعليه آن الأوان لتجميع كل هذه الوثائق الأرشيفية في مركز واحد للوثائق والمحفوظات متخصص في الشؤون الصحراوية،وبالتنسيق مع مخابر البحث على مستوى جامعتنا التي لها اهتمامات بهذه المناطق،يمكننا تطوير الدراسات الصحراوية،بل وتنمية هذه المناطق في جميع المجالات مستقبلا.


الملاحق


الــوثـائــق

الملحق رقم (1): شكوى من قبيلة سعيد عتبة ضد سياسة علي باي1867م.

(A.O.M 8H6)

Algérie
Province de Constantine
Subd^on de Batna
Cercle de Biskra
Affaires Arabes
N° 639

Objet
Au sujet d'une réclamation des Saïd-Ateba contre Si Ali Bey.

Copie
N° 974

Biskra, le 27 8bre 1867

Copie

Mon Colonel,

J'ai l'honneur de répondre à votre lettre du 19 8bre N° 654 au sujet des faits imputés à Si Ali Bey par des gens des Saïd Ateba.

Les Saïd Ateba, comme les autres tribus d'Ouargla, ont été rattachés au Commandement de Si Ali Bey, par décision de S. E. le maréchal Gouverneur général de l'Algérie en date du 27 février 1865.

Depuis cette époque, sauf quelques mois passés dans le Tell de Batna, ils ont presque constamment habité le Mzab ou le cercle de Laghouat.

A Monsieur le Général de Div^on Command^t la P^ce de Constantine

Laghouat. Toutes leurs affaires pendant leur séjour en dehors du Cercle de Biskra ont été traitées entre mes prédécesseurs et l'autorité supérieure, Si Ali Bey ne s'est trouvé en rapports directs avec eux, qu'en hiver, au moment de la récolte des dattes et de la perception des impôts.

En 1865. Les Saïd Ateba ont versé le montant de leurs Contributions, au mois de février, pendant que la Colonne de Mr le Colonel Sezoko se trouvait à Ouargla.

Leurs redevances de 1866. ont été payées pendant le séjour de la Colonne de Mr le Colonel Arnaudeau. Ce n'est certes pas sous les yeux de ces Colonels, que Si Ali Bey a pu rançonner les Saïd Atba.

L'impôt de 1867. a été versé au mois de février dernier. Le recouvrement en était terminé lorsque Si Ali Bey est arrivé à Ouargla. Ce dernier n'est intervenu que pour recevoir l'argent des mains du Chaïk

Le lendemain de l'arrivée du Caïd toute la tribu commençait son mouvement vers le Mzab.

Depuis cette époque Si Ali Bey n'a pas revu les Saïd Atba ; car ils ont passé le printemps et l'été dans le cercle de Laghouat.

Il lui a été donc, matériellement impossible de commettre toutes les injustices et les exactions qu'on lui reproche.

Les signataires de la plainte adressée à S. E. le Gouverneur Général prétendent que Si Ali Bey les oblige à rester sur son territoire. Est-il nécessaire encore de vous démontrer la fausseté de cette allégation ?

Au printemps de 1865 les Saïd Atba avaient été autorisés à émigrer dans le Belezma (Cercle de Batna). Mais une concentration de tribus sur l'Oued Ithl ayant été jugée nécessaire pour la défense du Sahara, les Saïd Atba demandèrent à rester avec elle.

En 1866, ils passèrent l'été dans le cercle de Batna, chez les acheches, puis chez les amamra.

En 1867, ils devaient revenir dans le cercle de Batna, mais obéissant aux suggestions des Oula et surtout du Caïd de cette tribu, El Abassi, ils refusèrent de suivre leur cheikh et restèrent dans le cercle de Laghouat.

Comment donc l'insolubilité du pays de Si Ali Bey a-t-elle pu tuer tant d'hommes et de troupeaux.

Pendant les années 1864, 1867 et 1866 des Colonnes sont restées plusieurs mois dans le Commandement de Si Ali Bey. Les Colonels qui se trouvaient à leur tête n'ont-ils pas constaté que ce chef indigène dirigeait d'une manière équitable et bienveillante les populations placées sous ses ordres. Que le pouvoir en ses mains n'était pas une source d'abus et que pas un grand chef ne méritait plus que lui notre confiance et notre estime.

Mais la lettre adressée à S. E. est loin d'être

l'œuvre de toute la tribu.

Il est à remarquer qu'elle n'est signée que de ceux dont je vous ai demandé l'internement. Ils sont venus ainsi affirmer leur culpabilité et la rendre plus évidente encore.

D'ailleurs ils ont été dénoncés par leurs frères, arrivés dernièrement à Ouargla, comme les promoteurs de tous les actes de désobéissance dont leur tribu s'est rendue coupable.

Eux seuls sont restés dans le cercle de Laghouat où ils continuent à subir l'influence et à suivre les mauvais conseils des Arba et de leur Caïd.

Comme de pareilles intrigues ont pour résultat inévitable d'entretenir le trouble et l'anarchie chez les Said-Atba et d'y mettre en doute le principe d'autorité,

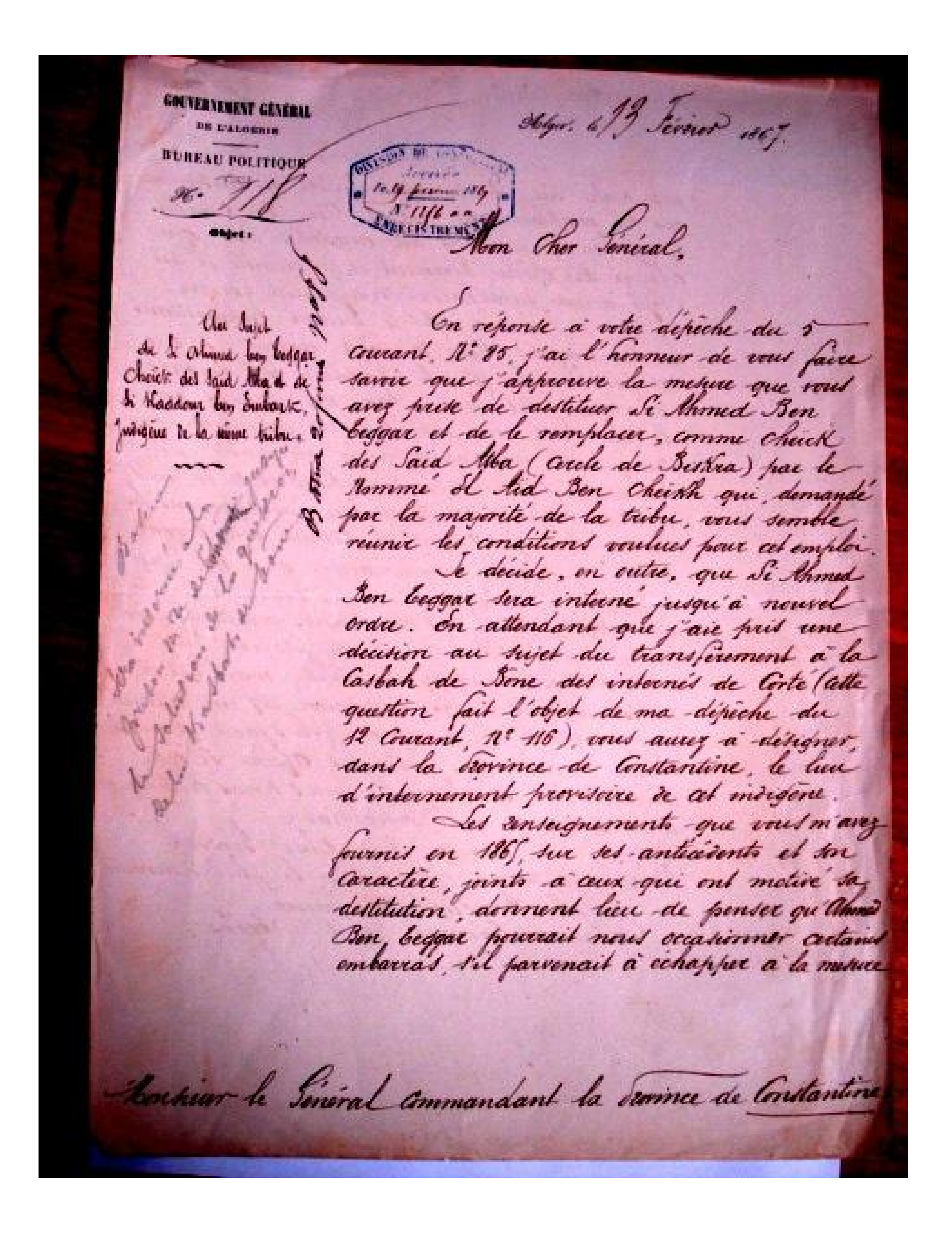
J'ai l'honneur de vous renouveller ma demande tendant à ce que les 11 indigènes signalés dans ma lettre du 16 7bre No 587 soient internés le plustôt possible en

en France ou dans le ~~Sud~~ Nord Est de
la province de Constantine.

Je suis avec respect
Mon Colonel
votre très obéissant serviteur.
Le Commandant Supérieur
Signé: De Wulf.

Pour Copie Conforme
Le Colonel Commandant la Subdivision par intérim
[illegible]

الملحق رقم (2):رسالة الحاكم العام إلى حاكم عمالة قسنطينة بخصوص عزل سي احمد بن بقار كشيخ على قبيلة سعيد عتبة1867.(A.O.M 8H6)



GOUVERNEMENT GÉNÉRAL
DE L'ALGÉRIE
BUREAU POLITIQUE
N° 718
Objet :

Au sujet de Si Ahmed ben beggar Cheikh des Saïd Atba et de Si Kaddour ben Embarek, indigène de la même tribu.

Alger, le 13 Février 1867.

Mon Cher Général,

En réponse à votre dépêche du 5 courant, N° 85, j'ai l'honneur de vous faire savoir que j'approuve la mesure que vous avez prise de destituer Si Ahmed Ben beggar et de le remplacer, comme Cheick des Saïd Atba (Cercle de Biskra) par le nommé El Aïd Ben Cheikh qui, demandé par la majorité de la tribu, vous semble réunir les conditions voulues pour cet emploi.

Je décide, en outre, que Si Ahmed Ben beggar sera interné jusqu'à nouvel ordre. En attendant que j'aie pris une décision au sujet du transfèrement à la Casbah de Bone des internés de Corte (cette question fait l'objet de ma dépêche du 12 courant, N° 116), vous aurez à désigner, dans la Province de Constantine, le lieu d'internement provisoire de cet indigène.

Les renseignements que vous m'avez fournis en 1865 sur ses antécédents et son caractère, joints à ceux qui ont motivé sa destitution, donnent lieu de penser qu'Ahmed Ben beggar pourrait nous occasionner certains embarras, s'il parvenait à échapper à la mesure

Monsieur le Général Commandant la Province de Constantine

prise contre lui. Veuillez recommander, en conséquence, que son remplacement par Si Aïd Ben Cheikh n'ait lieu qu'une fois son arrestation faite, que celle-ci soit opérée sûrement et qu'ensuite il soit l'objet d'une surveillance sérieusement exercée.

J'écris à Mr le Général Commandant la Province d'Alger de faire arrêter, si cela est possible, le Nè Si Kaddour ben Embarek, ex-cheikh des Saïd. Mba, actuellement au M'zab, dont vous me signalez les intrigues. Dès que cette arrestation aura été opérée, Si Kaddour sera dirigé sur Alger et de là mis à votre disposition pour être interné dans les mêmes conditions que Si Ahmed ben Beggar.

Faites recommander à Si Ali Bey de ne pas s'immiscer dans les questions intérieures du Mzab, qu'il soit en bonnes relations avec les divers partis, qu'il en profite pour avoir des renseignements utiles ; mais qu'il ne prenne vis-à-vis d'aucun sof une attitude qui pourrait nous engager plus tard et nous obliger à intervenir dans les affaires de cette Confédération sur laquelle nous devons continuer à n'exercer qu'un protectorat.

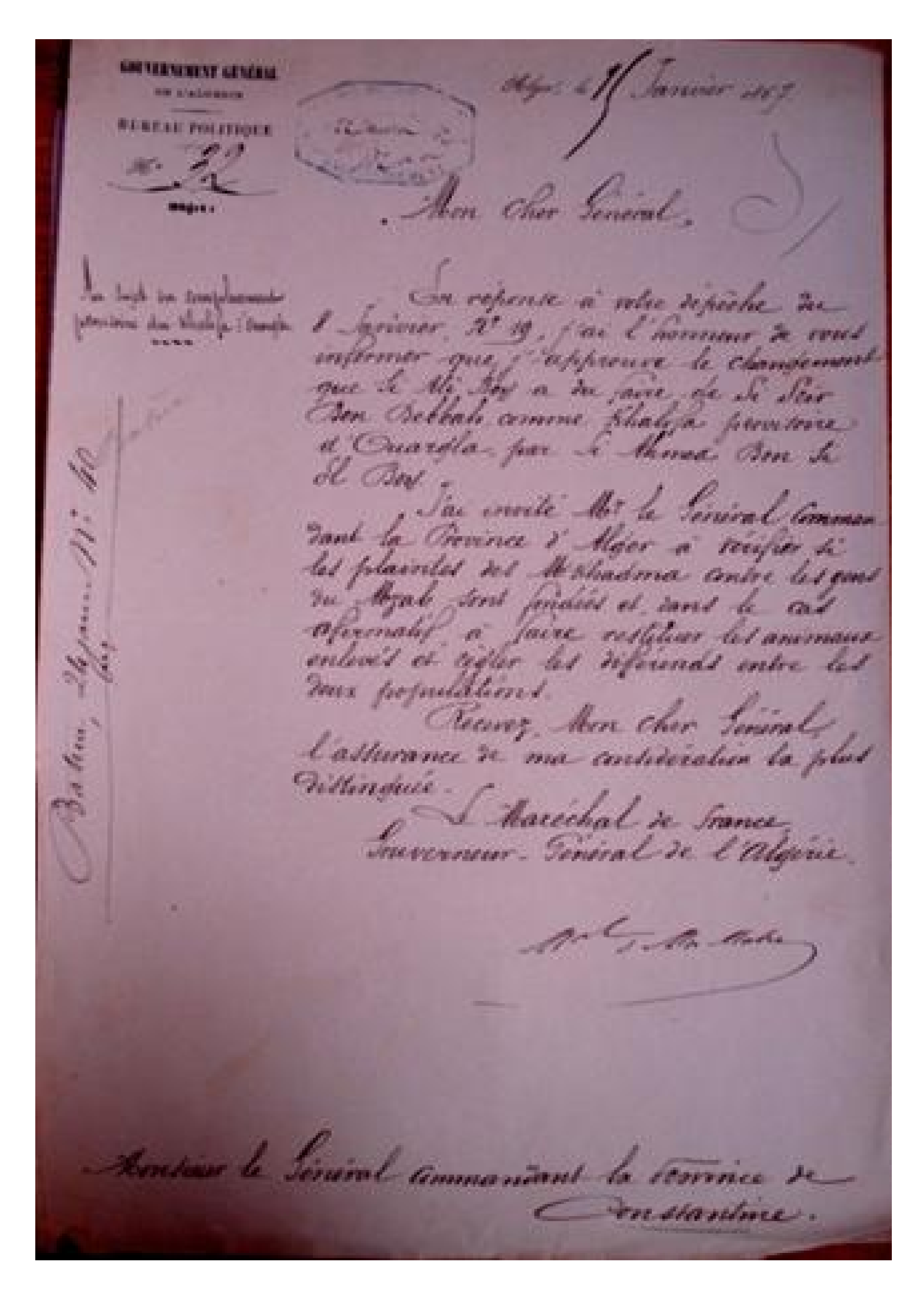
Recevez, Mon cher Général, l'assurance de ma considération la plus distinguée.

Le Maréchal de France,
Gouverneur Général de l'Algérie.

[illegible signature]

الملحق رقم (3): رسالة الحاكم العام إلى حاكم عمالة قسنطينة تتعلق بتغير مؤقت لخليفة ورقلة1867.

(A.O.M 8H6)



GOUVERNEMENT GÉNÉRAL
DE L'ALGÉRIE
BUREAU POLITIQUE
N° 22

Alger, le 11 Janvier 1867

Au sujet du remplacement provisoire du Khalifa d'Ouargla

Mon cher Général,

En réponse à votre dépêche du 8 Janvier N° 19, j'ai l'honneur de vous informer que j'approuve le changement que le [illegible] a dû faire de Si [illegible] Ben Bebbah comme Khalifa provisoire d'Ouargla par Si Ahmed Ben Si el [illegible].

J'ai invité Mr le Général Commandant la Province d'Alger à vérifier si les plaintes des M'Khadma contre les gens du Mzab sont fondées et dans le cas affirmatif à faire restituer les animaux enlevés et régler les différends entre les deux populations.

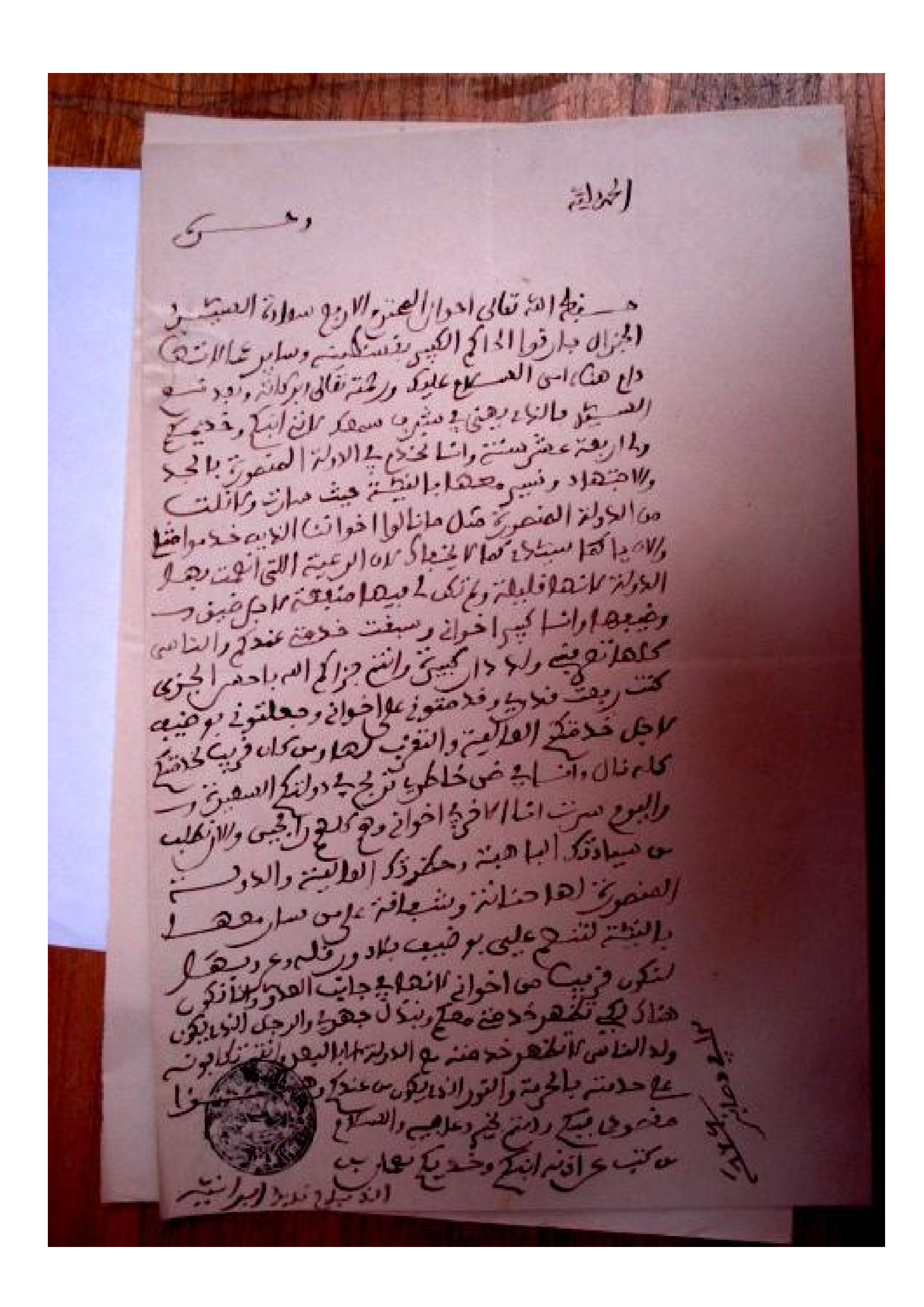
Recevez, Mon cher Général, l'assurance de ma considération la plus distinguée.

Le Maréchal de France
Gouverneur Général de l'Algérie

[illegible]

Monsieur le Général Commandant la Province de Constantine.

الملحق رقم (4): رسالة من نعمان بن دباخ إلى الجنرال بارفوا ***Barveau*** حاكم عمالة قسنطينة يطلب فيها تعينه حاكما على ورقلة وعروشها.(A.O.M 8H6)



الملحق رقم(5): رسالة من محمد بن الحاج بن ادريس إلى كافة أعرش ورقلة1874م.

(A.O.M 8H6)

الحمد لله وحده

الى كافة اولادنا فياد اعراش ورقلة وكافة اكابرهم وكافة مشايخ دشور

ورقلة واكابرهم كل واحد باسمه، السلام عليكم ورحمة الله [illegible]

[illegible]

تحقق لكم ان تكونوا بارحين مثل ما هو حتم باحكام العمالة التبسية وثانيا نبين لكم وطن ونحو ذلك
التبعية للاوس اجل انما اقرب الى عمالة الجزائر من العمالة الاخرى وكنتم تنسوا فكم
جاء الى تلك العمالة المذكورة وثالثا نبان الطريق مفتوحة لكم من واد قلب حتى
الى قسنطينة حين تريدون انتم لتكيلوا الزرع فلا يتعرض لكم احد. الحاصل
فتر له لحسب عليكم مثل ما نحسب على نفسي ان تفعلوا هذه النصيحة بالكم وبعد ال
اعراشكم اعلموا اولادنا ابطال الفساد والمشايخ والاكبار متاع الاعراش واكبار
اهل شورانا يحقق لكم ان تهنونا وتعلموا امورنا وتقبلوا نصيحتنا وتعطوا
دبارتنا هذه بالكم على جميع ما امرتكم به واو حتى عليه هذه وجوهنا
عندكم والذي عامل عليكم كثير او السلام من كتب بالاذن من بلط الخير البركة ودوام
العافية لنواحيكم محمد بن الحاج بن ادريس البطيني خليفة القسطنطينة
عاغة تقرت وواد ريغ ووادسوف اعزه الله امين في ٣ اوت
سنة ١٨٧٤

Touggourt le 3 Août 1874
Mohd Ben Driss Lieut au 3e Spahis
Agha

الملحق رقم (6): رسالة موجهة من مبعوثي غدامس الى عبد القادر بن عمر اغا ورقلة 1881م
(C.D.A.W.O,B320)

Copie

Le 24 Décembre 1881

Lettre adressée par les Missionnaires de Ghadamès à M[r] l'Agha Abdelkader ben Amar Commandant le Cercle de Ouargla.

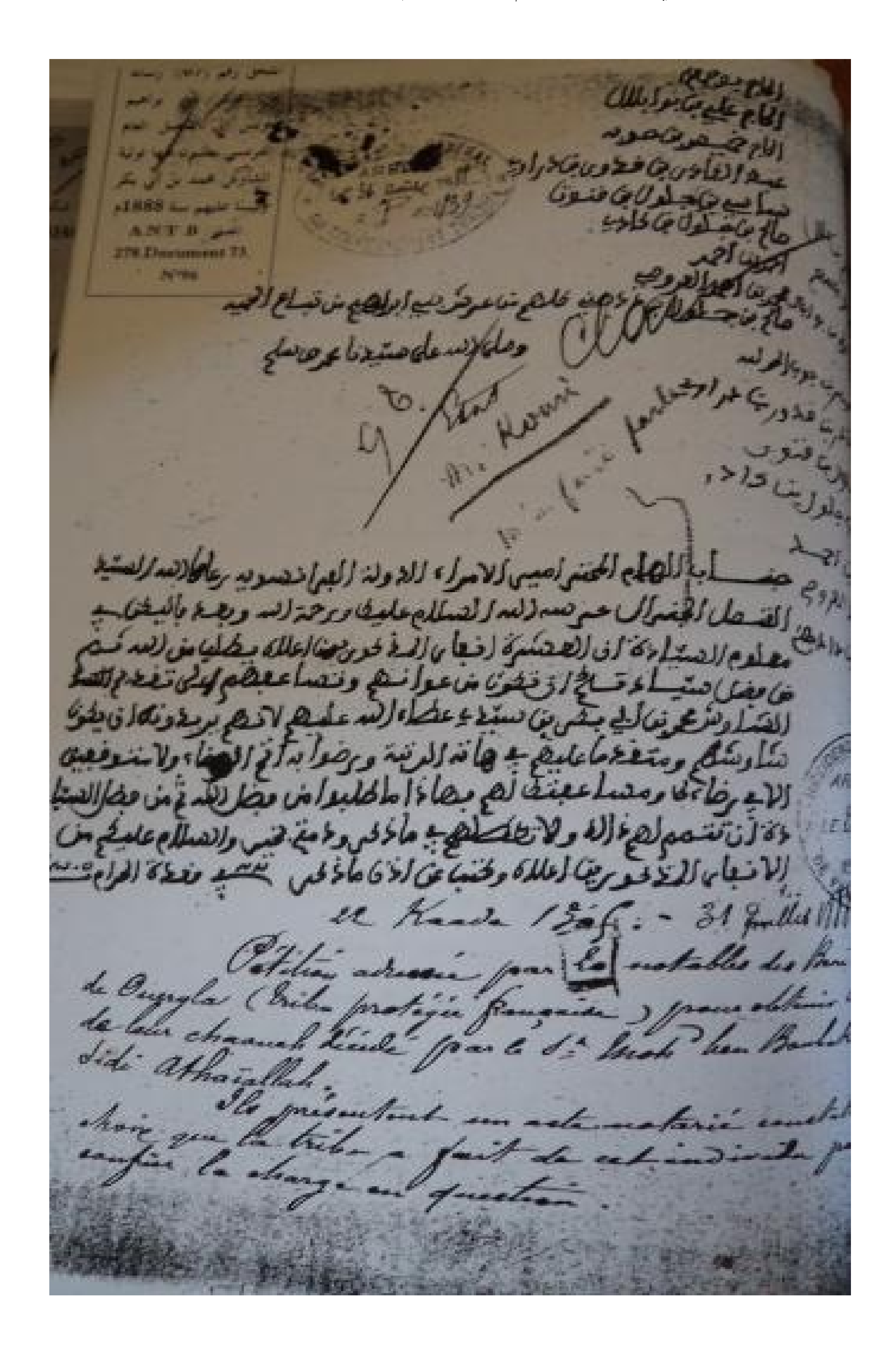
Après vous avoir salué et avoir pris de nombreuses informations au sujet de votre santé, nous vous prions de faire parvenir à Alger la lettre que vous trouverez ci-jointe.

Que Dieu vous récompense pour le service que vous nous rendrez et salut.

Signé : Kermabon

Pour traduction conforme :
L'Interprète Militaire
Signé : L. Chenevol

الملحق رقم (7): رسالة من عرش بني براهيم بتونس الى القنصل العام الفرنسي يطلبون فيه تولية الشاوش محمد بن ابي بكر رئيسا عليهم سنة 1888م.(A.N.T,B278,D73,N96)



الملحق رقم (8): رسالة من كارمبون ***Kermabon*** إلى أعيان شعانبة ورقلة حول مقتل الأب رتشارد ***Richard*** من طرف التوارق1881م. (C.D.A.W.O,B320)

Copie

Lettre adressée par [illegible] de [illegible] Mr Kermabon, au caïd Ben Bissah, à Ben Ahmed ben [illegible] à Mohammed ben Mansour, à Hamida ben El Hadj; aux notables des Chaanba et à Ali ben Amor.

J'ai l'honneur de vous informer que le Khalifa ben Saad a rencontré Saïah, ses compagnons et ceux de Mr Richard trois jours après ce qui est advenu; au moment de la rencontre les gens de Ghadamès et les Touaregs ont interrogé le Khalifa pour savoir si Saïah faisait partie de la razzia exécutée par les ordres de Ould Younès.
Ils voulaient se saisir de sa personne.

Malgré l'affirmation du Khalifa sur l'absence de Saïah parmi les auteurs de cette razzia, les Touaregs ne le crurent point et se mirent à la poursuite de Saïah et de ses compagnons.

Un différend survint entre les Touaregs et les gens de Ghadamès sur le sort de ces indigènes; grâce à la présence du Khalifa, ils échappèrent à la mort et sont aujourd'hui en pleine sécurité.

Quant à vous, Chaanba, vous ne trouverez jamais la sécurité et la paix chez les Touaregs et les gens de Ghadamès.

Le Khalifa est toujours disposé à vous faire du bien; vous ne voulez pas reconnaître les services qu'il vous a rendus, mais s'il n'avait pas

été présent dans cette affaire, vous n'auriez jamais plus revu ni Saïd, ni les autres.

Ceci est une déclaration faite aux Chaamba par les Pères domiciliés à Ghadamès.

Ghadamès, 31 Décembre 1881

Signé : Kermabon.

Pour traduction conforme :

L'Interprète Militaire

Signé : L. Charvet

الملحق رقم (9): رسالة حاكم مقاطعة المدية إلى حاكم دائرة الاغواط بخصوص آغا ورقلة سي عبد القادر بن عمر1882م. (C.D.A.W.O,B320)

Subdivision de Médéa

État-Major

N° [illegible]

Objet

[illegible]

Médéa, le 11 Février 1882.

Le Général de la Tour d'Auvergne,
Commandant la subdivision de Médéa,
A Monsieur le Lieutenant Colonel
commandant supérieur du cercle Laghouat

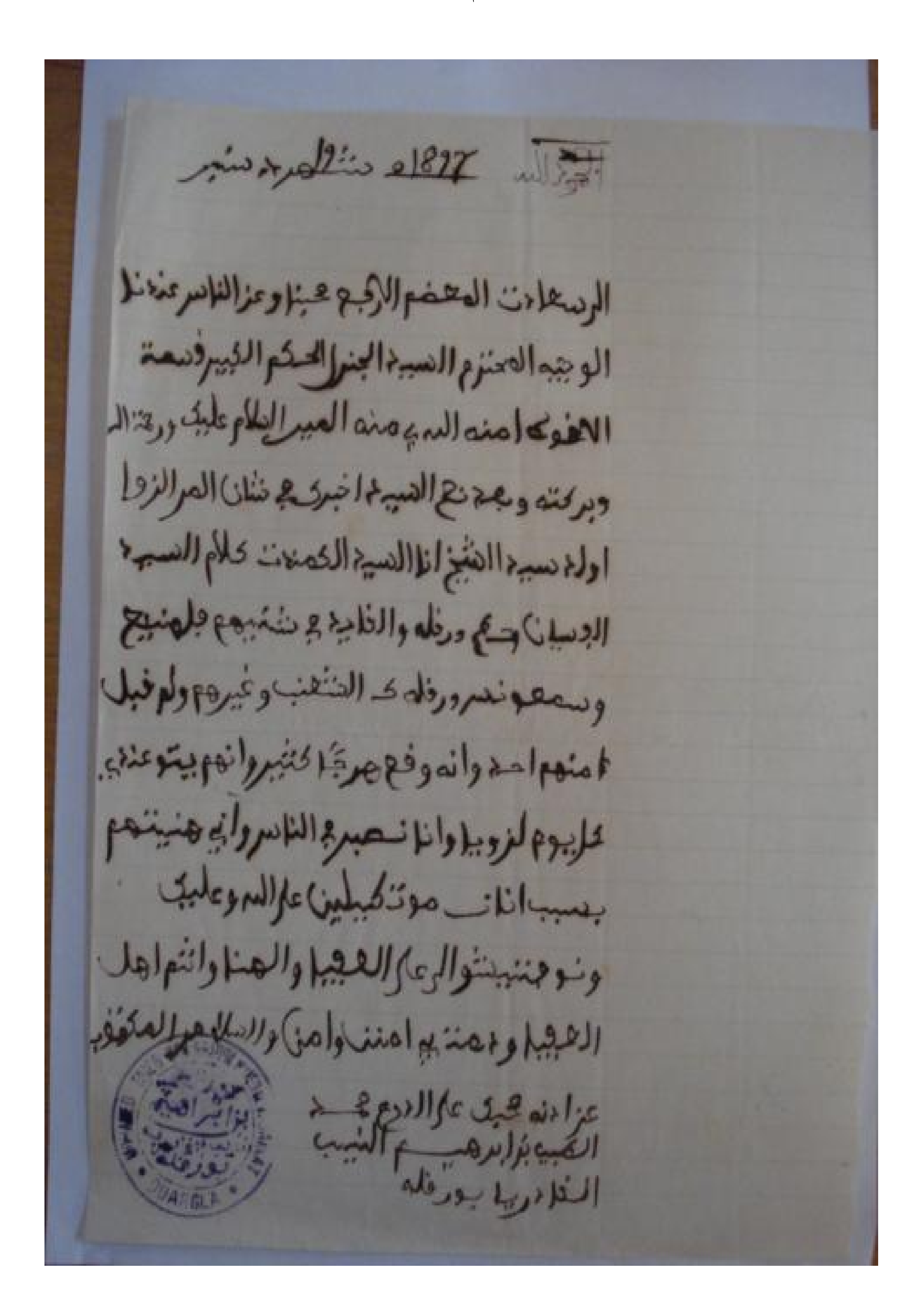
Mon cher Colonel,

J'ai l'honneur de vous faire connaître que j'ai adressé à Monsieur le Général de Division tous les mémoires de propositions, pour le grade et pour la Légion d'Honneur, que vous m'avez transmis par dépêche du 10 février courant N° 37.

J'ai également fait établir un mémoire de proposition pour la croix d'officier de la Légion d'honneur en faveur de Monsieur le Capitaine Abdelkader ben Omar Agha d'Ouargla.

La Tour d'Auvergne

الملحق رقم (10): رسالة من الطيب بن ابراهيم شيخ الزاوية القادرية بورقلة إلى الحاكم العسكري بالاغواط1897م.(A.O.M 8H25)



الحمد لله [illegible] 1897م [illegible] دسمبر

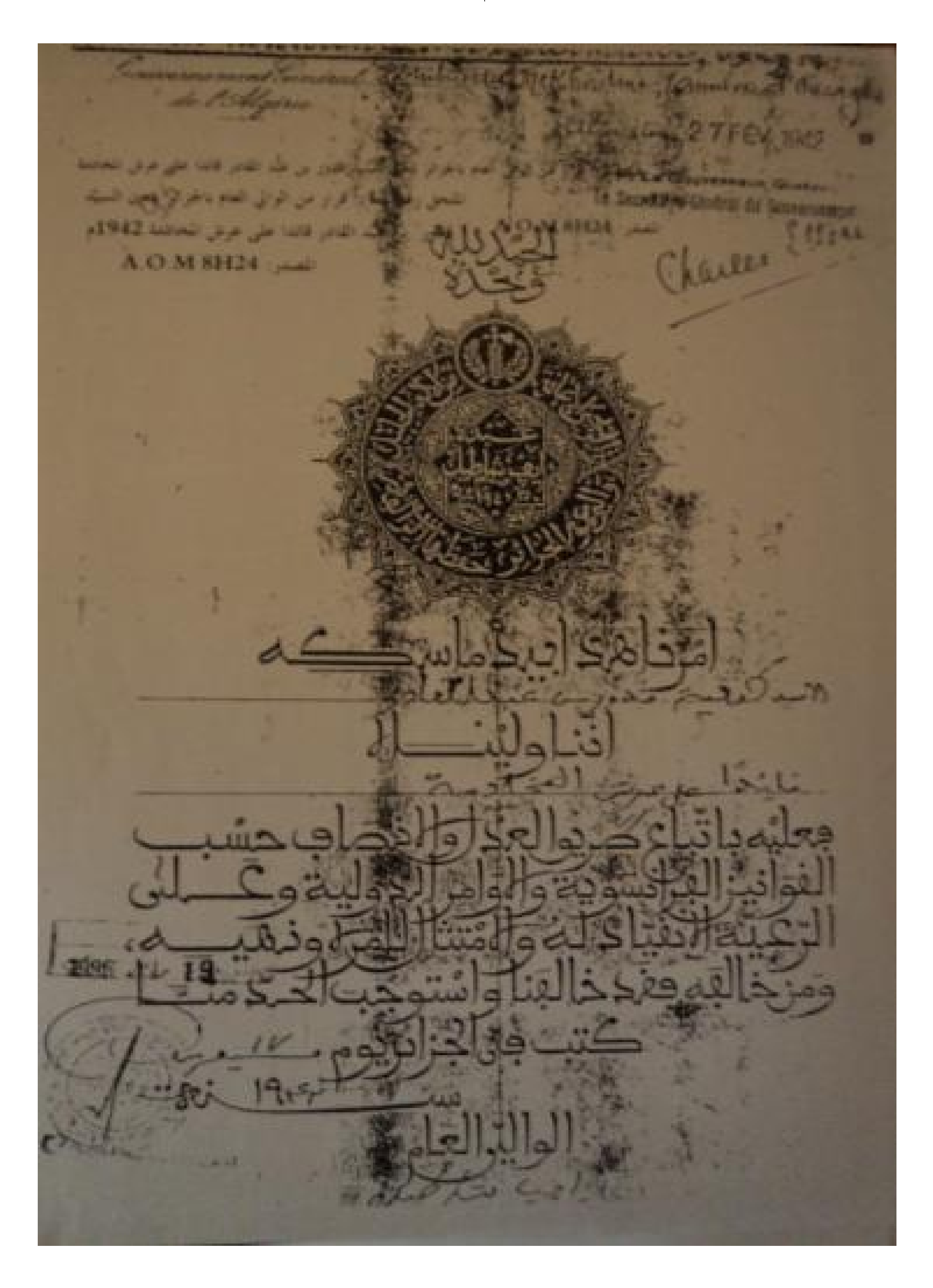
الى سعادة المعظم الارفع محبنا وعز الناس عندنا
الوجيه المحترم السيد الجنرال الحكم الكبير فسعة
الاغواط امنه الله ومنه العبد السلام عليك ورحمة الله
وبركاته وبعد نعلم السيد اخبرك في شان امر الزوا
اولاد سيد الشيخ انا السيد الكمندت كلام السيد
الدبيان [illegible] ورقلة والقايد في شعانبيهم فلم ينجح
وسمعو نصر ورقلة ك الشعانب وغيرهم ولم قبل
منهم احد وانه وقع ضررا كثيرا وانهم يبتو عندي
على بوم الزوية وانا نصبر في الناس واني هنيتهم
بسبب انا [illegible] موتكلين على الله وعليك
ونحو [illegible] الرعاية العقبا والهنا وانتم اهل
العقبا ورحمته بي امننا وامنا والسلام من المكتوب

عن اذنه محبك على الدوم محمد
الطيب بن ابراهيم النائب
القادرية بورقلة

الملحق رقم (11): رسالة من شيخ الورقلية إلى محافظ الشرطة بتونس لشرح معركة وقعت بين عرش بني سيسين وبني براهيم1908م.(A.N.T,B278,D73,N35)

روش واتفقوا مع بعضهم ليجمع كل شاوش اولاده ويامرهم
وينهاهم عن الظلم وكان الامر كذلك فبدا باحد كبرا بني
~~ابراهيم كرشه~~ المسمى قدور بن الحاج عبد القادر جمع ابناء
ارهم وكان يامرهم بالصلح وترك ما لا يعنيهم ويخيفهم بان
لا حاكم واذا خالفهم احد يستخبروا عنه السيد الكومسار
وهو يحد تهم واذا بالنفر المسمى احمد بن عبد القادر بن
ة بني ابراهيم رجل صاحب محنة خرج من الدار ليكسر الحلقة
وكة فوجد جملة بني سيسين بن الطهم وحرضين مثل
ذلك البلاء فقال لهم يا اخواني هذا عيب عليكم ارجعوا عما انتم
فيه ونحن ابناء بلد واحدة ولا يقع هذا الامر بيننا وكان كبيرنا
نهانا عن هذا الامر ولكن يتعدى في الاولاد بالدار فقالوا له خرف
وكذ والدي الشواش ومن حضر في الصلح نحن لا نقبل منكم صلحا
ما تركوا جمعكم بالمقابر وهذا اسبابهم وسبابهم بخصامهم
والنفر للسيد الكومسار وهو صاحب العدل والسلام
اضربوا بني سيسين احمد بن عبد القادر بن جلول فخرجت جماعة
عليهم لدفع ووقع الضرب بينهم الا رسمع بهم السيد الكومسار
بينهما خصام والسلام

الملحق رقم (12):قرار من الوالي العام بالجزائر بتعين السيد قدور بن عبد القادر قائدا على عرش المخادمة 1942م.(A.O.M 8H24)



Gouvernement Général de l'Algérie

الحمد لله وحده

أمرنا هذا أيد ماسكه

أنا وليناه

وعليه باتباع طرق العدل والإنصاف حسب القوانين الفرانسوية والأوامر الدولية وعلى الرعية الانقياد له وامتثال أمره ونهيه، ومن خالفه فقد خالفنا واستوجب الأخذ منا

كتب في الجزائر يوم 17

سنة 1942

الوالي العام

الملحق رقم(13): بيان من مشيخة جامع الأعظم يدعوا فيه إلى التعقل ونبد الفرقة بين مختلف جمعيات الطلبة الجزائريين الزيتونيين بما فيهم طلبة الصحراء سنة1949م. (A.N.T,SérierE,B35,D28)

الجامع الأعظم
وفروعه

مشيخة الجامع الأعظم وفروعه

بلاغ

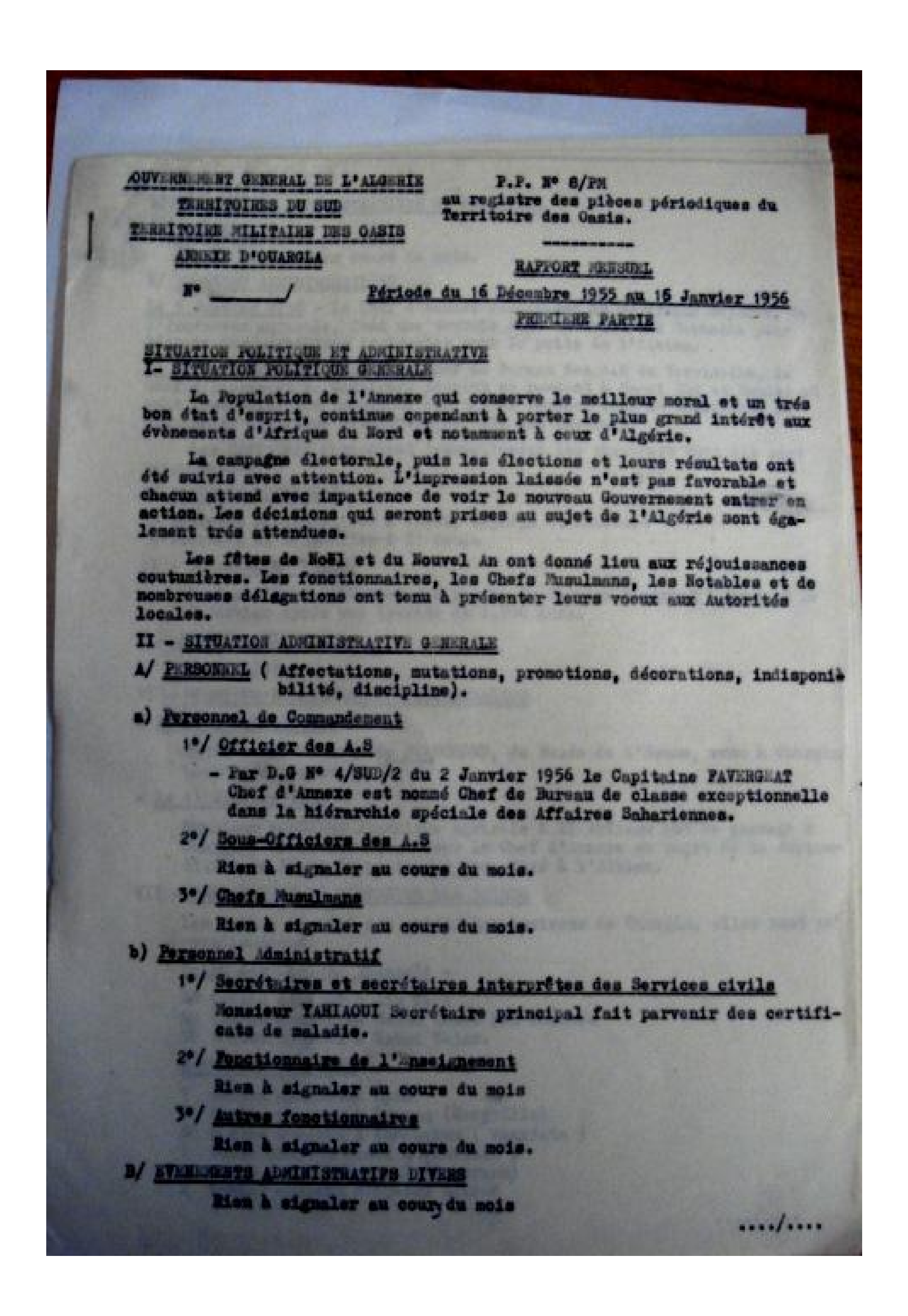
ان مشيخة الجامع الأعظم وفروعه لم تزل ساهرة على مصلحة الطلبة الجزائريين بعناية ورعاية ولم تزل تعتبر الطالب الجزائري محل معاملة خاصة ولذلك احتضنت تحت اشرافها الجمعيات الثلاث الممثلة للطلبة الجزائريين وهي جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين وجمعية البعثة الجزائرية الزيتونية لجمعية العلماء وجمعية تلامذة صحراء الجزائر الزيتونيين واهتمت بوضع مراقبتها العملية على الاحوال الرفيعة من حياة هذه الجمعيات

وان ما يجري الآن بين الطلبة الجزائريين من شغب ونزاع وصراع ليس من شأنه ان يحل من نظر شيخ الجامع الأعظم وفروعه محل الرضى لانهم يحولون بذلك دون تحقيق الآمال الاسلامية المعلقة عليهم ويجلبون سوء السمعة لهم ولامتهم وللمعهد الذي ينتسبون اليه وربما تسببوا بمثل تلك الاعمال في حدوث ما لا يرضي المخلصين، ولا يتلاءم مع المصالح العليا في الدنيا والدين

وبناء عليه فان شيخ الجامع الأعظم وفروعه بما له من النفوذ الابوي على الطلبة الجزائريين وما له في نفوسهم من الثقة يدعوهم الى ملازمة الهدوء والاقبال على دروسهم والاعراض عن دواعي الفتن والتشويش وتقوية روابط الاخوة الوثيقة بين جميعهم، ويذكرهم بان الجمعيات التي ينتسبون اليها انما انشئت لتكون وسائل خير وصلاح وتناصح وتعاضد وعونا على توحيد الصفوف فلا يجوز ان تنقلب الى عكس المقصود منها- حرر بمشيخة الجامع الأعظم وفروعه في [illegible] جمادى [illegible] و19 في افريل 1368 / 1949

شيخ الجامع الأعظم وفروعه
محمد الطاهر ابن عاشور

الملحق رقم (14): تقرير شهري حول أوضاع ملحقة ورقلة خلال الفترة الممتدة من 16 ديسمبر1955م إلى 16 جانفي 1956م.(C.D.A.W.O, B410)



GOUVERNEMENT GENERAL DE L'ALGERIE
TERRITOIRES DU SUD
TERRITOIRE MILITAIRE DES OASIS
ANNEXE D'OUARGLA

N° ______/

P.P. N° 6/PM
au registre des pièces périodiques du Territoire des Oasis.

RAPPORT MENSUEL

Période du 16 Décembre 1955 au 16 Janvier 1956

PREMIERE PARTIE

SITUATION POLITIQUE ET ADMINISTRATIVE

I- SITUATION POLITIQUE GENERALE

La Population de l'Annexe qui conserve le meilleur moral et un trés bon état d'esprit, continue cependant à porter le plus grand intérêt aux évènements d'Afrique du Nord et notamment à ceux d'Algérie.

La campagne électorale, puis les élections et leurs résultats ont été suivis avec attention. L'impression laissée n'est pas favorable et chacun attend avec impatience de voir le nouveau Gouvernement entrer en action. Les décisions qui seront prises au sujet de l'Algérie sont également trés attendues.

Les fêtes de Noël et du Nouvel An ont donné lieu aux réjouissances coutumières. Les fonctionnaires, les Chefs Musulmans, les Notables et de nombreuses délégations ont tenu à présenter leurs voeux aux Autorités locales.

II - SITUATION ADMINISTRATIVE GENERALE

A/ PERSONNEL (Affectations, mutations, promotions, décorations, indisponibilité, discipline).

a) Personnel de Commandement

1°/ Officier des A.S

- Par D.G N° 4/SUD/2 du 2 Janvier 1956 le Capitaine FAVERGEAT Chef d'Annexe est nommé Chef de Bureau de classe exceptionnelle dans la hiérarchie spéciale des Affaires Sahariennes.

2°/ Sous-Officiers des A.S

Rien à signaler au cours du mois.

3°/ Chefs Musulmans

Rien à signaler au cours du mois.

b) Personnel Administratif

1°/ Secrétaires et secrétaires interprêtes des Services civils

Monsieur YAHIAOUI Secrétaire principal fait parvenir des certificats de maladie.

2°/ Fonctionnaire de l'Enseignement

Rien à signaler au cours du mois

3°/ Autres fonctionnaires

Rien à signaler au cours du mois.

B/ EVENEMENTS ADMINISTRATIFS DIVERS

Rien à signaler au cours du mois

..../....

III - TOURNEES ADMINISTRATIVES ET MEDICALES

A/ INSPECTIONS

Rien à signaler au cours du mois.

B/ TOURNEES ADMINISTRATIVES

Le 5 Janvier 1956 - Le Chef d'Annexe accompagné du Capitaine Adjoint, de l'Ingénieur agricole, fait une tournée dans la tribu des Mekhadma pour l'étude des périmètres irrigables pour le puits de l'Albien.

Le 16 Janvier - Le Commandant Chef du Bureau des A.S du Territoire, le Chef d'Annexe et le Capitaine Adjoint se rendent à Hassi Abd et Meniki où sont rassemblés les troupeaux des tribus nomades pour le Chauffane. Le Commandant distribue 60.000 Frs de prix aux éleveurs.

Les Officiers inspectent journellement les chantiers dont ils sont responsables.

C/ TOURNEES MEDICALES

- Tournées hebdomadaires à Chott, Adjadja et Rouissat
- Tournées bi mensuelles à N' Gouça

IV - TOURNEES DE POLICE

Le contrôleur GANTER et une partie du Maghzen rentrent à Ouargla le 4 Janvier aprés une tournée de 1.500 Kms.

V - ACTIVITE MILITAIRE

Sans objet.

VI - MISSIONS ET PASSAGE DE PERSONNALITES

- Le 22 Décembre 1955

Arrivée de Monsieur de BEAUCHENE, du Musée de l'Homme, venu à Ouargla pour aménager le Musée.

- Le 11 Janvier 1956

Monsieur MONCIERO Ingénieur Agricole à El Arfiane est de passage à Ouargla. Il s'entretient avec le Chef d'Annexe au sujet de la répartition de l'eau du puits qui sera foré à l'Albien.

VII - EMPLACEMENT ET MIGRATION DES TRIBUS

Les tribus nomades ont quitté les environs de Ouargla, elles sont en nomadisations.

Tribu des Chaamba Bousaïd -

40 tentes campent à Aïn Kech
60 tentes campent à Hassi Ahmed ben Bouhafs
30 tentes campent à Hassi Najar.

Tribu des Mekhadma

7 tentes campent à Ayad
7 tentes campent à Lourag (Geryville)
4 tentes campent à Nachachou (Ghardaia)
1 tente campe à Mizel (Ghardaia)
1 tente campe à Djellal (Guerrara)
2 tentes campent à Djeder Labiod

...../.....

1 Tente campe à M'Rabih (Ghardaïa)
7 tentes campent à BOURAEBA
6 tentes campent à Belfana.

Tribu des Béni-Thour

2 tentes campent à Sidi- Abdelhaken
3 tentes campent à Belfana.

VIII - POLICE JUDICIAIRE

A/ Affaires nouvelles survenues au cours du mois :

Poursuite du Chef abus de confiance contre SOMAA Ahmed fraction des Béni- Ouagguine à Ouargla

B/ Etat des détenus à la Geôle Municipale

Néant

IX - DECLARATION D'ETAT-CIVIL

	Mariages	Divorces	Naissances	Décès	Excédent des naissances sur les décès
Européens	1		3		3
Musulmans	37	5	117	35	82

X - DIVERS

Rien à signaler au cours du mois.

*
* *

الملحق رقم (15): تقرير ينص على إنشاء مناطق المحرمة بالصحراء الجزائرية.

المصدر: C.D.A.W.O, B134

10° [illegible]
TERRITOIRE [illegible]
DE [illegible]
ETAT-MAJOR
N° [illegible]

[illegible] 1957

[illegible] Colonel [illegible]
Territoire [illegible] de [illegible]
à
Monsieur le Colonel,
[illegible]

[illegible] : Zones interdites.-

Différents arrêtés successifs ont créé à l'intérieur du Territoire de Ghardaïa, un certain nombre de zones interdites, qui couvrent principalement des massifs montagneux ou boisés.

Il m'est apparu à l'expérience que l'existence de ces zones interdites se justifie pleinement, et qu'elles sont parfaitement susceptibles, tout en facilitant l'action des troupes opérationnelles, de gêner les rebelles, dans leurs déplacements et dans leurs stationnements, par les risques certains et subits qu'ils y courent. Mon intention, n'est donc pas, actuellement, d'en modifier le tracé, tel qu'il a été porté à la connaissance des populations.

Toutefois, d'une part l'étendue de ces zones en rend la surveillance efficace difficilement réalisable par l'aviation et, d'autre part, cette étendue même présente un inconvénient, en ce sens que ces zones étant actuellement, et dans leur intégralité, justiciables d'un feu aérien inopiné, les troupes à terre ne peuvent s'y engager qu'après préavis, pour ne pas courir le risque d'une méprise.

J'ai donc décidé de différencier à l'intérieur des zones interdites actuelles :

a)- des régions centrales où l'ouverture du feu aérien restera libre, et dans lesquelles par conséquent, les troupes à terre ne pénétreront pas sans préavis au [illegible] 25/540.

b)- des régions périphériques, où l'ouverture du feu aérien sera subordonnée à l'accord préalable des troupes à terre (à réclamer à l'E.M. du Territoire, ou aux Sous-Secteurs de DJELFA ou de LAGHOUAT, ou, au minimum, et en cas d'urgence, au poste le plus voisin de la zone intéressée).

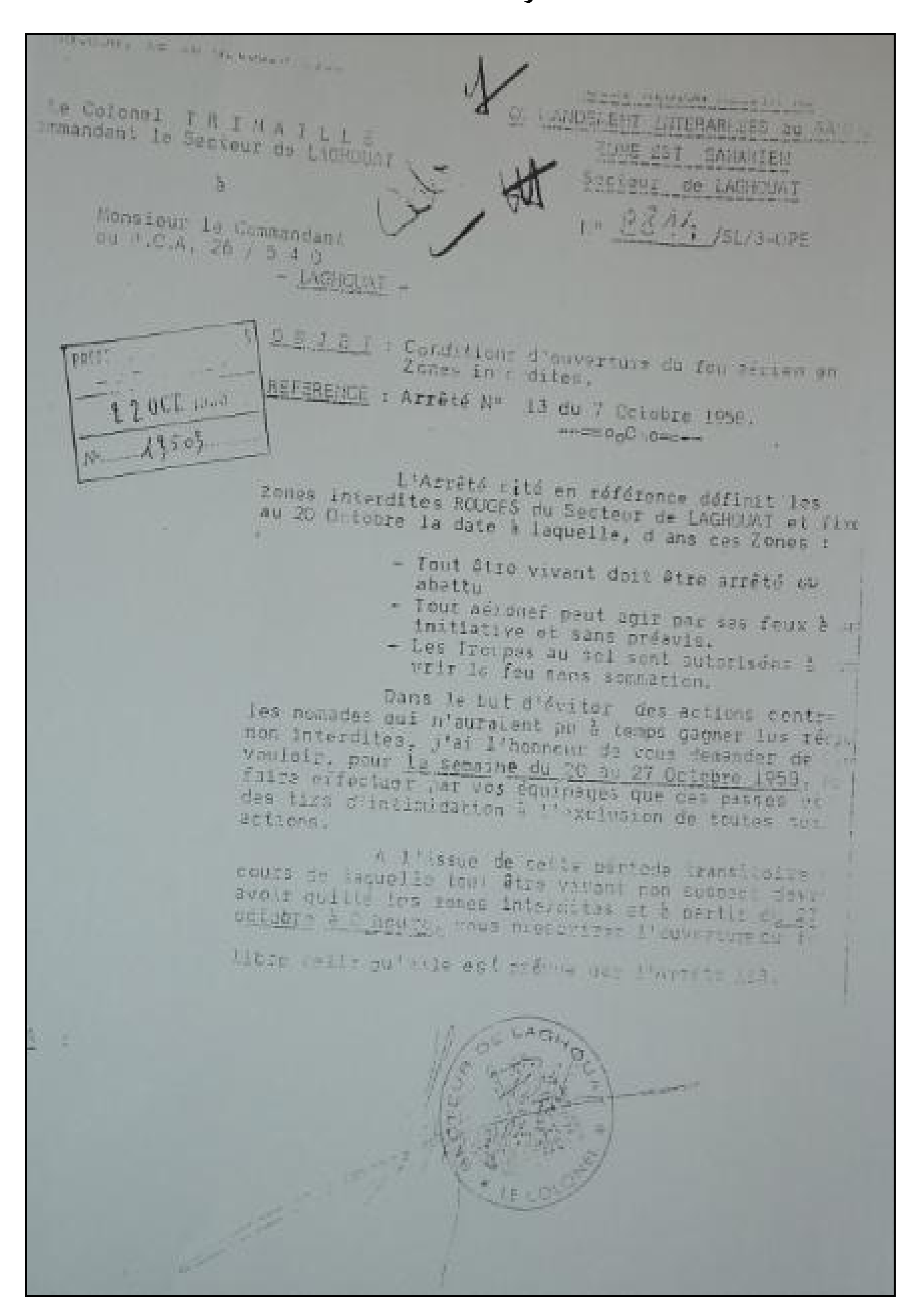
Les calques ci-joints indiquent avec précision les contours respectifs
- des zones interdites créées par arrêtés, et connues du public,
- des zones, plus restreintes, de feu [illegible] libre, [illegible]

Je vous serais obligé de bien vouloir porter ces dispositions à la connaissance des équipages susceptibles d'intervenir dans le Territoire de [illegible]

Signé : [illegible]

الملحق رقم (16): تعليمات حول إطلاق النار بالمناطق المحرمة.

المصدر: C.D.A.W.O, B134



Le Colonel T R I N A I L L E
Commandant le Secteur de LAGHOUAT

à

Monsieur le Commandant
du [illegible].C.A. 26 / 5 4 0
- LAGHOUAT -

COMMANDEMENT INTERARMEES du SA[illegible]
ZONE EST SAHARIEN
Secteur de LAGHOUAT

N° 8844 /SL/3-OPE

[illegible]
12 OCT [illegible]
N° 19505

OBJET : Conditions d'ouverture du feu aérien en Zones interdites.

REFERENCE : Arrêté N° 13 du 7 Octobre 1959.

L'Arrêté cité en référence définit les Zones interdites ROUGES du Secteur de LAGHOUAT et fixe au 20 Octobre la date à laquelle, dans ces Zones :

- Tout être vivant doit être arrêté ou abattu
- Tout aéronef peut agir par ses feux à [illegible] initiative et sans préavis.
- Les Troupes au sol sont autorisées à ouvrir le feu sans sommation.

Dans le but d'éviter des actions contre les nomades qui n'auraient pu à temps gagner les ré[illegible] non interdites, j'ai l'honneur de vous demander de vouloir, pour la semaine du 20 au 27 Octobre 1959, [illegible] faire effectuer par vos équipages que ces passages [illegible] des tirs d'intimidation à l'exclusion de toutes [illegible] actions.

A l'issue de cette période transitoire [illegible] cours de laquelle tout être vivant non [illegible] avoir quitté les zones interdites et à partir du 27 octobre à 0 heure, nous prescrivons l'ouverture du [illegible] libre [illegible] qu'elle est prévue par l'arrêté 13.

SECTEUR DE LAGHOUAT
LE COLONEL

الملحق رقم (17): تعليمات للجنة الإدارية المكلفة بالتحضير للاستفتاء 28 سيبتمبر1958م بمنطقة ورقلة.

المصدر: C.D.A.W.O, B134

MINISTERE DU SAHARA
PREFECTURE DES OASIS
SOUS PREFECTURE DE OUARGLA
N° 4.00?/AS/K.I

SECTEUR DE OUARGLA
ETAT - MAJOR
N° 7.7.5I

OUARGLA, le 2 Septembre 1958

D E C I S I O N

Relative à la constitution de la Commission Administrative d'Arrondissement pour la préparation du référendum

---

Le Colonel d'ARCIMOLES, Commandant le Secteur de OUARGLA, délégué dans les fonctions de Sous-Préfet,

Vu la loi Constitutionnelle du 3 Juin 1958 portant dérogation transitoire aux dispositions de l'Article 90 de la Constitution.

Vu la dépêche Ministérielle n° 64/DAS/A4, en date du 4 Aout 1958 de Monsieur Max LEJEUNE, Ministre du Sahara, relative à la préparation du Référendum.

Vu la Note n° 84/EM1.10/5/OPS, du 9 Aout 1958, de Monsieur le Général Délégué Général du Gouvernement et Commandant en Chef des Forces en Algérie,

Vu la décision n° 2538/CAB et 12/ZES.CAB du 17 Aout 1958 de Monsieur le Préfet des Oasis et de Monsieur le Général Commandant la Zone de l'Est Saharien.

D E C I D E

ARTICLE Ier - Il est institué une Commission Administrative pour la préparati[on] au Référendum d'Arrondissement qui siègera à la Sous-Préfecture des Oasis.

ARTICLE 2 - Cette Commission, placée sous la Présidence du Colonel, Commandan[t] le Secteur de Ouargla, Délégué dans les fonctions de Sous-Préfet, est constit[uée] comme suit :

- Mr. Le Lieutenant-Colonel BURGER, Chef d'Etat-Major au Secteur de OUARGLA
- Mr. Le Commandant LE LIEVRE, Chef du Bureau des Affaires Sahariennes du Territoire des Oasis.
- Mr. Le Commandant COTI, Chef du 5° Bureau du Secteur de OUARGLA

ARTICLE 3 - Elle a pour mission d'étudier et de proposer toutes décisions utiles tendant à permettre la participation au scrutin du Référendum de tous les Citoyens et Citoyennes du Territoire des Oasis.

Le Colonel d'ARCIMOLES, Cdt le Secteur de OUARGLA, Délégué dans les fonctions de Sous-Préfet.

الملحق رقم (18): وصف حالة المجتمع الورقلي بعد الانتخابات البلدية سنة 1959م.

المصدر: C.D.A.W.O, B62

MINISTÈRE DU SAHARA
PRÉFECTURE DES OASIS

BRIGADE DÉPARTEMENTALE DES
RENSEIGNEMENTS GÉNÉRAUX
POLICE DE L'AIR ET DES FRONTIÈRES
916 RG.

Laghouat le 28 mars 1959.

NOTE D' INFORMATION N° 60.

OBJET : Élections municipales à OUARGLA -
État d'esprit post-électoral.

La faible proportion de votants européens -environ 17% sur [illegible] a vivement impressionné les électeurs et les élus musulmans qui ont trouvé anormal que des Français métropolitains soient si peu intéressés par les affaires publiques du plus haut intérêt pour la Nation. Ils estiment que leur pourcentage aux urnes (95 % environ) leur confère des droits, et, entre autre, celui d'obtenir tous les postes d'adjoints. Il a fallu beaucoup de diplomatie pour qu'ils acceptent un européen à l'un de ces postes.

Plusieurs conseillers municipaux ont déclaré :
"Nous avons prouvé que nous sommes les plus "forts" dans l'esprit du 13 mai, derrière le Général de Gaulle. Ce dernier a raison de vouloir rechercher une solution du problème Nord-Africain avec nous, qui [illegible] prouvons tout l'intérêt que nous portons à la chose publique. Les métropolitains ne s'intéressent pas aux affaires de l'État, leur abstention massive aux élections dans notre région en est une preuve."

De même l'abstention des militaires a été remarquée et [illegible] le corps électoral comprend mal que des gens qui ont apposé des affiches d'appel aux urnes soient les premiers à les fuir.

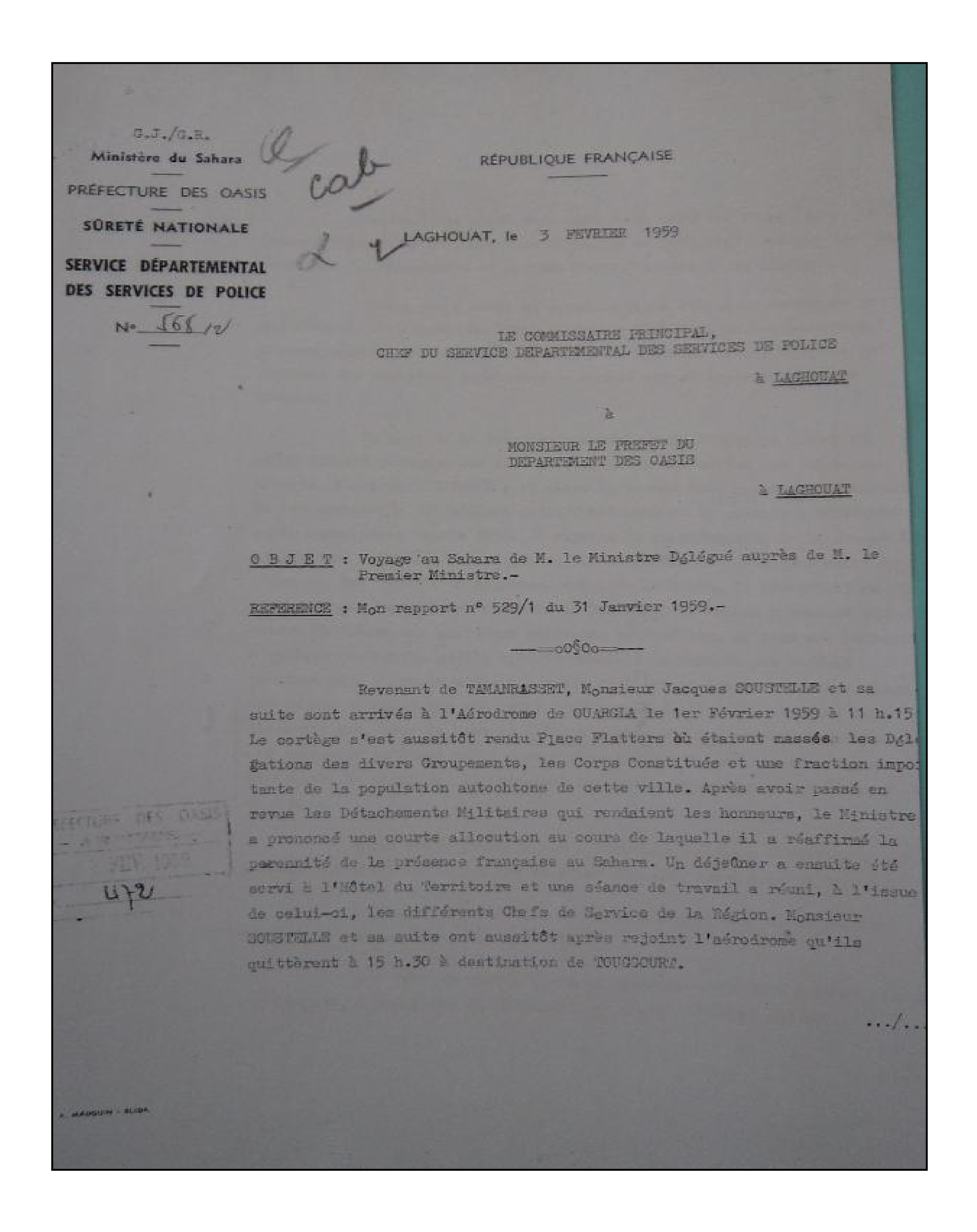
Il est évident que cela apparaît en opposition avec l'action psychologique actuellement à l'ordre du jour./.

-0-0-0-0-0-0-0-0-0-

DESTINATAIRE :
M. le COMMISSAIRE PRINCIPAL Chef du Service Départemental des Services de Police ...... I EX.
AMPLIATIONS :
M. le PREFET du Département des Oasis .... I EX.
M. le MINISTRE DELEGUE auprès de M. le PREMIER MINISTRE -Sahara- :
Cabinet .... I EX.
Direction des Affaires administratives et sociales .... I EX.
Services C.N. .... I EX.

Chrono .... I EX.
Archives .... I EX.

الملحق رقم (19): زيارة جاك سوستال إلى ورقلة وتقرت سنة 1959م في إطار مشروع فصل الصحراء عن الجزائر. المصدر: المصدر:C.D.A.W.O, B62



G.J./G.R.
Ministère du Sahara
PRÉFECTURE DES OASIS
SÛRETÉ NATIONALE
SERVICE DÉPARTEMENTAL DES SERVICES DE POLICE
N° 568/2

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE

LAGHOUAT, le 3 FEVRIER 1959

LE COMMISSAIRE PRINCIPAL,
CHEF DU SERVICE DEPARTEMENTAL DES SERVICES DE POLICE
à LAGHOUAT

à

MONSIEUR LE PREFET DU
DEPARTEMENT DES OASIS
à LAGHOUAT

O B J E T : Voyage au Sahara de M. le Ministre Délégué auprès de M. le Premier Ministre.-

REFERENCE : Mon rapport n° 529/1 du 31 Janvier 1959.-

——oO§Oo——

Revenant de TAMANRASSET, Monsieur Jacques SOUSTELLE et sa suite sont arrivés à l'Aérodrome de OUARGLA le 1er Février 1959 à 11 h.15 Le cortège s'est aussitôt rendu Place Flatters où étaient massés les Délégations des divers Groupements, les Corps Constitués et une fraction importante de la population autochtone de cette ville. Après avoir passé en revue les Détachements Militaires qui rendaient les honneurs, le Ministre a prononcé une courte allocution au cours de laquelle il a réaffirmé la perennité de la présence française au Sahara. Un déjeûner a ensuite été servi à l'Hôtel du Territoire et une séance de travail a réuni, à l'issue de celui-ci, les différents Chefs de Service de la Région. Monsieur SOUSTELLE et sa suite ont aussitôt après rejoint l'aérodrome qu'ils quittèrent à 15 h.30 à destination de TOUGGOURT.

.../...

Le Ministre a été reçu dans cette dernière Ville par M. le Colonel Commandant le Territoire Militaire de TOUGGOURT, Délégué dans les fonctions de Sous-Prefet et par les Chefs d'Annexe de la Région.

Après avoir passé en revue la Garde d'Honneur consituée par des éléments de l'Armée de l'Air, Monsieur SOUSTELLE et les personnes l'accompagnant, ont regagné les bureaux de l'Annexe devant lesquels se pressait une nombreuse population maintenue par un important Service d'Ordre.

Du haut de la terrasse surplombant la Place, le Cheikh SI AHMED TIDJANI prononça une allocution dont la traduction est jointe au présent. Monsieur SOUSTELLE prit alors la parole pour remercier le Cheikh de ses sentiments. Il déclara qu'il était heureux de revenir à TOUGGOURT qu'il connaissait depuis 1955. Il exprima la compréhension de la France à l'égard des problèmes ruraux qui se posent au Sahara, notamment celui de l'eau et, par voie de conséquence, celui de la datte. Il poursuivit en déclarant que, malgré les fauteurs de troubles, la France entendait poursuivre au Sahara une politique généreuse pour le bien de tous ses habitants à quelque confession qu'ils appartiennent. Il a insisté sur le fait qu'aucun pays au monde n'était capable de faire au Sahara un effort financier aussi considérable que celui fait par la France. Il a terminé en déclarant que, pour sa part et grâce à l'aide de Dieu qui avait permis son accession au Poste qu'il occupe actuellement malgré les manoeuvres politiques de certains, il entendait se consacrer entièrement à l'essor du Sahara.

Après avoir prononcé son allocution, Monsieur SOUSTELLE a été conduit à l'Hôtel du Territoire où s'est déroulée une séance de travail.

A l'issue de celle-ci, un dîner a été offert par le Chef du Territoire aux personnalités présentes.

Le 2 Février 1959 à 8 heures, Monsieur SOUSTELLE a rendu visite à TAMELHATE, à proximité de TOUGGOURT, au Cheikh SI AHMED TIDJANI.

.../...

Il gagna ensuite directement l'aérodrome de TOUGGOURT d
l'avion ministériel s'envola à 10 heures à destination de PARIS.

Un accueil particulièrement chaleureux a accueilli Mons
SOUSTELLE tout au long de son périple Saharien. Grâce à un importan
dispositif de sécurité et à un service d'ordre discret mais vigilan
aucun incident n'a marqué ce voyage./.

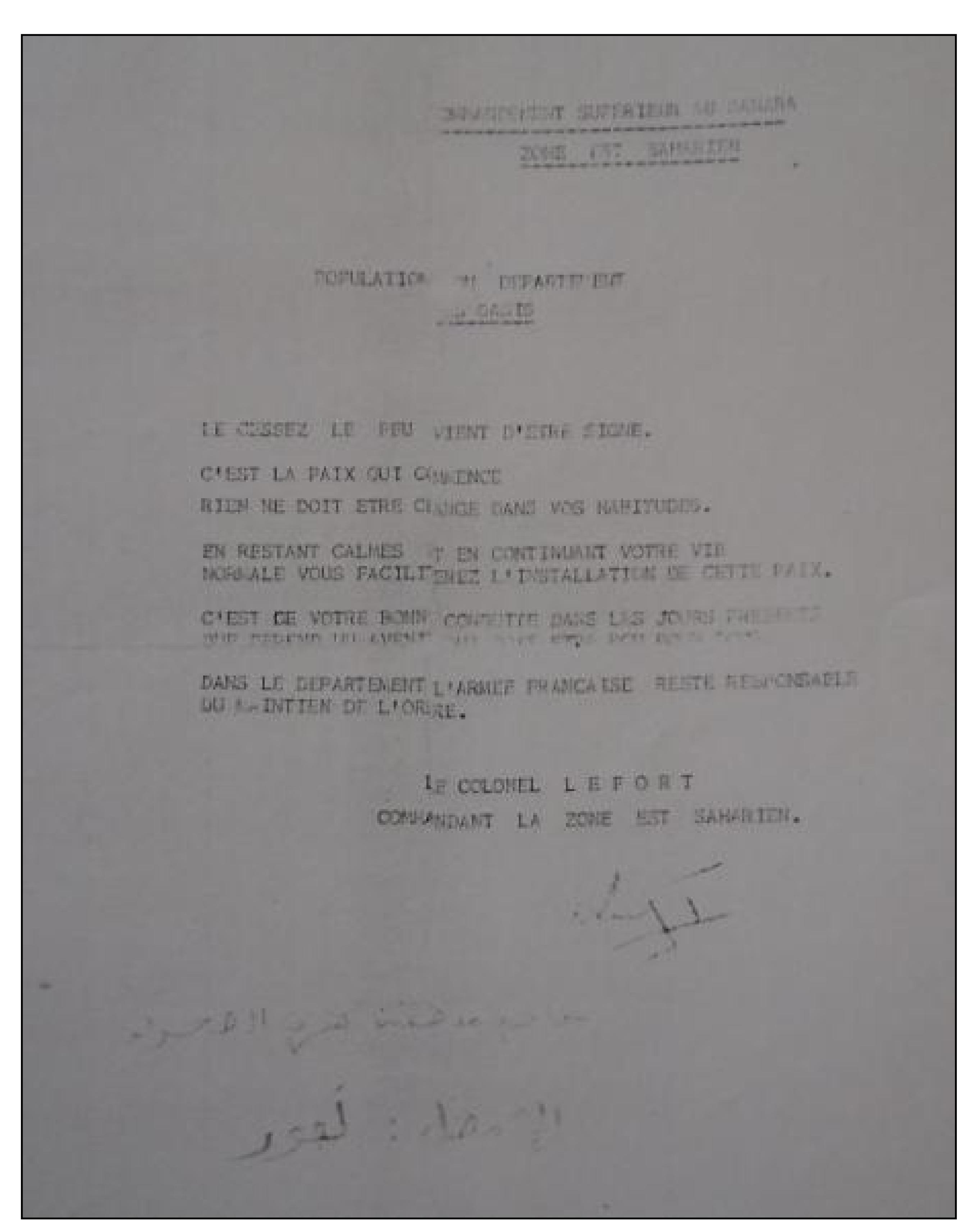
Commissaire Principal,
Chef du Service Départemental

R. BONNEL

AMPLIATION à :

-M. le MINISTRE DELEGUE auprès de M. le PREMIER MINISTRE - SAHARA -
  -Cabinet .... Ex. N° 2
  -Direction des Affaires Administratives et Sociales .... Ex. N° 3
  -Services S.N. .... Ex. N° 4
-M. le GENERAL, Adjoint au Délégué Général à l'O.C.R.S., Commandant Interarmées au SAHARA .... Ex. N° 5
-Archives .... Ex. N° 6
-Chrono .... Ex. N° 7

الملحق رقم (20): منشور موجه إلى سكان عمالة الواحات لوقف إطلاق النار في إطار مشروع سلم الشجعان. المصدر: C.D.A.W.O, B65



[illegible] SUPERIEUR [illegible] SAHARA

ZONE [illegible] SAHARIEN

POPULATION [illegible] DEPARTEMENT

[illegible]

LE CESSEZ LE FEU VIENT D'ETRE SIGNE.

C'EST LA PAIX QUI COMMENCE

RIEN NE DOIT ETRE CHANGE DANS VOS HABITUDES.

EN RESTANT CALMES ET EN CONTINUANT VOTRE VIE NORMALE VOUS FACILITEREZ L'INSTALLATION DE CETTE PAIX.

C'EST DE VOTRE BONN[illegible] CONDUITE DANS LES JOURS [illegible] [illegible]

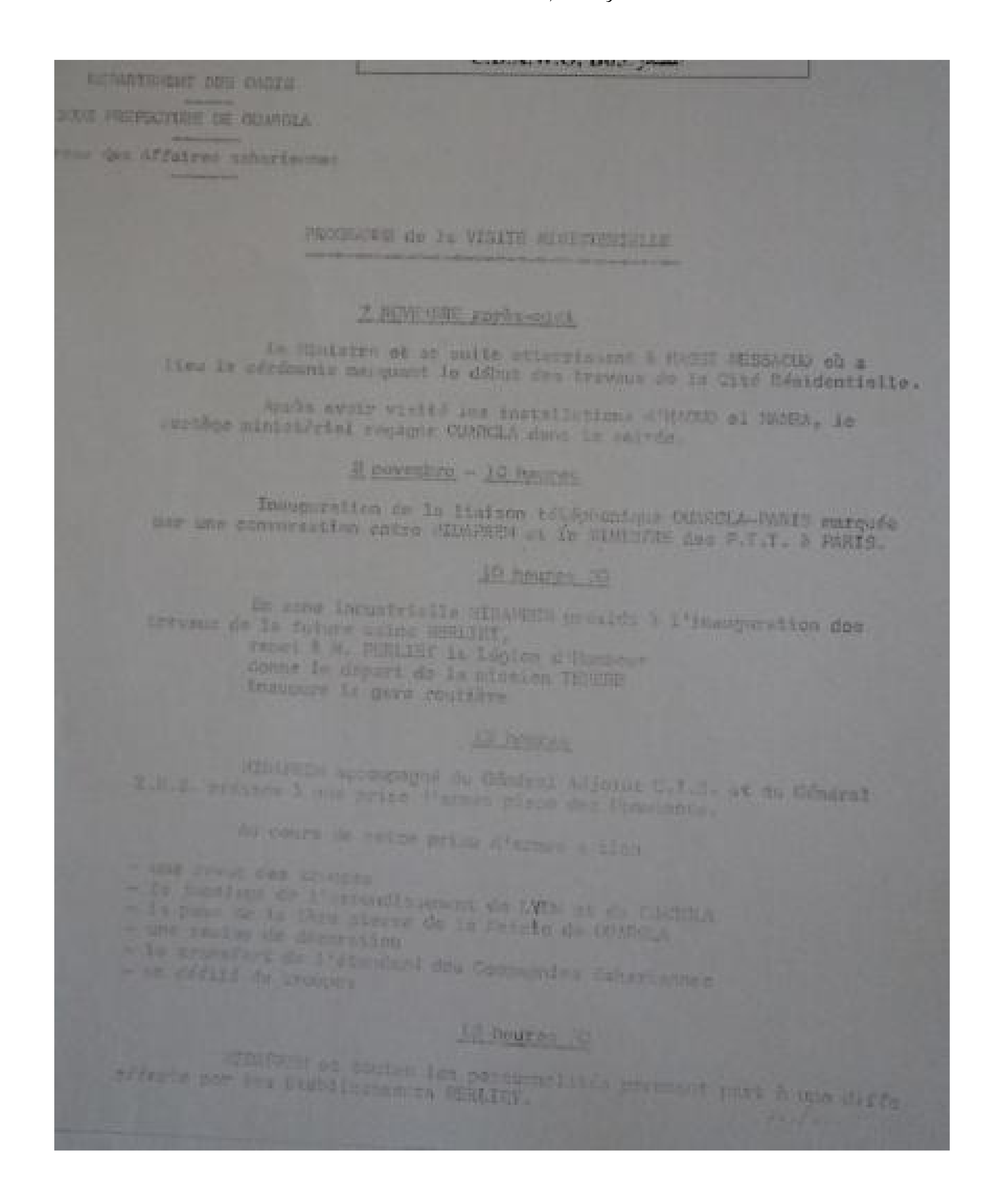
DANS LE DEPARTEMENT L'ARMEE FRANCAISE RESTE RESPONSABLE DU [illegible]INTIEN DE L'ORDRE.

LE COLONEL L E F O R T

COMMANDANT LA ZONE EST SAHARIEN.

الملحق رقم (**21**): برنامج زيارة وزارية إلى ورقلة سنة **1960**.

المصدر:C.D.A.W.O, B65



[illegible] DES OASIS

SOUS PREFECTURE DE OUARGLA

[illegible] des Affaires sahariennes

PROGRAMME de la VISITE [illegible]

[illegible]

Le Ministre et sa suite [illegible] où a lieu la cérémonie marquant le début des travaux de la Cité Résidentielle.

Après avoir visité les installations [illegible] el [illegible], le cortège ministériel regagne OUARGLA dans la soirée.

[illegible] novembre - 10 heures

Inauguration de la liaison [illegible] OUARGLA-PARIS marquée par une conversation entre [illegible] et le [illegible] des P.T.T. à PARIS.

10 heures [illegible]

En zone industrielle [illegible] l'inauguration des travaux de la future [illegible],
remet à M. [illegible] la Légion d'Honneur
donne le départ de la mission [illegible]
inaugure la gare routière

[illegible]

[illegible] accompagné du Général Adjoint [illegible] et du Général [illegible]

Au cours de cette prise d'armes [illegible]

- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]
- une remise de décoration
- [illegible] des Compagnies Sahariennes
- un défilé de troupes

1[illegible] heures [illegible]

[illegible] et toutes les personnalités [illegible] offerte par les Etablissements [illegible].

.../...

9 NOVEMBRE

[illegible] et sa suite visitent les installations [illegible] avant de regagner ALGER.

PERSONNALITES ACCOMPAGNANT LE MINISTRE

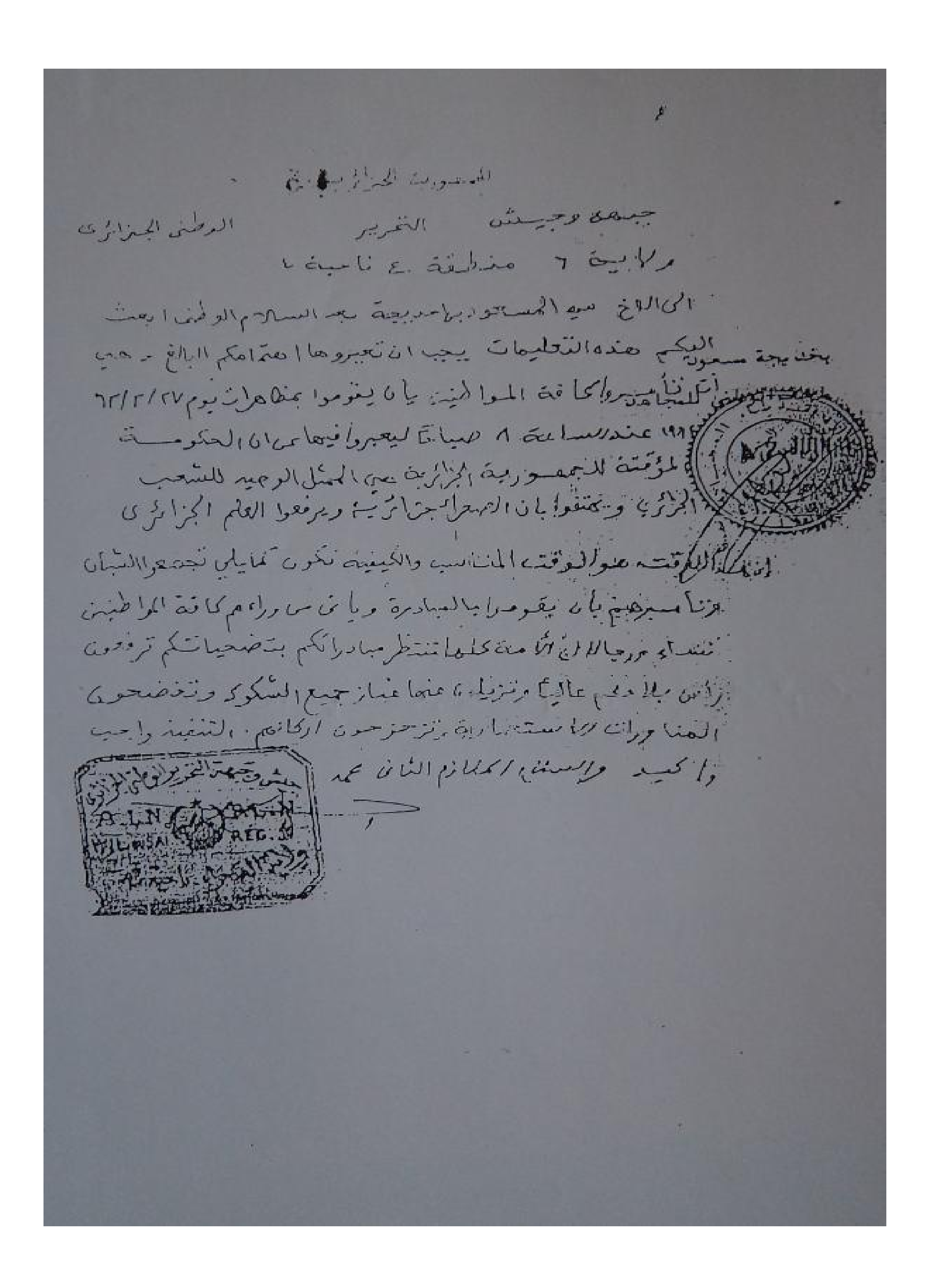
GENERAL MIRAMBEAU - C.I.S.
COLONEL PAPE - AVIATION
M. Henri FAURE - Délégué Général Adjoint de l'O.C.R.S.
M. CASSET - Directeur des Affaires administratives et sociales
M. CROZE - Directeur Général des Télécommunications
M. LAMASSOURE - Directeur du Cabinet du Ministre Délégué
M. EYDOUX - Conseiller technique du Cabinet du Ministre Délégué
M. BAZIN - O.C.R.S.
M. HAMZA BOUBAKEUR - Député des Oasis
M. DEVIQ - Député des Oasis
M. BOUDI - Député des Oasis
8 journalistes de PARIS et d'ALGER

PERSONNALITES VENUES DE LYON

PREFET Igame du Rhône
Président Conseil Général
Maire de Lyon

Assistaient également aux cérémonies du 9 NOVEMBRE, 30 journalistes représentant la presse de Province, qui effectuaient un voyage d'information de 10 jours au Sahara.

الملحق رقم (22): رسالة من الملازم الثاني محمد شنوف إلى الأخ سي المسعود بن خديجة بخصوص تنظيم مظاهرات بورقلة بتاريخ 27فيفري 1962م(المصدر: متحف المجاهد بتقرت)



الجمهورية الجزائرية

جبهة وجيش التحرير الوطني الجزائري

ولاية 6 منطقة 4 ناحية 2

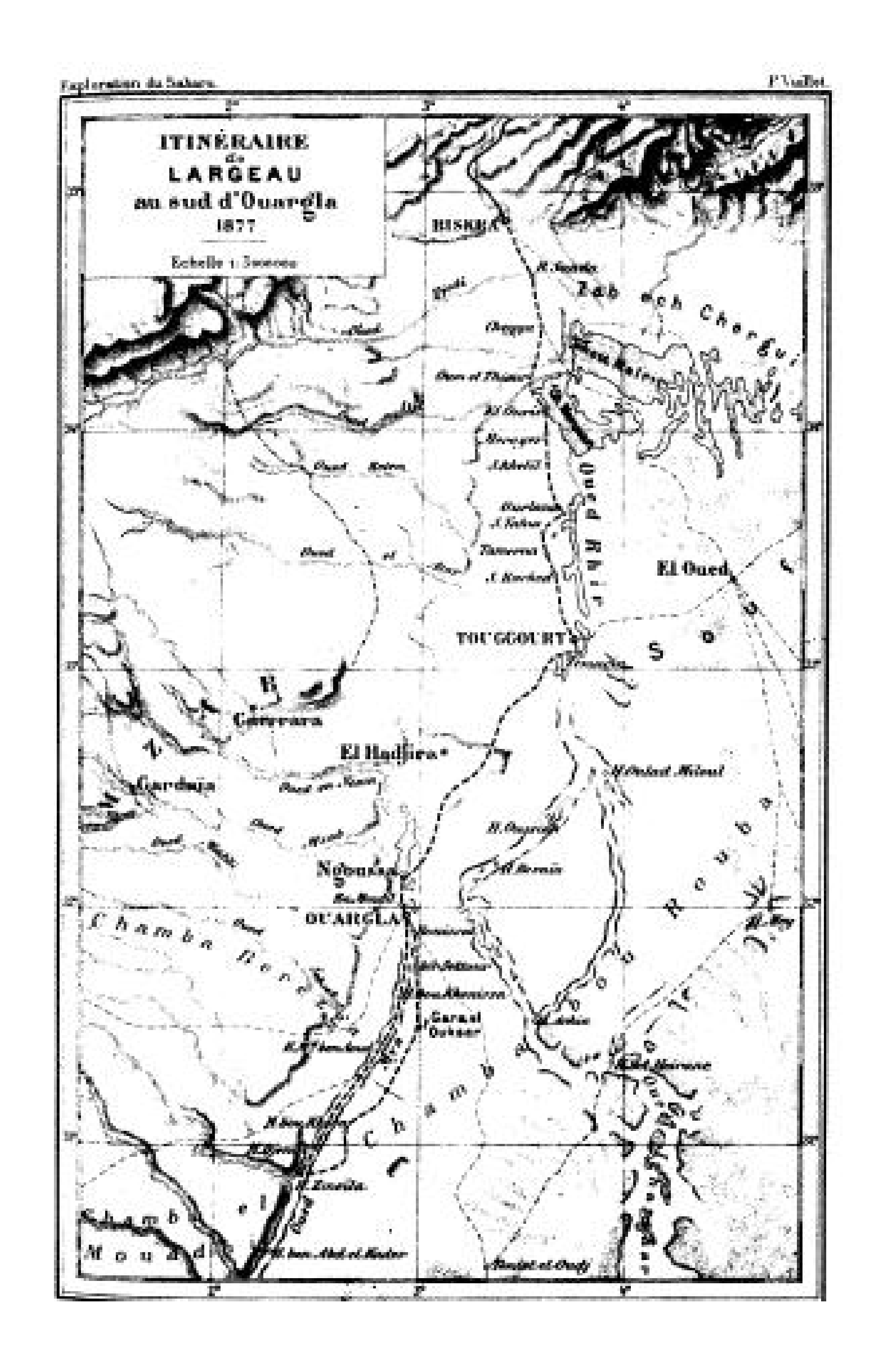
الى الاخ سي المسعود بن خديجة بعد السلام الوطني ابعث
بن خديجة مسعود اليكم هذه التعليمات يجب ان تعيروها اهتمامكم البالغ وهي
أن تأمروا المجاهدين وكافة المواطنين بان يقوموا بمظاهرات يوم ٢٧/٢/٦٢
١٩٦٢ عند الساعة ٨ صباحا ليعبروا فيها عن ان الحكومة
المؤقتة للجمهورية الجزائرية هي الممثل الوحيد للشعب
الجزائري ويهتفوا بان الصحراء جزائرية ويرفعوا العلم الجزائري
ان هذا الوقت هو الوقت المناسب والكيفية تكون كمايلي تجمع الشبان
[illegible] مسيرتهم بان يقوموا بالمبادرة ويأتي من وراءهم كافة المواطنين
ابتداء [illegible] الان الامة كلها تنتظر مبادراتكم بتضحياتكم ترفعون
رأس [illegible] عاليا وتزيلون عنها غبار جميع الشكوك وتفضحون
المناورات الاستعمارية وتزحزحون اركانهم . التنفيذ واجب
واكيد والسلام الملازم الثاني محمد

جيش وجبهة التحرير الوطني الجزائري
A.L.N
WILAYA
REG. [illegible]

الخـرائـط

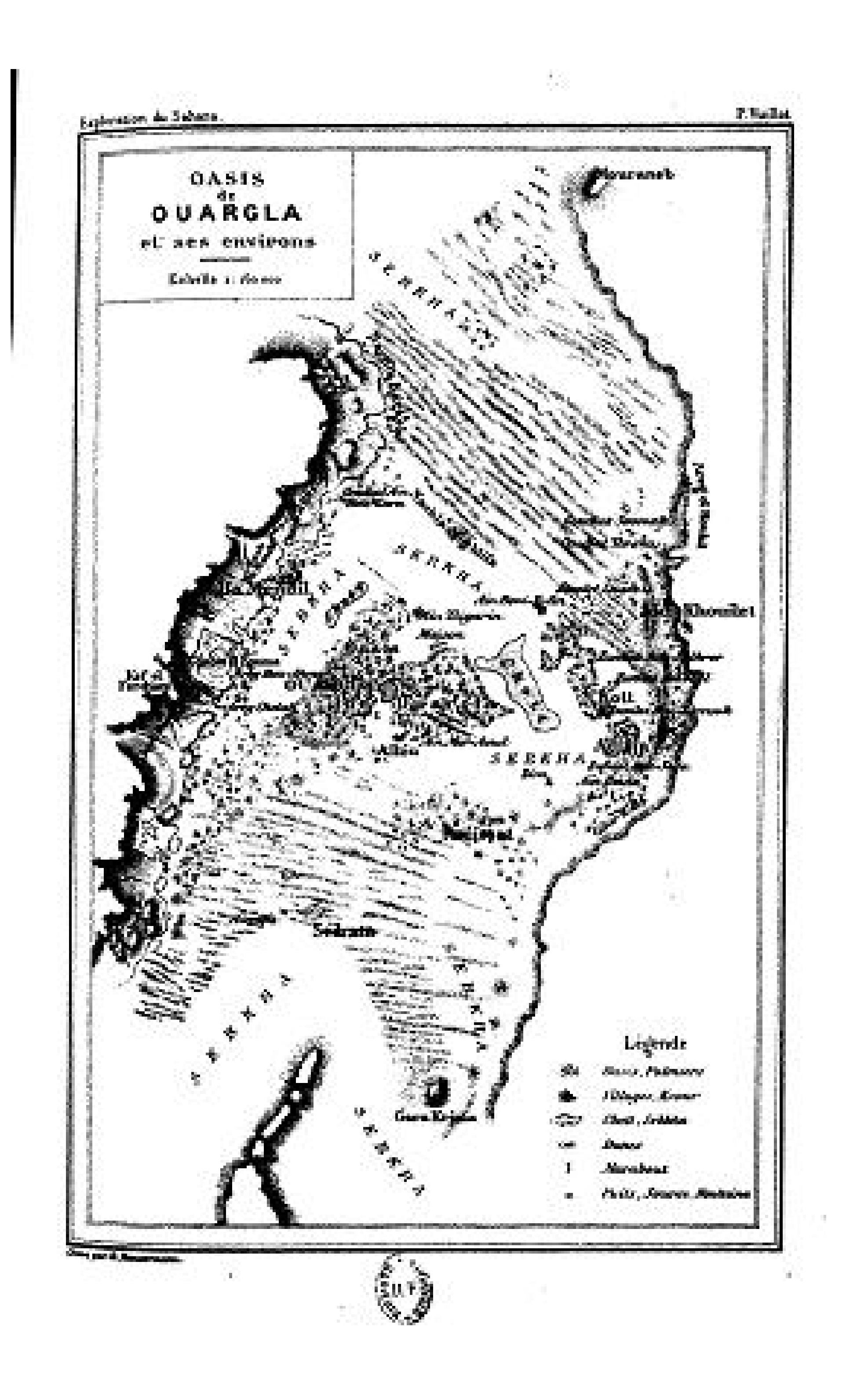
الملحق رقم (23): مسار رحلة لارجو V.Largeau إلى جنوب ورقلة سنة 1877م.

المصدر: Vuilot (P) , L'Exploration du Sahara ,Op.Cit, p144



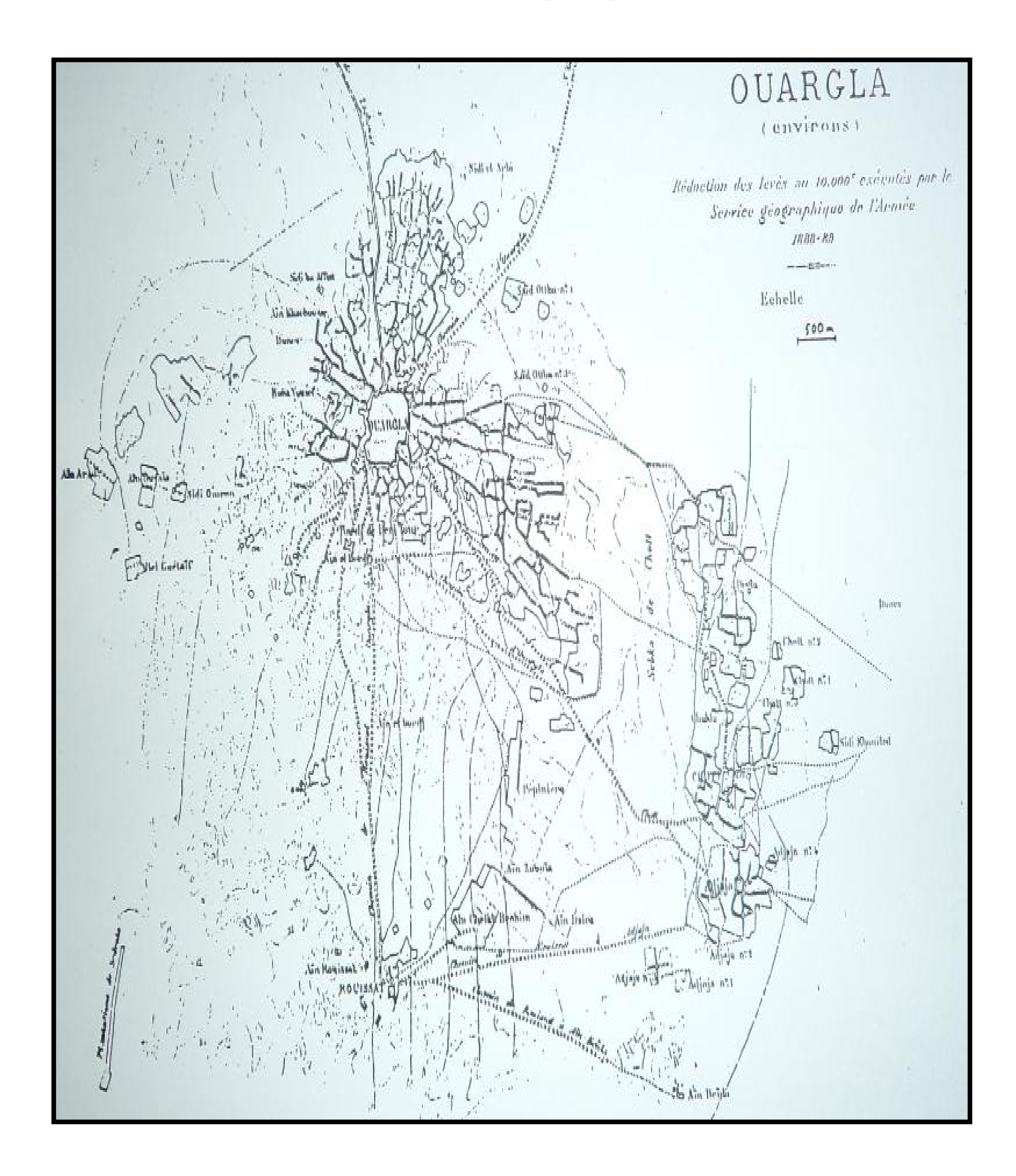
الملحق رقم (24):واحة ورقلة وضواحيها سنة 1880م..

المصدر: Vuilot (P) , L’Exploration du Sahara ,Op.Cit, p190



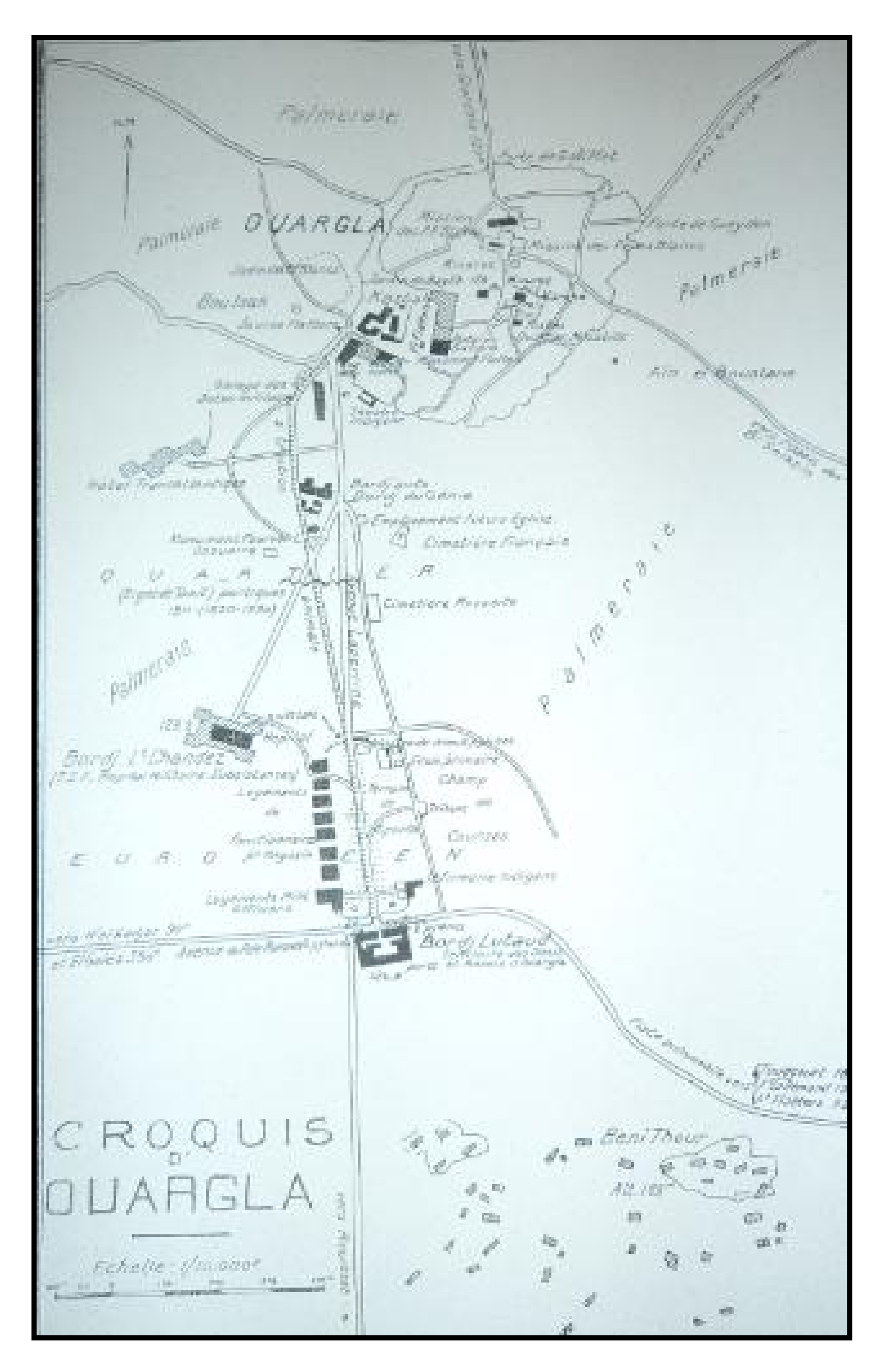
الملحق رقم (25): التوسع السكاني في ورقلة وضواحيها 1888–1889م.

المصدر:M.R.Brigol ,Op.Cit. p 35



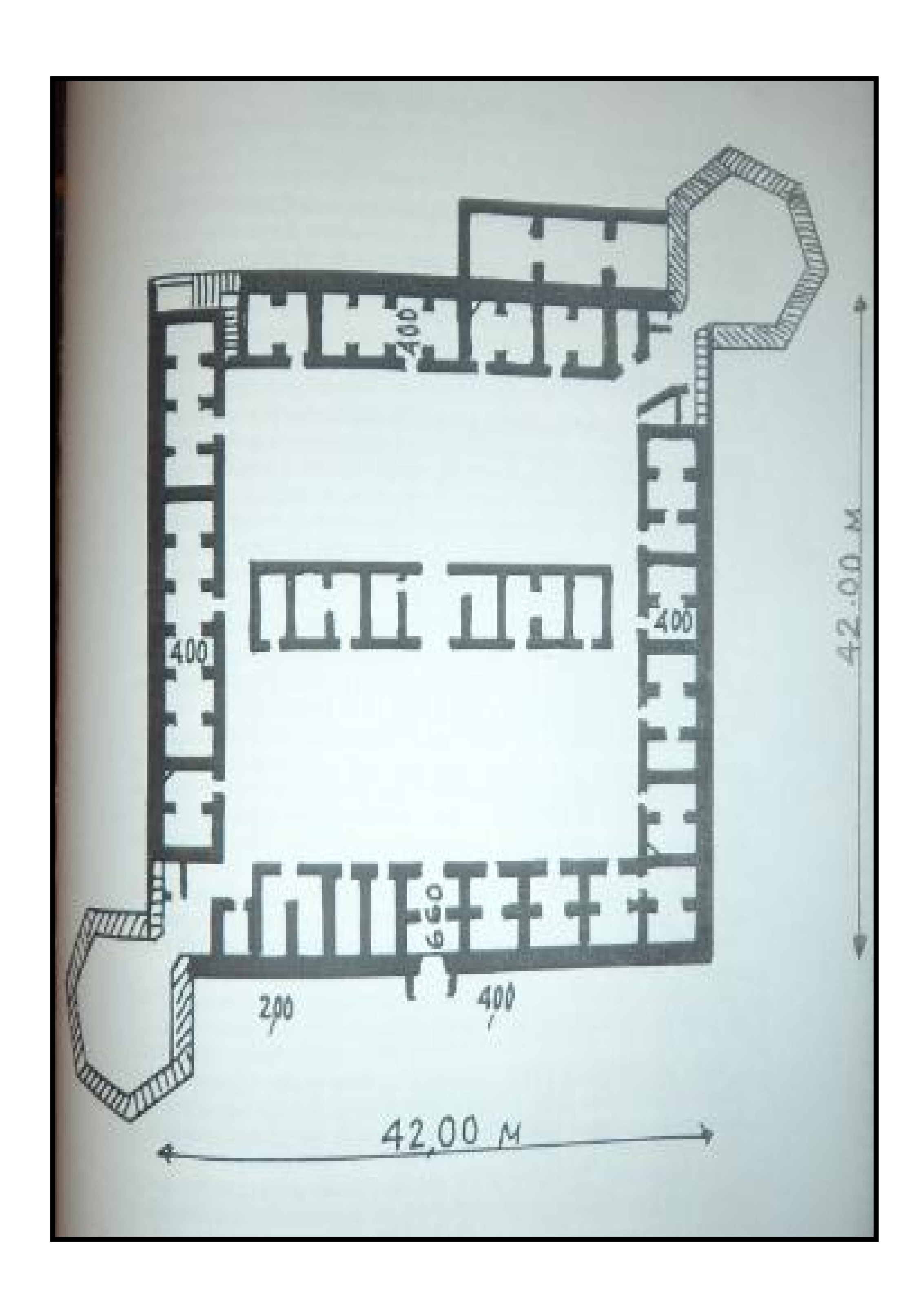
الملحق رقم (26): رسم تخطيطي يوضح بعض البروج العسكرية بورقلة سنة 1931م.

المصدر: R.Delerve ,Op.Cit. p 34



الملحق رقم (27): مخطط لبرج بوليناك

المصدر:R.Delerve ,Op.Cit. p 182




الصــور

الملحق رقم (28): صورة للعقيد ألفريد لوشاتلي أول حاكم عسكري ورقلة 1882م.

المصدر: Flatters, Op.Cit,p281



الملحق رقم (29): صورة للعقيد كاربيلاتCarbillet حاكم ورقلة (1927– 1940)

المصدر:J.C.Humbert , L'œuvre…,Op.Cit,p49

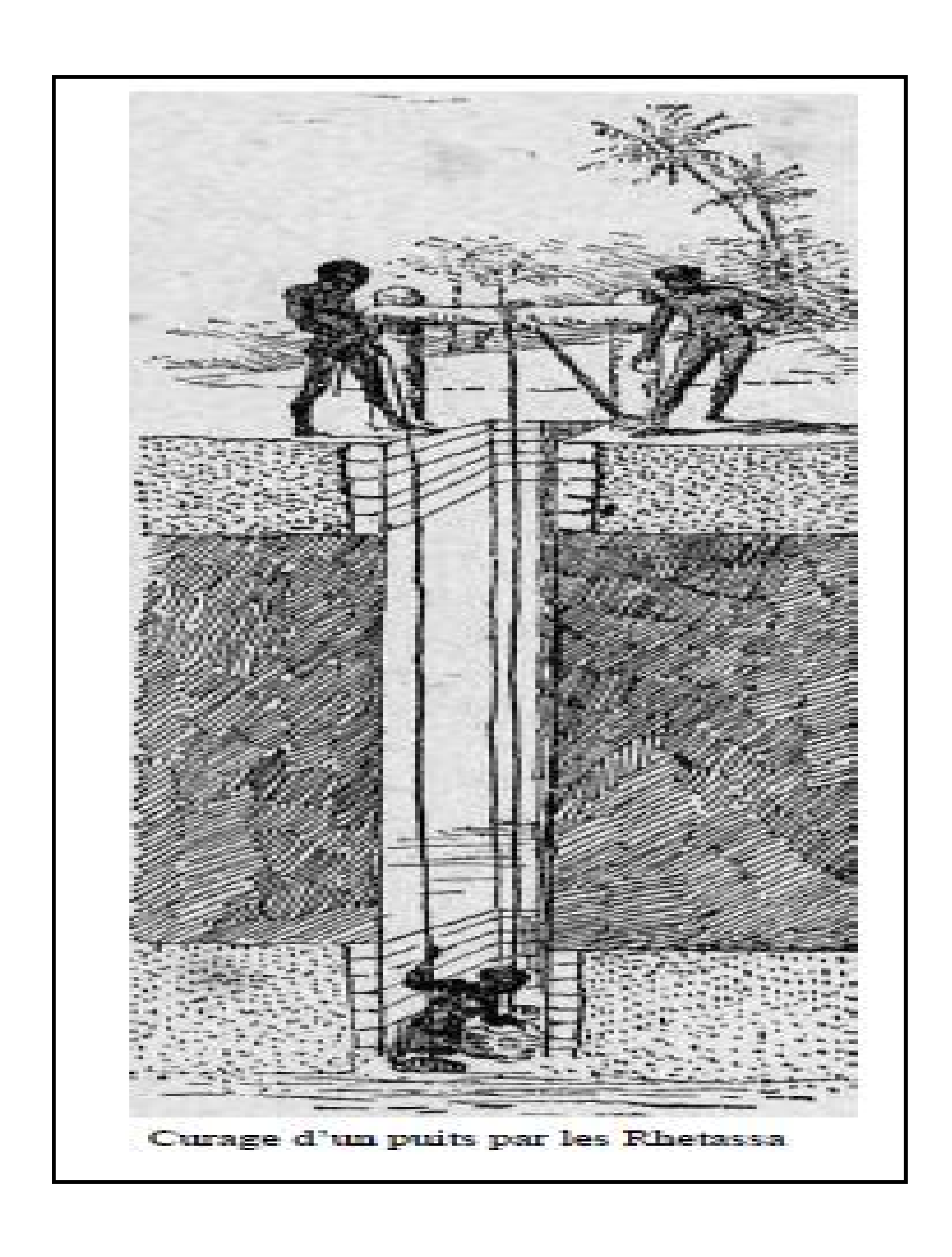


الملحق رقم (30): صورة للعقيد لابرين Laperrine حاكم ورقلة ما بين 1901– 1910م



الملحق رقم (31): صورة نموذجية لرجال الغطاسة بورقلة لاستخراج المياه الجوفية

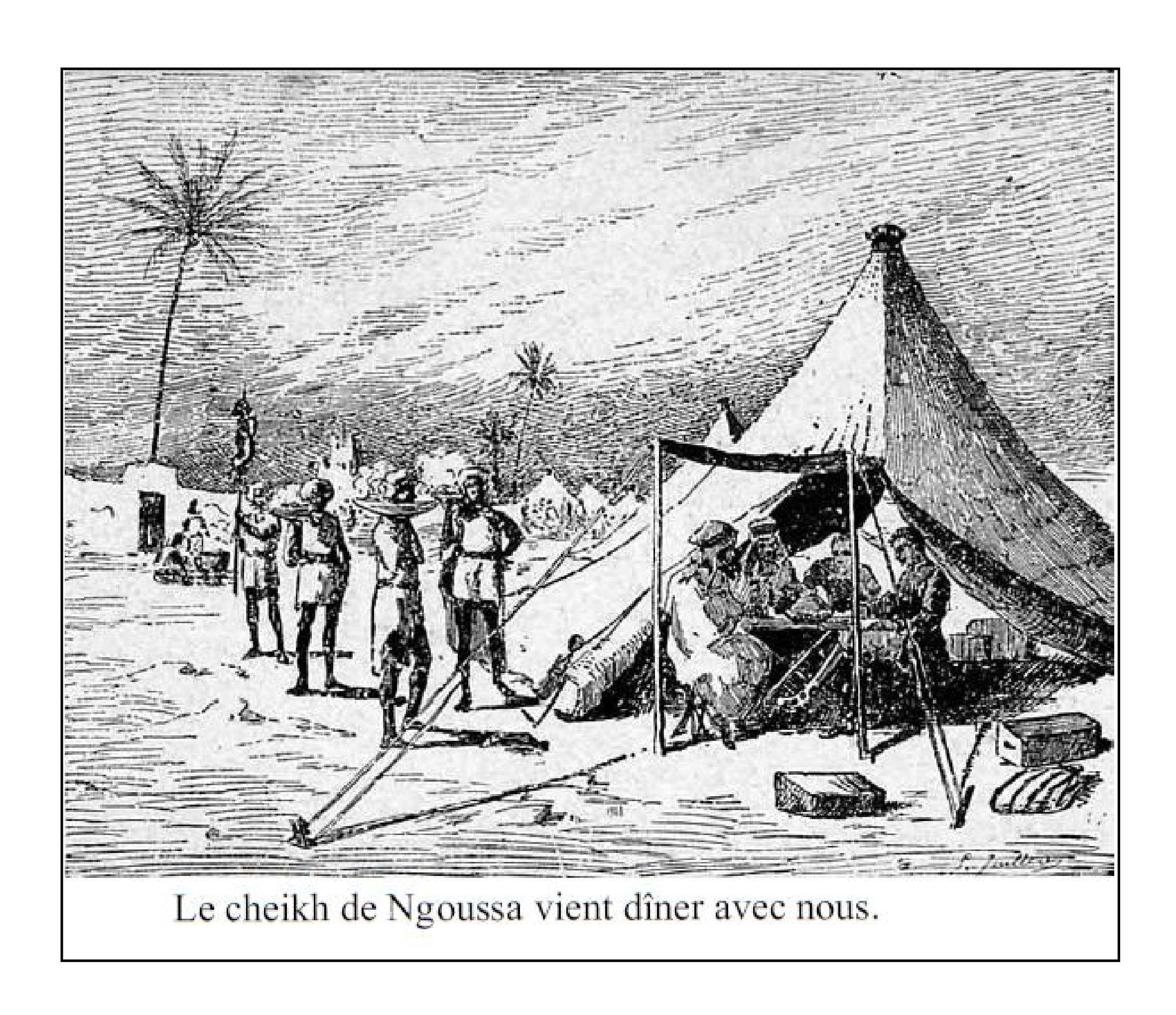
المصدر: Flatters, Op.Cit,p45



Curage d'un puits par les Rhetassa

الملحق رقم (32): صورة لشيخ نقوسة بورقلة رفقة بعثة فلاترس.

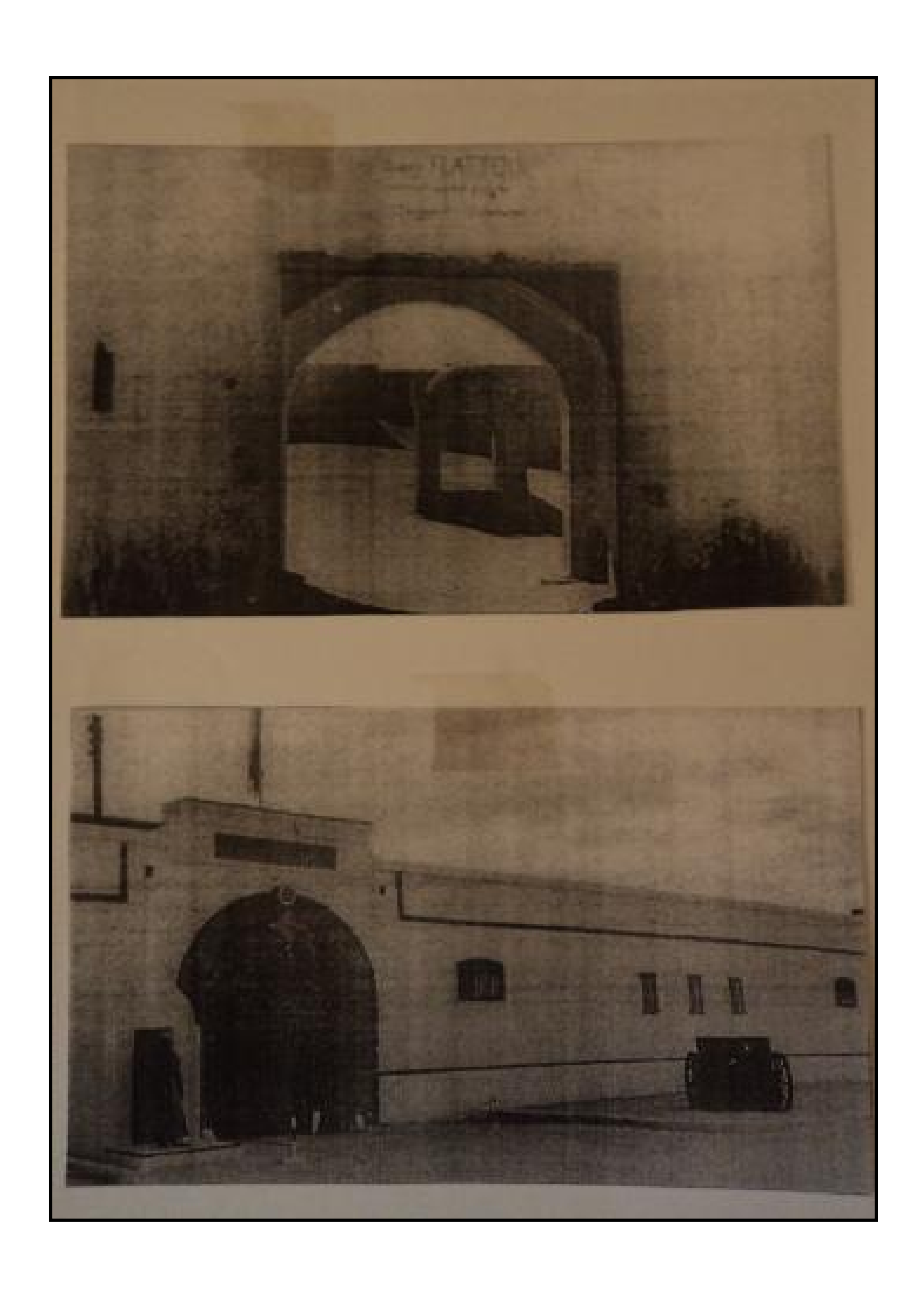
المصدر: Flatters, Op.Cit,p38



Le cheikh de Ngoussa vient dîner avec nous.

الملحق رقم (33): صورتين لبرجي فلاترس وشانديز

المصدر: J.C.Humbert , L'œuvre…,Op.Cit,pp61,102



الملحق رقم (34): صورتين لبرجي بوليناك ولوطو

المصدر: J.C.Humbert , L'œuvre…,Op.Cit,pp58,108



الملحق رقم (35): صورة لفرحة الاستقلال بورقلة.

المصدر: متحف المجاهد بتقرت



قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

أولاً/الأرشيف:

1- Archives d'Outre Mer (Aix-En Provence)

- Boit n° F80-501: Rapport du mois Septembre 1853.Cercle de Biskra.
- Boit n° F80/903: Budget 1868
- Boit n° F80-1762 : Note du général Martimrey sur l'usure. juillet 1860
- Boit n° F88-493 : Rapport du 1 au 15 mai 1845
- Boit n° 1H11: Rapport et situation politique en Algérie, Division d'Alger
- Boit n° 8H3: Historique des tribus du cercle de Constantine 1854

- **Boit n° 8H6** :

- رسالة من قائد مقاطعة باتنة إلى حاكم عمالة قسنطينة بخصوص شكوى تقدم بها سي سليمان بن رابح قايد بني سيسين بورقلة ضد علي باي 1865.
- شكوى من قبيلة سعيد عتبة ضد سياسة علي باي سنة 1867م.
- رسالة من الحاكم العام إلى حاكم عمالة قسنطينة بخصوص عزل سي احمد بن بقار كشيخ على قبيلة سعيد عتبة سنة 1867م.
- رسالة من الحاكم العام إلى حاكم عمالة قسنطينة تتعلق بتغير مؤقت لخليفة ورقلة سنة 1867م.
- رسالة من نعمان بن دباخ إلى الجنرال بارفوا حاكم عمالة قسنطينة يطلب فيها تعينه حاكما على ورقلة وعروشها 1867.
- رسالة من محمد بن الحاج بن ادريس إلى كافة أعراش ورقلة سنة 1874م.

- Boit n° 8H24:

- قرار من الوالي العام بالجزائر بتعين السيد قدور بن عبد القادر قائدا على عرش المخادمة1942.

-Boit n° 10H17:

- Notices sur Batna,par le capitaine de Neveu,17/12/1847
- Historique des tribus du cercle de Batna de l'année 1854 et 1855.

- **Boit n°10H18** : Renseignements statistiques sur Ouargla
- **Boit n° 10H28** :Etude Géologique et Hydrologique sur la Région Comprise entre Touggourt et Ouargla 1898.
- **Boit n° 10H86** : Renseignements sur Ouargla 1865.
- **Boit n°11H37** : rapport à l'empereur, le 10/10/1868
- **Boit n°21H355** : Pistes de Ouargla 1914-1916.
- **Boit n° OA4** : Rapport mensuel , , les territoires du sud 1957
- **Boit n° OA19** : Rapport mensuel sur la situation des territoires Militaire de Touggourt ,mois de septembre 1952
- **Boit n° 10KK32**:
- Rapport du 27 janvier 1855.
- Personnel des commandements indigènes

2- Archives du Ministère de Guerre (Château de Vincennes)

- **Boit n° H 214** : Colonne expéditionnaire du Sud, Registre journal des Opérations, commence le 17 février 1852, Le Général de Brigarde Ladmirault.
- **Boit n° H 226**
- **Boit n° H 227** : Rapport sur la situation social dans le sud Algérienne.

3- Archives Nationales Algérienne :

- **Boit n° 30** :
- G.P.R.A , Perspectives de l'Activité Pétrolière en 1961.
- G.P.R.A , Pipe-line Haoud EL-Hamra-Boujie.
- G.P.R.A , Etude Concernant le Sahara.
- G.P.R.A , Le Code Pétrolier.
- **Boit n° 51** : contribution direct imports , Impôts Arabe (1906-1945) mémoire du conseille du G.Gé .d'Alger

4- Archives Nationales de Tunisie :

- **Boit n° 88** :
-Rapport mensuel sur la situation Economique et Politique des territoires du sud pendant le mois de mars 1942
- **Boit n° 212**:
-Document 239,N°5

- Document 239,N°11
- Boit n°219:
- Document 237,N°11
- Document 237,N°4
- Boit n°278 :
- Document73, N° 5
- Document 73, N°14
- Document 73; N°15
- Document 73; N°26
- Document 73, N°35
- Document 73 N°42
- Document 73, N°96
- Sérier E :
- Boit n°35:
- dossier 28,doc n°19,(30/12/1942)
- dossier28,(19/04/1949)
- dossier28,doc n°(106.107.108)
-dossier 49 :Rapport mensuel du sud Algérien , mois de Décembre1932
-dossier 63 :Rapport mensuel du sud Algérien , mois de juin1929
- dossier 80 : Rapport mensuel sur la situation Economique et Politique des territoires du sud pendant le mois de avril 1938
- Sérier historial :
- Boit n° 63, dossier758

5– Centre de Documentation et d'Archives de la Wilaya d'Ouargla

- Boit n°21 :
- Bulletin mensuel du sahara1941-1942.
- Rapport mensuel sur la situation des territoires du sud 1942.
- Boit n°22 :
- Liste nominative des habitants de la commune d'Ouargla 1949.
- Rapport mensuel, les territoires du sud 1948

- Boit n°62 :

- Bulletin officiel de l'Organisation de Coopération dans des Régions Sahariennes, N°11.
- Bulletin officiel de l'Organisation de Coopération dans des Régions Sahariennes1958, N°2.
- Voyage au Sahara de M. le Ministre délégué de M. le premier Ministre du 3 Février 1959.

- Boit n°65 :

- Programme de le visite Ministérielle 7-9 Novembre 1960.

- Boit n° 134 :

- Arrondissement d'Ouargla ;résultats définitifs du referendum 1958.
- Conditions d'ouverture du feu aérien en Zones interdites, arrêté N° 13 du 7 Octobre 1958
- Comite de salut public de Laghouat et Ouargla 1958
- Décision relative à la constitution de la commission administrative d'arrondissement pour la préparation du référendum.
- Etat numérique par commune des électeurs et électrices inscrite dans le département des oasis au 15 septembre 1958.
- Mouvement de grève ,8 février 1957
- Mouvement de grève ,24 Janvier 1957
- Mouvement de grève , 30 Janvier 1957
- Orientation de L'activité opérationnelle des Unités à partir du 1er Juillet 1957.
- Préparation du Référendum, 4aout 1958.
- Protection des points sensibles ,1957
- Recensement Général des Votes, Referendum 1958.

- Boit n°176 :

Circulation des personnes et véhicules.

- Boit n°294 :

Tribunal permanent des forces armées de la zone Nord-Algéroise, Ordonnance de Renvoi.

- Boit n°298 :

- Conseil général des oasis, procès verbal de la session extraordinaire 1961.
- Conseil général des oasis, procès verbal de la session extraordinaire du 23 mai 1960.

- Boit n°320 :
- lettre adressée par M kermabon à notables des chambaa de Ouargla 1881.
- Ou sujet de la assassinat du père Richard, N°14
– Boit n°410 :
- Rapport mensuel , Températures
- Rapport mensuel , Tournées Administratives.
- Rapport mensuel , Tournées Médicales
- Rapport mensuel , Impôts.
- Rapport mensuel , Dossiers de P.J. transmis au procureur de Batna
- Rapport mensuel , Etat des musulmans détenus à la geôle municipale
- Rapport mensuel, les territoires du sud 1949
- Rapport mensuel sur la situation des territoires Militaire des oasis ,période du 5juin au 5 juillet 1949.
- Boit n°574 :
- Rapport sur la politique du crédit de la Caisse Saharienne de Solidarité 1959.
- (Boit sans numéro) :
- Décision 1958-1959, Code Officiel Géographique des Commune du Sahara.

ثانيا/ المصـــادر:

أ- باللغة العـــربية :

1- ابن حوقل أبو القاسم ،**صورة الأرض**، لبنان،مكتبة دار الحياة، 1992.

2- ا بن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، لبنان، دار الكتب العلمية،ج1 ،،ط1،(د،ت).

3- ابن سعيد المغربي أبو الحسن علي بن موسى ،**كتاب الجغرافيا**، تح :إسماعيل العربي،الجزائر، د.م.ج،ط2، 1982،

4- ابن عبد الحليم ، **كتاب الأنساب**، تح : محمد يعلي، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية،(د،ط،).

5- ابن عذارى المراكشي،**البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**،تح:كولان، ليفي بروفنسال، دار الثقافة، لبنان،ج1، 1980.

6- أبو زكرياء يحي بن بكر،**سير الأيمة وأخبارهم**،تح: إسماعيل العربي،الجزائر،ش.و.ن.ت،1979.

7- أعزام الحاج إبراهيم بن صالح ، **غصن البان في تاريخ وارجلان**، مخطوط، د.ت.

8- الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله،**نزهة المشتـــاق في اختراق الآفاق**، تح :ربينا تشي و آخرون،مصر ،مكتبة الثقافة الدينية ،مج1،1994.

9- البكري أبو عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري،**المسالك و الممالك**،تح: جمال طلبه،لبنان، دار الكتب العلمية،ط1، 2003.

10- البلاذري،**البلدان فتوحها وأحكامها**،تح:سهيل زكار، لبنان،دار الفكر ،ط1، 1992.

11- الثميني عبد العزيز بن إبراهيم، **التكميل لبعض ما أخل به كتاب النيل**، نشر: محمد بن صالح الثميني، تونس،مطبعة العرب،1944.

12- الحموي ياقوت الحموي،**معجم البلدان**،تح: فريد عبد العزيز الجندي،لبنان،دار الكتب العلمية،ج5،ط1،1990.

13- الحميري محمد عبد المنعم، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح : إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، 1984.

14- الدرجيني أبو العباس أحمد،**طبقات مشائخ المغرب**،تح :إبراهيم طلاي،الجزائر، مطبعة البعث(قسنطينة)، (د،ط)، 1985.

15- الزركشي محمد بن إبراهيم اللؤلؤي،**تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية** ،تح: الحسين اليعقوبي،تونس، المكتبة العتيقة،

16- الشماخي أحمد بن سعيد بن عبد الواحد، **كتاب السير**، تح: أحمد بن سعود ، عمان ،وزارة التراث القومي والثقافة،ج2، ط2، 1992.

17- العوامر إبراهيم محمد الساسي، **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**،تع: الجيلالي بن ابراهيم العوامر، الجزائر،منشورات ثالة ،2007.

18- العياشي أبو سليم عبد الله بن محمد بن أبي بكر،**ماء الموائد**،فاس،المطبعة الحجرية،ج1، 1898.

19- الفرسطائي أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر،**القسمة وأصول الأرضين**،تح : محمد صالح ناصر، بكير بن محمد الشيخ بلحاج، عمان،مكتبة الضاري، ط1، 1992.

20- مؤلف مجهول،**كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار**، تح: سعد زغلول، المغرب الأقصى،دار النشر المغربية،1952.
21- الوزان الحسن بن محمد،**وصف إفريقيا**، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت ،دار الغرب الإسلامي ،ط2،1983.
22- الوسياني أبو الربيع،**سير مشائخ المغرب**،تح:إسماعيل العربي، الجزائر،د.م.ج، مج3،1984.

ب- باللغة الأجنبية:

I- les Ouvrages :

1- Augustin Bernard et N.Lacroix , **La Pénétration saharienne (1830-1906)**,Impr. Algérien,1906.
2- Auguste Choisy, **Le Sahara. Souvenir d'une mission à Goléa**. paris.1881.
3-Bajolle (le Capitaine), Le Sahara d'Ouargla ,de Oued Mia, à l'Oued Igharghar, Alger,1887.
4-Berbrugger (A) , **Projet D'exploration des Oasis Algérienne , par Gabès Souf , Ouargla ,Touat, et Retour par Metlil et les Oued Mzab** ,Alger , s.d
5- Cabanis (F),**Grand chemin de fer d'Afrique**, paris ,1853.
6- Cosson (E) , **Considération Général sur le Sahara Algérien et ses Cultures** , Paris , 1859.
7- Couvet (Commandant), **Notes sur le Souf et Les Souafa** , B.S.G.A, 1934.
8- Daumas (E), Le **Sahara Algérien**, paris, 1845.
9- Dubief (J) **, le Climat du Sahara**, Alger, T1,1959.
10- Debré (Dournoux), **Voyage au Sahara** (E.B.S.G - aout 1874), impr: de E.martine, paris, 1874.
11- Edmond (Sergent), **le Peuplement Humain du Sahara** ,Institut Pasteur d'Alger, Alger,T31 ,1953.
12- Estoublon (R) et Lefebure (A), **Code de L'Algérie annoté**, Alger ,Adolphe Jordan,1907,1902.
13- Flatters (L.Colonel) , **Les deux Mission du Colonel Flatters**, paris,1884.

14-German(J) et Faye(S), **Le Général Laperrine; Grand Saharien**, Librairie Plon, paris,1922
15- Gouvernement Général de L'Algérie, Commissariat Général du Centenaire, **Les Territoire du Sud de L'Algérie** ,p1,Alger, imp. Algérienne,1929.
16- Gouverneur général de l'Algérie, Direction du Territoire du sud, **Historique des Compagnies Méharistes 1902-1952**, Alger, impr.Officielle,1955.
17-Largeau (V), **Le Pays de Rirha,Ouargla,Voyage à Rhadamès**, Hachette,paris,1879.
18- (-------------) ,**le Sahara Algérienne , les déserts de lèrg**,2ém édition,paris,1881.
19- Le Ministre D'état Chargé du Sahara, Annuaire des Représentants Elus des Populations des Départements des Oasis et de la Saoura. Paris, s.d
20- Paul (Azzan) ,**Conquête et pacification de l'Algérie** , paris, libre de France, s.d.
21- Paul (Solelliet) , **Voyage de paul soleillet d'Alger à l'oasis d'in- salah**, Alger,1875
22- Passager (P), **Ouargla (Sahara Constantinois)**,Institut pasteur d'Algérie,1957.
23- Rapport :**Comment Bou Choucha Raconta un jour son histoire**
24- Rinn (L) , **Histoire De L insurrection De 1871 en Algérie** ,Alger, 1891
25- (--------------), **Marabouts et Khouans**, étude sur l'Islam en Algérie, Alger, 1884
26- Rolland (G), **Rapport: états statistiques des oasis du Sahara Algérien** , Imprimerie Nationale, Paris,1895.
27- Rouède (M), **Rapport sur la situation de l'enseignement primaire dans le département de Constantine**, imprimeur-Libraire-Editeur, Constantine, 1922.
28- S.E.L.I.S, Etude Générale d'aménagement de Ouargla ,Rapport préliminaire, paris,1960.
29- Steeg (M) ,**Rapport d'ensemble, Situation Générale des Territoires du sud pendant 1903-1921.**

30- Trumelet (colonel C) , **Les Français dans le Désert** , Daizieme Edition , Paris , 1885.
31- Valet René , **Le Sahara Algérien** , étude de l'Organisation Administrative, financière et judiciaire des territoires du sud, imprimerie la Typo-Litho, Alger, 1927.
32- Van Berchem (M), **Sedrata et les Anciennes Villes Berberes du Sahara dans les Recits des Explorateurs de XIX Siècle** , paris, 1960.
33- Vuilot (P) , **L'exploration du Sahara (Etude Historique et Géographique)** , libraire coloniale, paris, 1895, p64.
34- weisêrber (H), **Rapport sur Faite Anthrpologique.Observés pendant la mission.**

II- Publications Officielles :

- J.O.A ,du 12mars1957,(Arrêté du 28 Février 1957),Réglementant la Circulation dans la commune d'EL Oued, Touggourt et Ouargla).
- J.O.R.F, du 11 Janvier 1957
- J.O.R.F. du 14 Juin 1957 ,
- J.O.R.F, séance de 28 novembre 1957.(Annexe N° 58).
- J.O.R.F, du 23 Septembre 1958.
- J.O.R.F, du 12 Janvier 1960,(Décret n° 57-903. du 31 décembre 1959).
- J.O.R.F, du 28 mai 1961,(Loi de programme N° 61-515 du 27mai 1961).

ثانيا/ المـــراجع:

أ- باللغة العـــربية:

1- أحمد موسى عز الدين ،**النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي** ،دار الشروق ،ط1983،1.

2- بالحاج عبد الرحمان، **الدر المكنوز في حياة سيدي علي بن عمر و بن عزوز** ، مطبعة النجاح ، قسنطينة،1950.

3- بزيان سعدي، **جرائم فرنسا في الجزائر**، الجزائر،دار هومة،2002.

4- بروفنسال ليفي، **الإسلام في المغرب والأندلس**، تر: محمود عبد العزيز سالم، محمد صلاح الدين صلحي،القاهرة، مؤسسة شباب الجامعة ،1990.

5- بن معمر محمد،**علاقة السنوسية بثورة الشريف محمد بن عبد الله**،مدونة اشغال ملتقى مقاومة الشريف محمد بن عبد الله بورقلة، 25-27 فبراير 1998.

6- بن عمر الحاج موسى، **بترول الصحراء بين حسابات الثروة في فرنسا ورهانات الثورة في الجزائر**، الجزائر، وزارة الثقافة،2008.

7- بن عمر الحاج موسى،**السياسة النفطية في الجزائر1952-1962**،جمعية التراث،ط1، غرداية، 2004.

8- بوحوش عمار،**التاريخ_السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**،بيروت،دار الغرب الإسلامي ،ط1 ،1997.

9- بورنان قويدر بن احمد، **كراسة مخطوطة حول تاريخ تقرت**،1982.

10- بوشامة ليديا،**وحدة جغرافية الجزائر والمغرب العربي**،مطبوعة لمجموعة المحاضرات الواردة في مقرر مقياس جغرافية الجزائر والمغرب العربي.

11- بوعزيز،**ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**،منشورات المتحف الوطني للمجاهد،ج1.

12- الجابري محمد صالح ،**النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس**، الدار العربية للكتاب،1983.

13- جوليان شارل أندري،**تاريخ إفريقيا الشمالية**، تعر: محمد مزالي،الجزائر،ش.و.ن.ت، تونس، الدار التونسية للنشر،ج1978،2.

14- حباسي شاوش، **الحركة التبشيرية في الجزائر**، الجزائر،

15- الحاج سعيد يوسف بن بكير، **تاريخ بني ميزاب (دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية)**، غرداية ، المطبعة العربية،1992.

16- حشية عمار،(أمين سر بالقيادة في الولاية السادسة)،**في الأطلس الصحراوي**،الجزائر،دار إفريقيا للنشر،2001.

17- الحفناوي أبو القاسم ،**تعـريف الخـلف بـرجـال السـلف**،المـؤسسـة الوطنية للفنون المطبعية،ج2، 1991.

18- حكوم سليمان ،**وادي مية والقصور السبعة** ،(مخطوط).

19- حكوم سليمان،حياة المجاهد بن مالك محمد الحسان،(مخطوط)، ورقلة،2001.

20- خضير نايف هاشم ،**المدينة الإسلامية وخصائصها** (بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول)،المملكة العربية السعودية،مج1984،3.

21- خوجة حمدان بن عثمان،**المـرآة** ،تر: محمد العربي الزبيري، الجزائر،ش.و.ن.ت،1975.

22- خير الدين محمد ، **مذكرات**، الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتاب، ج1، (د.ت)

23- درواز الهادي،**الولاية السادسة التاريخية تنظيم ووقائع 1954- 1962**،الجزائر، دار هومة، 2002.

24- الدليل الإحصائي ، **عروش ودواوير جماعات الجزائر** ،1900.

25- دوني بيلي،**معالم لتاريخ ورقلة 1872-1992**، تر: علي ايدر،ط2، 1995.

26- الزبيري محمد العربي،**مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي**، الجزائر،ش.و.ن.ت،1972.

27- زغلول عبد الحميد، **تاريخ المغرب العربي**،مصر، دار المعارف،ج 4.

28- زوزو عبد الحميد ،**محطات في تاريخ الجزائر(دراسات في الحركة الوطنية والثورة التحريرية على ضوء وثائق جديدة**)،الجزائر، دار هومة،2004.

29- زوزو عبد الحميد ،**الهجرة و دورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين (1919 -1939**)، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1985،2.

30- سعد الله أبو القاسم،**الحركة الوطنية الجزائرية 1830- 1900م**،بيروت،دار الغرب الإسلامي،ط1،ج1992،1.

31- (ـــــــــــــ)،**أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**،بيروت،دار الغرب الإسلامي،ج2،ط3، 2005.

32- (ـــــــــــــ)، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ج5، 2005.
33- (ــــــــــــــ)، **تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954** ،بيروت،دار الغرب الإسلامي، ج6،1998.
34- شافو رضوان، **بحوث ودراسات في تاريخ وادي ريغ**، باتنة ، دار قانة للطبع والتجليد،2008.
35- العربي إسماعيل ، **الصحراء الكبرى وشواطئها**، الجزائر،م.و.ك،1983.
36- العدواني محمد الطاهر،**الجزائر منذ نشأة الحضارة**، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب،1984.
37- علي يحي معمر، **الإباضية في الجزائر** ، الجزائر ،المطبعة العربية(غرداية)، 1986.
38- عميراوي احميدة وآخرون، **آثار السياسة الاستعمارية والاستيطانية في المجتمع الجزائري (1830-1954)**، منشورات م.و.د.ب.ح.ث.ا 1954، الجزائر،2007.
39- عوادي عمار،كشو محمد،**مذكرات الحاج احفوظة**،الوادي، مطبعة مزوار،2008.
40- غيرستير جورج ، **الصحراء الكبرى**، تر: خيري حماد،لبنان، منشورات المكتب التجاري، ط1، 1961.
41- الفاسي حرازم ،**جواهر المعاني و بلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني**،ج 1 ، دار الجيل، بيروت،1988.
42- فخار حمو بن عمر، **ابراهيم بن بابا بوعروة:حياته وآثاره**، إعداد وتقديم : مصطفى باجو،غرداية، منشورات جمعية التراث،2003.
43- قليل عمار ، **ملحمة الجزائر الجديدة** ، الجزائر،ج2، 1993.
44- قنان جمال،**قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**،الجزائر،منشورات المتحف الوطني للمجاهد،1994.

45- لومبارد موريس،**الإسلام في مجده الأول**، تح: إسماعيل العربي، الجزائر،م.و.ك، ط1975،1.

46- مالتسان،**ثلاث سنوات في غرب شمال إفريقيا**،الجزائر،ش.و.ن.ت،ج3 ،1980

47- المالكي ابن الصغير ،**تاريخ ابن الصغير**، لبنان،دار الغرب الإسلامي،1987.

48- المتحف الوطني للمجاهد ، **الشهيد محمد العربي بن مهيدي**، الجزائر، دار هومة،2002.

49- محمود إسماعيل عبد الرازق،**الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**، المغرب الأقصى ،دار الثقافة، ط1985،2.

50- المدني أحمد توفيق ،**كتاب الجزائر**، القاهرة، دار المعارف، ط1962،2.

51- مزهودي مسعود، **الإباضية في المغرب الأوسط** ،الجزائر،جمعية التراث(غرداية)،1996.

52- مصطفى أبو ضيف أحمد عمر،**القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين**، الجزائر،د.م.ج، 1982.

53- مياسي إبراهيم،**الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837- 1934م** ،الجزائر، دار هومة،2005.

54- الميلي مبارك بن محمد،**تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، لجزائر، ش.و.ن.ت،1976.

55- الميلي محمد،**المغرب العربي بين حسابات الدول ومصالح الشعوب**،بيروت،دار الثورة للنشر،1983.

56- نجاح عبد الحميد،**منطقة ورقلة وتقرت وضواحيهما من مقاومة الاحتلال إلى الاستقلال**،الوادي،منشورات جمعية الوفاء للشهيد تقرت،الآمال للطباعة،2003.

57- النوري عيسى، **دور الميزابيين في تاريخ الجزائر** ،باريس، ج1984،1.

58- هلال عمار،**الهجرة الجزائرية نحو بلا الشام (1847- 1918)**،الجزائر، دار هومة،2007.

ب- باللغة الأجنبية:

1- Aumassip (G), **Néolithique sans Poterie de la Région de L'Oued Mya (Bas-Sahara),**Alger,1973
2- Azzan (P),**Conquête et Pacification de L'Algérie**, paris.
3- Ben Youcef Ben Khadda, **Les Accords d'Evian**, Alger,O.P.U,1991.
4- Benjamin Stora , **Messali Hadj (1898-1974),** L'Harmattan, Paris, 1986.
5- Brigol (M.R). ,**Le Pays de Ouargla**, Publication du Département Géographie de l'Université de Paris-Sorbonne, Paris,1975.
6- Camps (G), **Les civilisation préhistoriques de l'Afrique du nord et du sahara** ,éd doin , paris,1974
7-.Delerive (R), **Forts Sahariens des Territoires du Sud**,Centre D'études sur L'histoire du Sahara ,paris,1990
8- Emerit (M) , Une Source pour l'histoire du second empire: « les Souvenirs du Général Desveaux ».
9- Faucon Narcisse, **Le livre d'or de l'Algérie**, paris ,1989
10- Garrot (H), **Histoire Général de l'Algérie** , Alger , 1910
11- Humbert (J.C), **Sahara, les Traces de L'homme ,** éditions Chabaud,1989.
12- (---------------), **L'œuvre du Colonel Carbillet au Sahara 1927-1940**,éditions jacques Gandini, france,1997
13- Le Chatelier (A), **la Sanglante Epopée des Medagant 1860-1885**, éditions Grand-Alger livres.Alger,2007.
14- Lethielliux Jean, **Ouaregla Cité Saharienne**, libraire orientaliste, Paul Geuthner ,Paris,1983.
15- Malek Redha, **L'Algérie à Evian**, Histoire des Négociations Secrétés 1956-1962,Alger,1995
16- Moulleseaux Louis. Piérre Boyer, **Histoire de L'Algérie**, paris,1962.
17- Nadjah Ahmed , **Le Souf des Oasis**, Edition de La maison des Livres, Alger, 1971.
18- Perennes (J.J), **Structures Agraires et Décolonisation Les Oasis de l'Oued Righ (Algérie)**,Alger , O.P.U,1979.

19- Pierre Jean , **Ne Regrette Rien, La Foiguant Histoire des Légionnaires**-parachutistes du 1er R.E.P, paris,1972.
20- PROHUZA, **Les Mekhadma** :(Etude sur l'évolution d'un groupe humain dans le Sahara Moderne).ouvrage publié sous les auspices de l'OCRS,paris,1960.
21-Romey Alain, **Histoire, Mémoire et Sociétés, L'exemple de N'goussa : Oasis berbérophone du Sahara (Ouargla)**, L'Harmattan , Paris,1992.
22- Voisin (A),**Le Souf, Monographie, Manuscrit**, El-Oued,1965

ثالثا/ الصحف والدوريات:

أ- باللغة العــربية :

1- البصائر(جريدة)، ع 167، س4، 26 ماي 1939.
2- بوعزيز يحي ،«كفاح الشريف محمد بن عبد الله »، **مجلة الثقافة** ، ع33 ،س6 ،1976م.
3- تلمساني بن يوسف ،«الحياة الاجتماعية بواحة ورقلة من خلال تقرير فرنسي عام 1842م» ، **حولية المؤرخ** ، منشورات اتحاد المؤرخين الجزائريين، ع2002،1.
4- التليلي محمد الطاهر، « فدلكة تاريخية عن منطقة سوف (بالجزائر) »، تح : أبو القاسم سعد الله ، **مجلة العرب**، 2004.
5- حمادي عبد الله، «جزائر القرن السادس عشر من خلال وثائق بعض الأسرى الأسبان»، **مجلة المصادر**، ، م.و.د.ب.ح.و.ث.ا.ن 1954. ع 6، مارس 2002.
6- سعيدوني ناصر الدين،« ورقلة ومنطقتها في العهد العثماني»، **مجلة الأصالة**، الجزائر، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، ع 41، 1977.
7- شرف الدين احمد رضوان،« التعذيب: قراءة في جريدة المجاهد 1957- 1962م»، **مجلة المصادر**، ع8،ماي2003.
8- شعباني محمد (العقيد)، « مهزلة المهازل»، **صدى الجبال**، ع2، 1961.
9- شنيتي محمد البشير،« التوسع الروماني نحو الجنوب الجزائري وآثاره الاقتصادية والاجتماعية »، **مجلة الأصالة**، وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية، الجزائر، ع 41،1977.
10- صدى الصحراء(جريدة) ، 15 مارس 1926، ع8، س1.

11- صدى الصحراء(جريدة)،23 نوفمبر 1925،ع1، س1.
12- صدى الصحراء(جريدة)،25 جانفي 1925،ع7، س1.
13- صيد عبد الحليم ، «محمد بن عزوز شيخ العلماء و المجاهدين » ، **مجلة الثقافة** ،ع 115، الجزائر،1997.
14- عزي حكيم ،« الفقيد محمد بن إبراهيم الشريف" شيخ الطريقة القادرية بالجزائر وعموم إفريقيا»،**الشروق اليومي**، ع 2273، 12افريل 2008.
15- عقيب محمد السعيد ، « جمعية الشباب السوفي الزيتوني »، **مجلة البحوث والدراسات**، المركز الجامعي بالوادي، ع3، س3،جوان 2006.
16- قمعون عاشوري، « دور عائلة الشيخ ابراهيم بن احمد الشريف في الحركة الوطنية الجزائرية»، **مجلة البحوث والدراسات**، المركز الجامعي بالوادي،ع3، س3،جوان 2006.
17- **المبشر**(جريدة) ، ع 245 ،15 نوفمبر 1857.
18- المجاهد(جريدة)،« ضابط فرنسي يفضح نتائج الاستفتاء في رسالة كتبت قبل عمليات التصويت» ،ع30،بتاريخ 10 أكتوبر 1958،(ج1،طبعة خاصة 2007).
19- المجاهد(جريدة)،«نتائج الاستفتاء الفرنسي مهزلة 98 في المائة لم يقتنع بها »، ع30،بتاريخ 10 أكتوبر 1958،(ج1،طبعة خاصة 2007).
20- المجاهد(جريدة)، «الرد على مغالطات ماكس »،ع93،بتاريخ 10 أفريل 1961،(ج4، طبعة خاصة 2007).
21- المجاهد(جريدة)، «الصحراء الجزائرية من ماكس لوجون إلى دي غول »،ع93،بتاريخ 10 أفريل 1961،(ج4، طبعة خاصة 2007).
22- المجاهد(جريدة)، « أهداف الاستعمار في الصحراء »،ع19،98جوان 1961،(ج4، طبعة خاصة 2007).
23- المجاهد(جريدة)، « الخفايا العسكرية لتشبث الفرنسيين بالصحراء اخطر من البترول »،ع 102، 14 أوت 1961(ج4، طبعة خاصة 2007).
24- المجاهد(جريدة)، «مناورات في الصحراء »،ع 113، 22 جانفي 1962،(ج4، طبعة خاصة 2007).
25- المجاهد(جريدة)، «نصف الشهر السياسي »،ع 116، بتاريخ 9 مارس 1962.

26- المجاهد،« لا تساهل في المبادئ». ع 97، بتاريخ 5جوان 1962

27- (مجهـــول)،« المفرزة العملية للوقاية DOP »،**الخبر اليومي**،1 نوفمبر 2004

28- مناصرية يوسف،«بعض الوثائق الفرنسية حول نشاط الثورة التحريرية في الجنوب الجزائري»،**مجلة المصادر** ،م.و.د.ب.ح.ث.أ 1954ا،5،2006.

29- هلال عمار، «أصداء الهجرة الجزائرية نحو الشرق في بعض التقارير الرسمية الفرنسية»، **مجلة الثقافة**، ع 88، الجزائر، يوليو – أغسطس 1985.

30- وادي ميزاب(جريدة) ، ع33،س1، 27 ماي 1927م.

31- وادي ميزاب(جريدة) ، ع57،س2، 17 نوفمبر 1927م.

32- الوفاق(جريدة)، ع3، س1، وهران يوم الثلاثاء 5 أفريل 1938م

ب- باللغة الأجنبية:

1- Blanchet.p**, L'Oasis et pays de Ouargla**, A.G,n° 9, 1900

2- Bulletin de la Communication du Sahariennes, N°42, juin 1961.

3- Bulletin d'Information de l'Organisation des Régions Sahariennes, 8 Octobre 1959.

4- Bulletin d'Information de l'Organisation des Régions Sahariennes, 01Janvier1960.

5- Colomieu (v), « **Voyage dans le Sahara Algérien de Géryville à Ouargla** », Tour du monde , T2,n° 193 ,1863.

6- E-Moudjahid(quotidien) ,n° 40, 24 avril 1959, vol 2.

7- EL-Moujahid, « L'O.C.R.S , Dernière Base de Manœuvre du Colonialisme Français» , n° 66, 20 Juin 1960, vol 3

8- EL-Moujahid, (quotidien), n° 86, 1 November 1961, vol 3

9- Féraud (CH), **« Notes Historiques sur La Province de Constantine, Les Ben djallab deTouggourt »** ,in R.A , n°23, 1880.

10- Feraud (CH ,« **Les Ben Djallab Sultans de Touggourt** », in R.A, N° 25, 1881.

11- Gouvernement Général de L'Agérie **, « Notes pour servir a l'historique d'ouargla 1885 »** , R.A, n° 64,1923.

12- La Croix (quotidien) , « La tournée du général Noguès en Algérie», 22 jeudi 1934 ,55 année , N° 15646.

13- La Croix(quotidien) « La grande médaille de la L.M.C. est attribuée à la ville nouvelle de Ouargla», , 24 octobre 1938 ,59 année , N° 17091.
14- La Croix (quotidien) «Le gouverneur général Châtel visite le sud algérien», 12 janvier 1942, 63 année , N° 18089.
15- Le chatelier (A) ,« **Les Medaganat »**, R.A, N° 30 , 1886.
16- Mangin (E) , « **Notes sur l'histoire de Laghouat** » , R.A, n°37, 1893.
17- Mangin (E**)** , **Notes sur L´histoire de Lagouat** , R.A, N° 39 , 1895
18- Marmier (F) et Trecolle (G), « **Etude de l'industrie du Gisement d'hassi-Mouillah »,** Libyca,t XIX,1971.
19- Nouvelles du Sahara , bulletin périodique d'information économique et financiers ;N°48, 26 Aout 1961.
20- Nouvelles du Sahara, N°39, 26 Décembre 1960
21- Nouvelles du Sahara, N°6, Décember1963-Janvier 1964
22- Rapport sur le Combat de Meggarine , livré le 29 novembre 1854 , aux contingents réunis du Cheikh de Touggourt et de Cheikh de Chérif Mohamed ben Abdallâh ,R.A, n 39 ,1895.
23- Seroka (Le commandant) , **« le Sud Constantions de 1830- 1855** » , R.A , n° 56, 1912.

رابعاً/الرسائل الجامعية:

أ- باللغة العـــربية:

1- بن دارة محمد ، **السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية ما بين 1952- 1962**، رسالة ماجستير في تاريخ الثورة(مخ)،جامعة الجزائر،1999/1998.

2- بلفردي جمال ، **هيكلة وتنظيم جيش التحرير الجزائري على الحدود الشرقية والغربية،** مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر(مخ)،المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم،بوزريعة، 2005/2004.

3- بوعصبانة عمر سليمان، **معالم الحضارة الإسلامية بوارجلان**،رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط(مخ)، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ،1992.

4- جفالي يوسف، **الجالية الجزائرية بجهة الكاف (1881-1929)** رسالة الكفاءة في البحث (مخ)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، (1992-1993)

5- دكار احمد،**حاضرة وارجلان وعلاقتها التجارية بالسودان الغربي1000-1301هـ/1591- 1883م**، مذكرة ماجستير في التاريخ الإفريقي الحديث والمعاصر، الجامعة الإفريقية العقيد احمد دراية بأدرار(مخ)، 2010/2009.

6- شافو رضوان، **مقاومة منطقة تقرت وما جاورها للاستعمار الفرنسي 1854-1875**، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر(مخ)،جامعة الجزائر،2007.

7- غرايسة عمار،**المدينة والدولة(ورجلان أنموذجا)**،مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط(مخ)، جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة،2007.

ب – باللغة الأجنبية:

1- Haggui Jamel : **les Algériens originaires du sud dans la ville de Tunis pendent l'époque coloniale (1881-1956),(mozabite, Soufis, Ouarglias)**, mémoire de DEA Université de Monouba, Tunis,2003-2004.

خامساً/ اللقاءات والشهادات الشخصية:

1- شهادة المجاهد احمد بوشمال،(مخطوطة)،ب.ت.

2- شهادة المجاهد بن قويدر مولاي محمد،مصورة ومسجلة بتاريخ2005/09/25، متحف المجاهد بتقرت.

3- شهادة لمجاهد البشيري البشير، مصورة ومسجلة بتاريخ 2005/06/06،متحف المجاهد بتقرت

4- شهادة لمجاهد بوخطة بلقاسم ، مصورة ومسجلة بتاريخ 2008، متحف المجاهد بتقرت

5- شهادة المجاهد بومادة محمد بن محمد، مصورة ومسجلة بتاريخ 2005/09/25،متحف المجاهد بتقرت

6- شهادة المجاهد حجاج عبد القادر، مصورة ومسجلة في جويلية 2005

7- شهادة المجاهد حقيقة الحاج احمد ، مخطوطة بتاريخ2002/02/16، الرويسات

8- شهادة شنين الحاج (شقيق الشهيد شنين قدور)،مخطوطة، دون تاريخ

9- شهادة المجاهد شنين الشيخ، مصورة ومسجلة بتاريخ 2006/05/01،متحف المجاهد بتقرت

10- شهادة المجاهد شنوفي محمد، أعمال الملتقى الوطني الأول بورقلة حول: "فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية"،1998.

11- شهادة المجاهد صخري عمر، أعمال الملتقى الوطني الأول بورقلة حول: "فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية"، 1998

12- شهادة المجاهد طواهير محمد عبد القادر،متحف المجاهد بتقرت،2005

13- شهادة المجاهد طواهير عمر، بتاريخ 17 فيفري 2002 بالرويسات،(مخطوطة)

14- شهادة المجاهد فراجي سلمان ،بتاريخ 200/04/09، متحف المجاهد بتقرت

15- شهادة المجاهد كافي علي ، دسمبر2004، بمتحف الـــمجاهد تقرت

16- شهادة لمجاهد كنوش احمد، مصورة ومسجلة بتاريخ2006/05/01، متحف المجاهد بتقرت

17- شهادة المجاهد مسعودي قويدر بن لخضر، مصورة ومسجلة بتاريخ2005/12/10، متحف المجاهد بتقرت

18- شهادة المجاهد عبادو السعيد ، بتاريخ 27 فيفري 2012، دار الثقافة مفدي زكرياء بورقلة.

19- لقاء مع السيد قويدر أولاد مسعود قومار بمقر الزاوية القادرية بورقلة،بتاريخ 2011/09/09

سادساً/ تقارير الملتقيات:

1- أشغال الملتقى الوطني حول فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954،أيام 15-16-17 أفريل 1998.

2- المنظمة الوطنية للمجاهدين، تقرير الملتقى الجهوي الثاني لكتابة تاريخ ثورة نوفمبر 1954 للولاية السادسة، المنعقد يومي 5-6 فيفري 1985

3- المنظمة الولائية المجاهدين بغرداية، وقائع ثورة التحرير بولاية غرداية للفترة ما بين 1959-1962.(غير مرقم)،

الفهارس العامة

فهرس الأعلام والأسماء

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(غ)

(ف)

(ق)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

فهرس الأماكن والبلدان

(ت)

(ج)

(خ)

(د)

(ر)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ن)

(هـ)

(و)

82، 83، 84، 85، 86، 87، 88، 89، 90، 91، 92، 93، 94، 95، 96،
97، 98، 99، 100، 101، 102، 103، 104، 105، 106، 107، 108،
109، 110، 111، 112، 113، 114، 115، 116، 117، 118، 119،
120، 121، 122، 123، 124، 125، 126، 127، 128، 129، 130،
131، 132، 133، 134، 135، 136، 137، 138، 139، 140، 141،
142، 143، 144، 145، 146، 147، 148، 149، 150، 151، 152،
153، 154، 155، 156، 157، 158، 159، 160، 161، 162، 163،
164، 165، 166، 167، 168، 169، 167، 168، 169، 170، 171،
172، 173، 174، 175، 176، 177، 178، 179، 180، 181، 182،
183، 184، 185، 186، 187، 188، 189، 190، 191، 192، 193،
194، 195، 196، 197، 198، 199، 200، 201، 202، 203، 204،
205، 206، 207، 208، 209، 210، 211، 212، 213، 214، 215،
216، 217، 218، 219، 220، 221، 222، 223، 224، 225، 226،
227، 228، 229، 230، 231، 232، 233، 234، 235، 236، 237،
238، 239، 240، 241، 242، 243، 244، 245، 246، 247، 248،
249، 250، 251، 252، 253، 254، 255، 256، 257، 258، 259،
260، 261، 262، 263، 264، 265، 266، 267، 268، 269، 270،
271، 272، 273، 274، 275، 276، 277، 278، 279، 280، 281،
282، 283، 284، 285، 286، 287، 288، 289، 290، 291، 292،
293، 294، 295، 296، 297، 298، 299، 300، 301، 302، 303،
304، 305، 306، 307، 308، 309، 310، 311، 312، 313، 314،
315، 316، 317، 318، 319، 320، 321، 322، 323، 324، 325،
326، 327، 328، 329، 330، 331، 332، 333، 334، 335، 336،
337، 338، 339، 340، 341، 342، 343، 344، 345، 346، 347،
348، 349، 350، 351، 352، 353، 354، 355، 356، 357، 358،
359، 360، 361، 362، 363، 364، 365، 366، 367، 368، 369،

(ي)

فهرس الشعوب والقبائل

(أ)

(ب)

(س)

(ش)

(ك،ل، م)

(ن، هـــ)

(و، ي)

فهرس الجمعيات والأحزاب والهيئات

(ف، ق، ك، ل)

(م)

فهرس الجداول

فهرس الملاحق

فهرس الموضوعات

الفصل الثاني

الاحتلال الفرنسي لمنطقة ورقلة

الفصل الثالث:

المقاومة الشعبية ضد التوسع الاستعماري 1850– 1875م

الفصل الرابع:

السياسة الاستعمارية بورقلة وآثارها على السكان 1854– 1954م

الفصل الخامس :

الثورة التحريرية في ورقلة **1954– 1962**م

الفصل السادس :

موقف سكان ورقلة من المشاريع الاستعمارية بالصحراء الجزائرية